

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

جامعة وهران.

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية.

قسم الحضارة الإسلامية.

منهاج البحث.

أثر الاختلاف القرآني في بيان صور الإجاز القرآنية.

بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة والدراسات القرآنية.

تحت إشراف أ / ك :

زعراف محمد

من إحصاء:

فلاحي عيسى الدين

السنة الجامعية

(1434 - 1435 هـ) / (2013 - 2014 م)

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
جامعة وهران.
كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية.
قسم الحضارة الإسلامية.

منهوان البحث.

أثر اختلاف القراءات القرآنية في بيان صور الإجاز القرآنية.

بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة و الدراسات القرآنية.

تحت إشراف أ / ك :

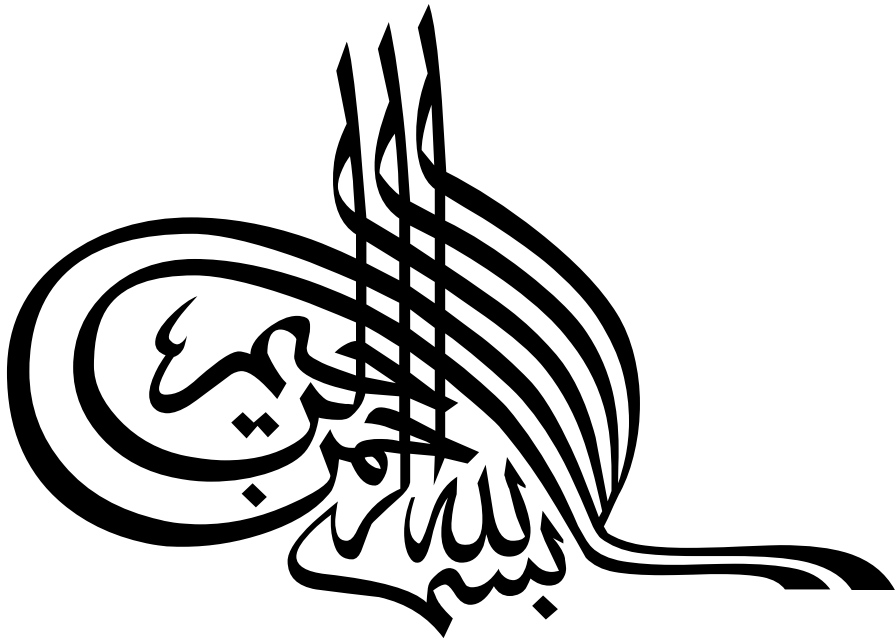
زهراء مكي

من إخطاك:

فلاح عيسى الدين

السنة الجامعية

(1434 - 1435 هـ) / (2013 - 2014 م)



شكر و شكر

الحمد سبحانه وتعالى عما كثرها يليق بجماله، و أشكره جلّ و علاّ شكراً
كثيراً يليق بجلاله، و أثنى عليه عزّ و جلالاً ثناء يليق بجماله، ثمّ أصليّ و أسلم على
سيدّ العالمين و حبيب اللق، ثمّ أمثله وحيته بأهل الفضل إذ يقول: "من لا يشكر
الناس لا يشكر الله"¹، وقوله كذاك: "من أصاب إليكم مصروفاً فكافئوه، فإن
لم تكفوا ما تكافئوه به فادعوا له حتّى تروا أنكم قد كافأتموه"⁽²⁾ فأشكر:
* المشرف الفاضل الأستاذ الدكتور: زمران محمد الطيّب فتى لى أبواب

صنائه، و صرف لى من نفيس وقتك، و غمديّ بلسن توجيّه، ف

له أياد على سابقة أمك منفا و لا أمكاً

يصلّي في ملكه يكرّمها بغيا و لا منه ينكحها

* أعضاء اللجنة المناقشة الإساتذة الدكتوراة الإفاضل على عظيم صبرهم، و
كريم حضورهم، و جميل نقدهم، فلاح مني:

و ما كان شكرى و أفيا بنوالكم و احننيّ لاولت في اللبب منفا.

أفادتكم النماء مني ثلاثة يدي و لسانى و الضمير الملبيا.

* كل مسلم قد لى نصيحة لى لخالته، أو طعوة لى طالته، أو صليفة
لحمة نافعة.

¹ حديث صحيح رواه أبو داود، السنن، حديث رقم 4177، ج2، ص555، و الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، رقم الحديث 1877، ج3، ص228، أحمد بن حنبل، المسند، كتاب باقي مسند المكثرين، رقم الحديث: 7598. انظر الألباني، السلسلة الصحيحة، بيروت، المكتب الاسلامي، ط4/1405هـ، 1985م، ج1، ص:702، رقم:416.

² أبو داود، السنن، ج1، ص:389.

إلهة خالص

إله من أوتق الله جلّ و علا بربنا و الإلهان إلهنا فقال سبحانه:

”وقل رب أرحمنا كما ربيناك علينا“

إله و الصلوة اللببية:

قص الله بربنا روحنا و وسع بنور فضله خيرنا و جعل أجر صلواتنا صلواتنا
لنا و خير الصدقات مع اللبب طابا لنا.

إله و الصلوة اللببية:

بارك الله تعالى في عبده و رماه في الدنيا بفضله، و أكرمته في الآخرة
بجنانه و النظر إله و جلوه.

إله الخوتة و الصلوة الإفاضل.

نور الله قلوبهم بالإيمان، و شرح صدورهم بالإسلام، و أكرمهم بالإحسان
إله زوجتي الفاضلة أم محمد.

أحسن الله إلينا بجميل فضله، و بثنا على الحق بنور كتابه.

إله فاضلات حبتي:

حبتي الطاهرة و فاطمة الزهراء و محبت الفتاح ياسين.

طهر الله تعالى بالقرآن نفوسهم، و أهدى بالسنة سيرتهم، و فتح بهم

قلوب الحبايب و أفاق البلاد..... أهدى بأهوية حبتي

إلهنا حيا

إله من أقلام الله تعالى بغير الدنيا و الطين

العلماء و الشُّعراء

إله أهل الشُّعراء ملغ الخلق بالعلم:

إله

كل من استل قلم الحق فشق به صفات الخلق، و تحلَّ بنور آيات التنزيل

أساطير رِق الإباطيل.

إله أهل الشُّعراء ملغ الخلق بالعلم:

إله

كل من نازل الباطل بالسيف فصفه، و اجتت الخيال من أصله فيكده،

و انتصر للقرآن الكريم فلا حمة.

المقدمة

و فيما العناصر التالية:

- أهمية الموضوع و مقاصده.
- دوافع البحث و أسبابه.
- إشكالية البحث و فرضياته.
- منهج البحث و أدواته.
- صعوبات البحث.
- خطة البحث.

إن الحمد لله تعالى نحمده ، و نستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلّل فلا هادي له ، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدا عبده و رسوله.

قال الله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ." ⁴ و قال سبحانه: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا." ⁵، و قال جلّ و علا: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا." ⁶

إنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، و خير الهدي هدي محمّد صلى الله عليه و سلم، و شرّ الأمور محدثاتها، و كل محدثة بدعة، و كل بدعة ضلالة، و كل ضلالة في النار، اللهم صلّ على محمّد و على آل محمّد كما صليت على إبراهيم و على آل إبراهيم و بارك على محمّد و على آل محمّد كما باركت على إبراهيم و على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد أمّا بعد:

³ - اعتمدت في ترتيب عناصر المقدمة على:

- محمد زيان عمر، البحث العلمي مناهجه وتقنياته، بيروت، دار الشروق، ط83/4.

- Madeleine GRAWITZ, Méthodes des sciences sociales, 10e édition, dalloz, paris, 1996.

- أحمد بن مرسل، أساليب تحليل المضمون في المعالجة التوثيقية، الخلة الجزائرية للاتصال، عدد17، السداسي الأول 1998 مجلة يصدرها معهد العلوم والاتصال بالجزائر العاصمة ، ص: 108 .

- محمد عبد الحيد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983.

- أحمد بدر، مناهج البحث والرأي العام والإعلام الدولي، القاهرة، دار قبا "عبده غريب"، 1998.

- أحمد عبد الكريم سلامة ، الأصول المنهجية لإعداد البحوث العلمية، ط 1997 ، دار الإيمان، القاهرة، ص108

⁴ - آل عمران، الآية 102

⁵ - النساء، الآية 1

⁶ - الأحزاب، الآية 70 ، 71،

لقد منّ الله على الأمة الإسلامية بنعمتين عظيمتين؛ نعمة القرآن الكريم، ونعمة بعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى: "لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِمْ وَيُرَكِّبُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ".⁷

إنّ أعظم ما بذلت فيه الجهود، وأنفقت فيه الأوقات، وأفנית فيه الأعمار، فهم القرآن الكريم؛ ذلك لأنّه مصدر الهداية وأصل السعادة، وإنّ الإحاطة بوجوه الاختلاف في القراءات القرآنية لمن أعظم المنازل العلمية والأدوات المعرفية في تفسير القرآن الكريم إذ به يحقق المسلم مقصدين عظيمين:

80 - الفهم الصحيح لنصوص القرآن الكريم.

80 - حسن العمل بأحكام التشريع العظيم.

ولو لم يكن لطالب التفسير و القراءات القرآنية إلا مجرد العلم بهما لكفاه فخرا وعزا، فعن أبي سعيد الخدري⁸ رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده".⁹

ولقد تفرّد الصحابة رضوان الله عنهم بسهم السبق في إدراك لطائف الفهم، والإحاطة بمقاصد الشرع، و حسن استنباط أسرار التنزيل، ولقد تفاوتت درجاتهم في ذلك، فنبأنت مراتبهم، فمنهم من تورّع عن التفسير فما روى، و منهم من جمعه و له انبرى، و منهم من تبحّر فيه فكان ترجمان القرآن في الورى، فزكّاهم في القرآن جلّ و علا، و عدّهم في السنة الحبيب المصطفى،¹⁰ فقد روى ابن عبد البر عن قتادة¹¹ في قوله

⁷ - سورة آل عمران، الآية: 164.

⁸ - أبو سعيد الخدري اسمه سعد بن مالك الأنصاري، من أعيان الصحابة و فقهاءهم، روى عنه خلق كثير، شهد الخندق وبيعة الرضوان و مات سنة 74هـ. انظر محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1349هـ، ج1، ص 46، و أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، طبقات الفقهاء، تحقيق علي المس، بيروت، دار القلم، ج1، ص: 33، و أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، المعين في طبقات المحدثين، تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، عمان، الأردن، دار الفرقان، ط1، 1404هـ، ج1، ص: 21.

⁹ - رواه الإمام مسلم، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر، صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، لبنان، ط 1401هـ-1981م، ج9، ص: 22، و رواه كذلك في كتاب البر والصلة والآداب، رقم 4645، وفي كتاب الذكر والدعاء والتوبة، رقم: 4867- رواه أبو داود، كتاب الصلاة رقم: 1243 - وابن ماجة القزويني في الحدود، رقم: 2534. انظر الألباني، صحيح ابن ماجة، بيروت، المكتب الإسلامي، ط3/1408هـ-1988م، ج2، ص317 الدارمي في المقدمة، رقم: 348 و أحمد في المسند، رقم: 8906 و رواه الترمذي، كتاب الحدود رقم: 1345، وكتاب البر والصلة، رقم: 1853.

¹⁰ - روى البغوي بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إنّ الله اطلع على قلوب العباد فاختر محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فبعثه برسائه وانتخبه بعلمه، ثم نظر في قلوب الناس بعد فاختر له أصحابا فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فما

تعالى: " وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ " ¹² قال: " أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم " ¹³، و قال مسروق رضي الله عنه: ¹⁴ " جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فوجدتهم كالإخاذا ، فالإخاذا يروي الرجل، والإخاذا يروي الرجلين، والإخاذا يروي العشرة، و الإخاذا يروي المائة، والإخاذا لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم. " ¹⁵

ولما كان المقصد من نزول القرآن العمل بأحكامه وحب العلم بتفسيره، ومن شروط ذلك العلم بوجوه القراءات القرآنية قال ابن كثير: " الواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك وطلبه من مظانّه، وتعلّم ذلك وتعليمه لقوله تعالى: " وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ " ¹⁶ " ¹⁷، و روى الطبري عن أبي مليكة قال: " رأيت مجاهد يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، فقال ابن عباس: أكتب حتى سأل عن التفسير

رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن، وما رآه المؤمنون قبيحا فهو عند الله قبيح " شرح السنة البغوي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط و زهير شاويش، بيروت المكتب الاسلامي ط/2-1403هـ -1983م، ج1، ص214.

11 - أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري ، تابعي جليل، حافظ ثقة، مفسر عالم، مات سنة 117هـ.

أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، الكنى والأسماء، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشيري، المدينة المنورة مطابع الجامعة الإسلامية، ط1، 1404هـ، ج1، ص: 286 - أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، المقتنى في سرد الكنى، تحقيق: محمد صالح عبد العزيز مراد، المدينة المنورة، مطابع الجامعة الإسلامية، ط 1408هـ، ج1، ص: 216 - أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1405هـ، ج2، ص: 335 - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، التاريخ الصغير، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، حلب سوريا، دار الوعي، ط1، 1397هـ-1977م.

12 - سورة سبأ، الآية: 06.

13 - ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، لبنان، دار الكتب العلمية، ج2، ص: 29.

14 - أبو عائشة مسروق بن الأجدع الهمداني، الفقيه العالم، العابد الزاهد، تابعي ثقة، شهد القادسية واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، مات سنة 62هـ ودفن بواسط . محمد بن طاهر القيسرائي ، تذكرة الحفاظ، تحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، الرياض السعودية، دار الصميعي، ط1، 1415هـ، ج1، ص: 49 و أبو الحسن أحمد بن عبد الله العجلي، معرفة الثقات، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم اليستوي، المدينة المنورة، مكتبة الدار، السعودية، ط1، 1415هـ-1985م، ج2، ص: 273.

15 - أبو عبد الله محمد بن سعد البصري الزهري، الطبقات الكبرى، بيروت لبنان، دار صادر، ج2، ص 343 ، و أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق: محمود خافوري، محمد رواس قلعة جي، بيروت دار المعرفة ، ط2، 1399هـ -1979م، ج1، ص: 403.

16 - سورة آل عمران، الآية: 187.

17 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مقبل بن الهادي الوادعي، ط/ 1414 هـ -1993م، ج1 ص: 06

كله¹⁸، و لقد تفانى السلف الصالح في طلب فهم القرآن فكابدوه، ثم استطعموا حلاوته فتلذذوه، قال مجاهد¹⁹: "عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها"²⁰، وعلى هذا فإن كمال فهم القرآن لا يقوم إلا على أساس التفسير الذي روعي فيه حقيقة التغير بين القراءات القرآنية قال إياس ابن معاوية²¹: "مثل من يقرأ القرآن ومن يعلم بتفسيره أو لا يعلم، مثل قوم جاءهم كتاب من صاحب لهم ليلا وليس عندهم مصباح، فتداخلهم لحيء الكتاب روعة لا يدرون ما فيه، فإذا جاءهم المصباح عرفوا ما فيه."²²

- الأهمية الموضوعية والمقاصدية:

إن أعظم مشقة على الباحث في ميدان الدراسات القرآنية أن يلج بحرا عميقا من التراث العظيم الذي يتجه جلّه لخدمة النص القرآني، لكنّ بوادر التيسير تظهر حينما يخلص العمل لله وحده، وتصدق النية في الطلب، و تتعین قواعد العلم، وتتجسّد أدوات البحث، وتتأكد العزيمة على النجاح، فعندئذ تهن المصاعب وتندلّ العقبات، ويتسع الأفق للمقصد المنشود قال ابن الجزري رحمه الله: "وينبغي لمن أراد التصنيف أن يبدأ بما يعمّ النفع به، وتكثر الحاجة إليه بعد تصحيح النية، والأولى أن يكون شيئا لم يسبق إلى مثله، وليحذر ما

¹⁸ - ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: صديق جميل العطار، بيروت لبنان، دار الفكر، ط/1415هـ - 1995م، ج1، ص: 90.

¹⁹ - أبو الحجاج مجاهد بن جبر، تابعي جليل، عالم مفسر، عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة، أما تفسيرها فتلاث، ولد سنة 21هـ، ومات سنة 104هـ. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج2، ص 208 و محمد بن طاهر القيسرائي، تذكرة الحفاظ، ج1، ص: 92 و أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي، طبقات الحفاظ، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ، ج1، ص: 42 و محمد ابن حبان التميمي أبو حاتم، مشاهير علماء الأمصار، بيروت، لبنان دار الكتب العلمية، ط 1959م، ج1، ص: 82 و أبو الحسن علي بن عمر الدار قطني، ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم، تحقيق: بوران الضناوي و كمال يوسف الخوت، بيروت، لبنان دار الكتب الثقافية، ط1، 1985م، ج2، ص: 246.

²⁰ - ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، الجزائر، دار الفجر، ط1، 1422هـ - 2001م، ص: 112.

²¹ - أبو وائلة إياس بن معاوية بن قرّة، التابعي الثقة، العالم القاضي، سمع من أنس بن مالك، روى عنه شعبة وحماد بن سلمة وخلف. أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، المقتنى في سرد الكنى، ج2، ص: 133 - أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، الأسماء والكنى، ج1، ص: 871 - أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، المعنى في الضعفاء، تحقيق: نور الدين عتر، ج1، ص: 95.

²² - ابن الجوزي، زاد المسير، بيروت لبنان، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة/1404هـ - 1984م، ج1، ص: 04.

استطاع، وليحسن الشئاء على من يذكره من الأئمة والشيوخ²³، ولقد فكّرت ثم نظرت فاخترت موضوعا يخدم القرآن الكريم و قراءاته من حيث الدفاع عن تزييله خاصة عند اختلاف وجوه قراءاته، و عن تأويله بالدلالة على صحة فهمه عند البحث عن وجوه إعجازه، فسمّيته بـ:

"أثر الاختلاف القراءات القرآنية في بيان صور الإعجاز القرآني". ، ثم رجوت أن تتجلى أهميته في آتة:

① - يعالج قضية عظيمة أصل نشأتها حقيقة التدافع بين الحق و الباطل و هو القرآن و أساس ظهورها بيان صدق رسالة التوحيد و هو الإعجاز القرآني.

② - يشير إلى مزية القراءات القرآنية ، و ضرورة تعلّمها و تعليمها ، و علاقتها بحفظ القرآن و إتقان أدائه ، و أثرها في كمال فهمه ، و سداد استنباط أحكامه ، و تحقيق مقاصده ، و حسن العمل به.

③ - يظهر عظمة القرآن في استيعابه كثرة تغاير القراءات دون تعارضها، و عصمته في الدلالة على معانيها مع اختلاف وجوهها دون تناقضها.

④ - يبرز سعة الشريعة الإسلامية لتغيّر الزمان و اختلاف المكان و تنوع الإنسان في الإحاطة بمصادر التشريع و منابع المصالح في المعاش و المعاد.

⑤ - يبيّن مكانة الدرس البلاغي عموما، و دوره في البحث الإعجازي القرآني على وجه الخصوص.

⑥ - يوثق العلاقة بينه و بين العلوم الشرعية عموما و بعلم التفسير خصوصا، لأنه به يحصل بيان الدلالات القرآنية، وتفصّل الأحكام الشرعية، وتزال الإشكالات المتعددة في فهم القرآن الكريم. و يهدف البحث إلى تحقيق مقاصد متعددة أهمها:

① - الاطلاع على تاريخ حركة البحث الإعجازي في توجيه الجهود العلمية في باب القراءات القرآنية.

② - المساهمة المتواضعة في إبراز جوانب المعرفة القرآنية في باب الإعجاز ، و القراءات القرآنية.

③ - معرفة مناهج البحث الإعجازي في ميدان التغاير القرائي.

²³ - أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، وضع حواشيه: زكريا عميرات، بيروت، لبنان دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ - 1999م، ص: 14.

④ - تنبيه الأمة الإسلامية إلى أن كمال تدبر القرآن و حسن التأمل في دلالات آياته هو أول السير في طريق صحة الفهم و العلم و العمل قال تعالى: " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٢٤﴾ " هذا " و لو أن المسلمين استقاموا على تدبر القرآن و الاهتداء به في كل زمان لما فسدت أخلاقهم و آدابهم، و لما زال ملكهم و سلطانهم، و لما صاروا عالة في معاشهم و أسبابها على سواهم" ²⁴، فالتدبر نعمة عظيمة ²⁶ لأنه ثمرة " كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٥﴾ " ²⁷، و إهمال إعمالها من أعظم المخاطر و أكبر المفاسد، فإذا رأيت تكديرا في حياتك فاعلم حقيقة ذلك في قوله: " إِنْ أَلَّ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿٢٨﴾ " ²⁸

⑤ - بيان منازل حسن الفهم بالتأمل و أن كمال التدبر بحسن تلاوة القرآن و عليه فإن ثمرة التدبر حسن استنباط وجوه الإعجاز من القرآن و أن ثمرة حسن التلاوة بتعلم القراءات القرآنية قال عبد الله بن أبي الحسن الحنبلي: " كُنَّا قَوْمًا نَصَارَى... وَكَانَ فِي قَرْيَتِنَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ فَإِذَا سَمِعْتَهُمْ أَبْكَى فَلَمَّا دَخَلَتْ أَرْضَ الْإِسْلَامِ أَسْلَمْتُ " ²⁹، فإذا قعدنا عن دعوة الخلق إلى الإسلام فهل نعجز عن إسماعهم القرآن ؟ فإن إسماعهم القرآن إعجاز بالتأثير فيهم.

⑥ - بيان قواعد الفهم الصحيح في توجيه وجوه التغير القرائي لنصوص القرآن الكريم.

⑦ - بيان تعلق فهم التغير القرائي بإدراك العقيدة الصحيحة وأحكام الشريعة الصادقة.

⑧ - بيان الحق للخلق في أن القرآن الكريم " لا يؤتي آثاره في إصلاح النفوس إلا إذا تولته بالفهم عقول كعقول السلف و تولته بالتطبيق العملي نفوس سامية و همم بعيدة كنفوسهم و هممهم أما انتشاره بين

24 - النساء 82

25 - تفسير المنار، رشيد رضا، ج5 ص241

26 - انظر ضرورة العلم في حسن الاستنباط من خلال ما استنبطه ابن القيم من الأسرار العلمية و اللطائف التفسيرية و الوجوه الإعجازية عند تفسيره الآية 24 إلى 30 من سورة الذاريات. انظر زاد المهاجر إلى ربه، ابن القيم، من ص 63 إلى ص 67

27 - سورة ص الآية 29

28 - الرعد 11

29 - ليدَّبَرُوا آيَاتِهِ، عمر عبد الله محمد المقبل، ط 2010، الرياض، السعودية، ص 38

المسلمين بهذه الصورة الجافة من الحفظ المجرد و الفهم السطحي و التفسير اللفظي فإنه لا يفيدهم شيئاً³⁰، و هل البحث الإعجازي إلا مسلوكاً من مسالك الدعوة إلى الله تعالى لبيان صحة العقيدة الربانية و عصمة الشريعة الإسلامية و لإقامة الحجة على الناس في الدنيا و الآخرة.

⑨- الوقوف على الغاية من استنباط الملامح الإعجازية و هي بيان صدق الوحي القرآني و صحة الرسالة الحمديّة و عصمة الشريعة الإسلامية ثم بيان تعين الهداية الربانية و سعادة الحياة الدنيوية و الأخروية ، و عليه فالبحث الإعجازي ليس مقصوداً لذاته بل المقصود الأعظم منه تحقيق لازمه.

⑩- الدفاع عن القرآن برّد جحود الملحدين، وانتحال المستشرقين المبطلين، وتأويل الجاهلين الغالين، من خلال التزود بمختلف المعارف العلمية المساعدة على فهم نصوص القرآن.

- دوافع البحث و أسبابه:

لقد قسم العلماء المعارف الإسلامية إلى ثلاثة أقسام.³¹

①- قسم نضج و احترق ، وهو النحو والأصول.

②- قسم نضج و ما احترق ، وهو الفقه والحديث.

③- قسم لا نضج و لا احترق ، وهو البيان و التفسير.

و لما نظرت إلى موضوع الدراسة ألفتته قد تضمنته القسمة الثالثة ، فأدرّكته واسع النفع جليل القدر إن شاء الله تعالى ذلك لأنّ شرف الصناعة في شرف موضوعها، و عظمة منزلتها في نبل مقاصدها، و يكفي البحث أنّ موضوعه علم التفسير و حبل وجوده كلام الله تعالى ، و عليه فإنّ الدراسة تنتسب لعلمين عظيمين القراءات القرآنية و الإعجاز القرآني فهما:

✍ - من أشرف العلوم على الإطلاق ، قال الله تعالى: " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً وَ لَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا " ³²، قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: "فموضوع التفسير كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ، ومعدن كل

³⁰ - آثار البشير الإبراهيمي، ج4 ص 226

³¹ - إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشتاوي، عبد الحميد يونس، دائرة المعارف الإسلامية، ج5، ص: 365.

³² - سورة الفرقان، الآية: 33.

فضيلة ، وصورة فعله إظهار خفيات ما أودعه منزله من أسرارهِ ، ليتدبروا آياته ، وليتذكروا أولوا الأبواب ، وغرضه التمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا فناء لها..³³ ، و قال تعالى في الإعجاز: " وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٣٥﴾ "

34،

﴿ - أصلا العمل بأحكام القرآن إذ أحدهما معلق على الفهم، و ثانيهما بالتصديق، و عليه فهما الأداة الرئيسة الموصلة إلى ثمره الاقتداء الصحيح قال ابن مسعود³⁵ رضي الله عنه:

" كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهنّ حتى يعرف معانيهنّ والعمل بهنّ."³⁶

﴿ - أساس دفع الإشكال العارض و معرفة الخطاب القرآني قال مكي بن أبي طالب: " و رأيت من أعظم ما يجب على طالب علوم القرآن الراغب في تجويد ألفاظه و فهم معانيه و معرفة قراءاته و لغاته هو معرفة إعرابه و الوقوف على تصرف حركاته و سواكنه ليكون بذلك سالما من اللحن فيه مستعينا على إحكام اللفظ به مطالعا على المعاني التي قد تختلف باختلاف الحركات متفهما لما أراد الله به من عباده إذ بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني و ينجلي الإشكال و تظهر الفوائد و يفهم الخطاب و تصحّ معرفة حقيقة المراد."³⁷

أمّا أسباب اختيار الموضوع، فتوعان:

أسباب عامة منها:

³³ - الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت، لبنان دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ-

1997م، ص05

³⁴ - البقرة، 23، 24

³⁵ - أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلي، صحابي جليل من السابقين إلى الإسلام، خادم الرسول والجاهر بالقرآن، العالم المفسر، مات بالمدينة سنة 32هـ عن عمر ستين سنة. أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، صالح مهدي عباس، ، بيروت، لبنان مؤسسة الرسالة ، ط1، 1404هـ، ج1، ص: 32 - أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج1، ص: 395.

³⁶ - ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص: 28 - البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم علمه الكتاب"، رقم: 73 - ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن عباس، رقم: 4526 - الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الله بن عباس، رقم: 3760 - أبو عبد الله بن يزيد بن ماجة القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي بيروت، لبنان، ، باب فضل ابن عباس، رقم: 162 - أحمد في المسند، كتاب مسند بني هاشم، رقم: 2274.

³⁷ - مشكل إعراب القرآن الكريم، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث، دمشق، ج 1 ص 1

- ① - ابتغاء جزيل الثواب، وكمال القبول من الله عز وجل.
- ② - الارتباط الوثيق بين موضوع الدراسة والقرآن الكريم.
- ③ - تحقيق كمال التوافق بين موضوع الدراستين الماجستير و الدكتوراه.
- ④ - خدمة طلبة العلم بإضافة جديدة في توجيه التغيرات القرائي بأداة البحث الإعجازي.

أما الأسباب الخاصة فمنها:

- ① - الأهمية الكبرى لموضوع الإعجاز القرآني إذ يعتبر السبب الأول في الصراع بين الحق و الباطل و مظهر التحدي الأعظم بين الوحي الرباني و أباطيل الضلال الشيطاني، فأيقنت حينها أن: " من أهم ما يجب على أهل دين الله كشفه، وأولى ما يلزم بحثه ما كان لأصل دينهم قواما، ولقاعدة توحيدهم عماداً ونظاما، وعلى صدق نبيهم صلى الله عليه وسلم برهاننا، و لمعجزته ثبنا و حجة لا سيما والجهل ممدود الرواق، شديد النفاق، مستول على الآفاق، والعلم إلى عفاء و دروس."³⁸
- ② - رحابة موضوع الإعجاز القرآني و سعة آفاق البحث فيه لأن القرآن الكريم أصل إفاداته و رافد تطبيقاته.
- ③ - تحقيق مقصد الدراسة لأنّ الإعجاز أداة الدعوة إلى الله تعالى و ذريعة الهداية الربانية فيحصل بحسن إعمال الأداة كمال البيان و يحصل بكمال التبليغ تحقق الهداية الربانية.
- ④ - أنّ البحث في تحليل التغيرات القرائي و توجيه المعاني القرآنية يكون ملكة الإمام بعلوم العربية و الشرعية لأنّ الباحث في هذا المجال يتطرق إلى أصوات القراءات القرآنية و طرق أدائها و إلى ميزان صرفها و قواعد نحوها و معجمها و سياقاتها و أدوات بيائها و تفسيرها.

- إشطالية البلى -

لقد لاحظت في جزئية علمية من بحث الماجستير التوظيف البارع من البخاري للقراءات القرآنية التي استشهد بها على دلالة السياق القرآني مثل ما جاء في باب³⁹ " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى.." ⁴⁰، فَصْرُهُنَّ ؛ قَطَّعُهُنَّ، فقدم قراءة " صِرْهُنَّ " بالكسر⁴¹ التي تفيد معنى الضم والإمالة والقطع مع الحبس⁴²، و مقدرة بـ: " خذ أربعة من الطير إليك فقطعهن" ⁴³، فنظرت في ترجمة الباب و إن كانت مختصرة فإني لحظت فيها كمال فهمه و حسن استنباطه و صدق من قال: فقه البخاري في تراجمه بل أقول: فقه البخاري و رجاحة فهمه في براعة استهلال متن تراجمه و سحر نظم أدلة استنباطه، فظهر لي بعد التأمل في ذلك - والله أعلم-، أنه قدّم قراءة الكسر لأسرار إعجازية منها:

- أ- أن قراءة الكسر أبلغ في الدلالة على عظمة القدرة الإلهية، إذ معناها يشمل معنى قراءة الضم.
- ب- أن القرينة اللفظية في قوله تعالى: " ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا"، تشير إلى أن الجزئية من الطير تدل على القطع، وهي قراءة الكسر، فلو كانت قراءة الضم لكان الخطاب -والله أعلم-: "ثم اجعل على كل جبل منهن طيرا."
- ج- أن الآية تعالج عقيدة البعث، وقراءة الكسر أبلغ في الدلالة على قدرة الله في بعث الخلق، فصوّرت معنى البعث الجرد في الأذهان و نقلته إلى صورة الحسّ الحي.

³⁹ - ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 201.

⁴⁰ - سورة البقرة، الآية: 260.

⁴¹ - محمد سالم مكرم، المهذب في القراءات العشر، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ط2، 1389هـ- 1978م، ج1، ص102، و إتخاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر المسمّى: منتهى الأمانى والمسرات في علوم القراءات" شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدميّاطي تحقيق أنس مهرة، ط 1، 1419هـ- 1998م، دار الكتب العلمية، لبنان، ج1، ص450.

⁴² - العكبري عبد الله بن الحسين أبو البقاء، إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، ط 2، 1384، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ج1، ص: 111، و أبو الفتح عثمان بن جني، الختسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلي، القاهرة، مطابع الأهرام، 1415هـ- 1994م، ج1، ص: 136.

⁴³ - أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محي الدين رمضان، دمشق، مجمع اللغة العربية، 1394هـ- 1974م، ج1، ص: 313.

و لقد وصلت الى نتيجة أنّ اجتماع القراءات القرآنية في هذا الموضوع قد أظهر إعجاز القرآن بقوة خارقة في صورتين:

الأولى: دقة تصوير عقيدة البعث و النشور، وهذا إعجاز غيبي يبني عليه مقصد دعوي و تربوي.

الثانية: دقة الدلالة على عظمة القدرة الربانية، وهذا إعجاز الألوهية يبني عليه مقصد عقائدي.

وبعد التأمل في هذه الجزئية بأدوات النظر العلمي في فهم النصوص الشرعية اعترضني صعوبة البيان

الدقيق لصورة الإعجاز الذي تبادر إليّ من إيراد البخاري، و منه نتجت عندي إشكالات مضمونها:

- ما حقيقة الإعجاز في القرآن الكريم؟

- كيف تُدرك هذه الحقيقة الكبرى؟

- ماهي الأدوات العلمية التي تعين الباحث على إدراكها؟

و بعد التعامل مع القراءات القرآنية بالبحث و التوجيه، ثم بالتحقيق و التفسير، ثم بالتدقيق و التحليل

أسفر بوجهه إشكال آخر و هو:

- هل الإعجاز يتحقق في القراءات القرآنية على وجه انفرادها أم على وجه تعددها؟

- و هل مشاهد الكمال تتجسد عند اتفاق القراءات أم عند اختلافها؟

- و ما مستوى ذلك؟ وكيف يتجلى؟

و عند استقراء نماذج التغيرات القرآني و قفت على استنباط وجوه شتى للإعجاز القرآني حوت الرسالة

بعضها فدوتتها و تركت البعض الآخر خشية الإطالة و عندها ظهر إشكال حقيقته:

- هل أنواع الإعجاز محدّدة معلومة أم كثيرة متعدّدة؟

- ما حقيقة التداخل بين صور أنواع الإعجاز؟

- ماهي مقاصد الإعجاز عامّة؟ و ماهي مقاصد وجوه الإعجاز على وجه الخصوص؟

- **منهج البحث و أطواره.**

لقد اعتمد البحث الإعجازي على مسارين من المناهج :

- الأول: عام شامل يتناول القواعد العامة للبحث و تمثّل في أصول المناهج التالية:

① - المنهج الوصفي: جمع نماذج التغيرات القرائي و سردها ، ثم حرّرها بالتوثيق الدقيق من مصادرها الأصلية ، ثم حدّد مواضع الاختلاف بينها.

② - المنهج التحليلي: تحليل مواضع الاختلاف بين القراءات القرآنية من خلال البحث المعجمي و اللغوي - الصوتي و الصرفي و النحوي - و البلاغي و الأصولي.

③ - المنهج التطبيقي: تطبيق أصول تفسير النصوص الشرعية، و توظيف قواعد تحقيق البلاغة القرآنية على نماذج التغيرات القرائي من خلال التزليل لاستقراء مواضع الاختلاف في القراءات القرآنية ثم استنباط وجوه الإعجاز من القرآن الكريم.

- الثاني: خاص تفصيلي يتناول معالم منهجي في توجيه التغيرات القرائي لاستنباط وجوه الإعجاز بعض أمثلتها ما يلي:

① - إذا اختلفت القراءتان لفظاً ومعنى جمعت بينهما من وجه لا يقتضي التضاد مستعينا في ذلك بفهم الصحابي، مثاله⁴⁴ باب: "حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ"⁴⁵، فعن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: "حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ"، قال قلت: "أَكْذِبُوا أَوْ كُذِّبُوا؟ قالت عائشة: كَذَّبُوا، قلت: فقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم فما هو الظن؟ قالت: أجل لعمرى لقد استيقنوا بذلك، فقلت لها: وظنّوا أنّهم قد كذبوا؟ قالت: معاذ الله، لم يكن الرسل تظن ذلك برّبها، قلت: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا برّبهم، وصدّقوهم، فطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس الرسل من كذبهم من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم، جاءهم نصر الله عند ذلك"، وهذا وجه من التوفيق، فالقراءة المشددة للرسل إذ تيقنوا أن قومهم قد كذبوهم، أما قراءة التخفيف فهي للمرسل إليهم، فقد توهموا أن الرسل قد كذبوهم فيما أمرهم به، وعلى هذا فالظنّ في القراءة الأولى يقين، والضمائر الثلاثة للرسل، وفي الثانية شكّ، والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم.⁴⁶

44 - ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 367.

45 - سورة يوسف، الآية: 110.

46 - أبو محمد مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج2، ص: 15-16 - مجلة منار الإسلام، العدد الأول، السنة 11 أكتوبر 1985م، ص: 26. وما ذكرته عائشة رضي الله عنها هو أجود الأقوال التفسيرية في الآية، وأحسنها في الظاهر، وأقربها إلى عقيدة عصمة الأنبياء والرسل عليهم السلام. ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 412.

② - إذا اختلفت القراءتان لفظاً ومعنى جمعت بينهما بأن أحدهما لازم الأخرى ، مثاله⁴⁷ : قال إبراهيم النخعي رحمه الله: "أفتمارونه؟ أفتجادلونه"، ثم انقل القراءة القرآنية الأخرى: "أفتمرونه ، أفتجحدونه"⁴⁸ ، فكل من جادل في إبطال شيء فقد جرده ، وكل من جحد شيئاً فقد جادل في إبطاله ، و عليه فكل من القراءتين لازم للأخرى ونتيجة لها.⁴⁹

③ - إذا اختلفت القراءتان لفظاً ومعنى جمعت بينهما من خلال إرجاعهما إلى ذات واحدة ، وأصل واحد ، إذ لا حرج في ذلك ، بل هو أبلغ في البيان ، وتكثيراً للمعاني والدلالات ، فلا مانع من أن تكون كلها مراداً لله تعالى⁵⁰ ، مثاله⁵¹ : قوله: " وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ "⁵² ، قال البخاري: " و الظنين: المتهم ، و الضنين: يضمن به "⁵³ ، فقد دل مجموع القراءتين على معنيين في لفظ واحد متعاضدين غير متضادين ، فالرسول صلى الله عليه و آله وسلم ليس متتهما في أن يأتي من عند نفسه بزيادة فيما أوحى إليه ، أو ينقص منه شيئاً ، و ليس بخيل في بيان ما أوحى إليه بالكتمان ،⁵⁴ وكذلك قوله تعالى: " كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفَرَةٌ "⁵⁵ ، قال البخاري: مُسْتَنْفَرَةٌ نَافِرَةٌ مَدْعُورَةٌ "⁵⁶ ، و عليه فقراءة الكسر تُحمل على معنى وقوع النفور منها فهي فاعلة ، و منه يقع لازم النفور وهو الذعر ، وهو حاصل قراءة الفتح ، وقد يكون الذعر سبباً للنفور ولازم عنه ، وفي الجمع بين دلالتي

⁴⁷ - ابن حجر، الفتح، ج8، ص605.

⁴⁸ - قرأ حمزة والكسائي بفتح التاء من غير ألف، وقرأ الباقون بضم التاء وبألف بعد الميم، فالأولى من مرى يمرى إذا جحد، والثانية ماري يماري إذا جادل، أحمد بن محمد البناء، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ج2، ص: 501، العكبري، إملاء ما من به الرحمن، ج2، ص: 247.

⁴⁹ - أبو محمد مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات العشر، ج2، ص: 295.

⁵⁰ - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، ص: 55.

⁵¹ - ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 693.

⁵² - سورة التكويد، الآية: 24.

⁵³ - القراءة بالطاء لابن مسعود وابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وعائشة وابن الزبير وابن جبير وابن محيصن واليزيدي وابن كثير وأبي عمرو والكسائي، وقرأ الباقون بالضاد. أحمد البناء، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ج2، ص: 592 ، و أحمد مختار عمر و عبد العال سالم مكرم ،معجم القراءات القرآنية، ط 2 ، 1988 م ، دار ذات السلاسل ، الكويت ، ج8 ص: 86.

⁵⁴ - أبو محمد مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج2، ص: 364 ، و السيوطي جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، تصحيح أحمد شمس الدين ، ط 1 ، 1408هـ - 1988م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج2، ص: 156.

⁵⁵ - سورة المدثر، الآية: 50. قرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء، وقرأ الباقون بكسرها. القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج2، ص: 348.

⁵⁶ - ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 676.

القراءتين ترسم صورة عجيبة للنفور الشديد المخالط للذعر العظيم، وهذا تصوير فني، وإعجاز قرآني، نقلت فيه المعاني النفسية إلى صور حسية، على طريقة تصوير المشاهد الطبيعية.⁵⁷

④ - إذا اختلفت القراءتان لفظاً ومعنى ذكرت الأولى مبينا دلالتها ثم أتممت كمال المعنى بالقراءة الثانية، فيستفاد من مجموع القراءتين دلالة كاملة، يؤكدها موضوع النص القرآني، وسبب النزول، والسياق مثاله⁵⁸: تفسير قوله تعالى: "إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ"⁵⁹، قال البخاري: قال مجاهد: "تَلَقَّوْنَهُ؛ يرويهِ بعضكم عن بعض"، ثم روى عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقرأ: "إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ"⁶⁰، و تقول: الولق؛ الكذب قال ابن أبي مليكة، وكانت أعلم من غيرها بذلك، لأنه نزل فيها⁶¹، فقد دلت القراءة المتواترة على معنى الرواية مطلقاً، وهذا ما أشار إليه مجاهد، ولكن قراءة عائشة أضافت قدراً زائداً معتبراً كملت به دلالة الآية، وهي الرواية الكاذبة والبهتان.

⑤ - كل قراءة قرآنية احتملت دلالتها التعدد في التفسير، فموافقة الرأي التفسيري لقواعد رسم المصحف أقوى مرجح شرعي معتبر عندي مثاله⁶²: باب نسيان القرآن وهل يقول نسيت آية كذا وكذا؟ وقول الله تعالى: "سُنِّقِرُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ"⁶³، فحرف: "لا" في الآية على تفسيرين، أولهما: ناهية، ثانيهما: نافية، فتقديم معنى النفي أرجح لدلالة رسم فعل "تنسى" عليه، فلو كانت لا ناهية لجزم الفعل المضارع بحذف حرف العلة، و لما يؤكد دلالة النفي ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: "سمع رسول الله صلى الله عليه وآله سلم رجلاً يقرأ في سورة بالليل فقال: يرحمه الله، لقد أذكرني آية كذا وكذا كنت أنسيتها من سورة كذا

57 - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، بيروت، دار الشروق، ط7، 1402هـ-1982م، ص: 242.

58 - ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 482.

59 - سورة النور، الآية: 15.

60 - وقراءة عائشة رضي الله عنها مشتقة من الولق وهو الاستمرار في الكذب والظعن، ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط1، 1374هـ-1955م، ج10، ص: 384 - أحمد الزاوي، ترتيب القاموس الخيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، بيروت، الدار العربية، ط3، 1980م، ج3، ص: 657.

61 - ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 436، 472 - وقرأ بقراءة عائشة: ابن عباس وابن يعمر ويزيد بن علي. عبد العال سالم مكرم، القراءات القرآنية، ج4، ص: 240 - مختصر شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه، عني بنشره برجست راسر، ط 1934 م، دار الهجرة، القاهرة، ص 102.

62 - المصدر نفسه، ج9، ص: 84.

63 - سورة الأعلى، الآية: 06-07.

وكذا"، ومثاله كذلك⁶⁴: باب الكيل على البائع والمعطي وقول الله عز وجل: " وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزِنُوهُمْ يُخْسِرُونَ " ⁶⁵ يعني كالوا لهم أو وزنوا لهم، فالضمير: "هم" في: "كالوهم" و "وزنوهم" فيه قولان:
الأول: يعود على الناس و بهذا فهو في موضع النصب.

الثاني: يعود على ضمير الجماعة "الواو"، وبهذا فهو في موضع الرفع مؤكد لواو الجماعة. وعليه فالمعنى الأول هو الظاهر الراجح لموافقته قاعدة الرسم العثماني ، و لتقرّره بالنظير القرآني: " يَسْمَعُونَكُمْ " ⁶⁶، قال:
يسمعون لكم.

⑥- كل قراءة تواترت أو شدّت فلم تثبت قرآنيها فإني أستشهد بها مثال القراءة المتواترة قول البخاري⁶⁷: "وقرأ الأعمش وعاصم: "فَعَدَلَكَ" بالتخفيف، وقرأه أهل الحجاز بالشدّيد.."، و كذلك قوله⁶⁸: "و الظنين؛ المتهم، والظنين؛ يضمن به"، أمّا القراءة الشاذة عن الصحابة، فمثاله⁶⁹: قراءة ابن مسعود رضي الله عنه قال البخاري: "كالهين؛ كألوان الهين" وقرأ عبد الله "كالصوف"، و هناك قراءات أخرى لعمر بن الخطاب⁷⁰، وأبي بن كعب⁷¹، وعبد الله بن عباس⁷²، وعائشة رضي الله عنهم أجمعين⁷³، أمّا القراءة الشاذة عن التابعين فمثاله قراءة الأعمش⁷⁴ " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا"، و قد صرّح الأعمش بقوله: "هكذا في قراءتنا"، و كذلك قراءة قتادة: " وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِلذِّكْرِى " ⁷⁵.

64 - ابن حجر، الفتح، ج4، ص: 343.

65 - سورة المطففين، الآية: 03.

66 - سورة الشعراء، الآية: 72.

67 - ابن حجر، الفتح، ج7، ص: 695.

68 - المصدر نفسه، ص: 693.

69 - المصدر نفسه، ج8، ص: 728.

70 - المصدر نفسه، ص: 641.

71 - المصدر نفسه، ص: 496.

72 - المصدر نفسه، ج3، ص: 593.

73 - المصدر نفسه، ج8، ص: 482-436.

74 - المصدر نفسه، ج1، ص: 224.

75 - المصدر نفسه، ج2، ص: 70.

⑦ - كل قراءة متواترة استشهد بها فهي دليل مستقل بذاتها ، و قد أورد القراءة الشاذة ، و أعضدها بدليل آخر معتبر من السنة النبوية ، أو أقوال الصحابة والتابعين ، مثال ما استقل من القراءة المتواترة بذاته⁷⁶ قول البخاري: "الناخرة، والناخرة سواء.."، و النخرة: البالية، والناخرة: العظم الجوف الذي تمر فيه الريح فينخر"، أما القراءة الشاذة فمثاله قراءة قتادة: "وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِلذِّكْرِ"، فقد عضدها من السنة النبوية قوله صلى الله عليه و سلم: "من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك"، و ثمة يقوي دلالة القراءة قول النخعي رحمه الله: "من ترك صلاة واحدة عشرين سنة، لم يعد إلا تلك الصلاة الواحدة."⁷⁷

⑧ - كل قراءة قرآنية ما أوردتها و أستشهد بها إلا:

﴿ لبيان فائدة شرعية ظاهرة كترجيح حكم شرعي، مثاله ترجيح قراءة قتادة: "وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِلذِّكْرِ" قال البخاري: باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها ولا يعيد إلا تلك الصلاة.⁷⁸

﴿ لبيان بقاء الحكم بنفي النسخ عنه مثاله ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقرأ: " وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ" قال ابن عباس: "ليست منسوخة: هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة، لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا"⁷⁹، فعلى قراءة ابن عباس أن كل من تكلف الصوم وهو لا يقدر عليه أفطر وكفر، وهذا الحكم باق غير منسوخ، فوجهها القراءتين "يطيَّقونه، ويطوَّقونه" ثابتان بحسب مدلول القرائن دون نسخ.⁸⁰

⑨ - قد أذكر القراءة القرآنية لأستدلّ بها على استنباط معين لأرجح دلالة دلّ عليها سياق النظم و الموضوع القرآني، كقوله تعالى: " فَوَسَّوَسَ هُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ "⁸¹، فقد

76 - ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 690.

77 - المصدر نفسه، ج2، ص: 70.

78 - المصدر نفسه، ص: 70، ولقد رجّح بعض العلماء حكم وجوب العمرة من خلال الاستدلال بقراءة " وأتموا الحج والعمرة" بنصب العمرة على العطف و يؤكد حكم القراءة بأثر ابن عمر وابن عباس. انظر الفتح، ج3 ص: 597.

79 - المصدر نفسه، ج8، ص: 179.

80 - المصدر نفسه، ج8، ص: 181. فالقراءة المتواترة "يطيَّقونه" حكمها لمن عجز عن الصوم أو الإطعام، أما القراءة الشاذة "يطوَّقونه" فهي تفيد وجوب الإطعام على الشيخ الكبير الذي لم يقدر على الصوم. انظر صبري عبد الرزوف محمد عبد القوي، أثر القراءات في الفقه الإسلامي، الرياض، السعودية، أضواء السلف ط1418، 1هـ 1998م ص: 364.

81 - الأعراف: 20

قرأ ابن عباس و يحيى بن كثير " ملكين " ⁸² بكسر اللام " ويشهد لهذه القراءة قوله تعالى حكاية عن اللعين: " هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى " ⁸³ ، واستدل بعض بالآية على أفضلية الملائكة، بقريضة عدم الإنكار على مقولة اللعين ، و ارتكب آدم عليه السلام المنهي عنه طمعا فيما أشار إليه الشيطان الرجيم من الصيرورة على وصف الملائكة ، لكنّ الراجح الدقيق أن رغبتهما كانت في أن يحصل لهما أوصاف الملائكة من الكمالات الفطرية، فأفضلية الملائكة من هذه الأوجه لا مانع منه، وإنما المنع من كل الوجوه. ⁸⁴

- صعوبات البحث

ويمكن تلخيص الصعوبات في نقطتين:

① - جدّة الموضوع ، فإنّه لم يطرق بالدراسة تفصيلا بحيث استقصيت وجوه الإعجاز بالبحث و الجمع في دراسة واحدة.

② - صعوبة التحليل والاستقراء لسببين مهمين:

◀ أولهما: تعلق الدراسة بنص القرآن الكريم مما يوجب الإحاطة بالعلوم المساعدة على فهم و تفسير النصوص الشرعية عامة و أدوات توجيه التغيرات القرآني على وجه الخصوص.

◀ ثانيهما: تعلق الدراسة بأعظم موضوع و أخطر و هو الإعجاز لأنّه مناط صدق الوحي القرآني و الرسالة الحمديّة، و عليه فإنّ إتقان البحث فيه يعمّم الهداية الربانية، و يقوي العقيدة الإيمانية، و يعين على الدعوة الإسلامية.

- خطة البحث

و تتكوّن خطة البحث من:

الباب الأول: القراءات القرآنية و الإعجاز القرآني.

الفصل الأول: القراءات القرآنية قواعد و مقاصد.

⁸² - الدر المصون، 3، 248 ، و الخزر 5، 458 ، وفتح القدير 2، 195، والكشاف 1، 543 .

⁸³ - معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج أبو إسحق إبراهيم بن السري ، تحقيق عبد الجليل عبده شلي، ط 1 ، عالم الكتب ، بيروت 1408 هـ 1988 م ، 2 ، 326 .

⁸⁴ - الألو سي ، روح المعاني 147.5

- القراءات في اللغة و الاصطلاح.
- القراءات القرآنية أهميتها و مقاصد الاستشهاد بها.
- تراجم القراء العشرة.
- القراءات القرآنية أقسامها و شروط قبولها.
- القراءات الشاذة حقيقتها و حجّيتها.
- الفصل الثاني: الأحرف السبعة و علاقتها بالقراءات القرآنية.
- الأحرف السبعة و القراءات القرآنية.
- الأحاديث النبوية الواردة في الأحرف السبعة.
- حقيقة الأحرف السبعة.
- الأحرف السبعة في المصاحف العثمانية.
- الفصل الثالث: الإعجاز القرآني حقيقته و شروطه.
- الإعجاز في اللغة و الاصطلاح.
- المعجزة في اللغة و الاصطلاح.
- شروط المعجزة.
- مشتقات مادة (ع ج ز) في القرآن.
- المفردات القرآنية الدالة على معنى الإعجاز.
- الفروق الدلالية للفظ الإعجاز.
- الفصل الرابع: الإعجاز القرآني بين التحدي و الهداية.
- البحث الإعجازي و الهداية الربّانية.
- القرآن الكريم بين الإعجاز و الصرفة.
- الصرفة في اللغة و الاصطلاح.
- مصدر القول بفكرة الصرفة.
- الصرفة و الإعجاز دراسة و نقد.

الباب الثاني : التغيرات القرائي و وجوه الإعجاز القرآني.

الفصل الأول : الإعجاز القرآني بين بلاغة الكلمات و دلالات الأصوات..

- دلالة الإعجاز الصوتي بين اللفظ و النظم.
- الدلالة الصوتية المطردة. " الإبدال نموذجاً "
- الإبدال بين الوحدات الصوتية الصغيرة.
- الإبدال مفهومه فائدته أنواعه.
- الإبدال الصوتي بين الصوامت - الحروف -
- الدلالة على المعاني بأدوات البيان الصوتي " التنعيم نموذجاً " .
- التنعيم مفهومه درجاته مقاصده.

الفصل الثاني: الإعجاز بين نظم القرآن و بلاغته.

- التغيرات القرائي و إعجاز النظم القرآني.
 - النظم في اللغة و الاصطلاح .
 - النظم مفهومه و مستوياته و مراحل بنائه عند الجرجاني.
 - إعجاز النظم القرآني في تصوير نعيم الجنة.
 - إعجاز النظم و اتساع المعنى القرآني.
 - التغيرات القرائي و الإعجاز البلاغي.
 - الإعجاز البلاغي بالتقديم و التأخير و مقاصده.
 - الإعجاز بالتقديم و التأخير في القصص القرآني.
 - الإعجاز بالتقديم و التأخير في نقض الشرك.
 - الإعجاز البلاغي بالذکر و الحذف.
 - الإعجاز بالذکر و الحذف في القصص القرآني.
 - الإعجاز البلاغي و الالتفات مفهومه و تاريخ البحث فيه.
- الفصل الثالث: الإعجاز بين عقيدة القرآن و شريعته.

- التغيرات القرائية و الإعجاز العقائدي.
- التغيرات القرائية و إعجاز القدرة الإلهية: " خلق عيسى عليه السلام نموذجاً "
- التغيرات القرائية والإعجاز في بيان الغيب: " البعث و النشور نموذجاً "
- التغيرات القرائية و الإعجاز التشريعي.
- الإعجاز التشريعي مفهومه حقائقه و أسرارها و خصائصه
- التغيرات القرائية و تنوع الإعجاز التشريعي.
- الإعجاز التشريعي في العبادات و العلاقات الزوجية..
- الإعجاز الطبّي في العلاقات الزوجية.
- التغيرات القرائية و الإعجاز المقاصدي.
- الإعجاز المقاصدي و حفظ المقاصد الضرورية. " الدين و العرض و العقل نموذجاً. "
- الفصل الرابع: الإعجاز بين تأثير القرآن و تربيته.
- التغيرات القرائية و الإعجاز النفسي.
- الروح و النفس في اللغة و الاصطلاح.
- مفردة النفس في القرآن أسرار تعددها و لطائف معانيها.
- الإعجاز النفسي مفهومه و حقيقته و تاريخه.
- التأثير القرآني و الإعجاز النفسي.
- الإعجاز النفسي و تحليل النفس " الاستكبار الفرعوني نموذجاً "
- التغيرات القرائية و الإعجاز التربوي. " الأخلاقي "
- التربية و الأخلاق في اللغة و الاصطلاح.
- التربية في القرآن الكريم و السنة النبوية.
- التربية في الإسلام مقاصدها و خصائصها و آثارها.
- التغيرات القرائية و الإعجاز التربوي. " القلب المتكبر نموذجاً "
- الفصل الخامس: الإعجاز بين لغة القرآن و رسمه.

- التغيرات القرائي و الإعجاز النحوي.
- ظاهرة الزمن في القرآن تأصيل مفهومها و بيان أهميتها.
- الإعجاز النحوي بين الزمن الفيزيائي والوظيفة الدلالية.
- التغيرات القرائي والإعجاز التصويري.
- الإعجاز التصويري و سنة التدافع: "الإعراض عن الحقّ نموذجاً".
- الإعجاز التصويري خصائصه و مقاصده و اتّساع المعاني به.
- التغيرات القرائي و إعجاز الرسم القرآني.
- الرسم القرآني قواعده، و فوائده و مذاهب العلماء فيه.
- إعجاز الرسم القرآني و تصوير النعيم الأخروي.
- الفصل السادس: الإعجاز العلمي قواعد و مقاصد.
- التغيرات القرائي و الإعجاز العلمي.
- التفسير العلمي تعريفه و علاقته بالإعجاز العلمي.
- الإعجاز العلمي دوافع الاهتمام و ضوابط التعامل.
- الإعجاز العلمي في ظاهرة الرياح .
- الخاتمة.

هذا آخر ما تيسر لي إيرادُه و تحقيقه، و قد تركت أضعافه و الله شاهد ، و لقد علمت أي خضت بحرا غمرا عماده القرآن الكريم، و درره الإعجاز العظيم، و مركبه العلوم بأفنانها، و المعارف بألوانها، و الصناعة البلاغية بحسن إتقانها و إحكامها بعد العلم بأحكامها، و لقد اجتهدت الالتقاط مستفرغا الجهد فما على الغواص من ذنب إن أجاد الغوص و لم يصب القنص، و يكفيني رضى على بحثي المتواضع إقبالي عليه دون ملل أو إدبار في خلوات الليل و أطراف النهار باحثا عن وجوه الإعجاز بالنظر و الاعتبار قال الشاعر:⁸⁵

و لا بدّ أن أسعى لأشرف رتبة وأمنع عيني عن لذيد منامي
و أقتحم الأمر الجسيم بحيث أن أرى الموت خلفي تارة و أمامي

⁸⁵ - عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، العود الهندي عن أمالي في ديوان الكندي، تقديم عائض القرني، ط 1، 2011، دار المنهاج، جدّة

فإمّا مقاما يضرب الجدّ وسطه سرادقه أو باكيا لحمام

و إن أنا لم أبلغ مقاما أرومه فكم حسرات في نفوس كرام

و رغم أني اقتحمت الأمر الخطير فإني لا أدعي فضيلة الإحسان و لا السلامة من سقط اللسان فإنّ
الفاضل " السعيد من عدّت غلطاته و ما اشتدت سقطاته و كلّ إنسان سوى ما استدرکوا يؤخذ من كلامه و
يترك و هي الدنيا لا يكمل فيها شيء و لا يخلو مصنف من نشر و طي و قد صحّ عنه صلى الله عليه و
سلم: " حقّ على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلّا وضعه. " ليس المعنى بوضعه إعدامه و إتلافه إنّما هو نقص
فيه. "86

هذا و إنّ الناظر في أعمال الخلق أحد ثلاثة:

متحامل ليس له إلا عين السخط تبدي المساوي، و محبّ هائم تيممه حبه فيتمه فلا يفرق بين الدرّ و البعر، و
عدل منصف بين عينيه الحق يطلبه و إن خاصمه الخلق، و النصيحة ركن الدين كما أخبر سيد المرسلين، فلا
أرتضي إلّا منصفا أوصيه بمقولة الحكيم:

جزى الله خيرا من تأمل صنعتي و قابل ما فيها من السهو بالعفو

و أصلح ما أخطأت فيه بفضلته و فطنته أستغفر الله من سهوي

و الحمد لله و الشكر له سرمدا و الصلاة و السلام على محمد أبدا.

الباب الأول: القلمات القرآنية و الإجاز القرآنية.

و فيه الفصول التالية:

الفصل الأول : القلمات القرآنية قوامها و مقاصدها.

الفصل الثاني : الإحرف السبعة و علاقتها بالقلمات القرآنية.

الفصل الثالث : الإجاز القرآنية لحقيقتها و شروطها.

الفصل الرابع : الإجاز القرآنية بين التلخيص و الإطناف.

الفصل الأول : القراءات القرآنية قواعدها و مقاصدها .

و فيه المجالات التالية :

- القراءات فروع اللغة و الإصطلاح .
- القراءات القرآنية أهميتها و مقاصدها الإستشفاء بها .
- تراجم القراء المشرفة .
- القراءات القرآنية أقسامها و شروط قبولها .
- القراءات الشاذة لاقيقتها و لا جنتها .

- القراءات القرآنية في اللغة و الإصطلاح

- القراءات في اللغة.

القراءات جمع مؤنث سالم مفردها قراءة على وزن فعالة بكسر الفاء ، و يرجع أصل اشتقاقها إلى مادة " ق ر أ " ، و القراءة مصدر سماعي 87 لفعل قرأ يقرأ قراءة و قرآنا فهو قارئ و هم قرّاء و قارئون، و القارئ الحسن القراءة 88 ، وقرأ الشيء تتبّع كلماته، و نطق بألفاظه عن نظر أو عن حفظ 89 ، و يدلّ أصل المادة " القاف و الراء و الهمز " على الدالتين الآتيتين:

1 - الجمع و الضمّ : يدل عليه فعل " قرى " بالحرف المعتل بدل الهمز قال ابن فارس "395 هـ : " القاف و الراء و الحرف المعتل أصل صحيح يدلّ على جمع و اجتماع ، من ذلك القرية ، سمّيت قرية لاجتماع الناس فيها و انضمام بعضهم لبعض ، و يقولون: قرئت الماء في المقرأة إذا جمعته .. و إذا همز هذا الباب أي " قرى " ليصبح " قرأ " كان هو و الأوّل سواء،90

87- الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، 1-343

88 - الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي هلاي، مطبعة حكومة الكويت، 1922، ج1، ص 101 ، الأزهرى، تمذيب اللغة، 9-274

89 - محمد إسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1998م، ص419

90- لقد فرق ابن القيم الجوزية بين المعتل و المهموز فجعل الأول مشتق من الجمع و الضم من قرى يقري، و الثاني مشتق من الظهور و الخروج على وجه التوقيت و التحديد من قرأ يقرأ فجعلهما أصلين مختلفين دفعا للتكرار. انظر ابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط و عبد القادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5 ، 1407 هـ-1987 ، ج5 ص635 قلت: لا يمنع من أن يكون الجمع جمعان الأول: جمع في الصدر مطلقا حفظا و تشبيها و يشهد له قوله تعالى: " سنقرئك فلا تنسى "، والثاني: جمع بالإظهار على اللسان بلاغا و بيانا، فإن اللفظ يدل في اللغة على التبليغ عموماً ومنه فلان يقرئك السلام. انظر الأزهرى أبو منصور محمد بن أحمد، تمذيب اللغة ، تحقيق محمد أبو الفضل، ط1 ،الدار المصرية للتأليف والترجمة، 9 / 271 ، و محمود بن عمر الزمخشري ، أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، مادة " ق ، ر ، ء " ، دار المعرفة، بيروت، ص763 ، ويشهد للمعنى قول ابن عباس رضي الله عنهما: " فإذا قرأناه فاتبع قرآنه " قال: " فإذا بيناه " انظر الطبري محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1412 هـ 1992 م، ج 12، ص341 ، و لا يحصل ذلك إلا من خلال ظهور الحروف القرآنية مجتمعة قال ابن الأثير: " تقول قرأت القرآن إذا لفظت به مجموعا أي ألقيته " ، وهذا الجمع و التوفيق يفهم قوله تعالى : " لا تحرك به لسانك لتعجل به " . انظر ابن الأثير مجد الدين ، النهاية في غريب الحديث و الأثر، دار الفكر، بيروت، 4 ، 30 ، و الجوهري إسماعيل بن حماد ، الصحاح ، طبعة دار العلم للملايين ، 1-64 ، و الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، تحقيق سيد إبراهيم، القاهرة، دار الحديث، ط1، 1413 هـ 1993 م ، ج5، 481 ، و لقد ردّ أبو علي الفارسي التكرار الذي تعلل به ابن القيم بقوله : " الجمع أعمّ و القرآن أخصّ فحسن التكرير لذلك كما يجوز: أعلمت زيدا و أنذرته لأنّ الإنذار أخصّ فكل منذر معلم، و ليس كل معلم منذرا كذلك قرأت و جمعت قرأت أخصّ من جمعت إذا جاز استعمال المعنى الواحد بلفظين مختلفين فأن يجوز فيها تختص فيه إحدى

و يقولون: ما قرأت هذه الناقة سلى قط ، أي لم تحمل قط، و لم تضمّ رحماً على ولد⁹¹ كما قال عمرو بن كلثوم :

تريك إذا دخلت على خلاء و قد أمنت عيون الكاشحين.

ذراعي عيطل أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا. ⁹²

و من هذا المعنى فإنّ القرآن قد جمع السور و الآيات و الحروف، فيضمّ بعضها لبعض⁹³ ، و الأحكام الشرعية⁹⁴، و قصص الأمم، و ثمرات الكتب السماوية السابقة، و علوم الأولين و الآخرين قال تعالى: " لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٥﴾ " ⁹⁵

2 - التلاوة: قال تعالى : "إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ" ⁹⁶ أي جمعه و قراءته، وقوله: "فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ" ⁹⁷ أي قراءته ⁹⁸ قال ابن عباس: " فإذا قرأ جبريل " فاتبع قرآنه " أي: قراءته "، و المراد بالقرآن في هذا الموضع القراءة يؤكده قوله تعالى: " وقرآن الفجر" ⁹⁹ أي ما يقرأ في صلاة الفجر¹⁰⁰، وقوله تعالى: "فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ

الكلمتين بمعنى ليس للأخرى أولى. " انظر الفارسي أبو علي، المسائل الحلبية ، القرطبي، التذكار في أفضل الأذكار، المكتبة العلمية ، بيروت ، ص 22

91 - الجوهري إسماعيل بن حماد، الصحاح ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، القاهرة ، مادة " قرأ " ، و ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت، دار الجليل، ج5، ص 78، 79

92 - البيتان من معلقة عمرو بن كلثوم، و قوله: الكاشحين أي : الأعداء المضميرين العداوة ، و إنما خصّت العرب الكشح بالعداوة لأنه موضع الكبد، و العداوة عندهم تكون في الكبد. و قيل : بل سمي العدو كاشحا لأنه يعرض عنك و يوليكَ كشحه و هو الجنب، و قوله : عيطل أي طويلة، و قيل : طويلة العنق، و قوله : أدماء أي: بيضاء، و قوله : بكر الناقة التي ولدت ولدا واحدا، و قد يطلق على الناقة التي لم تلد، و قوله : هجان اللون أي : الأبيض الخالص، و قوله : لم تقرأ جنينا أي : لم تضمّ في رحمها جنينا، و معنى البيتين : تريك هذه المرأة إذا أتيتها خالية و قد أمنت عيون أعدائها، تريك ذراعين ممتلئين لحما كذراعي ناقة طويلة العنق لم تلد بعد ، و لم تضمّ رحمها على ولد، و لم تلقه، يصفها بالسمن و البياض و الطول. انظر التبريزي يحيى بن الخطيب، شرح القصائد العشر، بيروت، مؤسسة المعارف، ط1، 1998 م، ص 185

93 - الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح ، ترتيب محمود خاطر، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ص 625 ، و الألويسي أبو الشاء شهاب الدين محمود ، روح المعاني في تفسير القرآن و السبع المثاني ، 1-19

94 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص 79

95 - يوسف، 111

96 - القيامة ، 17

97 - القيامة ، 18

98 - ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1990، ج1، ص 128.

99 - الإسراء، 78

الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۗ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا" ¹⁰¹ وقوله تعالى : "فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" ¹⁰² أي إذا تلوت بعضه في أثر بعض حتى يجتمع و ينضم بعضه إلى بعض فيصير إلى معنى التأليف والجمع ¹⁰³، وقال الراغب الأصفهاني: "القراءة ضم الحروف، والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل" ¹⁰⁴ و قال ابن منظور " 711 هـ" في قول عمرو بن كلثوم " لم تقرأ جنينا": " قال أكثر الناس، معناه لم تجمع جنينا أي لم يظطم رحمها على جنين و فيه قول آخر: لم تقرأ جنينا، أي لم تلقه، و على هذا فمعنى قرأت القرآن لفظت به مجموعا، أي ألقيته. " ¹⁰⁵

و التحقيق أن لفظ القراءات و القرآن مصدر من فعل قرأ بمعنى التلاوة، و ضم الشيء بعضه إلى بعض، و معاني الآيات التي ورد فيها لفظ القرآن تشير إلى ذلك منها قوله تعالى: " إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ " قال ابن كثير: " هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه، ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له، وتكفل له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره و يوضحه، فالحالة الأولى جمعه في صدره، والثانية تلاوته، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه. " ¹⁰⁶

– القراءات في الإصطلاح ¹⁰⁷

لقد اختلف العلماء في تعريف القراءات القرآنية على الوجه التالي:

1 – تعريف أبي حيان الأندلسي ¹⁰⁸ " 745 هـ": لقد عرف علم القراءات في معرض بيان علم التفسير فقال: " التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية

100 – السجستاني أبو بكر محمد بن عزيز، غريب القرآن، تحقيق محمد أديب عبد الواحد، ط1، 1995 م، دار قتيبة، ص381

¹⁰¹ – طه، 114 انظر الواحدي أبو الحسن النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن الجيد، 4-392، و الطبرسي، مجمع البيان في تفسير

القرآن، 10-505، المهدي أبو العباس، البحر المديد في تفسير القرآن الجيد 8-189

¹⁰² – النحل، 98

103- أبو عبيدة، مجاز القرآن، 1-2، مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص170

104- الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، بيروت، مادة (قرأ) ص884

105 – ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص128

106 – تفسير ابن كثير ج8 ص278

107 – لا بد من اجتناب الخلط بين تعريف القراءات و علم القراءات، فالقراءات تضبط بقيدتين أحدهما مذهب نطق الإمام القارئ مع

اتفاق روايته عنه، و ثانيهما ثبوت خلافه مع غيره من القراء، والعلماء إذا أطلقوا لفظ القراءة دل عندهم على صنيع القراء في أداء نصّ

القرآن العظيم. انظر محمد الحبش، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية ط1، دار الفكر، دمشق، 1419

هـ-1999م، ص32 أما علم القراءات فهو الإحاطة بكيفية أداء الكلمات القرآنية اتفاقا و اختلافا. انظر فهد بن عبد الرحمن الرومي،

دراسات في علوم القرآن، مكتبة الملك فهد، ط14، 1426 هـ-2005 م، ص341

ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب و تتمّات ذلك" ثم قال: " و قولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هذا هو علم القراءات." 109
- مميزات التعريف:

أ- التداخل بين علمي القراءات والتفسير، فالتعريف يوحى بدخول علم القراءات تحت كلفة التفسير .
ب - التداخل بين مباحث علم التجويد و القراءات فالتجويد يختص بكيفيات النطق والأداء، و القراءات باختلاف أوجه اللفظ القرآني.

2 - تعريف الزركشي " ت794هـ " :110 " اختلاف ألفاظ الوحي.. في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرها." 111
- مميزات التعريف:

أ- الاكتفاء بذكر مواضع الاختلاف دون مواضع الاتفاق من ألفاظ الوحي. 112.
ب - عدم عزو الاختلاف إلى ناقله.
ج - التداخل بين علم القراءات و غيره من العلوم القرآنية كإدراج كتابة حروف الكلمات القرآنية و التي هي من مسائل الرسم القرآني في علم القراءات القرآنية.
د - عدم ذكر قيد العزو إلى الناقلين. 113.

3 - تعريف ابن الجزري " 833 هـ " :114 " علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوًا لناقله." 115

108 - أبو حيان هو محمد بن يوسف بن علي بن حيان الغرناطي، مقرئ متقن، ولغوي بارع، و مفسر ضليع له مصنفات في العربية، والقراءات والتفسير والنحو توفي سنة 745هـ انظر معرفة القراء الكبار: 2/724 .

109 - أبو حيان الاندلسي محمد بن يوسف، البحر الحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الجواد وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413 هـ 1993 م، ج1 ص121

110- هو بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الزركشي الشافعي ولد سنة 745 هـ، وأخذ عن الشيخين: جمال الدين الأسنوي ، وسراج الدين البلقيني، وكان رحالة في طلب العلم كثير التصانيف، توفي بمصر ودفن بالقرافة، سنة 794 هـ. انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 1/479، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ، ومحمود الأرنؤوط ، دار ابن كثير، دمشق، ط 1406 هـ ، 6/334 .

111 - الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية، بيروت، ج1 ص218 .

112 - القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، عبد الهادي الفضلي، دار القلم، بيروت 1985 م، ص 55

113 - القراءات القرآنية وأثرها في التفسير والأحكام الشرعية ، محمد بن عمر بازمول ، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1 1417هـ 1996م، ج1 ص109.

114 - و لقد تبع ابن الجزري في تعريفه القراءات كل من ابن البناء الدميّاطي حيث قال : " هي علم يُعَلَّمُ منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحرك والتسكين والفصل والوصل ، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع." انظر إتخاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد البنا ، 1/67 ، و قال عبد الفتاح القاضي حيث قال: " هي علم

- مميزات التعريف:

أ- القراءات علم قال صاحب كشف الظنون : " العلم هو مجموع المسائل المتعلقة بجهة مخصوصة " 116 ، و انطلاقاً من هذا فإنَّ القراءات القرآنية علم مستقل بذاته عن بقية العلوم القرآنية.

ب- القراءات علم يعرف كيفية الأداء القرآني حال الاتفاق و الاختلاف.

ج- القراءات علم يسند الاختلاف إلى ناقله بالعزو الدقيق الصحيح.

4 - تعريف شهاب الدين القسطلاني " ت 923هـ-": " علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والإعراب والحذف والإثبات، والتحريك والإسكان والفصل والاتصال، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع، أو يقال: علم يعرف منه اتفاقهم واختلافهم في اللغة و الإعراب، والحذف والإثبات، والفصل والوصل، من حيث النقل، أو يقال: علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله." 117

- مميزات التعريف:

أ - الاستقلال بوصف العلمية .

ب- إسناد الاختلاف إلى ناقله .

ت- العلم بكيفية الأداء حالة الاتفاق و الاختلاف.

ويؤول أغلب نظر العلماء في تعريف القراءات إلى صورتين هما: 118

يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله. " انظر البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح عبد الغني القاضي، دار السلام، القاهرة، ط1، 1424هـ - 2004م، ص51 ، و كذلك علي محمد الضباع : " كيفية أداء كلمات القرآن ، و اختلافها معزواً لناقله . " انظر الضباع ، علي محمد، الإضاءة في بيان أصول القراءة، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1، 1420 هـ - 1999 م، ص4.

115 - منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، شمس الدين أبو الخير محمد بن الجزري ، مراجعة محمد حبيب الشنقيطي ، وأحمد محمد شاکر ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط 1980 م، ص 3.

116 - كشف الظنون: 6/1

117 - لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني، تحقيق عامر السيد عثمان و زميله، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1392هـ، 1/170.

118 - ومن هنا فقد عرفها بعض احدثين بأنها: "مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن ، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئتها. " انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، مكتبة ومطبعة عيسى الباي الحلبي وشركاه بمصر ، ط 2 ، 1361-1362هـ ، ج1ص412، و عرفت بأنها "علم بكيفيات أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقله. " انظر القرآن الكريم تأريخه وعلومه، محمد عبدالله المهدي البدري ، دار القلم ، دبي ، ط 1، 1404هـ - 1984م، ص64 ، وأنها " تلك الوجوه اللغوية والصوتية التي أباح الله بها قراءة القرآن تيسيراً وتخفيفاً على العباد. " انظر أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، محمد سمير اللبدي، دار الكتب الثقافية، ط1، الكويت، 1398هـ-1978م، 309 ، و انظر الإتقان

أ - الدلالة على مواضع اتفاق ألفاظ الوحي، و اختلافه.

ب - كيفية الأداء الصوتي، و وظيفته الدلالية.

- أهمية علم القراءات القرآنية:

علم القراءات من أجل العلوم الشرعية وأسماها قدراً و مزية، وأشرفها ذكراً و أفضلية لاتصاله بكتاب رب العالمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، و نزول القرآن بقراءاته المتعددة على النبي صلى الله عليه وسلم و تخصيص الأمة الإسلامية بهذه الرخصة نعمة عظيمة، و منقبة فُضلى؛ و درجة كبرى لذلك انبرى الصحابة منذ نزول الوحي فاعتنوا بضبطها و إتقان طرق أدائها فكانوا و من بعدهم مفاتيح الحفظ من التبديل و التحريف قال تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٠٩﴾" ، و يبلج فضل علم القراءات من مشكاة فضل القرآن العظيم، لأنه و قوف على تفاصيل الأداء القرآني قال صلى الله عليه وسلم: " خيركم من تعلم القرآن و علمه " ¹²⁰ قال ابن الجزري: " إن علماء هذه الأمة لم تنزل من الصدر الأول، و إلى آخر وقت يستنبطون منه الأدلة و الحجج و البراهين و الحكم و غيرها، ما لم يطلع عليه متقدّم ولا ينحصر لتأخر، بل هو البحر العظيم الذي لا قرار له ينتهي إليه، ولا غاية لآخره يوقف عليه " ¹²¹ ، و تتأسس فضيلة علم القراءات القرآنية و تتأصل بوجهين:

1- أنه حوى علوماً جليلاً، كعلم رسم المصحف ، و علم الضبط، و علم توجيه القراءات و الاحتجاج لها، و علم الفواصل قال القسطلاني : " القرآن ينبوع العلوم و منشؤها، و معدن المعارف و مبدؤها، و مبني قواعد

في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط3 ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة، 1370 هـ - 1951 م ، 1 ، 83 ، و أمّا " النطق بألفاظ القرآن الكريم كما نطقها النبي صلى الله عليه و سلم أو كما نُطِقت أمامه صلى الله عليه و سلم فأقرّها ، سواء كان النطق باللفظ المنقول عن النبي صلى الله عليه و سلم فعلاً أو تقريراً ، واحداً أم متعدداً." انظر القراءات القرآنية تاريخ و تعريف لعبد الهادي الفضلي ، دار القلم ، بيروت، لبنان ، ط2 ، 1980م، ص56 ، و أمّا " مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب به إمام من الأئمة القراء مذهباً يخالف غيره." انظر مباحث في علوم القرآن، مناع القطان ، مؤسسة الرسالة ، ط35 ، 1418 هـ - 1988 م، ص153 ، و أمّا " وجوه مختلفة في الأداء من النواحي الصوتية، أو التصريفية، أو النحوية، و اختلاف القراءات على هذا النحو اختلاف تنوع، و تغاير لا اختلاف تضاد، و تناقض؛ لأن التناقض و التضاد يترّاهما الكتاب العزيز." انظر في علوم القراءات مدخل و دراسة و تحقيق، السيد رزق الطويل، ط1، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة 1985 م، ص27 ، و أمّا " مذاهب الناقلين لكتاب الله عز و جل في كيفية أداء الكلمات القرآنية " انظر عبد الحلیم قابة ، القراءات القرآنية تاريخها، ثبوتها، حجيتها، أحكامها، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999 ، ص26 ، و أمّا " علم بكيفيات أداء كلمات القرآن الكريم و اختلافها من تخفيف و تشديد و اختلاف ألفاظ الوحي في الحروف بعزو النقلة." انظر محمد سالم محيسن، المعنى في توجيه القراءات العشر المتواترة ، 3 - 45.

119 - الحجر 9

120 - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن و علمه رقم.

121 - النشر ج 1 ص 5

الشرع وأساسه ، وأصل كل علم ورأسه، والاستشراف على معانيه لا يتحقق إلا بفهم رصفه ومبانيه، ولا يطمع في حقائقها التي لا تنتهي لغرائبها و دقائقها إلا بعد العلم بوجوه قراءاته ، واختلاف رواياته ، ومن ثم صار علم القراءات من أجل العلوم النافعات.¹²²

2- أنه أصل يعتمد عليه، ويحتاج إليه في التفسير و لطائفه، و في الإعجاز و عجائبه، و في النحو والصرف واللغة ، والفقه واستنباط الأحكام ، " ولم تنزل العلماء تستنبط من كل حرف يقرأ به قارئ معنى، لا يوجد في قراءة الآخر ذلك المعنى، فالقراءات حجة الفقهاء في الاستنباط، ومحجّتهم في الاهتداء إلى سواء الصراط.¹²³

- مقاصد الاستشراك بالقراءات القرآنية:

مقاصد الاستشهاد بالقراءات القرآنية كثيرة منها:

أ- القراءة القرآنية مصدر لاستنباط الأحكام.

يستشهد بالقراءة القرآنية للدلالة بها على حكم شرعي، مثاله 124 قوله تعالى: " وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي " 125 ، فيستنبط حكم إعادة الصلاة الفائتة عند تذكرها ، قال البخاري: باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها ، ولا يعيد إلا تلك الصلاة ، و ترجمة الباب تشير إلى حمل الآية على معنى ؛ أقم الصلاة لتذكيري لك إياها، " فاللام تتعلق بفعل أقم ، والتقدير: عند ذكرك إياي، فالمصدر مضاف إلى المفعول " وهذا قول الأكثرين من أهل التفسير 126 منهم ابن الجوزي ، و البغوي 127 ، و يرجح هذا المعنى بقراءة " وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي " 128 ، فقد روى البخاري عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: " من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك " وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي" قال موسى قال همام سمعته - يعني قتادة- يقول بعد:

122 - لطائف الإشارات 1، 6،

123 - لطائف الإشارات 1، 171،

124 ابن حجر، الفتح، ج2، ص: 70.

125 سورة طه، الآية: 14. وهذه قراءة نافع وأبي عمرو وأبي جعفر والزهري. أحمد بن محمد البناء، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1407هـ-1987م، ج2، ص: 245.

126 ابن الجوزي، زاد المسير، ج5، ص275، و البغوي، شرح السنة، ج2، ص241، و أبو البقاء عبد الله بن الحسين العبكري ، إملأ ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، ج2، ص119.

127 - أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، البغوي الشافعي، ولد سنة 436 للهجرة صاحب التصانيف، محيي السنة، محدث فقيه مفسر، كان سيدياً إماماً، زاهداً، من مصنفاته: شرح السنة، ومعالم التنزيل، والمصايح، وغيرها، توفي سنة 510 للهجرة. انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، 1994م.

128 - قراءة السلمي والنخعي وأبي رجاء. عبد العال سالم مكرم، أحمد مختار عمر، معجم القراءات القرآنية، ج4، ص74.

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِلذِّكْرِ، و إنما يؤكد دلالة القراءة على الحكم المستنبط قول إبراهيم النخعي: " من ترك صلاة واحدة عشرين سنة لم يعد إلا تلك الصلاة الواحدة." 129
ب - القراءة القرآنية بيان للإبهام.

يستشهد بالقراءة القرآنية لرفع الإبهام في قراءة أخرى، مثاله 130 تفسير قوله تعالى: " كالعهن المنفوش" 131 بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه: " كالصوف المنفوش"، فأدنى ما دلت عليه قراءة ابن مسعود صحة التأويل، إذ رفعت الإبهام الحاصل في لفظ العهن.
ت- القراءة القرآنية بيان للإجمال.

يستشهد بالقراءة القرآنية لبيان آية مجملة الدلالة ، مثاله 132 قوله تعالى: " فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ " 133 ، فلفظ السعي مجمل لتناوله دلالة المشي، والإسراع ، والعمل 134 ، ولقد حملت الآية على معنى الذهاب دون المشي السريع ، مع بيان الإجمال بدلالة القراءة القرآنية: " فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ " 135، روى البخاري في كتاب الجمعة ، باب: المشي إلى الجمعة ، وقول الله جلّ ذكره: " فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ "ومن قال: السعي العمل والذهاب لقول الله تعالى: " وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا " 136، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: " إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها تمشون عليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا." 137
ث- القراءة القرآنية معضدة لدلالة السياق القرآني.

129- ومذهب الشافعية والمالكية عدم الاحتجاج بالقراءة الشاذة لكونها ليست قرآنا اتفاقا، فتكون تفسيراً من الصحابي واجتهادا منه.
انظر محمد الزحيلي ، أصول الفقه الإسلامي، دمشق، المطبعة الجديدة، 1396هـ - 1976م، ص 81.

130 - ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 728.

131 - القارعة، 05.

132 - ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 641.

133 - الجمعة، 09.

134 - ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 509.

135 - قراءة عمر بن الخطاب وابن مسعود وابن عباس وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وابن عمر وابن الزبير وابن شهاب وأبي العالية والسلمي ومسروق وطاووس وسالم بن عبد الله. انظر عبد العال سالم مكرم، أحمد مختار عمر، معجم القراءات القرآنية، ج7، ص 147، وابن خالويه ، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، تقديم آرثر جفري، القاهرة، مكتبة المتنبّي، ص 157 ، وإبراهيم بن حسن، تفسير المأثور عن عمر بن الخطاب، الدار العربية للكتاب، ص 85.

136 سورة الإسراء، الآية: 19.

137 - ابن حجر، الفتح، ج2، ص: 390. وقد لاحظت أن البخاري قد استعرض القراءة القرآنية ثم وجهها على الصحيح ثم استدلل على رجحان المعنى بدليل السنة.

يستشهد بالقراءة القرآنية ليعضد بها دلالة محدّدة دلّ عليها السياق القرآني، مثاله 138 باب: " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ "139، فَصِرْهُنَّ؛ قَطَّعَهُنَّ ، فتقدّم قراءة " صِرْهُنَّ " بالكسر 140 التي تفيد معنى الضّم والإمالة والقطع مع الحبس 141، والتقدير: " خذ أربعة من الطير إليك فقطّعهن "142 ، والأجود في التقدير أن تكون " إليك " حالا من المفعول المضمر تقديره: فقطّهن مقربة إليك ، أو ممالة 143 ، والذي ظهر لي والله أعلم ، أن قراءة الكسر قد أفادت مقاصد قرآنية منها:

✽ - أن قراءة الكسر أبلغ في الدلالة على عظمة القدرة الإلهية لأن معناها يشمل معنى قراءة الضّم.
 ✽ - أن القرينة اللفظية في قوله تعالى: " ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا " تشير إلى أن الجزئية من الطير تدلّ على القطع ، وهي قراءة الكسر، فلو كانت قراءة الضّم لكان الخطاب والله أعلم " ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ طِيراً "

✽ - أن الآية تعالج عقيدة البعث ، وقراءة الكسر أبلغ دلالة في بيان قدرة الله على بعث الخلق.

ج- القراءة القرآنية بيان لسبب التزول.

يستشهد بالقراءة القرآنية ليثبت بها سبب التزول ، ثم يبيّن أن العبرة بعموم اللفظ ليستدلّ بالقراءة الأخرى على عموم الحكم ، مثاله 144 باب قول الله تعالى: " وَمَا أَوْتِيْتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا " 145 ، و روى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: " بينا أنا أمشي مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في خرب المدينة - وهو يتوكأ على عسيب معه - فمرّ بنفر من اليهود ، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح ، وقال بعضهم لا تسألوه لا يجيء بشيء تكرهونه، فقال بعضهم لنسألته ، فقام منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت

138 - ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 201.

139 - سورة البقرة، الآية: 260.

140 - وهي قراءة حمزة وأبي جعفر ورويس وخلف وطلحة وشيبة وابن جبير والأعمش وقتادة وعلقمة وابن وثاب وابن عباس، محمد سالم مكرم، المهذب في القراءات العشر، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ط2، 1389هـ - 1978م، ج1، ص 102 ، و أحمد بن محمد البناء، إتخاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ج1، ص 450.

141 - العبكري، إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، ج1، ص: 111، و أبو الفتح عثمان بن جني، المختصّب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح إسماعيل شليبي، القاهرة، مطابع الأهرام، 1415هـ - 1994م، ج1، ص: 136.

142 - أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محيي الدين رمضان، دمشق، مجمع اللغة العربية، 1394هـ - 1974م، ج1، ص: 313.

143 - العبكري، إملاء ما منّ به الرحمن ج1، ص: 111، و أبو العباس أحمد بن عمّار المهدي، شرح الهداية، تحقيق: حازم سعيد حيدر، الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1416هـ - 1995م، ج1، ص: 207.

144 - ابن حجر، الفتح، ج1، ص: 323.

145 - سورة الإسراء، الآية: 85.

فقلت: إنه يوحى إليه، فقلت، فلما انجلي عنه فقال: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" 146 قال الأعمش: هكذا في قراءتنا ، فثبت بقراءة الأعمش سبب التزول، وبالقراءة المتواترة التي صدر بها الباب حكم العموم.

ح- القراءة القرآنية تصحيح للفهم، ودفع للوهم.

يستشهد بالقراءة القرآنية لدفع الوهم الحاصل عند فهم النص القرآني، مثاله 147 قول البخاري: "المقتسمين الذين حلفوا ، ومنه: " لَا أَقْسِمُ "؛ أي أقسم ، وتقرأ: لأقسم" فقراءة لأقسم 148 بحذف الألف بعد اللام على أنها لام الابتداء للتأكيد 149 رفعت الوهم المتبادر عن القراءة المتواترة.

خ- القراءة القرآنية مكّمة لدلالة النص القرآني:

يستشهد بالقراءة القرآنية لإتمام دلالة نص قرآني، مثاله 150 قوله تعالى: " لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّنْ رَبِّكُمْ" 151 ، فقد ذكرت الآية حكم الابتغاء ولم تقيّد وقته ، ففسّرت بقراءة ابن عباس رضي الله عنهما قال البخاري: باب " التجارة أيام الموسم والبيع في أسواق الجاهلية "، ثم روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: " كانت عكاظ و مجنة وذو الحجاز أسواقا في الجاهلية، فلما كان الإسلام تأثّموا من التجارة فيها فأنزل الله: " لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّنْ رَبِّكُمْ " في مواسم الحجّ، قرأ ابن عباس كذا" 152 ، فتبين بهذه القراءة أن حكم الابتغاء في مواسم الحجّ على الجواز، وهذا ما ترجم له البخاري في كتاب البيوع ، باب: " الأسواق التي كانت في الجاهلية فتبايع بها الناس في الإسلام "، وفي كتاب التفسير عند قوله تعالى: " لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّنْ رَبِّكُمْ" 153 ، ومن كمال الدلالة القرآنية أن يستشهد بالقراءة ليخصّص

146 - قراءة ابن مسعود والأعمش، عبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية، ج3، ص: 336.

147 - المصدر نفسه، ج8، ص: 382.

148 - قراءة ابن كثير وقنبل والحسن والأعرج واليزي والزهري. أبو محمد القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج2، ص:

349 ، و أحمد بن محمد البناء، إتحاف الفضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ج2، ص: 573.

149 - محمد سالم محيسن، تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1407هـ - 1987م، ص: 222.

150 - ابن حجر، الفتح، ج3، ص: 593.

151 - سورة البقرة، الآية: 198.

152 - قراءة ابن مسعود وابن عباس وابن الزبير وعكرمة وعطاء وطلحة بن عمرو ووكيع. ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص: 19

، و عبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية، ج1، ص: 154 ، و أبو بكر عبد الله بن أبي داود، المصاحف، مصر، مؤسسة الخانجي، ص 74.

153 - ابن حجر، الفتح، ج4، ص: 321 و ج8، ص: 186.

بها عموم ، أو يدفع سوء فهم طارئ، مثاله 154 ما ذكر من قصة موسى عليه السلام مع الخضر في حكم خرق السفينة، وقتل الغلام ، و إصلاح الجدار، فقد نقل البخاري عن سعيد بن جبير قال: " كان ابن عباس يقرأ: " وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَضَبًا " ، وكان يقرأ: " وَأَمَّا الْعُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا وَكَانَ أَبُوَاهُ مُؤْمِنِينَ. "

د - القراءة القرآنية مبنية لعقيدة صحيحة.

مثاله قوله تعالى في وصف نعيم الجنة وأهلها: " وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا " 155 جاءت القراءة بضم الميم وسكون اللام في لفظ " ومُلْكًا كبيراً " وجاءت قراءة أخرى بفتح الميم وكسر اللام 156 ، فرفعت القراءة الثانية شبهة التأويل الباطل الذي عطّل النصوص الشرعية الدالة على عقيدة رؤية المؤمنين ربهم تعالى في الآخرة ؛ فالقراءة دلّت على أنه سبحانه هو المَلِكُ يوم الدين " لَمَنْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ. "

- تراجم القراء المشهرة.

1- نافع المدني: 157

نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، اختلف في كنيته، ف قيل: أبو رويم ، وقيل: أبو محمد، وقيل: أبو الحسن. قال نافع: قال لي أستاذي أبو جعفر: قد عرفنا اسمك، فما كنيته؟ فقلت: إنَّ أبي سماي نافعاً، ترى أن تكنيني؟ فقال: أنت وجهك حسن، وخلقتك حسن، وقراءتك حسنة، وأنت أبو الحسن إمام أهل المدينة في القراءة، قرأ على سبعين من التابعين ، وأقرأ الناس دهرًا طويلاً قال عنه الإمام مالك: نافع إمام الناس في القراءة، توفي سنة 169 هـ - 158 ، وأخذ عنه:

أ- قالون: عيسى بن مينا المدني لقبه نافع بقالون ، وهي لفظة رومية بمعنى جيّد ، فلقبه بذلك لجودة قراءته ، توفي بالمدينة سنة 220 هـ - 159.

154 - ابن حجر، الفتح، ج6، ص: 431 - ج8، ص: 409.

155 - الإنسان : 20

156 - وهي قراءة علي بن أبي طالب . انظر النيسابوري، غرائب القرآن ، 29، 126

157 - انظر وفيات الأعيان، ج5 ص368، 369 ، وسير أعلام النبلاء، ج7 ص336 ، وغاية النهاية، ج 2 ص330 ، وتهذيب التهذيب، ج 10 ص407 ، 408 ، و شذرات الذهب، ج1 ص270 ، وغاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار، ج 1 ص12 ، ومعرفة القراء الكبار، ج1 ص107

158 - انظر غاية النهاية، ج2 ص 330 ، ومعرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار ، أبو عبد الله الذهبي، تحقيق محمد الشافعي، مكتبة عباس الباز، ج 1 ص 108

159 - معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار أبو عبد الله الذهبي، تحقيق محمد الشافعي، ج 1 ص93، 94 ، القراءات القرآنية بين العربية و الأصوات اللغوية، سمير شريف إستيتية، ط 2005 ، عالم الكتب الحديث ،الأردن، ص 165

ب -ورش: عثمان بن سعيد المصري ، لُقّب بورش لشدة بياضه، توفي بمصر سنة 197هـ-160.

قال صاحب الشاطبية:161

فأما الكريم السرّ في الطيب نافع فذاك الذي اختار المدينة منزلاً
وقالون عيسى ثم عثمان ورشهم بصحبته الحمد الرفيع تأثلاً

2- عبد الله بن كثير المكي:162

عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان عبد المطلب الداري المكي أبو معبد ، وقيل أبو محمد ،
وقيل أبو بكر، وقيل أبو عباد، وقيل أبو المطلب ، إمام أهل مكة في القراءة ، تصدرّ للإقراء وصار إمام أهل
مكة في ضبط القرآن ، لغوي فصيح بليغ ، قال عنه الأصمعي: كان ابن كثير أعلم بالعربية من مجاهد بن جبر
، إمام القراءة المجمع عليه مات سنة 120 هـ وأخذ عنه:

أ - قنبل: محمد بن عبد الرحمن ، وتوفي بمكة سنة 291هـ-163.

ب -البنزي: أحمد بن محمد، قارئ مكة، ومؤذن المسجد الحرام، توفي بمكة سنة 250هـ-164.

قال صاحب الشاطبية:165

ومكة عبد الله فيها مقامه هو ابن كثير كاتر القوم مُعتلاً
روى أحمد البنزي له ومحمد على سند وهو الملقّب قنبلاً

3- أبو عمرو بن العلاء البصري:166

160 - معرفة القراء الكبار ج 1 ص91، 93

161 - أبو شامة الدمشقي، إبراز المعاني من حرز الأماني، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 25 ، 26

162 - انظر هداية القاري، ص 28، ووفيات الأعيان، ج3، ص 41، 42، وسير أعلام النبلاء، ج5 ص 318، 322، وتهذيب
التهذيب، ج 5 ص 367، وشذرات الذهب، ج 1 ص 157 .

163 - معرفة القراء الكبار، ص 133، 134

164 - وفيات الأعيان، ابن خلكان تحقيق يوسف طويل، دار الكتب العلمية، ج 3 ص 31، و علم القراءات، نبيل آل إسماعيل، مكتبة
التوبة ص 184

165 - أبو شامة الدمشقي، إبراز المعاني من حرز الأماني، ص 27

166 - انظر هداية القاري، ص 648، ووفيات الأعيان، ج3 ص 466، 470، وسير أعلام النبلاء، ج6 ص 407، 410، وتهذيب
التهذيب، ج12 ص 178، وشذرات الذهب، ج1 ص 237، 238 .

أبو عمرو زبان بن العلاء عمار بن العريان بن عبد الله المازني البصري ولد بمكة ، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة¹⁶⁷ ، قرأ بالكوفة والبصرة على جماعة كثر، وليس في القراء السبعة أكثر شيوخاً منه ، سمع من أنس بن مالك، وكان عالماً بالقرآن والعربية ، مع الثقة والأمانة والدين، قال عنه يونس بن حبيب: " والله لو قسم علم أبي عمرو وزهده على مائة إنسان لكانوا كلهم علماء زهاداً ، والله لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لسره ما هو عليه " توفي بالكوفة سنة 154 هـ ، وأخذ عنه يحيى اليزيدي، و روى عنه:

أ - الدوريّ: حفص بن عمر بن عبد العزيز الأزدي الدوريّ النحوي ، نُسبَ إلى الدّور ، وهو موضع ببغداد ، وتوفي سنة 246هـ.168

ب - السوسيّ: أبو شعيب صالح بن زياد ، وتوفي بخراسان سنة 261هـ.169
قال صاحب الشاطبية:170

وأما الإمام المازني صريحهم	أبو عمرو البصري فوالده العلاء
أفاض على يحيى اليزيد سيبه	فأصبح بالعذب الفرات معللاً
أبو عمرو الدوري وصالحهم أبو	شعيب هو السوسي عنه تقبلاً

4- عبد الله بن عامر الشامي:171

أبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي الشامي من يصب دهمان¹⁷² عربي النسب، قال عنه ابن الجزري: بلغت قراءته التواتر ، كيف و ابن عامر من كبار التابعين الذين أخذوا القراءة عن الصحابة¹⁷³، كان إمام جامع دمشق وقاضيها وشيخ الإقراء بها، و توفي بدمشق سنة 118هـ ، وأخذ عنه:

167 - غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار، ج 1 ص 35

168 - النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق علي محمد الضباع، دار الفكر، ج 1 ص 134، و معرفة القراء الكبار، ص 113 ، و

التيسير، أبو عمرو الداني، تحقيق أوتو يرتزل، دار الكتب العلمية، ط 1 1416هـ ص 18

169 - معرفة القراء الكبار، الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1- 1967 ص 115

170 - أبو شامة الدمشقي، إبراز المعاني من حرز الأماني، ص 28

171 - انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ج 5 ص 292 ، و تهذيب التهذيب، دار صادر بيروت، ط 1 - 1326 هـ، ج 5 ص 274

، وشذرات الذهب ج 1 ص 156 ، و غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار أبو العلاء الهمداني، تحقيق أشرف فؤاد طلعت، طباعة

الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة السعودية، ط 1 ، 1994 ، ج 1 ص 29 ، اللباب في تهذيب الأنساب ابن الأثير الجزري، دار

صادر بيروت، ط 1980 ج 3 ص 407 ، والطبقات الكبرى لابن سعد ج 7 ص 449 ، الإقناع في القراءات السبع ، أبو جعفر بن الباذش،

تحقيق أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط 1، 1999 ، ج 1 ص 104 ، أحسن الأثر في تاريخ القراء الأربعة عشر، محمد

خليل الحصري، مكتبة السنة، القاهرة ط 1 ، 2003 ص 35 ، التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، دار الكتاب العربي، بيروت

ط 3 - 1985 ص 5 ،

أ- هشام بن عمار السلمي، شيخ أهل دمشق وقارئهم، توفي بدمشق سنة 245هـ. 174

ب- عبد الله بن أحمد ابن ذكوان: كان أقرأ من هشام بكثير، وكان هشام أوسع علماً منه، توفي بدمشق سنة 242هـ. 175

قال صاحب الشاطبية: 176

وأما دمشق الشام دار ابن عامر
هشام وعبد الله وهو انتسابه
فتلك بعبد الله طابت محلاً
لذكوان بالإسناد عنه تنقلاً

5- عاصم بن أبي النجود الكوفي: 177

أبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي، شيخ الإقراء بالكوفة، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد السلمي، فجلس في موضعه، ورحل إليه الناس من الأقطار، جمع بين الفصاحة والإتقان، كان ضابطاً صدوقاً، روى عنه أبو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد، وعدد كبير من الأئمة، توفي على أرجح الأقوال سنة 127 هـ، وأخذ عنه:

أ- أبو بكر شعبة بن عياش، كان سيّداً إماماً في العلم والعمل، قال عنه ابن المبارك: "ما رأيت أحداً أسرع إلى السنّة من أبي بكر بن عياش"، وتوفي بالكوفة سنة 193هـ. 178

ب- حفص بن سليمان الأسدي، ربيب عاصم، وأعلم أصحابه بقراءته؛ وتوفي سنة 180هـ. 179

قال صاحب الشاطبية: 180

وبالكوفة الغراء منهم ثلاثة
فأما أبو بكر وعاصم اسمه
أذاعوا فقد ضاعت شذى وقرنفلا
فشعبة راويه المبرز أفضلًا

172 - انظر جمهرة أنساب العرب، ص 478

173 - النشر في القراءات العشر ج 2 ص 262

174 - علم القراءات ص 244

175 - النشر في القراءات العشر، ج 1 ص 145 - علم القراءات ص 243

176 - أبو شامة الدمشقي، إبراز المعاني من حرز الأماني، ص 29

177 - انظر تمهيد التهذيب ج 2 ص 109، وسير أعلام النبلاء ج 5 ص 256، وغاية النهاية ج 1 ص 346 - 349، وتمهيد التهذيب

ج 5 ص 38، ومعرفة القراء الكبار ج 1 ص 88، وهداية القاري ص 28.

178 - وفيات الأعيان ج 2 ص 294:295، ومعرفة القراء الكبار ص 81:80

179 - النشر ج 1 ص 156، ومعرفة القراء الكبار ص 84

180 - أبو شامة الدمشقي، إبراز المعاني من حرز الأماني، ص 30

وذاك ابن عيَّاش أبو بكر الرضا وحفص وبالإتقان كان مفضلاً

6- حمزة بن حبيب الزيات الكوفي: 181

أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات التميمي الكوفي، كانت له الإمامة في الإقراء بعد عاصم، كان حجة ثقةً ثبناً بصيراً بالفرائض عالماً بالعربية، حافظاً للحديث قال عنه سفيان الثوري: "غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض" توفي سنة 156 هـ، وقرأ عليه جماعة منهم:

أ- خلف بن هشام البزار، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، كان إماماً عالماً زاهداً، انفرد بقراءة من العشرة، توفي ببغداد سنة 229 هـ. 182

ب - خلاد بن خالد، ثقة عارفاً مجوداً، قال فيه أبو عمرو الداني: "هو أضيظ أصحاب سليم وأجلهم"، توفي بالكوفة سنة 220 هـ. 183

قال صاحب الشاطبية: 184

و حمزة ما أزكاه من متورع إماما صبورا للقرآن مرتلا
روى خلف عنه و خلاد الذي رواه سليم متقنا و محصلا

7- علي بن حمزة الكسائي الكوفي: 185

181 - انظر وفيات الأعيان ج2 ص 216، وسير أعلام النبلاء ج7 ص 90 - 92، وغاية النهاية ج1 ص 261 - 263، ومعرفة القراء الكبار ج1 ص 110، وشرح طيبة النشر ص 10، وهداية القاري ص 648، والسبعة لابن مجاهد ص 71، والفهرست لابن النديم دار المعرفة بيروت، ط 1398 هـ، ص 146، وتمدب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج1 ص 488، وتمدب الكمال ج7 ص 314، والكاشف للذهبي ج1 ص 254، والنقات، أبو حاتم ابن حبان البستي، تحقيق محمد شرف الدين أحمد، دار الفكر بيروت، ط 1975، ج6 ص 228، و خلاصة تمدب الكمال للخزرجي ص 93، والجرح و التعديل ج 3 ص 209، وميزان الاعتدال ج1 ص 605، و أحاسن الأخبار في محاسن السبعة الأخيار عبد الوهاب بن وهبان المزني، تحقيق أحمد بن فارس سلوم، دار ابن حزم بيروت ط1 ص 303، 2004

182- النشر ج1 ص 191

183- النشر ج1 ص 166

184 - أبو شامة الدمشقي، إبراز المعاني من حرز الأمان، ص 31

185 - انظر غاية النهاية ج1 ص 62، ووفيات الأعيان ج3 ص 295، 297، وسير أعلام النبلاء ج9 ص 131، وتمدب التهذيب ج7 ص 313، 314، وشذرات الذهب، ج1 ص 321، ومعرفة القراء الكبار ج 1 ص 120 .

علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي الكسائي الكوفي، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات، أخذ اللغة عن الخليل بن أحمد، فصار إماماً في القراءات واللغة والنحو، وشيخاً للمدرسة النحوية الكوفية، و توفي سنة 189 هـ، وأخذ عنه:

- أ- حفص بن عمر بن عبد العزيز الأزدي الدوري، وسبقت ترجمته راويا لأبي عمرو الدوري.
ب- أبو الحارث الليث بن خالد البغدادي، مقرئ ثقة، وضابط محقق، و توفي سنة 240 هـ. 186.
قال صاحب الشاطبية: 187

و أمّا علي فالكسائي نعته لما كان في الإحرام تسربلا
روى ليثهم عنه أبو الحارث الرضا حفص هو الدوري وفي الذكر قد خلا

8- أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني: 188

أبو جعفر المدني يزيد بن القعقاع المخزومي القارئ، أحد القراء العشرة، تابعي مشهور كبير القدر، إمام أهل المدينة في القراءة قرأ على مولاة عبد الله بن عياش، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة وقرأ هؤلاء الثلاثة على أبي بن كعب، وقرأ أبي بن كعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، و توفي سنة 130 هـ، و أشهر من روى عنه :

- أ- أبو الحارث عيس بن وردان المدني، إمام ضابط، أخذ القراءة جعفر ونافع، وأخذ عنه إسماعيل بن جعفر وقالون، و توفي سنة 160 هـ. 189.
ب- ابن جَمَاز أبو الربيع سليمان بن مسلم الزهري، مقرئ جليل، أخذ القراءة عن أبي جعفر، ونافع، وأخذ عنه إسماعيل بن جعفر توفي سنة 170 هـ. 190.

9- يعقوب بن إسحاق البصري: 191

186 - معرفة القراء الكبار ص 124، و النشر ج 1 ص 172، والتيسير ص 20

187 - أبو شامة الدمشقي، إبراز المعاني من حرز الأماني، ص 32

188 - انظر غاية النهاية ج 1 ص 439، و معرفة القراء الكبار ج 1 ص 92

189 - معرفة القراء الكبار ج 1 ص 173، و غاية النهاية ج 1 ص 616، و معجم حفاظ القرآن ج 1 ص 469.

190 - النشر ج 1 ص 149، و غاية النهاية ج 1 ص 315، و معجم حفاظ القرآن ج 1 ص 162.

191 - النشر ج 1 ص 186، و غاية النهاية ج 2 ص 386، و معجم حفاظ القرآن ج 1 ص 630

أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد البصري، أحد القراء العشرة، وإمام أهل البصرة، و مقرئها، من أعلم أهل زمانه بالقرآن والعربية ورواية السنة، أخذ القراءة عن أبي المنذر سلام بن سليمان المزني192، وأبي يحيى محمد بن ميمون193، وأبي الأشهب جعفر بن حيان العطار194 متّصل السند بأبي موسى الأشعري وأبي بن كعب و عثمان بن عفان وزيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم195، توفي سنة 205هـ، وأشهر رواته: أ- رويس أبو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري، إمام في القراءة، مشهور بالضبط والإتقان، و توفي سنة 238هـ.196

ب- أبو الحسن روح بن عبد الله المؤمن الهندي البصري النحوي، من أجلّ أصحاب يعقوب وأوثقهم توفي سنة 234هـ.197

10- خلف بن هشام البغدادي:198

أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار البغدادي، ولد سنة 150هـ، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، عالم عابد، ثقة زاهد، أخذ بمذهب حمزة وخالفه في مائة وعشرين حرفاً، وقرأ على سليم بن عيسى 199 عن حمزة الكوفي، وأبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري200 عن المفضل 201، وأبان العطار 202 عن عاصم، توفي ببغداد سنة 229هـ، وأشهر رواته:

أ- أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله المروزي البغدادي الورّاق، راوي خلف في اختياره، ثقة ضابط، و مقرئ متقن، و توفي سنة 286هـ.203

192 - سلام بن سليمان المزني، حافظ ثقة، ومقرئ جليل ت 171هـ - انظر غاية النهاية ج1 ص309.

193 - أبو يحيى مهدي بن ميمون البصري حافظ ثقة ت 171هـ - انظر غاية النهاية ج2 ص316.

194 - أبو الأشهب جعفر بن حيان العطاروي البصري الحذاء، توفي 165هـ - انظر غاية النهاية ج1 ص192.

195 - النشرح ج1 ص179، المغني ج1 ص40.

196 - معرفة القراء الكبار ج1 ص177.

197 - النشرح ج1 ص187.

198 - انظر غاية النهاية ج1 ص272، و معجم حفاظ القرآن ج1 ص223.

199 - سليم بن عيسى: أبو عيسى الكوفي المقرئ الحاذق، الضابط الخمر، عرض القرآن على حمزة، توفي سنة 188 هـ - انظر غاية النهاية ج1 ص318.

200 - سعيد بن أوس، روى القرآن عن المفضل وأبي عمرو بن العلاء، وخلف بن هشام البزار، عالم بالنحو واللغة والشعر، توفي سنة 215هـ. انظر غاية النهاية ج1 ص305.

201 - المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر، أخذ القراءة عرضاً عن عاصم بن أبي النجود والأعمش، و روى القراءة عنه حمزة الكسائي، توفي سنة 168هـ. انظر غاية النهاية ج2 ص307.

202 - أبان بن يزيد البصري العطار النحوي، ثقة صالح، قرأ على عاصم. انظر غاية النهاية ج1 ص4.

203 - انظر النشرح ج1 ص191، و غاية النهاية ج1 ص155.

ب- أبو الحسن إدريس بن عبد الكريم الحداد البغدادي، قرأ على خلف البزار، إمام ثقة، و مقرئ متقن، توفي سنة 292هـ. 204.

- شروط قبول القراءة القرآنية: 205

القراءة القرآنية المقبولة هي " كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، و وافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصحّ سندها و عليه لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، و وجب على الناس قبولها، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عن من هو أكبر منهم؛ هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف." 206

وكل ما وافق وجه النحو *** وكان للرسم احتمالاً يحوي
وصحّ إسناداً، هو القرآن *** فهذه الثلاثة الأركان
وحيثما يختل ركن أثبت *** شذوذه لو أنه في السبعة 207
و عليه فإنّ شروط قبول القراءة القرآنية ثلاثة هي: 208

1 - موافقة قواعد اللغة العربية ولو بوجه.

2 - موافقة رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً .

3 - صحة السند .

- بيان الشروط عند ابن الجزري:

1- الركن الأول: " وقولنا في الضابط "ولو بوجه " نريد به وجهها من وجوه النحو، سواء كان أفصح أم فصيحاً، مجمعا عليه أو مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر بمثله "209، و بهذا دخل ما كان فصيحاً كما دخل ما كان

204 - انظر غاية النهاية ج1 ص154، و النشر ج1 ص16، و معجم حفاظ القرآن ج1 ص50.

205 - انظر النشر في القراءات العشر، ج 1 ص 53، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، ص 168، هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري، ص 46، و التذكرة في القراءات الثلاث، ص15

206 -النشر: 9/1، و انظر: الإبانة 18، 49، و التلخيص: 19، و حجة أبي زرعة: 12، و البحر: 1/ 79، و البرهان للزركشي: 2/ 133، 134، و الإتحاف: 6، و الغيث: 5، و المهذب: 1/ 27، القراءات القرآنية، الفضلي: 109، رسم المصحف، غانم: 161، الكوفيون والقراءات: 29.

207 -شرح طيبة النشر ص: 7 .

208 - انظر ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ص18، و أبو العباس أحمد بن عمر الحموي، القواعد و الإشارات في أصول القراءات، تحقيق عبد الكريم محمد الحسن بكار، دمشق، دار القلم، ط 1، 1406هـ، ص31.

209 - النشر: 10/1 .

أفصحا ، و دخل أيضا المختلف فيه كما دخل المتفق عليه مما وافق قواعد النحو العربي ، و عليه فلا تردّ القراءة القرآنية إلا إذا خالفت إجماع أهل اللغة ، فالعبرة في إجماع النحاة لا في خلافهم ، لأنّ القراءات القرآنية وحي ثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم²¹⁰ قال علي بن قطرب: " القراءة سنة متبعة ، لا تقرأ إلا أثر عن العلماء ، ولا تقرأ بما يجوز في العربية دون الأثر"²¹¹ ، وقال مالك: " إنّما أَلّف القرآن على ما كانوا سمعوا من قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم"²¹² ، و من هذا الأصل الركين فإنّ ردّ القراءة بدعوى مخالفة العربية أو مجيئها دون الأفصح دعوى باطلة²¹³ ، فلو " جاء القرآن كلّهُ بالأفصح والفصيح فلا تتمّ الحجة في الإعجاز، إذ يقال مثلا: إنّهُ جاء بما لا قدرة للعرب على جنسه ، كما لا يصحّ أن يقول البصير للأعمى: قد غلبتك بنظري لأنّ الأعمى يقول: إنّما تتمّ تلك الغلبة لو كنت قادرا على النظر، وكان نظرك أقوى من نظري ،أما إذا فقد أصل النظر فكيف تصحّ منّي المعارضة."214

2 - الركن الثاني: " ونعني بموافقة أحد المصاحف ما كان ثابتا في بعضها دون بعض كقراءة ابن عامر " قالوا اتخذ الله ولدا "215 بغير واو...فإنّ ذلك ثابت في المصحف الشامي "216 ، وضبط ركن الموافقة لأحد المصاحف العثمانية بقوله: " ولو احتمالا " ومراده: " ما يوافق الرسم ولو تقديرا ؛ إذ موافقة الرسم تكون تحقيقا وهو الموافقة الصريحة وقد تكون تقديرا ، وهو الموافقة احتمالا؛ فإنّه خولف صريح الرسم في مواضع إجماعا نحو: السموات و الصلحت.. "217 ، و أنواع موافقة القراءات للمصاحف العثمانية هي كالتالي :

أ- الموافقة الصريحة: هي موافقة القراءة للرسم دون تقدير لزيادة حرف أو نقصان آخر نحو: العالمين، الرحيم.

210 - محمد حبيب الله الأعظمي، إيقاظ الأعلام بوجوب إتباع رسم المصحف الإمام، بيروت، دار الرائد العربي، ط2، 1972م، ص:

23.

211 _ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ص: 360.

212 - أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، القاهرة، مكتبة الكليات

الازهرية، ص: 18.

213 - انظر الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين، عبد الرحمن بن محمد الأنباري، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1993 ، ج2 ص427 ، وائتلاف النصر في اختلاف نحاة الكوفة و البصرة، عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الزبيدي، تحقيق طارق الجنائي، عالم الكتب، بيروت، ط1 ، 1987 ، ص51

214 - القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ط 3 ، 1996 ، ص21.

215 - البقرة:115.

216 - النشر : 11/1.

217 - المصدر نفسه : 11/1.

ب - الموافقة التقديرية: هي مخالفة القراءة صريح الرسم، ولا تقع الموافقة إلا بتقدير حرف زيادة أو نقصا نحو: " و اليل " فهي في جميع المصاحف بلام واحدة وما يقرأ به لامين ونحو: " الصلوة " فهي في جميع المصاحف بالواو وما يقرأ به ألف.

ت - الموافقة الصريحة لبعض القراءات والموافقة التقديرية للبعض الآخر و مثاله: " ملك يوم الدين " 218 رسمت في المصحف العثماني بغير ألف في " ملك "، فقراءة الحذف توافق المرسوم تحقيقا، بينما قراءة الإثبات لا توافق إلا تقديرا، و المخالفة للرسم القرآني إن كانت " في حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يعد مخالفا إذا ثبتت القراءة به ، و وردت مشهورة مستفاضة.. " 219 ، أمّا إن وقعت المخالفة لصريح الرسم القرآني بزيادة كلمة أو نقصانها أو بتقديمها أو تأخيرها فإنّ ذلك يعدّ مخالفة صريحة للمصحف تردّ به القراءة. 220

3 - الركن الثالث: "وقولنا "وصحّ سندها" فإنّا نعني به أن يروي تلك القراءة العدل الضابط عن مثله كذا حتى تنتهي وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شدّ بها بعضهم " 221، و بهذا فإنّ المقبول " المقروء به عن القراء العشرة على قسمين متواتر وصحيح مستفاض متلقى بالقبول. " 222

أقسام القراءات القرآنية:

تقسّم القراءات القرآنية من حيث القبول والرد إلى قسمين هما:

القراءة المقبولة، والقراءة المردودة.

1- القراءة المقبولة: " هي كُلُّ قِرَاءَةٍ صَحَّ سَنَدُهَا ، ووافقت رَسَمَ أَحَدِ المصاحفِ العثمانية ولو احتمالا ، ووافقتْ أَحَدَ أَوْجُهِ العَرَبِيَّةِ " 223 ، وتحت هذا القسم نوعان:

أ - القراءة المتواترة: " هي ما رواه جمعٌ عن جمع ، لا يُمكنُ تَواطؤُهم على الكذبِ ، عن مثلهم. " 224

218 - الفاتحة: 3.

219 - النشر: 12/1.

220 - المصدر نفسه: 13/1.

221 - المصدر نفسه: 13/1.

222 - منجد المقرئين ص: 20 ، و انظر ظاهرة نقد القراءات ومنهج الطبري فيها، إسماعيل أحمد الطحان، الإمام الطبري مقرئا ومفسرا

ومؤرخا منشورات جامعة قطر، ص341

223- علم القراءات، نبيل بن محمد آل إسماعيل: 35 ، و القراءات المقبولة هي القرآن باتفاق، يُقرأ بها في الصلاة، و يُتَعَبَّدُ بها، ويدلّل بها

على الإعجاز والتحدي ويكفّرُ جاحدها. انظر علم القراءات، نبيل بن محمد آل إسماعيل: 39

224- مناهل العرفان لحمد عبد العظيم الزرقاني: 297.

ب - القراءة المشهورة: هي ما صحّ سندها ، برواية العدل الضابط عن مثله ، واشتهر عند القراء ، فلم يعدوه من الغلط ، ولا من الشذوذ ، إلا أنه لم يبلغ درجة المتواتر. 225

2 - القراءة المردودة: هي كل قراءة اختلّ فيها شرط من شروط القراءة المقبولة 226، وتحت هذا القسم أنواع: 227

أ - ما ورد آحاداً وصحّ سندهُ لكنه خالف الرسم القرآني أو قواعد العربية.

ب - ما لم يصحّ سنده مع موافقته للرسم القرآني وقواعد العربية.

ت - القراءات الموضوعية المختلفة.

ث - القراءات التفسيرية المدرجة: وهي التي سيقت على سبيل التفسير.

- أقسام القراءات القرآنية عند ابن الجزري. 228

قسّم ابن الجزري القراءات إلى أقسام ثلاثة:

1 - القراءات المتواترة:

القراءات المتواترة هي ما نقلته الجماعة عن الجماعة من أوله إلى منتهاه و اختلف العلماء في تعيين العدد الذي يحصل به ضابط 229، و عليه فكلمًا كثر العدد تأكّد التواتر، وبناء على هذا فإنّ القراءات المتواترة في زمن ابن الجزري هي القراءات العشر، و قد جزم بأنّ ما بعدها لا يتحقّق فيه وصف التواتر بعد استقرائه أسانيد القراءات في زمانه، ونظره في طبقات أسانيدها، و أحوال رواها.

2 - القراءات الصحيحة:

القراءات الصحيحة هي ما صحّ سنده بنقل العدل الثقة الضابط عن مثله من أوله إلى منتهاه و هي قسمان:

أ - القسم الأول: و هو على درجتين:

✽ - قراءات مشهورة مستفاضة تلقّتها الأمة بالقبول ، ولم تخالف رسم المصحف ولا وجوه الخطاب العربي ، ويمثّل له بانفراد بعض الرواة عن القراء ، وكمراتب المدّ عند القراء 230 ، و هذا النوع ملحق بالقراءة المتواترة حكماً لأنه صحيح مقطوع به يفيد القطع لا الظن. 231

225- ينظر: المصدر نفسه: 297.

226 - ينظر الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، ط1، 1996م ، 1/200.

227 - ينظر: المصدر نفسه : 37.

228 - انظر تقسيم أبي شامة و قارن بينه و بين تقسيم ابن الجزري. الإتيان: 1/ 210

229 - المصدر نفسه ص: 15

230 - المصدر نفسه ص: 16 ، و تقريب النشر ص: 26 .

❖ - قراءات غير مشهورة و لا مستفاضة، ولم تلق القبول من الأئمة وهي الآحاد .

ب - القسم الثاني: وهو ما صحّ سنده ووافق العربية وخالف الرسم العثماني، ويمثّل له بما ورد في الصحيح من الزيادة والنقصان والإبدال²³² ، و ألحق هذا بالقراءة الصحيحة لصحة السند أما حكمه فالشذوذ لمخالفته قواعد الرسم القرآني.

3 - القراءات الشاذة:

القراءات الشاذة هي ما نقله غير الثقة الضابط سواء تحققت موافقة العربية والرسم القرآني أو لا مثل قراءة ابن السّميفع²³³ وأبي السّمال²³⁴ في قوله: "اليوم ننجّيك بيدنك"²³⁵ "ننجّيك" بالخاء المهملة، و يلحق بهذا النوع ما صحّ في العربية ووافق الرسم القرآني و انقطع نقله فهو في حكم الشاذ.²³⁶

- مصالّيب العلماء في المتواتر من القراءات:

لقد أجمع جمهور العلماء على تواتر القراءات الصحيحة من حيث الجملة، واختلفوا في تفاصيلها، فذهب بعضهم إلى أنّ المتواتر لا يشمل إلا أجزاء من القراءات على خلاف بينهم في التحديد، و ذهب البعض الآخر إلى أنّ القراءات متواترة جملة وتفصيلا في كلّ أجزاءها فظهرت مذاهب العلماء على النحو التالي:

1 - مذهب أبي شامة:

يرى أنّ القراءات متواترة فيما اتفقت فيه الطرق وأجمع عليه الرواة، أمّا ما وقع فيه اختلاف الرواة والطرق فليس بمتواتر ، فقد " شاع على السنة جماعة من المقرئين المتأخرين وغيرهم من المقلدين أنّ القراءات السبع كلها متواترة ، والقطع بأنها منزلة من عند الله واجب، ونحن بهذا نقول، ولكن فيما اجتمعت على نقله الطرق ، واتفقت عليه الفرق من غير نكير له مع أنه شاع واشتهر واستفاض...فالحاصل أنّنا لسنا ممن يلتزم التواتر في جميع الألفاظ المختلف فيها بين القراء ، بل القراءات كلها منقسمة إلى متواتر وغير متواتر." ²³⁷

231 - منجد المقرئين ص: 16

232 - المصدر نفسه ص: 16.

233 - ابن السّميفع هو محمد بن عبد الرحمان بن السّميفع - بفتح السين - أبو عبد الله اليماني ينسب إليه اختيار في القراءة شذ فيه عن المشهور. انظر غاية النهاية: 161/2

234 - أبو السّمال هو قعب بن أبي قعب أبو السّمال - بفتح السين وتشديد الميم - العدوي البصري صاحب اختيار شاذ في القراءة. انظر غاية النهاية: 27/2

235 - يونس: 92 .

236 - النشر 17/1 .

237 - المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، عبد الرحمان بن إسماعيل المقدسي الشهير بأبي شامة، تحقيق وليد مساعد الطبطبائي، مكتبة الإمام الذهبي، ط 2، 1414هـ - 1984م، ص 291.

2 - مذهب ابن الحاجب:

يرى أن القراءات متواترة فرشا 238 لا أصولا 239 ، وعبر عن الأصول بما كان من قبيل الأداء قال ابن الحاجب: "القراءات السبع متواترة فيما ليس من قبيل الأداء كالمدة والإمالة وتخفيف الهمز ونحوه." 240

3 - مذهب بدر الدين الزركشي:

ذهب إلى أن تواتر القراءات ثابت عن الأئمة القراء لا عن النبي صلى الله عليه وسلم وحجته في ذلك أن أسانيد الأئمة القراء التي وردت بها القراءات عن النبي صلى الله عليه وسلم كانت آحادا وهي المدونة في مصنفات القراءات فقال: "والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة ، أما تواترها عن النبي صلى الله عليه وسلم ففيه نظر، فإن إسناده الأئمة السبعة بهذه القراءات موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد، لم تكمل شروط التواتر في استواء الطرفين والواسطة." 241

4 - مذهب عبد الوهاب بن السبكي:

ذهب إلى القول بتواتر القراءات جملة وتفصيلا، فرشا وأصولا، مختلفا فيه أو مجمعا عليه، فقال: "والقراءات السبع متواترة تواترا تاما، أي نقلها عن النبي صلى الله عليه وسلم جمع يمتنع عادة تواطؤهم على الكذب لمثلهم، وهلم جرا، ولا يضر كون أسانيد القراء آحادا؛ إذ تخصيصها بجماعة لا يمنع مجيء القراءات عن غيرهم، بل هو الواقع، فقد تلقاها عن أهل كل بلد بقراءة إمامهم الجم الغفير عن مثلهم، وهلم جرا وإنما أسندت إلى الأئمة المذكورين في أسانيدهم لتصديهم لضبط حروفها، وحفظ شيوخها الكمل فيها." 242

5 - مذهب ابن الجزري:

ذهب إلى أن القراءات المقروء بها متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الأئمة المنقولة عنهم فرشا وأصولا ، حال اجتماع القراء والرواة وحال افتراقهم ، فقال: "الفصل الثاني في أن القراءات العشر متواترة فرشا وأصولا، حال اجتماعهم وافتراقهم وحل مشكل ذلك" 243 ، و استثنى ابن الجزري ما دخل تحت الأداء

238 - معنى "فرشا" مجموعة الكلمات القرآنية التي لا ينضبط فيها الحكم بأصل معين .

239 - معنى "أصولا" مجموعة المسائل التي ينضبط فيها الحكم بأصل معين .

240 - بيان المختصر: شرح مختصر ابن الحاجب، شمس الدين عبد الرحمان الأصفهاني، تحقيق محمد مظهر، ط1 سنة1406هـ/1986م:ج1 ص 469

241 - البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 319/1.

242- جمع الجوامع في أصول الفقه، القاضي عبد الوهاب بن السبكي، تحقيق عبد المعتم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، سنة

1421هـ 2201م، ص21، و انظر حاشية العطار على جمع الجوامع، حسن العطار، دار الباز للنشر والتوزيع، 299/1، و تقديم الشريبي

على جمع الجوامع، دار الباز للنشر والتوزيع، 298/1

243 - منجد المقرئين ص: 57 .

- التحويلات - فقال: " إذا ثبت شيئاً من القراءات من قبيل الأداء لم يكن متواتراً عن النبي صلى الله عليه و سلم كتقسيم وقف حمزة وهشام ، وأنواع تسهيله فإنه وإن تواتر تخفيف الهمز في الوقف عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فلم يتواتر أنه وقف على موضع بخمسين وجهاً، ولا بعشرين، ولا بنحو ذلك، وإنما إن صحّ شيء منها فوجه، والباقي لا شك أنه من قبيل الأداء " 244، و حجة ابن الجزري ما يلي:

أ- تتبّع أسانيد القراءات ، ومعرفة أحوال رجالها، وكشف عللها فدلّ التتبّع على عدم التواتر في تفاصيل كفيات الأداء ،يمثّل لذلك بقوله: " والمدّ إمّا أن يكون طبيعياً أو عرضياً ،والطبيعي هو الذي لا تقوم ذات حرف المدّ إلا به ،كالألف من قال، والواو من" يقول " ، والياء من" قيل " ، وهذا لا يقول مسلم بعدم تواتره ؛ إذ لا تمكن القراءة بدونه " 245 ، ثم ذكر الخلاف بين القراء في مقادير المدّ الجائز المنفصل حيث يقصره قالون وابن كثير ويوسطه عاصم وأبو عمرو والكسائي ، ويشبعه ورش وحمزة. 246.

ب- الاعتماد على ما يشبه الإجماع السكوتي عند الفقهاء حيث يعتبر نسبة القراءة إلى من قرأ بها هي نسبة اصطلاحية لتمييز القراءة عن غيرها من القراءات.

ت- القول بعدم تواتر مواضع خلاف القراء و انفرادهم و أصولهم يفضي إلى القول بعدم تواتر بعض القرآن وهو ما أجمعت عليه الأمة فقال: " ولو لم يكن انفراد القراء متواتراً لكان بعض القراء غير متواتر، لأنّ نجد في القرآن أحرفاً تختلف القراءة فيها ، وكل واحد منهم على قراءة لا توافق الآخر. " 247

ث- الاعتماد على ما ثبت رسمه في المصحف العثماني ؛ فالصحابة رضي الله عنهم ما رسموا شيئاً في المصحف واختاروا له كيفية رسمه إلا بناء على ما ثبت تواتره عندهم من تلك القراءة فما رسموا الممال بالياء إلا للدلالة على أنه ممال ، وما أشاروا لذلك إلا لتواتره ، وما اكتفوا في رسم الهمزة بصورتها فقط إلا للدلالة على تسهيلها وتخفيفها ، فقد دلّ الرسم القرآني على تواتر القراءات القرآنية و دلّ التواتر على ثبوت الرسم القرآني. 248.

- بَيِّنَةُ الْقِرَاءَةِ الشَّاطِئَةُ.

لقد اهتم العلماء بالقراءة الشاذة فوسّعوا العمل بها في اللغة والتفسير، و اتّفق جمهورهم على جواز تدوينها " وتعلّمها، والاحتجاج بها في ميادين الدراسات اللغوية ، والاستعانة بها متى صحّ سندها في بيان

244 - المصدر نفسه ص: 62 .

245 - منجد المقرئين ص: 57 .

246 - انظر الإتخاف ص: 38 ، ومختصر في مذاهب القراء السبعة بالأمصار ص: 54

247 - المصدر نفسه ص: 68 .

248 - القراءات المتواترة وأثرها في الرسم العثماني والأحكام الشرعية، محمد حبش، ص: 95 .

المراد من القراءة المتواترة "249، و أول درجات البيان تفسير القرآن بقراءاته قال القاسم بن سلام: "المقصود من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها، كقراءة عائشة وحفصة رضي الله عنهما: " والوسطى صلاة العصر" وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه: " فاقطعوا أيماهما " قال: فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن."250

– الاحتجاج بالقراءة الشاذة في الاستنباط الفقهي.

كل ما نقل من القرآن الكريم نقلاً متواتراً فهو حجة ظاهرة إجماعاً،²⁵¹ و شريعة ملزمة لجميع المسلمين²⁵²، ولقد اختلف العلماء في كل قراءة نزلت عن شروط وصف القرآنية فشذت هل هي حجة معتبرة أم لا ؟ على مذهبين:

أ – المذهب الأول : ذهب أصحابه إلى عدم حجيتها لسقوط شرط التواتر عنها فلا يبني عليها حكم شرعي، و قال بهذا مالك والشافعي و أحمد.²⁵³

✽ – أدلة المذهب الأول:

– الإجماع : لقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه على ما بين الدفتين ، وطرحوا ما سواه ، وكان ذلك باتفاق منهم و إجماع ، وبالتالي فآية زيادة لا يجويها الجامع الإمام ، ولا تشتمل عليها الدفتان فهي ليست القرآن.²⁵⁴

249 – الاختلاف في وجوه القراءات، أحمد البيلي، دار الجبل، بيروت، ط 1، 1316 هـ، ص 112.

250 – فضائل القرآن لأبي عبيد، ص 195، و ينظر الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، 1 / 228.

251 – ينظر أصول السرخسي، لأبي بكر محمد بن احمد السرخسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1402 هـ، ج 1 ص 279، و التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 1 ص 46، و المستصفي من علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، مطبوع مع فواتح الرحموت، ط 1، المطبعة الأميرية ببولاق مصر، 1322 هـ، ج 1 ص 101، و روضة الناظر و جنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام احمد بن حنبل، موفق الدين بن قدامة المقدسي، ط 1، دار الكتاب العربي، بيروت، ص 61، و إرشاد الفحول ص 46.

252 – الإحكام في أصول الأحكام لسيف الدين الآمدي، ضبط إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، 1 / 138.

253 – ينظر شرح العضد على ابن الحاجب، تصحيح محمد شعبان، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، ط 1393 هـ، 2 / 21، و بيان المختصر شرح ابن الحاجب، لأبي الثناء محمود بن عبد الرحمن الاصفهاني، تحقيق محمد مظهر، مطبوعات مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، ط 1، 1406 هـ، 1 / 374-473، و الأحكام للآمدي، 1 / 138؛ منع الموانع عن جمع الجوامع في أصول الفقه، تاج الدين عبد الوهاب بن عبد الكافي السبكي، تحقيق سعد الحميري، ط 1، دار البشائر الإسلامية، ص 349. و البحر المحيطة 1 / 475. و فتاوى النووي، ص 32؛ و قواطع الأدلة، لأبي مظفر السمعاني، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت 1 / 402، و أدب المفتي والمستفتي، ابن الصلاح أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، عالم الكتب، ط 1، 1407 هـ، ص 231.

254 – السمعاني أبو المظفر منصور بن محمد، قواطع الأدلة في الأصول، تحقيق محمد حسن الشافعي، ط 1، 1997، دار الكتب العلمية،

المعقول : و يتلخص فيما يلي:

- إنَّ النبي صلى الله عليه و سلم كان مكلفاً بإلقاء ما أنزل عليه من القرآن على طائفة تقوم الحجة القاطعة بقولهم ، و هؤلاء لا يتصوّر عليهم التوافق على عدم نقل ما سمعوه²⁵⁵ قال الجويني : " إن القرآن قاعدة الإسلام ، وقطب الشريعة، وإليه رجوع جميع الأصول، ولا أمر في الدين أعظم منه ، وكل ما يجلب خطره ، ويعظم وقعه لا سيما الأمور الدينية فأصحاب الأديان يتناهون في نقله وحفظه، ولا يسوغ في أطراد الاعتياد رجوع الأمر فيه إلى نقل الآحاد ما دامت الدواعي متوفرة ، والنفوس على ضبط الدين متشوّفة."²⁵⁶
- إنَّ الراوي إذا كان آحاداً ، فإن وردت على أنّها قرآن فهو خطأ ، وإن لم يوردها على أنّها قرآن ، فقد تردّدت بين أن تكون خبراً عن النبي صلى الله عليه و سلم وبين أن تكون مذهباً له فلا يكون حجة ، وما تردد بين أن يكون خبراً أو لا يكون فلا يجوز العمل به²⁵⁷ ، وإن كان مذهباً له فلا يحتج به قال النووي: " لكنّ مذهبنا أن القراءة الشاذة لا يحتج بها، ولا يكون لها حكم الخبر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم لأنّ ناقلها لم ينقلها إلا على أنّها قرآن ، والقرآن لا يثبت إلا بالتواتر بالإجماع ، وإذا لم يثبت قرآناً لا يثبت خبراً."²⁵⁸
- اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن قراءة و جمعا بالصدر و السطور حيث بذلوا أرواحهم في نقله و الحفاظ عليه كما يمنع دروسه ، أو نقله بالآحاد.²⁵⁹
- رواية القرآن الكريم إذا ثبتت بطريق الآحاد فقد سقطت لعدم تواترها، أو لكونها مذهباً للصحابي.²⁶⁰
- ب - المذهب الثاني: ذهب أصحابه إلى أنّ القراءة الشاذة حجة ظنية في الأحكام الفقهية، و ذهب إلى هذا القول الحنفية والشافعية في رواية عنه.²⁶¹

255 - الآمدي ، الإحكام في أصول الإحكام ، 1 ، 229

256 - الزركشي ، البرهان ، 1 ، 25

257 - الغزالي ، المستصفى ، 1 ، 94 ، و الآمدي ، الإحكام في أصول الإحكام ، 1 ، 131

258 - صحيح مسلم بشرح النووي ، 5 ، 130 ، الجامع الصحيح ، مسلم بن الحجاج النيسابوري ، بشرح النووي ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة. 5 / 132. و البحر المحيط : 1 / 475-476 ؛ و الأحكام الآمدي 1 / 138 ، و كشف الأسرار عن فخر الإسلام البزدوي ، علاء الدين عبد العزيز البخاري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 12/1.

259 - الزركشي ، البحر المحيط ، 2 ، 222

260 - الغزالي ، المستصفى 1 / 102 ؛ و الأحكام ، الآمدي 1 / 138. و فواتح الرحموت 2 / 16-17 .

✽ - أدلة المذهب الثاني:

☞ - المعقول : و يتلخص فيما يلي:

- إنَّ ما نقل من القرآن بطريق الآحاد فهو حجة؛ لأنه دائر بين أمرين اثنين:
إما كونه قرآنًا أو خبرًا ، أو كلاهما يوجب العمل²⁶² تفصيل ذلك أنَّ الناقل جازم بالسماع من النبي صلى الله عليه و سلم، فصدوره عن الرسول إمَّا على جهة تبليغ الوحي، فيكون قرآنًا، أو على جهة تفسيره فيكون خبرًا ، وما ينقله الناقل عنه صلى الله عليه و سلم لا يخرج عن كونه خبرًا.²⁶³
- إنَّ المنقول إمَّا نقل عن الرسول صلى الله عليه و سلم و عليه فلا يلزم من انتفاء خصوص قرآنيته انتفاء عموم خبريته.²⁶⁴
- إنَّ سبب اعتبار المنقول خبرًا عدالة الراوي فما قرأ بها بتلك القراءة إلا سماعًا من رسول الله صلى الله عليه و سلم وخبره مقبول في وجوب العمل به²⁶⁵ قال ابن قدامة: " إنَّ ما نقل نقلًا غير متواتر ليس بحجة ، والصحيح أنه حجة ؛ لأنَّه يخبر أنَّه سمعه من النبي صلى الله عليه و سلم فإن لم يكن قرآنًا فهو خبر."²⁶⁶
- القراءة الشاذة إذا رواها الثقة العدل وجب العمل بها لأنَّها في حكم السنة النبوية.²⁶⁷
- القراءة الشاذة ترد على وجهين:
 - أحدهما : أن ترد قرآنًا نسخت تلاوته أو تفسيراً ظنَّ ناقله أنَّه قرآن.
 - ثانيهما : أن تكون رواية عن النبي صلى الله عليه و سلم.

²⁶¹ - منع الموانع عن جمع الجوامع ، ص349. و البحر الخيط : 1 / 476 ؛ و الإتيان : 1 / 228: روضة الناظر : ص62 ؛ و القواعد والفوائد الأصولية، لأبي الحسن علاء الدين علي بن عباس البعلي المعروف بابن اللحام، تصحيح محمد بن شاهين، ط1، 1995، دار الكتب العلمية، بيروت، ص155، و الشوكاني، إرشاد الفحول، ص48.

²⁶² - الطوفي نجم الدين سليمان بن عبد القوي، شرح مختصر الروضة، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط 1 ، 1990 ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، 2 ، 52 ، و الفتوحى أبو البقاء تقي الدين ، الكوكب المنير ، مطبعة السنة الخمدية ، القاهرة ، 1 ، 204

²⁶³ - شرح مختصر الروضة، 2 ، 25

²⁶⁴ - العطار حسن بن محمد ، حاشية العطار على شرح الجلال الخلي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1 ، 299

²⁶⁵ - السرخسي أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل ، أصول السرخسي ، تحقيق أبو الوفا الأفعاني، ط 1 ، 1993 ، دار الكتب

العلمية، بيروت، 1 ، 281

²⁶⁶ - روضة الناظر ، 34

²⁶⁷ - روضة الناظر : ص62

و منه إذا سقط عنها وصف القرآنية فلا يسقط أصل السماع في كونها خبراً و إذا ثبت وصف الرواية لها وجب العمل بها.²⁶⁸

- الراجح في المسألة:

و بعد النظر في أدلة الفريقين يترجح مذهب حجية القراءة الشاذة ليس باعتبارها قرآناً، وإنما باعتبارها خبراً مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه و سلم و ذلك:

- لا اعتبار عدالة الناقل في القراءة، والناقل للقراءة صحابي، ومن المعلوم أن الصحابة كلهم عدول بنص القرآن و السنة النبوية.

- إن الناقل جازم بالسماع من النبي صلى الله عليه و سلم وإن لم يصرح ؛ لأن الاستقراء التام دلّ على أنّ الصحابة كانوا حريصين على حفظ الشريعة على أكمل الوجوه فاحتمال التقوّل على الرسول صلى الله عليه و سلم غير وارد.

- ما نقل إلينا بطريق الآحاد إما أن يكون قرآناً أو خبراً، ولا يخرج عن هذين الأمرين، و عليه فلما انتفت قرآنيته، فهذا لا ينفي كونه خبراً سمعه الصحابي عن الرسول صلى الله عليه و سلم.

الفصل الثاني: الأحرف السبعة و علاقتها بالقلمات القرآنية.

و فيه المباحث التالية:

- الأحرف السبعة و القلمات القرآنية.

- الأحكام النبوية الواردة في الأحرف السبعة.

- حقيقة الأحرف السبعة.

- الأحرف السبعة في المصاحف الثمانية.

- الأحرف السبعة و القراءات القرآنية.

لقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب ، واللسان العربي في أدائه الصوتي متعدد اللهجات، فقد كان لكل قبيلة لهجتها الخاصة التي تختلف بها عن غيرها من اللهجات في طريقة أدائها، و كيفية نطقها المفردات ، وفي مخارج الحروف ونبرات الأصوات من إمالة وترقيق وتفخيم،²⁶⁹ و " لو كلف الله العرب مخالفة لغاتهم التي لا يستقيم لسانهم إلا عليها ، ولا يتيسر نطقهم إلا بها ، لشقّ عليهم ذلك غاية المشقة ، و لكان ذلك منافياً لئسر الإسلام وسماحته التي تقتضي درء الحرج و المشقة " ²⁷⁰، فرحم الله العباد وخفف عنهم ، فأنزل رخصة الأحرف السبعة؛ "ولا شكّ أنّ القبائل كانت ترد على النبي صلى الله عليه وسلم وكان يترجم لكلّ أحد بحسب لغته، فكان يمدّ قدر الألف والألفين والثلاثة لمن لغته كذلك ، وكان يفخّم لمن لغته كذلك، ويرقّق لمن لغته كذلك ، ويميل لمن لغته كذلك " ²⁷¹، و قد اقتدى الصحابة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فقرأوا القرآن و بلغوه كما عنه تحمّلوه دون تحريف أو تصحيف ، ثمّ نقل التابعون عن الصحابة القراءات القرآنية بدقّة محكمة " فكرّسوا حياتهم وقصروا جهودهم على قراءة القرآن وإقراءه ، وتعليمه وتلقينه ، وضبط ألفاظه وتحريف قراءاته وتحقيق رواياته حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم ، ويرحل إليهم ويؤخذ عنهم "، و بذلك فهموا نصوص رخصة الأحرف السبعة، فأدركوا أسرار تشريعها، و أحاطوا بمقاصد العمل بها.

- الإحصائيات النبوية الواردة في الأحرف السبعة.

- روايات أبي بن كعب رضي الله عنه:

- الرواية الأولى: 273

²⁶⁹ - مهنا، محمد عبد الكريم وآخرون، العرض الجديد لأحكام التجويد، ط 2، 2007، ص 163

²⁷⁰ - العقرباوي، زيدان محمود المرشد في علم التجويد، ط 1، 2003، دار الفرقان، عمان، ج 1، ص 16

²⁷¹ - الأشموني، أحمد بن محمد منار الهدى في بيان الوقف و الابتدا و معه التبيان في آداب حملة القرآن للنووي، ط 1983، دار

المصحف، دمشق، ص 15

²⁷² - حديث الأحرف السبعة دراسة لإسناده و منته و اختلاف العلماء في معناه و صلته بالقراءات القرآنية، عبد العزيز بن عبد الفتاح

القارئ، ط 1، 2002، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 8

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه و سلم كان عند أضاءة بني غفار فأتاه جبريل عليه السلام فقال: " إنَّ الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف ، قال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإنَّ أمي لا تطيق ذلك ، ثمَّ أتاه الثانية فقال: إنَّ الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين ، قال أسأل الله معافاته ومغفرته وإنَّ أمي لا تطيق ذلك ، ثمَّ جاءه الثالثة فقال: إنَّ الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف ، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإنَّ أمي لا تطيق ذلك ، ثمَّ جاءه الرابعة فقال: إنَّ الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأبوا حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا."

– الرواية الثانية: 274

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: " كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثمَّ دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه ، فلما قضيا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه و سلم فقلت: إنَّ هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ودخل رجل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله صلى الله عليه و سلم فقرأ فحسن النبي صلى الله عليه و سلم شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرفا وكأنا أنظر إلى الله فرقا ، فقال لي: يا أباي أرسل إليَّ أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هوون على أمي، فردَّ إليَّ الثانية اقرأه على حرفين ، فرددت أن هون على أمي ، فردَّ إليَّ الثالثة اقرأه على ثلاثة أحرف، فرددت إليه أن هون على أمي، فردَّ إليَّ الرابعة اقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردة ردُّكُها مسألة تسألنيها ، فقلت: اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليَّ الخلق كلهم حتى إبراهيم."

– الرواية الثالثة: 275

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: " ما حكَّ في صدري شيء منذ أسلمت إلاَّ أتني قرأت آية وقرأها رجل غير قراءتي، فأتينا النبي صلى الله عليه و سلم فقلت: أقرأتني آية كذا وكذا ، قال: نعم، أتاني جبريل عن

273- سنن أبي داود، باب 2 : كتاب الصلاة، رقم 1263 ، و باب 11، كتاب الإفتتاح ، رقم 930. و صحيح مسلم، باب 7، صلاة المسافرين وقصرها، رقم 1357. و مسند أحمد، باب 12، كتاب مسند الأنصار، رقم 20239. و 20235.

274 – مسند أحمد، باب 12، كتاب مسند الأنصار، رقم 20234 و 20242. و صحيح مسلم، باب 7، صلاة المسافرين ، رقم 1356 ، و ابن كثير، فضائل القرآن ، تحقيق الحويني ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط1، 1416، ص 96

275 – سنن النسائي، باب 11، كتاب الافتتاح، رقم 931 و 932 ، و ابن كثير، فضائل القرآن ، ص 95.، و مسند أحمد، باب 12، كتاب مسند الأنصار، رقم 20223، ص 102.

يميني وميكائيل عن يساري فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده، فاستزاده قال: اقرأه على حرفين قال ميكائيل استزده فزاده، قال اقرأه على ثلاثة أحرف، قال ميكائيل استزده فاستزاده حتى بلغ سبعة أحرف كلها شاف كاف."

– الرواية الرابعة: 276

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: "لقي رسول الله صلى الله عليه و سلم جبريل عليه السلام فقال: يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط، قال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف."

– الرواية الخامسة: 277

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: "قرأت آية وقرأ ابن مسعود خلفها، فأتيت النبي صلى الله عليه و سلم فقلت: ألم تقرأني آية كذا وكذا فقال ابن مسعود: ألم تقرأنيها كذا وكذا، فقال: بلى كلاهما محسن مجمل قال: فقلت له، فضرب صدري فقال: يا أباي إني أقرأت القرآن فليل لي على حرف أو حرفين فقال الملك الذي معي على حرفين، فقلت: على ثلاثة حتى بلغ سبعة أحرف ليس منها إلا شاف كاف، إن قلت غفورا رحيمًا، أو قلت سميعًا عليمًا، أو عليما سميعًا فالله كذلك، ما لم تحتم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب."

– روايات ابن عباس رضي الله عنه :

– الرواية الأولى:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "أقرأني جبريل على حرف فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف." 278

276 – سنن النسائي، باب 11، كتاب الافتتاح، رقم 931 و 932، وباب 44، كتاب القراءات عن رسول الله، رقم 2868 و ابن

كثير، فضائل القرآن، ص 95 و 104، ومسند أحمد، باب 12، كتاب مسند الأنصار، رقم 20223، و رقم 20259

277 – مسند أحمد، باب 12، كتاب مسند الأنصار، رقم 20222.

278 – مسند أحمد، باب 4، كتاب مسند بني هاشم، رقم 2582. و صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب 46، رقم 4607، وابن كثير

، فضائل القرآن، ص 94، و صحيح مسلم، باب 7، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم 1355

- الرواية الثانية:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " أقرأني جبريل على حرف فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف." قال ابن شهاب: بلغني أنّ تلك السبعة أحرف إنّما هي في الأمر الذي يكون واحدا، لا يختلف في حلال ولا حرام.

- روايات عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

- الرواية الأولى:

عن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن القاري أنّهما سمعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: " سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم ،فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله، فكدت أساوره في الصلاة، فانتظرت حتى سلّم فلبتته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ، قال: أقرأنيها رسول الله، فقلت له كذبت، فو الله إن رسول الله هو أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرأ، فانطلقت به إلى رسول الله أقوده فقلت: يا رسول الله ، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها، وإني أقرأني سورة الفرقان، فقال: يا هشام اقرأها فقرأها بالقراءة التي سمعته، فقال رسول الله هكذا أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأها القراءة التي أقرأنيها، فقال رسول الله هكذا أنزلت، ثم قال: إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه."

- روايات أبي هريرة رضي الله عنه:

- الرواية الأولى: 279

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: " نزل القرآن على سبعة أحرف، المرء في القرآن كفر ثلاث مرات، فما عرفتم منه فاعملوا وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه."

- الرواية الثانية: 280

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: " أنزل القرآن على سبعة أحرف ، عليما حكيمًا غفورًا رحيمًا."

279 - مسند أحمد، باب 6، كتاب باقي مسند المكثرين، رقم 7648، و ابن كثير، فضائل القرآن، ص 114

280 - مسند أحمد، باب 6، كتاب باقي مسند المكثرين، رقم 8040

- الرواية الثالثة: 281

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنّه قال: " إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقروا ولا حرج ، ولكن لا تحتموا ذكر رحمة بعذاب، ولا ذكر عذاب برحمة."

- **روايات حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:**

- الرواية الأولى: 282

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال: " لقي النبي صلى الله عليه و سلم جبريل عليه السلام عند أحجار المراء، فقال: إنّ أمتك يقرؤون القرآن على سبعة أحرف فمن قرأ منهم على حرف فليقرأ كما علم ولا يرجع عنه."

- الرواية الثانية:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لقيت جبريل عند أحجار المراء فقلت: يا جبريل، إني أرسلت إلى أمة أمية الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتابا قط، قال: إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف."

- الرواية الثالثة:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: " سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " أنزل القرآن على سبعة أحرف."

- **رواية أمّ أيوب رضي الله عنها:** 283

عن أم أيوب رضي الله عنها أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: " نزل القرآن على سبعة أحرف أيها قرأت أجزاءك."

- **رواية سمرة بن جندب رضي الله عنه:** 284

281- شاهين، عبد الصبور، تاريخ القرآن، المعهد العالي للدراسات الإسلامية، ط 2003، ص321.

282 - مسند أحمد، باب 13، كتاب باقي مسند الأنصار، رقم 22186، ورقم 22320، ورقم 22350، و رقم 22237- و ابن كثير، فضائل القرآن، ص114.

283 - مسند أحمد، باب 14، كتاب مسند القبائل، رقم 26340، و 26172.

عن سمرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: " نزل القرآن على سبعة أحرف."

- رواية أبي بكرة رضي الله عنه: 285

عن عبد الرحمن بن أبي بكرة رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام قال: " يا محمد اقرأ القرآن على حرف ، قال ميكائيل: استزده فاستزاده ، قال: اقرأه على حرفين ، قال ميكائيل: استزده فاستزاده ، قال: اقرأه على ثلاثة أحرف ، قال ميكائيل: استزده فاستزاده حتى بلغ سبعة أحرف، قال: كل شاف كاف، ما لم تختم آية رحمة بعذاب، أو آية عذاب برحمة، نحو قولك: تعالي و أقبل و هلم و اذهب و أسرع و عجل."

- رواية عمرو بن العاص رضي الله عنه: 286

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقرأ آية من القرآن فقال: " من أقرأكها ، قال رسول الله. قال: فقد أقرأنيها رسول الله على غير هذا، فذهبا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال أحدهما: يا رسول الله آية كذا وكذا ثم قرأها، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم هكذا أنزلت، فقال الآخر: يا رسول الله، فقرأها على رسول الله، فقال: أليس هكذا، فقال هكذا أنزلت إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأني ذلك قرأتكم فقد أحسنتم وأجملتم ، ولا تماروا فيه فإن المراء فيه كفر أو آية الكفر."

- رواية أبي جهيم الأنصاري: 287

عن أبي جهيم الأنصاري أن رجلين اختلفا في آية من القرآن ، كلاهما يزعم أنه تلقاها من رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فمشيا جميعا حتى أتيا رسول الله ، فذكر أبو جهيم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: " إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فلا تماروا فإن مراء فيه كفر."

- رواية إسحاق بن أبي طالب: 288

284 - مسند أحمد، باب 11، كتاب مسند البصريين، رقم 19319 ، ابن كثير، فضائل القرآن، ص 112.

285 - مسند أحمد، باب 11، كتاب مسند البصريين، رقم 19609، و 19529.

286 - مسند أحمد، باب 9، كتاب مسند الشاميين، رقم 17154، و 17152، و ابن كثير، فضائل القرآن، ص 118.

287 - ابن كثير، فضائل القرآن، ص 118.

288 - المرجع السابق، ص 130-132

عن إسحاق بن أبي طلحة عن أبيه عن جده قال: "قرأ رجل عند عمر رضي الله عنه فغيّر عليه ، فقال: قرأت على رسول الله فلم يغيّر عليّ ، فقال: فاجتمعوا عند النبي صلى الله عليه و سلم فقرأ الرجل فقال له رسول الله: قد أحسنت، قال: فكأنّ عمر وجد من ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: يا عمر إنّ القرآن كلّ صواب ما لم تجعل عذاباً مغفرة ومغفرة عذاباً."

- رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: 289

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل حرف منها ظهر و بطن ، ولكل حرف حدّ ولكل حدّ مطلع." و عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف كلّ كافٍ شافٍ."

- الأحرف السبعة لِقَاتُهَا وَ طَقَاتُهَا.

يعدّ حديث نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف الأساس الذي يُبنى عليه كل موضوع شرعي ، و لقد بلغ هذا الحديث درجة التواتر 290، فقد أخرج القاضي أبو يعلى في مسنده عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال يوماً على المنبر: أذكر الله رجلاً سمع النبي صلى الله عليه و سلم قال: إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف، كلها كافٍ شافٍ، لما قام ، فقاموا حتى لم يُحصوا فشهدوا بذلك ، فقال: وأنا أشهد معكم. 291 و الحكمة من ذكر العدد التوسعة على الأمة الإسلامية دون فتح ذريعة حكمة التيسير لولوج باب المرء في القرآن و الجدل في معانيه و أحكامه، فقد روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "نزل القرآن على سبعة أحرف، و المرء في القرآن كفر " ثلاث مرات"، فما عرفتم منه

289 - شاهين، عبد الصبور: تاريخ القرآن، ص221، و 222

290- ينظر الإتيان في علوم القرآن ، السيوطي، ج1ص155، و الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ابن عقيلة المكي، ج1 ص475، ومناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ص104، و نزول القرآن على سبعة أحرف، مناع القطان، ص21.

291- الاتقان 1/155، والحديث أورده الهيثمي في مجمع الزوائد: 7/152 وقال: رواه أبو يعلى في الكبير وفيه راوٍ لم يسم، وقد بحث في مسند أبي يعلى فلم اهتد إليه.

فاعملوا به، وما جهلتم فردّوه إلى عالمه "292، وعنه أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلّم: " أنزل القرآن على سبعة أحرف، عليم حكيم، غفور رحيم"293، و رغم أن الحكمة ظاهرة من رخصة الأحرف السبعة إلا أن أقوال العلماء اتجهت في تفسير معنى عدد سبعة نحو مسارين اثنين:

✽ المسار الأول: المراد بالأحرف السبعة التيسير على الأمة الإسلامية والتوسعة عليها، وليس المقصود حصر العدد و تحديده، فالعرب تطلق لفظ السبعة على إرادة الكثرة في الآحاد، و لفظ السبعين على إرادة الكثرة في العشرات، و لفظ السبعمئة على إرادة الكثرة في المئات294، فقد سبق العدد في الحديث مساق الرمز " إلى ما ألفوه من معنى الكمال في هذا العدد، وخاصة فيما يتعلّق بالإلهيات كالسماوات السبع، والأرضين السبع، و السبعة الأيام التي برئت فيها الخليفة، وأبواب الجنّة والجحيم..".295، و انتقد هذا المذهب كثير من العلماء منهم ابن الجزري حيث قال: " هذا جيّد لولا أن الحديث يأباه "296، و من النصوص التي تأباه فترده ما أورده السيوطي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلّم قال: " أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل استزيده ويزيدني، حتى انتهى إلى سبعة أحرف "297، ثم علّق على الحديث فقال: " فهذا يدلّ على إرادة حقيقة العدد و انحصاره."298

✽ المسار الثاني: وهو ما ذهب إليه أكثر العلماء، فرأوا أن حقيقة العدد مقصودة مرادة، وليست مجرد التيسير و رفع الحرج299، و هذا الرأي هو المذهب الراجح، و التفسير الظاهر الذي يطمئن إليه القلب،

-
- 292 - أخرجه أحمد في المسند: 2: 300: حديث 7976، وابن حبان في صحيحه: 275/1: حديث 74، وأبو يعلى في مسنده: 10: 410: حديث 6016، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.
- 293 - أخرجه أحمد في المسند: 2: 440: حديث 9676 قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، وأخرجه ابن حبان في صحيحه: حديث 743، 18/3 بلفظ عليمًا حكيمًا، غفوراً رحيمًا.
- 294 - ينظر الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، 156/1، علوم القرآن، غانم قدوري الحمد، 129.
- 295 - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، 51، تاريخ أداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، 68.
- 296 - النشر في القراءات العشر 26.
- 297 - صحيح البخاري: باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، 1909/4 حديث 4705، وصحيح مسلم باب: بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف 561/1: حديث 819، مسند أحمد 263/1: حديث 2375.
- 298 - الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، 156/1.
- 299 - ينظر البرهان في علوم القرآن، الزركشي 124/1، علوم القرآن، غانم قدوري الحمد، 131، محاضرات في علوم القرآن، فضل حسن عباس، 223.

لأنّ أقلّ ما له من الصواب عدم إسقاطه نصوص الحديث المتواترة، و عدم إهمال العمل بمقتضاها ، و عليه فليس من المعقول أن يكون العدد فيها غير مقصود.300

و لقد اختلف العلماء في معنى الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها اختلافاً كبيراً ،³⁰¹

حتى بلغ خمسة وثلاثين قولاً كما نقل ذلك القرطبي عن ابن حبان 302 ، بل أوصلها السيوطي إلى الأربعين 303 ، و رغم كثرة الأقوال التي تشير إلى عظمة الموضوع و أهميته ، فإنّ الأحاديث النبوية لم تتعرض إلى بيان ماهية الاختلاف في القراءة بين الصحابة 304 ، و بعد إطلاعنا على أقوال العلماء في تفسير معنى الأحرف وجدناها إمّا مكرّرة اختلفت عباراتها ، أو متقاربة تداخلت عناصرها ، أو متباينة تعارضت حقائقها ، فكان منهجنا في البحث أن نوضّح ما يبني عليه فهم القضية دون الإسهاب فيما قد يضرّها فركّزنا على الأقوال التالية:

❖ القول الأول: المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب ، و عليه فإنّ القرآن لا تخرج كلماته عن سبع لغات³⁰⁵ ، لكن ليس معنى القول أن يرد في الحرف الواحد سبعة أوجه من اللغات ، بل هي متفرّقة في القرآن الكريم ، وذهب إلى هذا القول أبو عبيد القاسم بن سلام، وأحمد بن يحيى ثعلب ، وأبو حاتم السجستاني ، وابن عطية الأندلسي المفسر ، و البيهقي³⁰⁶ ، و اتفق أصحاب هذا الرأي على عدد اللغات لكنهم اختلفوا في حصر قبائلها³⁰⁷ ، و استدّلوا بما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: ما كنت

300 - ينظر مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، 103.

301 - حديث الأحرف السبعة دراسة لإسناده و متنه و اختلاف العلماء في معناه و صلته بالقراءات القرآنية، عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، ط1، 2002، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 42

302 - ينظر: الجامع لأحكام القرآن 42/1، الزيادة و الإحسان في علوم القرآن، ابن عقيلة المكي، 476/1.

303 - ينظر: الاتقان في علوم القرآن 156/1.

304 - ينظر: في رحاب القرآن الكريم، محمد سالم محيسن 236، و القراءات و آثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن 45-46 ، و إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، 53.

305 - وقد اختلفوا في تعيين القبائل التي نزل القرآن بلسانها. ينظر تفصيل ذلك في: الاتقان في علوم القرآن، السيوطي 159/1-160،

و التبيان لبعض المباحث المتعلقة بعلوم القرآن، طاهر الجزائري، ص 81 ، و نزول القرآن على سبعة أحرف، مناع القطان ، ص 41

306 - ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي 127/1، و التبيان لبعض المباحث المتعلقة بعلوم القرآن، طاهر الجزائري 81، نزول

القرآن على سبعة أحرف، مناع القطان 37-38 ، و الأحرف القرآنية السبعة، عبد الرحمن المطرودي، 49.

307 - ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني 133.

أدري معنى قوله: " رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ " 308 حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها: " تعال أفاتحك أي: أحاكمك." 309

✽ القول الثاني: 310 المراد بالأحرف السبعة سبع لغات اتفقت معانيها و اختلفت مبانيها، مثل: هلم، وتعال، وأقبل ، وإليّ، ونحوي ، و ممن ذهب إلى هذا الرأي ابن جرير الطبري 311، و الطحاوي 312 ، و من بين ما استدل به أصحاب هذا المذهب حديث أبي بكرة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى اله عليه و سلم قال جبريل: اقرؤوا القرآن على حرف، فقال ميكائيل :استرده، فقال: على حرفين ، حتى بلغ سبعة أحرف فقال: كلّها شاف كان ما لم تحتّم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب ، كقولك: هلم، وتعال" 313، و علق الطبري على الحديث فقال: " إن اختلاف الأحرف السبعة إنما هو اختلاف ألفاظ كقولك هلم، وتعال باتفاق المعاني." 314

✽ القول الثالث: 315 المراد بالأحرف السبعة أوجه الاختلاف في القراءات القرآنية، ولقد استقرأ أصحاب هذا القول وجوه القراءات المقبولة و المردودة، و المنسوخة ثم صنّفوها إلى سبعة أصول لكنهم اختلفوا في تحديدها على الأوجه التالية:

1: وجه أبي حاتم السجستاني.

أ- إبدال لفظ بلفظ آخر نحو: "فاسعوا " قرئت " فامضوا " في قوله تعالى: " فاسعوا إلى ذكر الله " 316 و " وكالعهن المنفوش " 317 قرئت كالصوف. 318

-
- 308 - الأعراف 89.
- 309 - ينظر: مصنف ابن أبي شيبة، 280/5، وفتح الباري، ابن حجر، 299/8.
- 310 - ينظر: البرهان ، الزركشي 129/1، والاتقان ، السيوطي، 158/1، والزيادة و الإحسان في علوم القرآن، ابن عقيلة المكي 486/1، وعلوم القرآن، غانم قدوري الحمد، ص 134.، والمدخل لدراسة القرآن، محمد أبو شهبه، 179 .
- 311 - ينظر: جامع البيان، الطبري، 57/1 - 58.
- 312 - ينظر: شرح مشكل الآثار، الطحاوي، 124/8 - 125.
- 313 - أخرجه مسند الإمام أحمد: 41/5: حديث 20441 مختصراً، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: 151/7 وقال: رواه أحمد والطبراني بنحوه وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو سيء الحفظ، وقد توبع، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح.
- 314 - جامع البيان، الطبري، 22/1.
- 315 - ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن 115، و مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ص108، فصول في علوم القرآن، عدنان محمد زرزور، ص 82.

ب- إبدال حرف بحرف آخر نحو: "الصراط" حيث وقع في القرآن يقرأ بالصاد وبالسين ويأشمام الصاد

زايًا. 319

ت- تقديم كلمة أو حرف أو تأخيرهما نحو: " فيقتلون ويُقتلون " 320 قرئت " فيقتلون ويقتلون "

ث- زيادة حرف أو نقصانه نحو: وصّى وأوصى في قوله سبحانه: " وأوصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب " 321

ج- اختلاف حركات البناء نحو: "ميسرة" بضم السين ، و"ميسرة" بفتح السين في قوله عزّو جلّ: " فنظرة إلى

ميسرة " 322

ح- اختلاف حركات الإعراب نحو: "المجيد" بضم الدال، و"المجيد" بكسر الدال في قوله تعالى: " ذو العرش

المجيد " 323

خ- إشباع الصوت بالتفخيم و الترقيق و الإمالة و الإظهار و الإدغام نحو: من يرتدد منكم " 324 من يرتد

و"الكبرى" قرئت بالفتح والإمالة والتقليل حيث وقعت. 325

2: وجه ابن قتيبة: 326

أ - الاختلاف في إعراب الكلمة أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ، ولا يغير معناها،

مثل قوله تعالى: " هؤلاء بناتي هن أطهر لكم " 327 برفع " أطهر " ، ونصبها، و قوله: " هل نجازي إلا الكفور " 328

316 - الجمعة: 9

317 - القارعة: 4

318 - الكشاف، الزمخشري ، ج3 ص 353 ، و تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص 24

319 - البحر المحيط، ابن حيان، 1، 24، و الكشف عن وجوه القراءات السبع، 1، 34 ،

320 - التوبة: 112

321 - البقرة: 131

322 - البقرة: 279

323 - البروج: 15

324 - المائدة: 56

325 - الأحرف السبعة ومترلة القراءات منها، حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1988م، ص148

326 - ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 26 ، و انظر الإبانة عن معاني القراءات، مكّي القيسي، ص 55.

327 - سورة هود آية 78

328 - سورة سبأ آية 17

، و قوله: "هل يجازي إلا الكفور"، و قوله: "يأمرون الناس بالبخل" 329 بضمّ الباء وسكون الخاء من "البخل"، أو بفتحهما جميعاً فيها.

ب - الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب نحو قوله تعالى: "ربنا باعد بين أسفارنا" 330 بنصب ربّ على النداء واعتبار باعد فعل أمر ، أو رفع ربّ على الابتداء و اعتبار باعد فعلاً ماضياً ، و قوله تعالى: " إذ تلقونه بألسنتكم " 331 بفتح اللام وتشديد القاف ، أو كسر اللام وتخفيف القاف.

ت - الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله تعالى: "وانظر إلى العظام كيف ننشزها" 332 بإبدال كلمة ننشزها بنشرها ، ونحو قوله تعالى: " حتى إذا فرّغ عن قلوبهم " 333 بإبدال فرغ بكلمة فرغ.

ث - الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله تعالى " وطلع منضود " في موضع " وطلح منضود" 334

ج - الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ولا يغير معناها نحو قوله تعالى: " إن كانت إلا زقية واحدة" ، و في موضع " إن كانت إلا صيحة واحدة " 335 ، و"كالصوف المنفوش" بدلا من " كالعهن المنفوش" 336

ح - الاختلاف في التقديم والتأخير نحو قوله تعالى: " وجاءت سكرة الموت بالحق " 337 ، و"جاءت سكرة الحق بالموت".

329 - سورة النساء آية 37 وسورة الحديد آية 24

330 - سورة سبأ آية 19

331 - سورة النور آية 15

332 - سورة البقرة آية 259

333 - سورة سبأ آية 23

334 - سورة الواقعة آية 29

335 - سورة يس آية 29

336 - سورة القارعة آية 5

337 - سورة ق آية 19

خ - الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله تعالى: "وما عملت أيديهم" و في موضع "وما عملته أيديهم" 338
و نحو قوله تعالى: "إن الله الغني الحميد" ، و في موضع "إن الله هو الغني الحميد" 339

3: وجه أبي طاهر بن أبي هشام. 340

أ- الاختلاف من حيث الجمع والتوحيد نحو: "كتب" و"كتاب" في قوله تعالى: "وكتابه وكانت من القانتين." 341

ب-الاختلاف من حيث التذكير والتأنيث نحو: "ولا تقبل" و "لا يقبل" في قوله تعالى: "ولا يقبل منها شفاعة" 342

ت-الاختلاف في إعراب الكلمة نحو: "المجيد" برفع الدال وكسرها في قوله تعالى: "ذو العرش المجيد." 343
ث-الاختلاف في تصريف الكلمة نحو: "يعرشون" بضمّ الراء وكسرها في قوله تعالى: "وما كانوا يعرشون." 344

ج-الاختلاف في الأدوات التي يتغير بتغيرها الإعراب نحو: "لكنّ" في قوله تعالى: "ولكن الشياطين كفروا" 345 قرئت "لكن" بالتخفيف.

ح- الاختلاف في اللغات واللهجات نحو: تحقيق الهمز و تسهيله ، والفتح والإمالة وما بينهما، والإدغام والإظهار ، وهو ما يسمّى بأصول القراءات.

خ- الاختلاف في اللفظ مع الاتفاق في الرسم، وذلك نحو: "نشرها" و"نشرها" في قوله تعالى: "فانظروا إلى العظام كيف ننشرها" 346

338 - سورة يس آية 35

339 - سورة لقمان آية 26

340 - المرشد الوجيز ص 116 و ابن أبي هاشم هو أبو طاهر عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم إمام نحوي ثقة أخذ القراءة عن ابن مجاهد توفي سنة 349هـ - انظر غاية النهاية: 475/1

341 - التحريم: 12

342 - البقرة: 47

343 - البروج: 15

344 - الأعراف: 137

345 - البقرة: 101

346 - البقرة: 258

أ- اختلاف الأسماء في الأفراد والتشبية والجمع كالاختلاف في جنتهم وجنتيهم في قوله تعالى: "وبدلناهم بجنتيهم جنتين" 348 ، و نحو: " كتابه " و " كتبه " في قوله تعالى: " وكتابه وكانت من القانتين" 349

ب- الاختلاف في تصريف الأفعال من حيث زمانها وما تسند إليه نحو: " واتخذوا " بكسر الخاء وفتحها في قوله تعالى: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى" 350

ت-الاختلاف في وجوه الإعراب نحو: " لا يضارّ" بفتح الراء وضمّها في قوله تعالى: " لا يضارّ كاتب ولا شهيد" 351

ث- الاختلاف من حيث الزيادة والنقصان نحو: قوله تعالى: " هو الغني الحميد" 352 قرئت " الغني الحميد " ج-الاختلاف من حيث التقديم والتأخير نحو قوله تعالى: "وجاءت سكرة الموت بالحق" 353 قرئت "وجاءت سكرة الحق بالموت"

ح -الاختلاف بإبدال حرف بآخر أو كلمة بأخرى وذلك نحو: "فتبينوا" ، و"فتثبتوا" في قوله تعالى: " إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا" 354

خ-الاختلاف في اللغات و اللهجات كالإدغام و الإظهار و الفتح و الإمالة. 355

5: وجه أبي الحسن السخاوي:

أ- كلمات تقرأ بكل واحدة في موضع أخرى نحو ما ذكرته. 356

347 - الرازي: هو أبو الفضل عبد الرحمان بن أحمد بن الحسن الرازي الإمام المقرئ الثقة الورع قرأ على أبي القاسم الهذلي توفي سنة

454هـ انظر غاية النهاية: 361/1

348 - سبأ: 17

349 - التحريم: 12

350 - البقرة: 124

351- البقرة: 281

352 - الممتحنة: 6

353 - ق: 19

354 - الحجرات: 6

355 - مناهل العرفان ، الزرقاني، 155/1

356 - من ذلك: " يسيركم و" ينشركم" في قوله تعالى: " هو الذي يسيركم في البر والبحر" يونس: 22 .

ب- أن تزيد كلمة في أحد الوجهين وتترك في الوجه الآخر نحو: "تحتها" و "من تحتها" "تجري من تحتها" 357
 ، و نحو: "فإن الله هو غني حميد" قرئت "فإن الله الغني الحميد" 358
 ت- زيادة حرف ونقصانه نحو: "بما كسبت" قرئت "فبما كسبت" 359
 ث- مجيء حرف في موضع حرف نحو: "نقول"، و"يقول" 360، "وتتلوا" و"تبلوا" 361
 ج- تغيير حركات إمّا بحركات أخرى أو بسكون نحو: "فتلقى آدم من ربه كلمات" 362 قرئت بضمّ الميم وفتحها وبضم التاء وفتحها ونحو: "وليحكم أهل الإنجيل" 363 قرئت بكسر اللام وسكونها .
 ح- التشديد والتخفيف نحو: "تساقط عليك" 364 قرئت بتخفيف السين و تشديدها، و "بلد ميت" 365 قرئت بتشديد الياء مكسورة وبإسكانها ونحو ذلك.

خ- التقديم والتأخير كقوله عز وجل: "قاتلوا و قُتلوا" 366 و "قتلوا و قاتلوا" 367

❁ القول الرابع: المراد بالأحرف السبعة سبعة أوجه من وجوه المعاني في القرآن الكريم كالزجر، والأمر ، والحلال ، والحرام، والمحكم، والمتشابه ، والأمثال 368 ، و من أدلة أصحاب هذا القول ما ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: " كان الكتاب الأول يتزل من باب واحد على حرف واحد ، ونزل القرآن

357 - التوبة: 101

358 - الممتحنة: 6

359 - الشورى: 31

360 - العنكبوت: 55

361 - يونس: 30

362 - البقرة: 36

363 - المائدة: 47

364 - مريم: 24

365 - فاطر: 9

366 - آل عمران: 195

367 - جمال القراء وكمال الإقراء، 1/242-244

368 - ينظر البرهان في علوم القرآن، الزركشي 1/126، و الإتقان في علوم القرآن، 1/161، والأحرف القرآنية السبعة، عبد الرحمن المطرودي، 30 .

من سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجر وآمر، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال، فأحلوا حلاله ،
وحرّموا حرامه... وقولوا أمنا به كل من عند ربنا." 369

- الإحرف السبعة في المصاحف العثمانية.

اختلف العلماء في بقاء الأحرف السبعة في المصاحف العثمانية - بعد اختلافهم في تفسيرها - على ثلاثة
مذاهب هي:

✽ المذهب الأول:

ذهب أصحاب هذا المذهب إلى أنّ المصاحف العثمانية اشتملت على حرف واحد وهو حرف قريش ، و
الباقي منها إما نسخ على عهد النبوة ، أو أجمع الصحابة على تركه درء لمفسدة الفتنة في عهد خلافة عثمان
بن عفان رضي الله عنه، و صرح بهذا ابن جرير الطبري ، و أبو جعفر الطحاوي، وأبو عمرو بن عبد البر 370
قال أبو عبيد الله بن أبي صفرة: " هذه القراءات السبع إنّما شرعت من حرف واحد من السبعة المذكورة في
الحديث، وهو الذي جمع عثمان عليه المصحف .. " 371، و يرجع أصل هذا القول إلى أنّ المراد بالأحرف
السبعة سبع لغات في الكلمة الواحدة باختلاف الألفاظ و اتفاق المعاني ، أمّا حجّة القائلين بهذا المذهب ما يلي:
- ترجيح لهجة قريش عند الاختلاف فقد قال عثمان رضي الله عنه لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةَ عند جمع
القرآن: " إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَرَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَارْتَبِعُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ
فَفَعَلُوا ذَلِكَ. 372

- سقوط رخصة الضرورة بزوال باعث تشريعها - المشقة - فقد جمع عثمان بن عفان المسلمين على حرف
قريش الأول بعد الفتنة في عهده. 373

369- صحيح ابن حبان: 20/3: حديث 745، والمستدرک علی الصحیحین، الحاكم: 317/2، حديث: 3144 وقال: صحيح الإسناد
ولم يخرجاه. قال بن عبد البر: هذا حديث عند أهل العلم لم يثبت، وأبو سلمة لم يلق ابن مسعود، وأبو سلمة ليس ممن يحتج به، وهذا الحديث
مجمع على ضعفه من جهة إسناده، وقد رده قوم من أهل النظر منهم أحمد بن أبي عمران فيما سمعه الطحاوي منه، ينظر: التمهيد: 275/8-
276. وقال الحافظ ابن حجر: صحح الحديث ابن حبان والحاكم وفي تصحيحه نظر، لانقطاعه بين أبي سلمة وابن مسعود، وأخرجه البيهقي
من وجه آخر عن الزهري عن أبي سلمة مرسلًا، وقال: هذا مرسل جيد، ينظر: فتح الباري: 29/9.

370 - انظر البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1 ص224، 241، و شرح النووي على صحيح مسلم، ج 6 ص100.

371 - صحيح مسلم بشرح النووي (6/100).

372 - رواه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب باب نزل القرآن بلسان قريش 621/6، حديث 3506

- اجتماع الصحابة على حرف واحد تحقيقاً لمصلحة الوحدة و درء لمفسدة الفرقة و منطلق ذلك أنّ القراءة على الأحرف السبعة رخصة جائزة لا واجبة. 374

✽ المذهب الثاني:

ذهب أصحاب هذا المذهب إلى أنّ المصاحف العثمانية اشتملت على جميع الأحرف السبعة ، وهو الذي اختاره الباقلاني و ابن حزم و الداودي وغيرهم، قال الباقلاني: "الصحيح أنّ هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، وضبطها عنه الأئمة ، وأثبتها عثمان والجماعة في المصحف، وأخبروا بصحتها، وإنما حذفوا منها ما لم يثبت متواتراً، وأنّ هذه الأحرف تختلف معانيها تارة وألفاظها أخرى، وليست متضاربة ولا متنافية" 375، و حجة القائلين بهذا المذهب ما يلي: 376

- أنّ القرآن نزل بالأحرف السبعة فلا يجوز إهماله بتركها.

- أنّ المصاحف العثمانية نسخ عن الجمع في عهد الخليفة أبي بكر الصديق ، وقد كانت مشتملة على الأحرف السبعة.

- أنّ الأحرف السبعة رخصة ثابتة فلا يجوز الأخذ ببعضها ، و النهي عن البعض الآخر إذ ليس بعضه أولى و أرجح من بعض.

- أنّ الحكمة من رخصة الأحرف السبعة التيسير، و هي مقصد متعين في عصور ما بعد الصحابة ، و متأكد لفشو اللحن و العجمة.

✽ المذهب الثالث:

ذهب أصحاب هذا المذهب إلى أنّ المصاحف العثمانية اشتملت على بعض الأحرف السبعة التي تضمّنتها العرضة الأخيرة قال ابن الجزري: " وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أنّ هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط جامعة للعرضة الأخيرة التي

373 - تأويل مشكل الآثار، الطحاوي، 190/4-191 ، وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي 100/6.

374 - مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ابن تيمية 13/395-396 ، و اختلف أصحاب هذا المذهب هل نسخت الأحرف الستة الباقية على

عهد النبي صلى الله عليه و سلم ، أو تركت بعده من الصحابة اتفاقاً ؟ الأكثر على القول الأول. انظر البرهان، الزركشي، 1/213

375 - صحيح مسلم بشرح النووي، ج 6 ص 100، والبرهان، الزركشي، ج 1 ص 223 ، وقال الداودي: "هذه القراءات السبع التي يقرأ

الناس اليوم بها ليس كل حرف منها هو أحد تلك السبعة، بل تكون مفرقة فيها." انظر صحيح مسلم بشرح النووي ، ج 6 ص 100

376 - الإتيان في علوم القرآن 1/141-142 ، و مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 13/395-396.

عرضها النبي صلى الله عليه و سلم على جبريل عليه السلام ، متضمنة لها، لم تترك حرفاً منها... وهذا القول هو الذي يظهر صوابه؛ لأنّ الأحاديث الصحيحة والآثار المستفيضة تدلُّ عليه ، وتشهد له"377، و حجة القائلين بهذا المذهب ما ذهب إليه أصحاب المذهب الثاني.378

✽ المذهب الراجح :

الراجح في المسألة أنّ المصاحف العثمانية اشتملت على جميع الأحرف السبعة، و منطلق الرجحان أصلاً:

أ - الاعتبار بشرط العرضة الأخيرة - الجمع الشفهي الأخير - فإنّها القيد الذي فارق النبي صلى الله عليه و سلم عليه الحياة، فعن سمرة رضي الله عنه قال: "عرض القرآن على الرسول الله صلى الله عليه و سلم عرضات فيقولون: إنّ قراءتنا هذه العرضة الأخيرة."379 فمات صلى الله عليه و سلم و لم يثبت نصّ عنه يصرّح بسقوط الرخصة أو بعضها.

ب- الاعتبار بتفسير مصطلح الأحرف السبعة فإن كان المراد منه سبع لغات من لغات العرب متفرقة في القرآن فهي كثيرٌ في القرآن، بل قد ورد على غير لسان قريش ما لم يستوعبه إلا التصنيف، و قد نقل السيوطي من ذلك نحو ثلاثين لغة من لغات العرب380، قال أبو عمرو الداني: "كان القرآن مجرداً في

377 - النشر في القراءات العشر 1، 31 ، وانظر الإتقان في علوم القرآن 1، 141-142.

378 - قال السيوطي: "ولا شك أنّ القرآن نُسخ منه في العرضة الأخيرة وغيره، فاتفق الصحابة على أن كتبوا ما تحقّقوا أنه قرآن مستقرّ في العرضة الأخيرة، وتركوا ما سوى ذلك." انظر الإتقان في علوم القرآن ج1 ص 142، و قال البغوي: "يقال إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي بين فيها ما نُسخ وما بقي، وكتبها لرسول الله صلى الله عليه و سلم، وقرأها عليه، وكان يُقرئ بها الناس حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كتب المصاحف." انظر شرح السنة للبغوي، ج4 ص 525، وَعَنْ عَيْدَةَ السَّلْمَانِيّ أَنَّهُ قَالَ: الْقِرَاءَةُ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَامِ الَّذِي قَبِضَ فِيهِ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ الَّتِي يَقْرَأُهَا النَّاسُ. انظر دلائل النبوة، البيهقي، ج7 ص 155 .

379 - رواه الحاكم وصححه الذهبي ورجاله رجال الصحيح، انظر المستدرک على الصحيحين، أبو عبد الله النيسابوري، دار الكتاب العربي، بيروت، ج2 ص 230، وجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، تخريج العراقي والذهبي، دار الكتب العربي، بيروت، ط3، 1403 هـ - 1984 م، ج7 ص 151

380 - انظر الإتقان في علوم القرآن 1، 89-104، و البرهان في علوم القرآن 1، 283-286، و إن كان المراد تغاير المباني و اتفاق المعاني فقد دلّ عليه الكثير من تغاير القراءات القرآنية مثل قوله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ" الأعراف، 57، فقد قرأ عاصمٌ بشراً من البشر، جمع بشير، وقرأ الباقون من النشر، فقرأ حمزة والكسائي وخلف في اختياره نُشْرًا على أنه حال، أي: ناشرة، أو منشورة، أو ذات نُشْرٍ، وقرأ أبو جعفرٍ ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب نُشْرًا بضم النون والشين جمع ناشر، وقرأ عبد الله بن عامر

المصاحف فأوّل ما أحدثوا فيه النقط على التاء والياء، قالوا: لا بأس به ، هو نور له، ثمّ أحدثوا فيه نقطا عند منتهى الآي، ثمّ أحدثوا الخواتم والفواتح "381، و العلة في إخلاء المصاحف من الشكل أنّهم " أرادوا الدلالة على بقاء السعة في اللغات و الفسحة في القراءات التي أذن الله تعالى لعباده في الأخذ بها و القراءة بما شاءوا منها، فكان الأمر على ذلك إلى أن أحدث الناس ما أوجب نقطها وشكلها "382، و إنّ من أظهر الأدلة على أنّ الصحابة عندما نسخوا المصاحف زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه كتبوا كل ما ثبت في العرصة الأخيرة من الأحرف السبعة هو اختلاف نسخ المصاحف العثمانية ، إذ لو كانت بحرف واحد- أي لغة واحدة- لما ثبت بينها اختلاف".383

نُشراً بضم النون وسكون الشين مع التخفيف بتسكين الشين، والبشر والنشر متوافقان في المعنى. انظر النشر في القراءات العشر، 269، 270 .

381- الخكم في نقط المصحف، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق عزت حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ط 1990 ، ص 17

382- الخكم في نقط المصحف، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، ص 3

383 - و مما يدلّ على بقاء بعض الأحرف التي ثبتت في العرصة الأخيرة أنه ثبت أنّ كتاب المصاحف على عهد عثمان بن عفان نسخوا المصاحف من جمع أبي بكر الصديق، وقد علم أنّ جمع أبي بكر الصديق لم يسقط شيئا ثبت في العرصة الأخيرة باتفاق عن أنس بن مالك قال: "... فَأَرْسَلَ عُثْمَانَ إِلَى حَفْصَةَ: أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسُخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ تَرُدُّهَا إِلَيْكَ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةَ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ ابْنَ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ." رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ج8 ص626 حديث رقم 4987.

الفصل الثالث: الإجاز القرآنية.

و فيه المباني التالية:

- الإجاز في اللغة و الاصطلاح.
- المبجزة في اللغة و الاصطلاح.
- شروط المبجزة.
- مشتقات طاعة (ع ج ز) في القرآن.
- المفردات القرآنية الصالحة على معنى الإجاز.
- الفرق الصالحة للفظ الإجاز.

-الإعجاز في اللغة-

يطلق لفظ الإعجاز على المعاني التالية:

أ - الضعف و التقصير:

عَجَزَ و عَجِرَ و عَجَزَ و عَجَزَ عن الأمر إذا قصر عنه³⁸⁴، تقول: أعجز يعجز إعجازاً واسم الفاعل معجز³⁸⁵، و"العين والجيم والزاي أصلان صحيحان دلّ أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء...وعجز عن الشيء يعجز عجزاً فهو عاجز أي ضعيف"³⁸⁶، وقد يجمع بين أصلي معنى لفظ الإعجاز فيراد به " التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخره...ليصير اللفظ دالا على معنى القصور عن فعل الشيء ، وهو ضد القدرة ³⁸⁷، والتعجيز النسبة إلى العجز³⁸⁸ قال تعالى: " قَالَ يَنوَيْلَتِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّدْمِيْنَ ﴿٣٨٩﴾" ، وأعجزت فلانا وعجزته وعاجزته إذا جعلته عاجزا قال: "وَأَنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣٩٠﴾" ، وقوله تعالى: " وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣٩١﴾" قال تعالى: "وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ هُمُ عَذَابُهُمْ مِنْ رَجْزِ أَلِيمٍ" ³⁹²، والإعجاز من العجز و هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء مطلقا. ³⁹³

ب - السبق و الفوت: ³⁹⁴

384 - "لسان العرب" مادة "ع ج ز".

385 - المصباح المنير، الفيومي، الطبعة الأميرية، القاهرة، ط 1294هـ، ص 149.

386 - "معجم مقاييس اللغة": ع ج ز.

387 - مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصبهاني، مادة ع ج ز.

388 - لسان العرب ، ع ج ز.

389 - سورة المائدة آية 31.

390 - سورة التوبة آية 2.

391 - سورة العنكبوت آية 22.

392 - سورة سبأ آية 5.

393 - صائر ذوي التمييز ، 65/1.

394 - لسان العرب ، مادة ع ج ز.

تقول: " أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه" 395، فبالنظر إلى حال المعجز فهو فوت وسبق ، و بالنظر إلى حال العاجز فهو ضعف قال الأزهري: " الإعجاز الفوت و السبق تقول أعجزني فلان أي فاتني" 396، و تقول: جاؤوا بجيش تعجز الأرض عنه" 397، و هناك صلة وثيقة بين معنى مؤخر الشيء وبين القصور عنه ؛ فإنّ التأخر والقصور متلازمان ؛ فمن تأخر عن غيره رجع ذلك إلى تقصيره. 398

ت - الشيط: 399

العجز نقيض العزم ، وعجز يعجز عجزا فهو ضعيف 400، فإذا ضعفت الهمم عن بلوغ الغزائم فهي عاجزة لأنّ من معاني التعجيز الشيط 401، تقول: " أعجزه الشيء فاته، وعجزه تعجيزاً: ثبّطه " 402، و بهذا المعنى فسّر قوله تعالى: " وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ هُمَّ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ " 403، أي ظنوا أنّهم يعجزوننا فلا يبعثون، وأنّه لا جنّة ولا نار 404، و عليه فالعجز ترك ما يجب فعله بالتسوية 405 ، وبهذا البيان اللغوي فإنّ لفظ العجز في اللغة يدلّ على معاني الضعف والانقطاع وعدم القدرة قال صلى الله عليه و سلم: " اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل و الجبن و البخل.." 406 ، و معنى الهمّ " لما يتصوره العقل من المكروه في الحال، والحزن لما وقع في الماضي، والعجز ضد الاقتدار، والكسل ضد النشاط." 407

395- معجم مقاييس اللغة، مادة ع ج ز، و تاج العروس ، مادة ع ج ز

396 - الأزهري، تهذيب اللغة ، مادة عجز

397 - الزمخشري ، أساس البلاغة، مادة عجز ، ص 409

398 - فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص 10، 11 ، و إتقان البرهان في علوم القرآن، ج 1 ص 107 ، 108

399 - لسان العرب ، مادة عجز

400 - كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج 3، ص 101

401 - تاج العروس، مادة عجز

402 - محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مادة عجز

403- سورة سبأ آية 5.

404 - لسان العرب لابن منظور ، ج 3، ص 2816 ، دار صادر ، بيروت، والمفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد

الراغب الأصفهاني، دار المعرفة ، بيروت، ص 322

405 لسان العرب، مادة عجز

406 صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من الجبن والكسل.

407 فتح الباري، 11/178

- الإعجاز في الإصطلاح:

لقد تعددت تعريف العلماء للإعجاز القرآني منها:

أ- تعريف الجرجاني⁴⁰⁸: " الإعجاز في الكلام أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق." 409

ب- تعريف أبي البقاء الكفوي⁴¹⁰: " إعجاز القرآن ارتقاء في البلاغة إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته." 411

ت- تعريف الزرقاني: " إعجاز القرآن مركب إضافي، معناه بحسب أصل اللغة إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحدّاهم به، فهو من إضافة المصدر إلى فاعله، والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به، والتقدير: أعجز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحدّاهم به." 412، والعلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي ظاهرة إذ هي تأخر الخلق عن الإتيان بمثل القرآن الكريم، لقصور طاقتهم، وضعف هممهم.

ث- تعريف مصطفى صادق الرافعي: "و إنّما الإعجاز شيئان: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان واتّصال عنايته، ثمّ استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدّمه، فكأنّ العالم كلّه في العجز إنسان واحد، ليس له غير مدنه المحدودة بالغة ما بلغت." 413

ج- تعريف فضل عباس: "تأييد الله مدّعي النبوة بما يؤيد دعواه ليصدق المرسل إليهم." 414

3 - هو السيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني، من كبار علماء العربية، ولد في تاكو ودرس في شيراز، وأقام بها إلى أن توفي عام 818هـ، وله نحو خمسين مصنفاً في اللغة وغيرها منها التعريفات. انظر الأعلام، الزركلي، 1/102

4 - الجرجاني، التعريفات، ص31.

410 - هو أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، صاحب كتاب الكليات من قضاة الأحناف، في مدينة "كفه" بتركيا، توفي باستانبول عام 1094هـ انظر الأعلام 2/38.

411 - الكفوي، الكليات، ص149

412 - الزرقاني، مناهل العرفان، ج2 ص354

413 - إعجاز القرآن، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب، بيروت، ص139، وتمام قوله: " فيصير من الأمر المعجز إلى ما يشبهه في الرأي مقابلة أطول الناس عمراً بالدهر على مداه كله، فإنّ المعمر دهر صغير، وأنّ لكليهما مدة من العمر هي من الجنس الأخرى، غير أن واحدة منهما قد استغرقت الثانية؛ فإن شاركتها الصغرى إلى حد فما عسى أن يشركهما فيما بقي"

414 - إعجاز القرآن الكريم، فضل عباس، ص21، وانظر كبرى اليقينيّات الكونية، محمد البوطي، ص214.

ح- تعريف عبد السلام اللوح: "أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدّعي النبوة على وفق مراده تصديقا له في دعوته مقرونا بالتحديّ مع عدم معارضته، وذلك في زمن التكليف." 415

خ- تعريف نعيم الحمصي: "إعجاز القرآن كونه أمراً خارقاً للعادة، لم يستطع أحد معارضته برغم تصدي الناس له." 416

ولكمال مفهوم الإعجاز وجب بيان معنى لفظ المعجزة في اللغة و الاصطلاح لقوة المناسبة بينهما و شدة التعلّق بموضوع الدراسة.

- المعجزة في اللغة و الاصطلاح:

- المعجزة في اللغة:

المعجزة اسم فاعل من الإعجاز، وهي للأنبياء خاصة لأنّ " الخلق عجزوا عن الإتيان بمثها" 417، والهاء فيها للمبالغة، والجمع معجزات. 418

- المعجزة في الاصطلاح:

لقد اختلف العلماء في تعريف المعجزة و لعلّ الأقرب إلى الشمول منها تعريف السيوطي الذي عرفها فقال: "أمر خارق للعادة، مقرون بالتحديّ، سالم من المعارضة" 419، و بهذا فإنّ أصول المعجزة ثلاثة:
أ - الأصل الأول: خرق العادة.

و العادة ما اعتاده الناس وألفوه وخرقها نقضها و إبطال جوهرها بمجيء الأمر خلاف عادة الناس فيها، و من الخوارق:

- ✻ الإرهاص 420: وهو الدلائل و الإشارات الواقعة قبل ظهور مدّعي النبوة المؤسسة لدعواه.
- ✻ الكرامة: وهي للأولياء.

415 - الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، عبد السلام اللوح، آفاق للنشر والتوزيع، غزة، ط 2، 2002م، ص 6

416 - فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 9

417- الشفا، القاضي عياضن 349/1.

418- "تاج العروس" ع ج ز.

419- الإتيان، السيوطي، 116/2، و التعريف رأي جمهور الأصوليين، انظر اليواقيت والجواهر، 157.

420- الإرهاص مشتق من رهص الجدار أي أساسه و أصله. انظر لسان العرب، مادة ره ص.

✽ المعونة: وهي رفع النوازل و الشدائد عن الخلق.

✽ الإستدراج: موافقة القدر الكوي دعوى الباطل لتقريب الهلاك و منه قوله تعالى: "وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيَّهَا الْقَوْلُ فَمَدَرْنَاهَا تَدْمِيرًا" 421، و كما أخبرت السنة النبوية عن المسيح الدجال.

✽ الإهانة: و هي تسفيهه صاحب الدعوى و توبيخه بحصول الواقعة بخلاف دعواه. 422

و ينضبط ركن خرق العادة في المعجزة بقيد ثبوتها على يد النبي لأن " الكهانة والسحر هو معتاد للسحرة والكهان وهو خارق بالنسبة إلى غيرهم 423، كما أن ما يعرفه أهل الطب والنجوم والفقهاء والنحو هو معتاد لنظرائهم وهو خارق بالنسبة إلى غيرهم" 424، و بهذا فإن وصف خرق العادة لوحده غير كاف لوجهين:

✽ أحدهما: أن كون الشيء معتادا وغير معتاد أمر نسبي إضافي و وصف غير منضبط.

✽ الثاني: أن وصف خرق العادة مشترك بين الأنبياء و غيرهم، فإذا خصّ بعدم المعارضة فقد يأتي الشخص بما يعجز غيره عن معارضته ويكون معتادا لغيرهم كالكهانة والسحر، وكطب أبقراط، ونحو سيبويه، فاختصاصهما بذلك لا يعدّ علامة على نبوتهما وإن كان خارقا للعادة. 425

ب - الأصل الثاني: التحدي.

421 - الإسراء الآية 16

422- انظر ما وقع لمسيلمة الكذاب لما بزق في بئر فذهب ماؤها. البداية والنهاية، ابن كثير، ج 4 ص 327.

423- و الفرق بين المعجزة السحر أن المعجزة تبقى هي أو أثرها بعد النبي زمانا، والسحر يزول، والمعجزة يظهرها الله على رؤوس الأشهاد ، والسحر يروج على الدهماء أما الفرق بين المعجزة والكهانة فالمعجزة فعل خارق للعادة يقوم مقام تصديق الله تعالى النبي بالقول، أما الكهانة فهي كلمات تجري على لسان الكاهن ربما توافق وربما تخالف، وأن النبي لا يكون إلا كامل العقل و الخلق أما الكاهن فمختل العقل و قبيح الخلق، و الكاهن إذا ادعى النبوة بكهنته قد يقابله كاهن آخر فينتفي الفرق بينهما، أما النبي إذا تحدى بمعجزة وقابله مدع كاذب فإنه لا يجوز أن يظهر على يده معجزة مثل معجزة النبي الصادق. انظر اليواقيت والجواهر، 161-162 ، و مصطفى مسلم،

مباحث في إعجاز القرآن، ص 150

424- ابن تيمية ، النبوات ، ص 19.

425- المصدر نفسه ، ص 23.

لقد اختلف العلماء في اشتراط وصف التحدي في المعجزة ، و المعتبر منها أنّ النبي صلى الله عليه و سلم ما تحدى الخلق إلا بالقرآن فلم ينقل عنه أنّه تحدى غيره بالمعجزات الحسية 426، و قد أكد القرآن ذلك قال تعالى: " وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ " 427 ، وقال سبحانه: " وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ " 428

و لقد دلّ النقل الصحيح أنّ معجزات النبي صلى الله عليه و سلم نوعان:

✽ الأول: ما يتعلّق به ثبوت الرسالة، فهذا شرطه التحدي الصريح، و وقع بالمعجزات الحسية للأنبياء عليهم السلام قبل البعثة النبوية و بالقرآن الكريم على وجه الخصوص لمحمد صلى الله عليه و سلم.

✽ الثاني: ما لا يتعلّق به ثبوت الرسالة فهذا لا يشترط فيه التحدي ، بل قد لا يعلمه الكفار أصلا فيقع بين المؤمنين فقط كنع الماء من بين أصابع يد النبي صلى الله عليه و سلم.

ت - الأصل الثالث: السلامة من المعارضة.

و المقصود به قصور المعارضين و عجزهم عن الإتيان بمثل ما أتى به. 429

- شروط المبينة: 430

أ - أن تكون خارقة للعادة.

ب - أن تكون من مدّعي النبوة أو الرسالة، فخرج بهذا القيد وصف الكرامة والمعونة والاستدراج والإهانة.

ت - أن تكون مقرونة بدعوى النبوة أو الرسالة حقيقة أو حكما بأن تأخرت بزمن يسير، فخرج بهذا القيد الإرهاص، وهو ما كان قبل الرسالة أو النبوة تأسيسا لها و تمهيدا لوجودها.

ث - موافقتها للدعوى، لأنّ كمال التوافق بين نصّ الدعوى و خرق العادة أصل عظيم يبني عليه صدق الدعوى و عدم تناقضها.

ج - كمال الموافقة بالتصديق بين الدعوى و المعجزة كأن يتحدّاهم بنطق الرضيع مؤازرة له فينطق تكديبا له.

426- المصدر نفسه ، 178 ، و المواهب اللدنية ، 498/2.

427- سورة الإسراء آية 59.

428- سورة الأنعام آية 109. و انظر المواهب اللدنية ن 497/2.

429- حجة الله على العالمين، 11.

430- تحفة المرید على جوهرة التوحيد، 91 بتصرف.

ح - عدم المعارضة.

خ - ألا تكون زمن نقض العادة كزمن طلوع الشمس من مغربها.

- مشتقات طاعة (و في ز) فعل القرآن: 431

أ - "أَعَجَزْتُ" من قوله تعالى: "أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ" 432، ومعنى "أَعَجَزْتُ": أضعف إدراكي وعقلي،

وجهلت، وهو استفهام إنكاري. 433

ب - "تُعْجِزُ" من قوله تعالى: "وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا" 434، ومعنى "تُعْجِزُ" نفوت

ونغلب، أي "نعلم أنّ قدر الله حاكم علينا، وأنا لا نعجزه في الأرض ولو أمعنا في الهرب، فإنه علينا قادر لا

يعجزه أحد منا." 435

ت - "يُعْجِزُونَ" من قوله تعالى: "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا إِيَّاهُمْ لَا يُعْجِزُونَ" 436،

و المعنى: غلب وفات، أي لا يفوت الله شيء ولا يغلبه شيء، سبحانه وتعالى. 437

ث - "مُعْجِزِينَ" من قوله تعالى: "وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ" 438، ومعنى "مُعْجِزِينَ" "ظائنين ومقدرين أنّهم

يعجزوننا لأنّهم حسبوا ألا بعث ولا نشور فيكون ثواب وعقاب." 439

ج - "مُعْجِزِينَ" من قوله تعالى: "وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ" 440، ومعناه "أعجزني الشيء فاتي، أي لا يفوتنا

عما أردنا بكم." 441

431- أنظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ع ج ز.

432- سورة المائدة آية 31.

433- أنظر البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، 466/3.

434- سورة الجن آية 12.

435- انظر تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، 269/8. و روح المعاني، الألويسي، 110/10.

436- سورة الأنفال آية 59.

437- "البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، 510/4.

438- سورة الحج آية 51.

439- مفردات ألفاظ القرآن ، 334، وهناك أقوال في معنى "مُعْجِزِينَ" انظر تاج العروس ، ع ج ز.

440- سورة الأنعام آية 134.

441- البحر المحيط ، 226/4.

- المفردات القرآنية الصالحة ملغٍ معنى الإجازة

أ - الآية: وهي العلامة 442 الدالة على كمال القدرة الإلهية و كمال صدق المرسل في دعواه قال تعالى:

"وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً" 443 أي معجزة وعلامة على قدرة الله. 444

ب- السلطان: الحجة 445 قال تعالى: "إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا

بِسُلْطَنِ مُبِينٍ" 446 أي خارق نقترحه عليكم" 447، و قال سبحانه: "قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَنِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

الْمُؤْمِنُونَ" 448

ت- البرهان: وهو بمعنى السلطان و الحجة والبينة 449، وقيل " البرهان أوكد الأدلة، وهو الذي يقتضي

الصدق أبدا لا محالة" 450 قال تعالى: "يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكَمْ" 451، والبرهان هنا: "الدليل القاطع

للعدر، والحجة المزيلة للشبهة" 452، و"الجمهور على أن البرهان هو محمد صلى الله عليه وسلم وسماه برهانا

لأنّ منه البرهان وهو المعجزة." 453

442- معجم مقاييس اللغة ، مادة أ ي ي.

443- سورة المؤمنون آية 50.

444- معجم ألفاظ القرآن الكريم ، 74،1.

445- معجم مقاييس اللغة ، مادة سلط.

446- سورة إبراهيم آية 10.

447- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، 402،4.

448- سورة إبراهيم آية 11.

449- انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم ، 96،1.

450- مفردات ألفاظ القرآن ، مادة ب ر هـ.

451- سورة النساء آية 174.

452- تفسير القرآن العظيم ، 434،2.

453- البحر الخيط ، 405،3.

ث - البصيرة: وأصل معناه من الوضوح و البيان تقول: بصرت بالشيء إذا صرت به بصيرا عالما 454 قال تعالى: "وَأَتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا" 455 أي "دالة على وحدانية من خلقها وصدق الرسول الذي أوجب دعاؤه فيها." 456

ج - البينة: وهي "الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة" 457 قال تعالى: "يَنْقُومِ الْعَبْدُ وَاللَّهُ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَيْهِ غَيْرُهُ" قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ 458 أي "جاءتكم حجة من الله على صدق ما جئتكم به." 459

- الفروق الحوالية للفظ الإجازة

لقد جمع الشيخ يوسف بن عمران الحلبي معاني مادة "عجز" في قصيدة يمدح فيها قاضيا فقال: 460

لِحَاظٌ دُونَهَا غَوْلُ الْعَجُوزِ 461	وَشَكَّتْ ضِعْفَ أضعافِ الْعَجُوزِ 462
لِحَاظٌ رَشَاءٌ لَهَا أَشْرَاكُ جَفْنٍ	فَكَمْ قَنَصَتْ مِثَالِي مِنْ عَجُوزٍ 463
وَكَمْ أَصَمَّتْ وَلَمْ تَعْرِفْ مُحِبًّا	كَمَا الْكُسْعِيُّ فِي رَمِي الْعَجُوزِ 464
وَكَمْ فَتَكَتْ بِقَلْبِي نَاطِرَاهُ	كَمَا فَتَكَتْ بِشَاةٍ مِنْ عَجُوزٍ 465
وَكَمْ أَطْفَى لَمَاهُ الْعَذْبُ قَلْبًا	أَضْرَبَ بِهِ اللَّهَيْبُ مِنَ الْعَجُوزِ 466
وَكَمْ خَبَلٍ شَفَاهُ اللَّهُ مِنْهُ	كَذَا جَلْدُ الْعَجُوزِ 467 شِفَا الْعَجُوزِ 468

454- معجم مقاييس اللغة ، مادة ب ص ر بتصرف.

455- سورة الإسراء آية 59.

456- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، 5، 79.

457- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب ، مادة ب ي ن

458- سورة الأعراف آية 73.

459- تفسير القرآن العظيم 3. 436.

460 - انظر تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، بيروت ، دار صادر ، ط 1966م ، مادة عجز

461 - المنيّة

462 - الإبرة

463 - الأسد

464 - الخمر

465 - الذئب

466 - حمار الوحش

وقد تحلوا الحبايبُ بالعجوزِ 469	إذا ما زارَ نَمَّ عليه عَرَفٌ
أَلَذَّ جَنَى وَأَحْلَى مِنْ عَجُوزِ 470	رَشَفَتْ مِنَ الْمَرَاشِفِ مِنْهُ ظَلَمًا
شَدَاهُ دُونَهُ نَشْرُ الْعَجُوزِ 471	وَجَدْتُ الشَّعْرَ عِنْدَ الصُّبْحِ مِنْهُ
بِرَاحَتِهِ الْعَجُوزِ 472 عَلَى الْعَجُوزِ 473	أَجْرُ ذُبُولٍ كَبِيرٍ إِنْ سَقَانِي
فَأُدْعَى بَيْنَ قَوْمِي بِالْعَجُوزِ 474	بِرُوحِي مَنْ أُنَاجِرُ فِي هَوَاهِ
إِذَا غَيْرِي دَعَوَهُ بِالْعَجُوزِ 475	مُقِيمٌ لَمْ أَحُلْ فِي الْحَيِّ عَنْهُ
كَجَرِي الْمَاءِ فِي رُطْبِ الْعَجُوزِ 476	جَرَى حَبِيهٍ مَجْرَى الرُّوحِ مِنِّي
وَقَدْ أَلْقَى الْمَفَاصِلَ فِي الْعَجُوزِ 477	وَأَخْرَسَ حَبَهُ مِنِّي لِسَانِي
شَبِيهَ السَّلَكِ فِي سَمِّ الْعَجُوزِ 478	وَصَيَّرَنِي الْهُوَى مِنْ فَرَطٍ سَقَمِي
فَلَسْتُ بِسَامِعِ نَبْحِ الْعَجُوزِ 479	عَدُولِي لَا تَلْمَنِي فِي هَوَاهِ
سُلُويِّ دُونَهُ شَيْبُ الْعَجُوزِ 480	تَرُومٌ سُلُوءَةٌ مِنِّي بِجَهْدِ
يُحَاكِي بَرْدَ أَيَّامِ الْعَجُوزِ 481	كَلَامُكَ بَارِدٌ مِنْ غَيْرِ مَعْنَى
كَمَا قَدْ طَافَ حَجَّ بِالْعَجُوزِ 482	يَطُوفُ الْقَلْبُ حَوْلَ ضِيَاءِ حَبًّا

467 - الضَّبَعُ

468 - الْكَلْبُ

469 - التَّمِيمَةُ

470 - نَوْعٌ مِنَ التَّمْرِ

471 - الْمَسْكُ

472 - الْخَمْرُ

473 - الْمَلِكُ

474 - التَّاجِرُ

475 - الْمُسَافِرُ

476 - التَّحَلَّةُ

477 - الرَّعْشَةُ

478 - الْإِبْرَةُ

479 - الْكَلْبُ

480 - الْغُرَابُ

481 - الْأَيَّامُ السَّبْعَةُ

- لَهُ مِنْ فَوْقِ رُمَحِ الْقَدِّ صُدُغٌ
 وَخَصْرٌ لَمْ يَزَلْ يُدْعَى سَقِيمًا
 بِلِحْظِي قَدْ وَزَنْتِ الْبُوصَ مِنْهُ
 عِذَارُهُ وَالْحَدَّ مِنْهُ عَجُوزٌ 486
 فَهَذَا جَنَّتِي لِأَشْكَ فِيهِ
 تَرَاهُ فَوْقَ وَرْدٍ الْحَدَّ مِنْهُ
 عَلَى كُلِّ الْقُلُوبِ لَهُ عَجُوزٌ 491
 دُمُوعِي فِي هَوَاهُ كَنِيلٍ مِصْرٍ
 يَهْزُ مِنْ الْقَوَامِ اللَّدْنِ رُمَحًا
 وَيَكْسِرُ جَفْنَهُ إِنْ رَامَ حَرْبًا
 رَمَى عَنْ قَوْسِ حَاجِبِهِ فُؤَادِي
 أَيَا ظَنِيًّا لَهُ الْأَحْشَا كِنَاسٌ
- نَضِيرٌ مِثْلُ خَافِقَةٍ الْعَجُوزِ 483
 وَعَنْ حَمَلِ الرُّوَادِفِ بِالْعَجُوزِ 484
 كَمَا الْبَيْضَاءُ تُوزَنُ بِالْعَجُوزِ 485
 قَدْ تَوَارَتْ مِنْ عَجُوزِ 487
 وَهَذَا نَارُهُ نَارُ الْعَجُوزِ 488
 عَجُوزًا 489 قَدْ حَكَى شَكْلَ الْعَجُوزِ 490
 كَذَا الْأَحْبَابِ تَحَلُّو بِالْعَجُوزِ 492
 وَأَنْفَاسِي كَأَنْفَاسِ الْعَجُوزِ 493
 وَمِنْ جَفْنِيهِ يَسْطُو بِالْعَجُوزِ 494
 كَذَلِكَ السَّهْمُ يَفْعَلُ فِي الْعَجُوزِ 495
 بِنَبْلِ دُونِهَا نَبْلُ الْعَجُوزِ 496
 وَمَرَعَى لَا النَّضِيرُ مِنَ الْعَجُوزِ 497

- 482 - الكعبة
 483 - الراية
 484 - مبالغة في العاجز
 485 - الصنجة
 486 - الشمس
 487 - دائرة الشمس
 488 - جهنم
 489 - المسك
 490 - العقرب
 491 - التحكم
 492 - التحكم
 493 - النار
 494 - السيف
 495 - الحرب
 496 - الكنانة
 497 - الثبات

ومثلي لا يُجَازِي بالعَجُوزِ 498
 كذا أَكَلُ العَجُوزِ 499 بلا عَجُوزِ 500
 بعَرَفٍ وَصَالِهَا مَحْضُ العَجُوزِ 501
 وَيُوهِي جِسْمَهَا مَسُّ العَجُوزِ 502
 فَمَنْ شَامَ العَجُوزَ 503 من العَجُوزِ 504
 بلا وَتَرٍ وَسَهْمٍ من عَجُوزِ 505
 وَبَدْرُ سَمَائِهَا نَفْسُ العَجُوزِ 506
 عَطَاءُ البَحْرِ مِنْهُ فِي العَجُوزِ 507
 وَفَيْضُ يَمِينِهِ فَيْضُ العَجُوزِ 508
 وَأَقْلَاهُمْ إِلَى حُبِّ العَجُوزِ 509
 مَحَامِدِ والسَّوَى دُونَ العَجُوزِ 510
 سَقَاهُمْ كَفَّهُ مَحْضَ العَجُوزِ 511

وكم هيَا عَجُوزاً 514 فِي عَجُوزِ 515

تُعَذِّبُنِي بِأَنْوَاعِ التَّجَافِي
 فَتَقْرِبُكَ دُونَ وَصَلِكَ لِي مُضِرٌّ
 وَهَيْفَا مِنْ بِنَاتِ الرُّومِ رُودٍ
 تَضُرُّ بِهَا المَنَاطِقُ إِنْ تَشَتَّتْ
 عَتُورًا فِي الهَوَى قَذَفَتْ فُؤَادِي
 وَتُصْمِي القَلْبَ إِنْ طَرَفَتْ بِطَرْفٍ
 كَأَنَّ الشُّهْبَ فِي الزَّرْقَا دِلَاصٌ
 وَشَمْسُ الأُفُقِ طَلَعَةٌ مَنْ أَرَانَا
 تَوَدَّ يَسَارَهُ سَحْبُ العَوَادِي
 أَجَلٌ قُضَاةِ أَهْلِ الأَرْضِ فَضْلًا
 كَمَالِ الدِّينِ لَيْثٌ فِي اقْتِنَاصِ الِ
 إِذَا ضَنَّ العِمَامُ عَلَى عَفَاةِ

وكم وَضَعَ العَجُوزَ 512 عَلَى عَجُوزِ 513

- 498 - المعاقبة
- 499 - التَّيَّبُت
- 500 - السَّمْنُ
- 501 - العافية
- 502 - الثَّوْبُ
- 503 - النَّارُ
- 504 - السَّنُورُ
- 505 - القوس
- 506 - الثُّرْسُ
- 507 - الكَفَّ
- 508 - البحر
- 509 - الدُّنْيَا
- 510 - التعلب
- 511 - الذهب

وأشبعَ مَنْ شكا فرطَ العَجُوزِ 516	وكمَ أروى عفاةً من نداءه
فلم تروَ الظُّمأةَ من العَجُوزِ 517	إذا ما لاطمتَ أمواجُ بحرٍ
كذا كلُّ الأهالي من عَجُوزِ 518	أهالي كلِّ مصرٍ عنه تشي
وقد يهبُ العَجُوزَ 519 من العَجُوزِ 520	مدى الأيامِ مُبتسماً تراه
وشيخاً من هواه في العَجُوزِ 521	تردَّى بالتقى طفلاً وكهلاً
كما قد طابَ عرفٌ من عَجُوزِ 522	وطابَ ثناؤه أصلاً وفرعاً
فيهدِيها إلى أهدى عَجُوزِ 523	إذا ضلتَ أناسٌ عن هداها
إذا أخذَ السوى فرطَ العَجُوزِ 524	ويقظانَ الفؤادِ تراه دهرًا
الخصيرُ بالفضائل في العَجُوزِ 525	وأعظمَ ماجدٍ لويتَ عليه
تمنتَ مثله شهبُ العَجُوزِ 526	أيا مولى سماً في الفضلِ حتى
فحلّمك ذونه طودُ العَجُوزِ 527	إذا طاشتَ حلومٌ ذوي عقولٍ
فأرغمَ منه مُرتفعُ العَجُوزِ 528	فكمَ قد جاءَ مُمتحنٌ إليكم

512 - القدر

513 - المنصب الذي توضع عليه

514 - الناقة

515 - الصفحة

516 - الجوع

517 - البئر

518 - القرية

519 - الألف

520 - البقر

521 - الآخرة

522 - المسك

523 - الطريق

524 - السنة

525 - الشمس

526 - السماء

527 - الأرض

إِلَى كَرَمٍ فَإِنْ سَابَقْتَ قَوْمًا
فَفَضْلُكَ لَيْسَ يُحْصِيهِ مَدِيحٌ
مَكَاتُكُمْ عَلَى هَامِ الثُّرَيَّا
رَكِبْتَ إِلَى الْمَعَالِي طَرْفَ عَزْمٍ
سَبَقْتَهُمْ عَلَى أَجْرَى عَجُوزِ 529
كَمَا لَمْ يُحْصَ أَعْدَادُ الْعَجُوزِ 530
وَمَنْ يَقْلَاكَ رَاضٍ بِالْعَجُوزِ 531
حَمَاهُ اللَّهُ مِنْ شَيْنِ الْعَجُوزِ 532

528 - الأنف

529 - الفرس

530 - الرمل

531 - الصومعة

532 - العرج

- القرآن بين البحث الإيجازي و مقصد العناية.

إن من القضايا البديهية و الأحكام المسلّمة في الإسلام أنّ الله تعالى ما أنزل القرآن الكريم على رسوله صلى الله عليه و سلّم إلاّ هداية الثقلين لخير المعاش و المعاد قال تعالى: " ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين " ⁵³³، و قال كذلك: " إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم " ⁵³⁴، و لهذا فما البحث في الإعجاز القرآني إلاّ لبيان مصدر الربانية لتأكيد حقيقة انحصار كمال الهداية في القرآن الكريم ، و عليه فإنّ العناية " بيان وجوه إعجاز القرآن إنما نبعت من مختزن أصل كبير من أصول الإسلام، وهو كونه المعجزة الكبرى للنبي صلى الله عليه و سلّم، و كونه المعجزة الباقية " ⁵³⁵ لهذا وقع التحدي بالقرآن الكريم لجميع الخلق ⁵³⁶ بأن يأتوا بمثله الذي يقرأ برسم واحد بوجوه مختلفة الأداء متنوعة الكلم دون تناقض في معانيه الجليّة الواضحة ، و لا في أحكامه الشرعية الخالدة بل إنّ التنوع في وجوه إقرائه و كلمات نظمه زادته جمالاً و جلالاً و بلاغةً و فصاحةً و إعجازاً و كمالاً قال تعالى: " قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا " ⁵³⁷، و عليه فإنّ إعجاز القرآن من تحداهم عن الإتيان بمثله أو بشيء من مثله ليس أمراً مقصوداً لذاته، وليس هو الغاية في نفسه، بل المقصود لازم الإعجاز و مآله ، وهو إظهار ربّانية القرآن الكريم ، وإثبات أحقيّة الكتاب بالحق المطلق دون غيره في الهداية إلى صلاح المعاش و فلاح المعاد ، و مقتضى ذلك كلّ إثبات صدق الرسالة المحمدية ، و عليه فإنّ حقيقة الإعجاز هي لبيان عجز من تحداهم القرآن و إثبات قصورهم على وجه التدقيق و التفصيل قال عبد الله دراز: " انظر كيف تدرج القرآن معهم من طلب المماثل إلى طلب شيء مما يماثل فكأنه يقول لهم لا أكلفكم بالمماثلة ، بل حسبكم أن تأتوا بشيء فيه جنس المماثلة ، وهذا أقصى ما يكون من التنازل ، ولذلك كان آخر صيغ التحدي نزولاً ، ولهذا لم يأت التحدي بلفظ من مثله إلا في الآيات المدنية ، بينما مراتب التحدي بالمثل نزلت

533 - البقرة 1 ، 2

534 - الإسراء 9

535 - ابن عاشور ، التحرير و التنوير، 1، 102

536 - انظر عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المدخل و التمهيد في علم القراءات و التجويد، ص 16.

537 - الإسراء، 88 ، و انظر الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج 1، ص 111.

في السور المكية "538، فاستلزم ذلك إظهار صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوى رسالته وهو المقصود الأول من الإعجاز، و من هذا المنطلق فإنّ لازم الإعجاز شمول مقصد الهداية الربانية، و إن شئت فإنّ مقصد الإعجاز أمر يسبق في التقرير مقصد الهداية، لأنّ الناس إذا دعوا إلى العمل بمنهج ما و الامتثال له فلا بدّ من قناعتهم بسلامة مصدر هذا المنهج و كماله حتى يتبعوه عن علم بيّن و ينقادوا له عن طمأنينة راضية، و لما تعلّق العمل بالقرآن على بيان إعجازه فإنّه " يجب على أهل دين الله كشفه، و أولى ما يلزم بحثه، ما كان لأصل دينهم قواماً، و لقاعدة توحيدهم عماداً و نظاماً، و على صدق نبينهم صلى الله عليه وسلم برهانا، و لمعجزته ثبوتا و حجّة، لا سيما و الجهل ممدود الرواق، شديد النفاق، مستول على الآفاق، و العلم إلى عفاء و دروس "539، بل قد يتأكد هذا الجهد و جوبا على الأعيان لمن قويت معارفه و علومه، و أدوات تدبّره و استنباطه "540 و قد كان يجوز من عمل الكتب النافعة في معاني القرآن، و تكلم في فوائده من أهل صنعة العربية و غيرهم من أهل صناعة الكلام أن يبسطوا القول في الإبانة عن وجه معجزاته و الدلالة على مكانه، فهو أحقّ بكثير مما صنفوا فيه من القول في الجزء، و دقيق الكلام في الأغراض، و كثير من بديع الإعراب، و غامض النحو، فالحاجة إلى هذا أمس و الاشتغال به أوجب."541

- البحث الإيجازي و مقاصد القرآن الكريم:542

يجب على الباحث و هو يدرس مسائل الإعجاز القرآني أن لا تغيب عنه حقيقة القرآن الكبرى، و هي هداية البشرية إلى الخير في المعاش و المعاد، و عليه فلا بدّ من التركيز عند البحث على العلاقة الوثيقة بين استنباط الوجه الإيجازي و مقصده القرآني، و قد دلّ الاستقراء أنّ مقاصد القرآن الكبرى لا تخرج عمّا يلي:

أ - تصحيح العقيدة.

ب - تكريم الإنسان و رعاية حقوقه.

538 - دراز عبد الله، النبأ العظيم، ص 84.

539 - إعجاز القرآن للباقلاني، ص 22، 23

540 - انظر إلى ما ذكره رشيد رضا في مقدمة كتاب إعجاز القرآن للرافعي، ص 20

541 - إعجاز القرآن للباقلاني، ص 22، 23

542 - انظر محمد رشيد رضا، الوحي الخمدي، مطبعة الزهراء للإعلام العربي، ص 105 - 235، و القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ط 4، 1425هـ، 2005م، دار الشروق، القاهرة، ص 73 - 125.

ت - توجيه الناس إلى صحة العبادة و كمالها.

ث - الدعوة إلى تزكية النفس البشرية.

ج - تكوين الأسرة الصالحة و إنصاف المرأة.

ح - بناء الأمة الشهيدة على البشرية.

خ - الدعوة إلى عالم إنساني متعاون.

- مقاصد التصديق القرآني.

للتحدّي القرآني مقاصد كثيرة أهمها:

أ - التحدي دليل صدق رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم قال ابن خلدون عن المعجزة: " وليس للنبي - صلى الله عليه وسلم - فيها عند سائر المتكلمين إلا التحدي بما يأذن الله، وهو أن يستدلّ بما النبي صلى الله عليه وسلم قبل وقوعها على صدقه في مدّعا، فإذا وقعت تزلت منزلة القول الصريح من الله بأنه صادق، وتكون دلالتها حينئذ على الصدق دلالة قطعية"⁵⁴³، و عليه فإذا كانت دون التحدي لم تزل منزلة التصديق.⁵⁴⁴

ب - تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم و أصحابه ذاك لأنّ التحدي مشعر بالرعاية الإلهية، و دافع للعزيزية و الصمود، و خاذل للأعداء.⁵⁴⁵

ت - إظهار عجز الأمة بإقامة الحجّة عليها مع دوام المعارضة و شدة الإنكار، و " إنّما احتيج إلى التحدي لإقامة الحجّة و إظهار وجه البرهان."⁵⁴⁶

ث - ملاحظة مشاهد الإعجاز عند الوقوف على عجز أهل البلاغة و رواد الفصاحة "وإنما احتيج في باب القرآن إلى التحدي لأن من الناس من لا يعرف كونه معجزا، فإنّما يعرف أولا إعجازه بطريق، لأنّ الكلام المعجز لا يتميّز من غيره بحروفه وصورته، وإنّما يحتاج إلى علم و طريق يتوصل به إلى معرفة كونه معجزا، فإنّ

⁵⁴³ - ابن خلدون، المقدمة، ص 93

⁵⁴⁴ - عبد الرحمن بن محمد أبو سعيد، الغنية في أصول الدين، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الخدمات والأبحاث، بيروت، ط 1،

1987، ص: 151 .

⁵⁴⁵ - انظر الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان، دار الكتب العلمية، بيروت ط 1، 1988، ج 1، ص 39

⁵⁴⁶ - الباقلائي، محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، ص 47

كان لا يعرف بعضهم إعجازه، فيجب أن يعرف هذا، حتى يمكنه أن يستدل به، ومتى رأى أهل ذلك اللسان قد عجزوا عنه بأجمعهم مع التحدي إليه والتقريع به والتمكين منه صار حينئذ بمنزلة من رأى اليد البيضاء وانقلاب العصى ثعباناً تتلقف ما يأفكون".⁵⁴⁷

548 - القول الموبخ في القدر المعجز من القرآن الكريم.

لقد اختلف العلماء في القدر المعجز من القرآن على مذاهب هي:

أ - قليل القرآن وكثيره معجز، و ذهب إلى هذا القول ابن حزم و نسبه إلى عموم أهل الملة⁵⁴⁹، و استدل بقوله سبحانه: " فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين"⁵⁵⁰ قال: " ولا يختلف اثنان في أن كل شيء من القرآن قرآن، فكل شيء من القرآن معجز."⁵⁵¹

ب - المعجز من القرآن سوره قصيرة كانت أو طويلة أو ما قام مقام ذلك من الحروف و الكلمات، و ذهب إلى هذا القول أبو الحسن الأشعري وأصحابه⁵⁵²، و استدلوا بقوله سبحانه: "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَدْعَيْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"⁵⁵³ وبقوله تعالى: " وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾"⁵⁵⁴

547 - الباقلائي، محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، ص 258

548 - انظر روائع البيان في إعجاز القرآن، محمد سالم محيسن، ص 16

549 - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 3، 13.

550 - الطور 34.

551 - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 3، 13.

552 - الباقلائي، إعجاز القرآن، ص 261.

553 - يونس 38.

554 - البقرة 23.

ت - المعجز من القرآن السورة بعينها فكل سورة معجزة بذاتها و ذهب إلى هذا القول بعض أهل العلم⁵⁵⁵ وهو قول المعتزلة.⁵⁵⁶

- تنقيح و ترجيح:

و الظاهر والله أعلم وجوب التفريق بين معجز مطلقا ، وبين معجز وقع به التحدي ، فأقل قدر من القرآن وقع به التحدي ودلت عليه مراحل في القرآن هو سورة ، و لا يفهم أن أقل من السورة لا يقع به الإعجاز قال ابن عطية: " كتاب الله لو نزعته منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد "⁵⁵⁷ ، كما لا يفهم حصول التلازم بين ما سبق و بين قدرة المتحدى على المعارضة ، فقد تواترت الآثار و "⁵⁵⁷ ، كما لا يفهم حصول التلازم بين ما سبق و بين قدرة المتحدى على المعارضة ، فقد تواترت الآثار و الأخبار على إعجاز القرآن الكريم ، و عليه فكل ما كان دون السورة معجز و إن لم يقع التحدي به ، فقد روى معمر بن المثنى أن أعرابيا سمع قارئاً يتلو قوله تعالى: " فاصدع بما تؤمر... "⁵⁵⁸ فسجد و قال: سجدت لفصاحة هذا الكلام "⁵⁵⁹ ، و ما كان سورة فأكثر فهو معجز وقع به التحدي ، والذي تطمئن له النفس ، و يركن إليه العقل أن الإعجاز في النص القرآني لا يتعلّق بقدر معين من القرآن ، بل في كل آياته وجميع سورته معجزة ، وقال القاضي أبو بكر بن العربي : " ذهب عامة أصحابنا ، إلى أن أقل ما يُعجز عنه من القرآن السورة قصيرة كانت أو طويلة ، أو ما كان بقدرها ، فإذا كانت الآية بقدر حروف سورة ، وإن كانت كسورة الكوثر فذلك معجز. "⁵⁶⁰

- مستويات التلافي القرآني

- قال تعالى: " وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ لَمِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦١﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزِقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۗ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٦٢﴾ " ⁵⁶¹

555 - انظر الإيجي ، المواقف ، 3 ، 379 .

556 - الباقلائي، إعجاز القرآن ، ص 261 .

557 - ابن عطية ، الخرر الوجيز ، 1 ، 52 .

558 - الحجر 94

559 - أعلام النبوة ص 102

560 - الزركشي ، البرهان ، 2 ، 116 .

561 - البقرة 23-24 .

- قال تعالى: " وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧٨﴾ "562

- قال تعالى: " أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧٩﴾ "563

- قال تعالى: " قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٠﴾ "564

- قال تعالى: " قُلْ فَاتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨١﴾ "565

- قال تعالى: " أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٢﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٨٣﴾ "566

- آيات التحدي بين تصاريحها و ترتيب نزولها.

اختلف العلماء في ترتيب آيات التحدي على مذهبين:

✽ - المذهب الأول: آيات التحدي واردة على ترتيب النزول.567

لقد ورد التحدي وفق ترتيب النزول القرآني، و لم يكن متدرجا على مراحل و ذهب إلى هذا جمهور العلماء و قالوا إن نزول سور آيات التحدي كان حسب الترتيب التالي: القصص، الإسراء، يونس، هود، الطور ، البقرة، فالسور الخمس الأولى مكية باتفاق ، و الأربعة الأولى منها متتالية خلا سورة الطور، أما سورة البقرة فمدنية باتفاق ، وذهب إلى هذا الترتيب بدر الدين الزركشي ، و الجلال السيوطي ، "لكن هذا الترتيب

562 - يونس 37 - 38 .

563 - هود 13 .

564 - الإسراء : 88 .

565 - القصص : 49 .

566 - الطور 33 ، 34 .

567 - انظر محمد رشيد رضا، تفسير المنار ط 4، 1373 هـ ، 1954م ، دار المنار، القاهرة ، 1 ، 193، و سيد قطب ، في ظلال القرآن،

4 ، 523، و عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي ، الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرقي، دار المعارف ، القاهرة ، ص 58.

ليس عليه دليل⁵⁶⁸ ، بل الظاهر أنّ سورة يونس سابقة والتحدّي فيها بسورة واحدة، وسورة هود لاحقة والتحدّي فيها بعشر سور"⁵⁶⁹ لكنّ السؤال الذي يطرح هل التحدي القرآني كان بنوعه أم بمقداره ؟ الشاهد أنّ القرآن حينما تحدّى المشركين لاحظ في ورود خطابه أحوال المخاطبين و ظروف القول فكان مرة يجدى بمثل القرآن، و أخرى بسورة أو بعشر سور دون ترتيب زمني، لأنّ المقصد هو التحدي في حدّ ذاته دون النظر إلى كله أو بعضه أو سورة منه فالكل على السواء، و عليه فالتحدي كان بنوع القرآن الكريم لا بمقداره المحدّد، وعجز المخاطبين " كان عن النوع لا عن المقدار، وعندئذ يستوي الكل والبعض والسورة ولا يلزم ترتيب، إنما هو مقتضى الحالة التي يكون عليها المخاطبون."⁵⁷⁰

✽ - المذهب الثاني: آيات التحدي واردة على التدرّج و المرحلية.

لقد ورد التحديّ مرحليا متدرّجا، وهو قول جمهور العلماء، وهذا هو الراجح، وهو ما يقتضيه العقل الصريح ولا يناقضه النقل الصحيح لضعف الروايات الواردة في ترتيب سور القرآن، لكنّ أصحاب هذا القول اختلفوا في عدد مراحل ترتيب تدرّج التحدي بين الشتين و الثلاث و الأربع⁵⁷¹ ، و رجّح جمهورهم عدد الثلاث.⁵⁷²

- إشكال في ترتيب التحديّ وفق الترتيب الراجح للزول.

568 - دليل الترتيب الأول الرواية الأولى التي أخرجها ابن الضريس في فضائل القرآن، تحقيق غزوة بدير، ط1، 1408هـ، 1987م، دار الفكر، دمشق، ص33، و السيوطي في الإتقان 1، 26، بإسناد فيه متروك وضعيفان، عمر بن هارون بن يزيد البلخي، قال عنه ابن حجر في التقريب: "متروك" تقريب التهذيب، ط1، 1416هـ، 1996م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص355، و عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني قال عنه ابن حجر: "ضعيف" وقال عن والده: "صدوق يهم كثيرا ويرسل ويدلس" تقريب التهذيب، ص326 أخرج الأثر عنهما البيهقي في دلائل النبوة، تحقيق عبد المعطي قلنجي، ط1، 1408هـ، 1988م، دار الريان للتراث، القاهرة، 7، 142. و الرواية الثانية في إسنادهما علي بن الحسين بن واقد المخزومي قال ابن حجر فيه في التقريب: "صدوق يهم" ص339، وقال الذهبي: "حسن الحديث و قال النسائي: ليس به بأس، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث" انظر الذهبي سير أعلام النبلاء، 10، 211

569 - سيد قطب، في ظلال القرآن، 4، 523.

570 - سيد قطب، في ظلال القرآن، 4، 523.

571 - انظر النسفي عبد الله بن أحمد بن محمود، تفسير النسفي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2، 182، و فضل و سناء فضل عباس، إعجاز القرآن، ط7، 2009، دار النفائس، عمان، الأردن، ص32.

572 - انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ط1، 1412هـ، دار العاصمة، الرياض، 1، 86، و القرطبي، الجامع، 1، 77، و الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 2، 118.

و حقيقة الإشكال أنّ سورة هود المتحدّي فيها بعشر سور متأخرة النزول في قول الجمهور عن سورة يونس المتحدّي فيها بسورة واحدة ، و عليه فهل تحدّاهم القرآن بسورة واحدة ثمّ تحدّاهم بعشر سور؟
اختلف العلماء في توجيه الإشكال على قولين .

❦ - القول الأول: أنّ سورة هود تقدّمت سورة يونس، وأنّ مرتبة التحدّي بعشر سور سابقة لمرتبة التحدّي بسورة واحدة، و ذهب إلى هذا التوجيه أبو حيان الأندلسي⁵⁷³، والفخر الرازي⁵⁷⁴، ثمّ علّق على الإشكال فقال: " اعلم أنّ التحدّي بعشر سور لا بدّ وأن يكون سابقا على التحدّي بسورة واحدة ، وهو مثل أن يقول الرجل لغيره: اكتب عشرة أسطر مثل ما أكتب، فإذا ظهر عجزه عنه، قال: قد اقتصرت منها على سطر واحد مثله ، إذا عرفت هذا فنقول: التحدّي بالسورة الواحدة ورد في سورة البقرة، وفي يونس..، أمّا تقدّم هذه السورة على سورة البقرة فظاهر، لأنّ هذه السورة مكية وسورة البقرة مدنية، وأمّا في سورة يونس فالإشكال زائل أيضا لأنّ كل واحدة من هاتين السورتين مكية، والدليل الذي ذكرناه يقتضي أن تكون سورة هود متقدّمة في النزول عن سورة يونس حتى يستقيم الكلام الذي ذكرناه " ⁵⁷⁵، و أظهر الألوسي قول الرازي و رجّحه فقال: " التحدّي - في سورة هود - وقع أولا، فلمّا عجزوا تحدّاهم كما نطقت به سورة البقرة و سورة يونس، وهو وإن تأخّر تلاوة متقدّم نزولا وآته لا يجوز العكس إذ لا معنى للتحدّي بعشر لمن عجز عن التحدّي بواحدة." ⁵⁷⁶

❦ - القول الثاني: أنّ سورة يونس تقدّمت سورة هود ، وأجابوا عن الإشكال بإجابات متعدّدة منها أنّ التحدّي بعشر سور جاء بعد التحدّي بسورة واحدة غير أنّ بينهما اختلاف ، فالتحدّي في سورة يونس كان في كمال المماثلة بالنظم و التركيب و في كمال المشابهة في الأخبار و الأحكام ، أمّا في سورة هود كان في كمال المماثلة في النظم دون غيره ، و نصر القول الثعالبي فقال: " الفرق بين التكلّيفين في كمال المماثلة مرّة كما هو في سورة يونس، ووقوعها على النظم مرّة كما هو هنا." ⁵⁷⁷

⁵⁷³ - أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ط1398.2هـ، 1978 ، دار الفكر، 200.5 .

⁵⁷⁴ - الرازي، التفسير الكبير، 17، 195.

⁵⁷⁵ - الرازي، التفسير الكبير ، 17، 195.

⁵⁷⁶ - الألوسي، روح المعاني، 12، 20 .

⁵⁷⁷ - الثعالبي عبد الرحمن ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2، 99 .

﴿ - القول الثالث: ذهب أصحاب هذا القول إلى أن قوله تعالى في سورة هود: " فأتوا بعشر سور مثله.." معناه: مثل البقرة إلى هود، وهي العاشرة، وهو قول الكرمانى⁵⁷⁸، وعزاه صاحب البحر لابن عباس رضى الله عنهما⁵⁷⁹.

﴿ - القول الرابع: ذهب أصحاب هذا القول إلى أن المراد من قوله تعالى: " فأتوا بعشر سور مثله " يراد منه السور العشر السابقة التي جمعت القصص القرآني، و ذهب إلى هذا محمد رشيد رضا قال سيد قطب: " ولقد حاول السيد رشيد رضا في تفسير المنار أن يجد لهذا العدد "عشر سور" علّة، فأجهد نفسه طويلاً - رحمه الله - ليقول: إن المقصود بالتحدي هنا هو القصص القرآني، وأنه بالاستقراء يظهر أن السور التي كان قد نزل بها قصص مطول إلى وقت نزول سورة هود كانت عشرًا، فتحدهم بعشر... إن تحديهم بسورة واحدة يعجزهم أكثر من تحديهم بعشر، نظرا لتفرق القصص وتعدد أساليبه، واحتاج التحدي إلى عشر سور كالتي ورد فيها ليتمكّن من المحاكاة إن كان سيحاكي..، و نحسب - والله أعلم - أن المسألة أيسر من كل هذا التعقيد."⁵⁸⁰

- مستويات المتكلمين في إعجاز الإعجاز.

الخلق أصناف متفاوتون في إدراك الإعجاز ، و مرجع التفاوت فيهم تفاوت استعدادهم في طلب العلوم، و تباين تحصيلهم في المعارف، و اختلاف لسانهم ، فلكلّ " عمل رجال ، ولكل صنعة ناس، وفي كل فرقة الجاهل والعالم و المتوسط " ⁵⁸¹، و من هذا المنطلق فإنّ مدركي الإعجاز مستويات هي:

- الإجماع الجليل باللسان العربي.

فهذا الصنف لا يلج الفهم عقله، و لا يمسّ التدبّر لبّه ، فلا يدرك جلاله الإعجاز، و لا يذوق حلاوة الإيجاز، و عليه فلا " يتهيأ لمن كان لسانه غير العربية، من العجم والترك وغيرهم، أن يعرفوا إعجاز القرآن، إلا أن يعلموا أنّ العرب قد عجزوا عن ذلك، فإذا عرفوا هذا بأن علموا أنّهم قد تحدّوا على أن يأتوا بمثله،

⁵⁷⁸ - الكرمانى، محمود بن حمزة ، أسرار التكرار في القرآن، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الاعتصام، 1، 23، 102.

⁵⁷⁹ - انظر أبو حيان ، البحر المحيط ، 5، 208، والألوسي، روح المعاني، 12، 20.

⁵⁸⁰ - سيد قطب، في ظلال القرآن 4 ، 523 و انظر محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 12، 32-45 .

⁵⁸¹ - الباقلائي أبو بكر محمد بن الطيب ، إعجاز القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة، ص 191

وقرعوا على ترك الإتيان بمثله، ولم يأتوا به، تبيينوا أنهم عاجزون عنه، وإذا عجز أهل اللسان فهم عنه أعجز." 582

- العربى الجمال بفنون البلاغة العربية.

و حكم هذا الصنف حكم الأعجمي لخلو المحلّ من العلم و الفهم ، و لانعدام أداة إدراك الإعجاز عنده يقول الباقلاني: "... من كان من أهل اللسان العربي إلا أنّه ليس يبلغ في الفصاحة الحدّ الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام ، ووجوه تصرف اللغة، وما يعدونه فصيحاً بليغاً بارعاً من غيره ، فهو كالأعجمي في أنّه لا يمكنه أن يعرف إعجاز القرآن إلا بمثل ما بينا أن يعرف به الفارسي الذي بدأنا بذكره ، وهو ومن ليس من أهل اللسان سواء." 583

- العربى المتوسط فى العلم بفنون البلاغة العربية.

وحظّ هذا الصنف من البلاغة التزر القليل الذي لا يشفى عيلاً ، و لا يروي غليلاً ذاك لضعف بضاعته في العلم و الفهم، و قصوره عن الإحاطة بأدوات إدراك الإعجاز قال الباقلاني: "وإن كنت في الصنعة مرمداً ، وفي المعرفة بها متوسطاً ، فلا بدّ لك من التقليد، ولا غنى بك عن التسليم، إنّ الناقص في هذه الصنعة كالخارج عنها ، والشادي فيها كالباثن منها" 584 ، و قال كذلك: "إذا كنت في صنعة الأدب متوسطاً ، و في علم العربية متيناً ، أن تنظر أولاً في نظم القرآن، ثمّ في شيء من كلام النبي صلى الله عليه وسلم فتعرف الفصل بين النظمين، والفرق بين الكلامين ، فإن تبين لك الفصل، و وقعت على جلية الأمر، و حقيقة الفرق ، فقد أدركت الغرض، وصادفت المقصد، وإن لم تفهم الفرق ولم تقع على الفصل، فلا بدّ لك من التقليد، و علمت أنّك من جملة العامة، وإن سبيلك سبيل من هو خارج عن أهل اللسان." 585

- العربى الجامع لفنون البلاغة العربية.

582 - الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص 171

583 - المصدر نفسه ، ص 171

584 - المصدر نفسه ، ص 191

585 - المصدر نفسه ، ص 195

فهذا الصنف قد أوتي بديهة أحاطت العلوم، و قريحة أتقنت الفنون ، و دربة أحسنت إنزال مقامات الكلام أبلغ المنازل فأضحت ملكة باهرة تدبّرت معاني القرآن أكمل التدبّر و تذوّقت حلاوته، و وقفت عند كمال جلاله و كمال جماله، قال الباقلاني معلقاً على هذا الصنف: "تناهى في معرفة اللسان العربي ، ووقف على طرقها ومذاهبها، فهو يعرف القدر الذي ينتهي إليه وسع المتكلم من الفصاحة، ويعرف ما يخرج عن الوسع، ويتجاوز حدود القدرة ، فليس يخفى عليه إعجاز القرآن، كما يميّز بين جنس الخطب والرسائل والشعر وكما يميّز بين الشعر الجيد والرديء والفصيح والبديع النادر والبارع والغريب."⁵⁸⁶

- القرآن الكريم بين الإجازة و الصرفة.

- الصرفة في اللغة و الاصطلاح.

- الصرفة في اللغة:

يرجع معنى لفظ صرف عند أهل اللغة إلى الرجوع والتحوّل والتقلّب، والمنع من جهة إلى جهة أخرى، و تفصيل ذلك كما يلي:

✽ - مقاييس اللغة:

قال ابن فارس: " صرف " معظم بابه يدلّ على رجوع الشيء، من ذلك صرفتُ القوم صرفاً وانصرفوا، إذا رجعتهم فرجعوا ، والصرف في القرآن: التوبة؛ لأنّه يُرجع به عن رتبة المذنبين، قال الخليل: الصرّف فضّل الدرهم على الدرهم في القيمة، ومعنى الصرّف عندنا: أنّه شيء صُرف إلى شيء، كأنّ الدّينار صُرف إلى الدّراهم، أي رُجع إليها، إذا أخذت بدله ،ومنه اشتقّ اسم الصّيرفي لتصرفه أحدهما إلى الآخر، وصرّف الكلام تزيينه والزيادة فيه، وإثما سُمّي بذلك ؛ لأنّه إذا زُين صرّف الأسماع إلى استماعه."⁵⁸⁷

✽ القاموس المحيط:

586 - الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص 171

587 - معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، مادة " صرف " ط 1 ، 1411هـ، 1991م ، 3 ، 342

قال الفيروز آبادي: "الصَرْفَةُ: منزلة للقمر نجمٌ واحدٌ نيرٌ يتلوا الزُّبْرَةُ، سُمِّيَ بذلك: لانصراف البرد عند طلوعها ، وصَرْفَ الحديث: أن يُزاد فيه ويُحَسَّن ، من الصَّرْفِ في الدراهم وهو فَضْلٌ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقِيَمَةِ ، وَكَذَلِكَ صَرْفُ الْكَلَامِ." 588

✽ اللسان:

قال ابن منظور: "الصَّرْفُ: رُدُّ الشَّيْءِ عِنْدَ وَجْهِهِ ، صَرْفَهُ يَصْرِفُهُ صَرْفًا فَانصَرَفَ ، وَصَارَفَ نَفْسَهُ عَنِ الشَّيْءِ: صَرْفَهَا عَنْهُ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: "ثُمَّ انصَرَفُوا" أَي: رَجَعُوا عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي اسْتَمَعُوا فِيهِ، وَقِيلَ: انصَرَفُوا عَنِ الْعَمَلِ بِشَيْءٍ مِمَّا سَمِعُوا "صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ": أَي أَضَلَّهُمُ اللَّهُ مُجَازَاةً عَلَيَّ فَعَلَهُمْ ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: "سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي" أَي: أَجْعَلُ جِزَاءَهُمُ الْإِضْلَالَ عَنِ هِدَايَةِ آيَاتِي ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا" أَي: مَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَصْرِفُوا عَنْ أَنْفُسِهِمُ الْعَذَابَ، وَلَا أَنْ يَنْصُرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَالصَّرْفُ: التَّقَلُّبُ وَالْحِيلَةُ، وَمِنْهُ: التَّصَرُّفُ فِي الْأُمُورِ ، وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ: أَي بَيَّنَّاها ، وَتَصْرِيفُ الْآيَاتِ: تَبْيِينُها، وَالصَّرْفُ: أَنْ يَصْرِفَ إِنْسَانًا عَنْ وَجْهِ يُرِيدُهُ إِلَى مَصْرِفٍ غَيْرِ ذَلِكَ ، وَصَرَّفَ الشَّيْءَ: أَعْمَلَهُ فِي غَيْرِ وَجْهِ ، كَأَنَّهُ يَصْرِفُهُ عَنْ وَجْهِ إِلَى وَجْهِ ، وَتَصَرَّفَ هُوَ، وَتَصْرِيفُ الرِّيَاحِ : صَرْفُها مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ." 589

✽ المفردات في غريب القرآن:

قال الراغب الأصفهاني: "الصَّرْفُ: رُدُّ الشَّيْءِ مِنْ حَالَةٍ إِلَى حَالَةٍ أَوْ إِبْدَالُهُ بِغَيْرِهِ ، يُقَالُ: صَرَفْتُهُ فَانصَرَفَ ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: "وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجَنِّ" مَعْنَاهُ أَي: أَقْبَلْنَا بِهِمْ إِلَيْكَ وَإِلَى الْاسْتِمَاعِ مِنْكَ ، وَالتَّصْرِيفُ: كَالصَّرْفِ إِلَّا فِي التَّكْثِيرِ ، وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ فِي صَرْفِ الشَّيْءِ مِنْ حَالَةٍ إِلَى حَالَةٍ ، وَمِنْ أَمْرٍ إِلَى أَمْرٍ، وَتَصْرِيفُ الرِّيَاحِ هُوَ صَرْفُها مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ قَالَ تَعَالَى: "وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ"، وَمِنْهُ تَصْرِيفُ الْكَلَامِ وَتَصْرِيفُ الدَّرَاهِمِ وَتَصْرِيفُ النَّابِ، يُقَالُ: لَنَا بِهِ صَرِيفٌ، وَقِيلَ لِكُلِّ خَالِصٍ عَنْ غَيْرِهِ صَرِيفٌ كَأَنَّهُ صُرِفَ عَنْهُ مَا يَشُوبُهُ." 590

✽ معجم أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

588- القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ، ط 1399هـ ، 1979 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 3 ، 156

589 - ابن منظور ، لسان العرب ، مادة " صرف " ، 4 ، 2434 .

590 - الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص 279

الصريف: السعف اليابس، والصرف: رد الشيء من حال إلى حال، ومن الردّ تجيء استعمالات كثيرة: كصرف النقود أي تغييرها، والصرف بمعنى إخلاء السبيل، وصرف القلوب: تحويلها عن الهداية، والمصرف: المعدل، والتصريف: كالصرف مع التكثر، فتصريف الأمور، والرياح، والسحاب: تحويلها من جهة إلى جهة ومن حال إلى حال، والانصراف مطاوع الصرف. 591

و بعد استعراض لفظ الصرفة من خلال المعاجم نخلص إلى المعاني التالية:

❦ - رد الشيء من حالة إلى حالة، أو إبداله بغيره 592 قال تعالى: " فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا

تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِم مِّنكُمْ نُدِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿٥٩٣﴾ لا يقدر أن يصرفوا أنفسهم عن

النار، و قيل: أن يصرفوا الأمر من حالة إلى حالة في التغيير. 594.

❦ - الميل و التقلب، والحيلة، والتوبة، وبيع الذهب بالفضة. 595.

❦ - كوكب نير، سمي بذلك لانصراف الحرّ عند طلوعه مع الفجر من المشرق وذلك أول الخريف،

وانصراف البرد إذا غرب مع الشمس وذلك أول الربيع. 596.

❦ - الصرفة ناب الدهر لانصراف البرد وإقبال الحر، و فتوره بين الفترتين 597 و قديما قالت العرب: " إذا

طلعت الصرفة بكرت الحُرْفَة وكثرت الطرفة، وهانت للضيف الكلفة. " 598

❦ - خرزة من الخرز التي تذكر في الأخذ يستعطف بها الرجال يصرفون بها عن مذاهبهم ووجوهه 599 قال

تعالى: "وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ^ط حَتَّىٰ ^٢ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ

591 - معجم ألفاظ القرآن الكريم، ط 2 ، 1970 ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، 2 ، 70

592 - انظر السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق علي محمد الجاوي، دار الفكر العربي، 1-3

593 - الفرقان ، 19

594 - الأصفهاني، المفردات، مادة صرف، ص 279

595 - ابن منظور، لسان العرب، مادة صرف ، 9- 190

596 - القلقشندي أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، تحقيق يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق ، ط 1، 1987، 2-

177

597 - ابن منظور، لسان العرب، مادة صرف 9 - 189 ، و ابن قتيبة ، أدب الكاتب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط 4،

1963 ، المكتبة التجارية ، القاهرة، ص 75 ، و القلقشندي، صبح الأعشى، 2- 177

598 - السيوطي، المزهري في علوم اللغة ، تحقيق فؤاد علي منصور، ط 1، 1998، دار الكتب العلمية، بيروت، 2، 446

599 - ابن منظور، لسان العرب، " مادة صرف " ، 9 ، 189

مَا تُحِبُّونَ^٤ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ^٥ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ^٦ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ^٧ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٠٠﴾^٨ و قوله عز و جل : " وَلَيْنَ آخِرْنَا عَذَابُهُمُ الْعَذَابُ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لِيَقُولُوا مَا نَحْبِسُهُ^٩ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٠١﴾^{١٠} و قوله سبحانه : " وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا^{١١} صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٠٢﴾^{١٢} ، فقد يكون دعاء بالهلاك أو إخبارا به تلميحا و إشارة .

- الصرفة في الإصطلاح :

و قصد أصحاب الصرفة أن الله صرف همم العرب عن معارضة القرآن ، وكانت في مقدورهم، لكن عاقبهم عنها أمر خارجي، فصار معجزة كسائر المعجزات، ولو لم يصرفهم عن ذلك لجاءوا بمثله. 603

- مصادر القول ببطلان الصرفة .

يرجع القول ببطلان الصرفة إلى حركة الترجمة الواسعة في بدايات الدولة العباسية ، و التي شملت عقائد و فلسفات الحضارات الشرقية القديمة حيث كان " معظم المشتغلين بالعلم والفلسفة نصارى ، و صابئة، و كان من الطبيعي أن يعنى بالفلسفة أولئك الذين كانوا من المشتغلين بها قبل دخولهم في الإسلام، و كان أغلبهم من السريان، و الصابئة، و لقد كتب كثير من اليهود، و النصارى ، و الصابئة ، مؤلفات باللسان العربي بعد انتشار الإسلام، و استقرار قواعد الدولة الإسلامية " 604 ، و كان من عوار جديد الترجمات أن بهر ضعاف القلوب فتلقفوا منه سقيم أفكاره و ضعيف آثاره ، و ركنا إلى غريب أخباره، فأسروا بأغلاله، فكان من آصاره ضلالة الفيدا 605 عند البراهمة في كتابهم المقدس الذي يقوم على عقيدة أن البشر يعجزون عن أن يأتوا بمثله لأن صنم الهندوس "براهما" صرفهم عن أن يأتوا بمثله الفيدا قال البيروني: " إن خاصتهم يقولون إن في

600 - آل عمران ، 152

601 - هود ، 8

602 - التوبة ، 127

603 - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2 ص 93 ، و السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2 ص 118.

604 - أحمد فؤاد الأهواني، الكندي فيلسوف العرب، سلسلة أعلام العرب، عدد 26 .

605 - محمد غلاب، مشكلة الألوهية ، ص97.

مقدورهم أن يأتوا بأمثالها، ولكنهم ممنوعون عن ذلك احتراماً لها "606 ، فأخذ أهل الضلال عقيدة الفيدا فقالوا: إنَّ العرب إذ عجزوا عن أن يأتوا بمثل القرآن، ما كان عجزهم لأمر ذاتي من مباني نظمه البليغ، و لا من معاني إعجازه العظيم، بل لأنَّ الله تعالى صرفهم عن أن يأتوا بمثله."607

- الصرفة و الإعجاز القرآني.

لقد اختلف العلماء في نسبة الإعجاز إلى الصرفة على مذاهب منها:

1 - صنائب القائلين بالصرفة.

اختلف القائلون بالصرفة في بيان حقيقتها اختلافاً تباينت أقوالهم حتى تعارضت فكانت ثلاثة هي:

❖ - القول الأول: أنَّ الله تعالى صرف دواعيهم وهمهم عن القيام بالمعارضة، فكلمة همّوا بها، وجدوا في أنفسهم صارفاً عن المعارضة، لا لعدم قدرتهم عليها، بل لأنَّ المقتضي فيهم كان تاماً، غير أنَّ الدواعي والهمم صارت مصروفة عن الالتفات لهذا الأمر، ولولا ذلك لأتوا بمثله، و قال بهذا المذهب كل من:

أ - أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار بن هانيء النظام.608

قال أبو الحسن الأشعري: " وقال النظام: الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أنَّ الله منعهم بمنعٍ وعجز أحدثهما فيهم "609، و هذا من المسائل التي انفرد بها عن غيره من المعتزلة 610، و عدَّ عبد القاهر بن طاهر البغدادي قول النظام من الفضائح.611

ب - أبو عثمان عمرو بن بحر الليثي الجاحظ:

لقد تباينت أقوال الجاحظ حول إعجاز القرآن فوردت على وجهين:

606 - نقلا عن عرفة بسيوي، فكرة النظم في تطورها وأهدافها، ص 35 نقلا عن كتاب ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، للبيروني

607 - أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، ص 69

608 - انظر ترجمته من الأعلام للزركلي 1، 43 ، والفرق بين الفرق، البغدادي ص 113 ، وتاريخ بغداد 6 ، 97 .

609 - انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، ط 1 ، 1392 هـ - 1972، الهيئة المصرية العامة، 1 ، 296

610 - انظر الملل والنحل للشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، ط 1396 هـ - 1976، مصطفى الحلبي، 1 ، 56

611 - انظر الفرق بين الفرق، البغدادي، تحقيق محي الدين إبراهيم، عيسى الحلبي ، ص 143

612. الوجه الأول: إعجاز القرآن الكريم في نظمه البديع ، وتركيبه البليغ.

613. الوجه الثاني: إعجاز القرآن الكريم في صرف الله تعالى نفوس العرب عن المعارضة قال الرافعي: "أما

الجاحظ فإنّ رأيه في الإعجاز كرأي أهل العربية... غير أنّ الرجل كثير الاضطراب ، فإنّ هؤلاء المتكلمين

كأثما كانوا من عصرهم في مُنْخَل، ولذلك لم يَسَلْم هو أيضا من القول بالصرفة، وإن كان قد أخفاها و أوما

إليها عن عرض ، فقد سرد في موضع من كتاب " الحيوان " طائفة من أنواع العجز ، وردّها في العلة إلى أنّ

الله صرف أوهام الناس عنها ورفع ذلك القصد من صدورهم ، ثمّ عدّ منها،" ما رَفَع من أوهام العرب وصرف

نفوسهم عن المعارضة لقرآنه بعد أن تحدّاهم الرسول بنظمه." 614

ت - أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني.

و حصر إعجاز القرآن في وجهين: 615

612. الوجه الأول: إعجاز القرآن الكريم في نظمه البديع.

613. الوجه الثاني: إعجاز القرآن الكريم في صرف نفوس الناس عن المعارضة.

ث - أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي. 616

قال الخطابي: " وذهب قوم إلى أنّ العلة في إعجازه الصرفة، أي صرف الهمم عن المعارضة ، وإن كان

مقدورا عليها " ، ثمّ مثل لفكرته في الصرفة فقال: " ولو كان الله عزّ وجلّ بعث نبيّا في زمان النبوات ، وجعل

معجزته في تحريك يده ، أو مدّ رجله في وقت قعوده بين ظهراي قومه ، ثمّ قيل له: ما آيتك ؟ فقال: آيتي أن

أحرّك يدي، أو أمدّ رجلي، ولا يمكن أحدا منكم أن يفعل مثل فعلي، والقوم أصحّاء الأبدان لا آفة بشيء

من جوارحهم، فحرّك يده أو مدّ رجله ، فراموا أن يفعلوا مثل فعله فلم يقدروا عليه ، كان ذلك آية دالة

على صدقه ، وليس يُنظر في المعجزة إلى عظم حجم ما يأتي به النبيّ ، ولا إلى فخامة منظره، وإنّما تعتبر

612 - انظر الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ط 2، 1385هـ - 1966م، مكتبة مصطفى الحلبي، 4، 90

613 - انظر الحيوان، الجاحظ ، 4 ، 86

614 - انظر إعجاز القرآن، الرافعي، ص 146 ، والنبا العظيم، محمد عبد الله دراز، ط 4، 1977م، دار القلم، الكويت، ص 62

615 - انظر الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ، 4 ، 12 .

616 - انظر معجم الأدباء، ياقوت الحموي ، 3، 205 ، وطبقات الشافعية، السبكي ، 1، 150، و وفيات الأعيان، ابن خلكان ، 2، 97

صحتها بأن تكون أمراً خارجاً عن مجاري العادات، ناقضاً لها، فمهما كانت بهذا الوصف كانت آية دالة على صدق من جاء بها " 617

ج - أبو الحسن علي بن عيسى الرُّمَّانِيُّ المعتزلي. 618

حصر وجوه الإعجاز القرآني في سبعة منها الصرفة فقال: " أما الصَّرْفَةُ فهي صرف الهمم عن المعارضة، وعلى ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم في أن القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة، وذلك خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة. " 619

ح - ابن حزم الأندلسي.

و حصر إعجاز القرآن الكريم في وجهين:

❧ الوجه الأول: نظمه البليغ.

❧ الوجه الثاني: إخباره بالغيب، ثم تساءل فأجاب فقال: " فإن قالوا: هل القرآن موصوف بأنه في أعلى درج البلاغة أم لا ؟ قلنا وبالله التوفيق: إن كنتم تريدون أن الله قد بلغ به ما أراد فنعم، هو في هذا المعنى في الغاية التي لا شيء أبلغ منها، وإن كنتم تريدون هل هو في أعلى درج البلاغة في كلام المخلوقين ؟ فلا؛ لأنه ليس من نوع كلام المخلوقين ، لا من أعلاه ، ولا من أدناه ، ولا من أوسطه ، وبرهان هذا أن إنسانا لو أدخل في رسالة ، أو خطبة ، أو تأليف ، أو موعظة ، حروف الهجاء المقطعة لكان خارجاً عن البلاغة المعهودة جملة بلا شك ، فصح أنه ليس من نوع بلاغة الناس أصلاً ، وأن الله تعالى منع الخلق عن مثله ، وكساه الإعجاز وسلبه جميع كلام الخلق " 620 ، ثم حكم على مخالفه فقال: " وهذا هو الحق الذي ما خالفه فهو ضلال. " 621

خ - أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراييني.

617 - انظر بيان إعجاز القرآن، للخطابي ، ص 20 .

618 - انظر معجم الأدباء، ياقوت الحموي 5 ، 280 ، وشذرات الذهب، ابن العماد 3 ، 109 ، وتاريخ بغداد، الخطيب البغدادي ،

11 ، 16 ، وطبقات النحويين، الزبيدي ، 55 ، و بغية الوعاة ، السيوطي ، 344

619 - انظر النكت في إعجاز القرآن ، ص 101

620 - انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ، 3 ، 18 ، 19 .

621 - المصدر نفسه ، 3 ، 16

قال صاحب شرح المواقف: "وقيل: إعجازه بالصرفة على معنى أن العرب كانت قادرة على كلام مثل القرآن قبل البعثة لكن الله صرفهم عن معارضته، و اختلف في كيفية الصرف، فقال أبو إسحاق منّا، والنظام من المعتزلة، صرفهم الله عنها مع قدرتهم عليها، وذلك بأن صرف دواعيهم إليها مع كونهم مجبولين عليها خصوصا عند توفر الأسباب الداعية في حقهم كالتفريع بالعجز ، و الاستئزال عن الرياضات ، والتكليف بالانقياد ، فهذا الصرف خارق للعادة ، فيكون معجزا". 622

✽ - القول الثاني: أن الله جلّ و علا سلبهم العلوم الموصلة إلى حقيقة المعارضة، و لولا هذا السلب لأتوا بمثل القرآن، و قال بهذا المذهب كل من:

أ - علي بن الحسين المعروف بالشريف المرتضى.

و فسّر مذهبه في الصرفة فقال: "إن الله عز وجل صرفهم بأن سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة ، فهذا الصرف خارق للعادة فصار كسائر المعجزات". 623

ب - ابن سنان الخفاجي.

تردّد مذهبه بين وجهين من الصرفة:

☞ الوجه الأول: صرف العرب عن المعارضة ، وأنها كانت في مقدورهم لولا الصرف، فقال: "إنّ الصحيح أن وجه الإعجاز في القرآن هو صرف العرب عن معارضته، وأن فصاحته قد كانت في مقدورهم لولا الصرف... وهذا هو المذهب الذي يعوّل عليه أهل هذه الصناعة وأرباب هذا العلم". 624

☞ الوجه الثاني: سلب العلوم التي تمكّنهم من المعارضة ، و لقد علّق على تقسيم الرماني للكلام، فقال: "وأما قول الرماني إنّ القرآن من المتلائم في الطبقة العليا، وغيره في الطبقة الوسطى، وهو يعني بذلك جميع كلام العرب، فليس الأمر علي ذلك، ثمّ يقول: ولا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام المختار في هذه القضية، ومتى رجع الإنسان إلى نفسه وكان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار وجد في كلام العرب ما يضاوي القرآن في تأليفه، ولعلّ أبا الحسن - الرماني - يتخيّل أن الإعجاز في القرآن لا يتمّ إلاّ بمثل هذه الدعوى الفاسدة... وإذا عدنا إلى التحقيق وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته بأن سلبوا العلوم

622 - القاضي عضد الدين الإيجي، شرح المواقف ، ج8 ص 246 .

623 - انظر الملل والنحل ، 1 ، 143 .

624 - انظر سر الفصاحة ، الخفاجي ، ص 109 ، 265 .

التي بها كانوا يتمكّنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك، وإذا كان الأمر علي هذا فنحن بمعزل عن ادّعاء ما ذهب إليه." 625

✽ - القول الثالث: أنّهم كانوا قادرين على المعارضة، ومجهّزين بالعلوم اللازمة لها، ولكن الله منعهم بالإلجاء على جهة القسر من المعارضة، مع كونهم قادرين، فتقهقروا عند المعارضة لغلبة القوة الإلهية، 626 و قال بهذا المذهب:

أ - يحيى بن حمزة العلوي.

و لقد قسم العلوي الصّرفة إلى أنواع ثلاثة: 627

أ - سلب دواعي إلى المعارضة .

ب - سلب العلوم المساعدة على المعارضة.

ت - سلب المعارضة بالجبر والقسر، ثمّ جعل حاصل الأمر أنّ العرب قادرون على معارضة القرآن إلا أنّ الله تعالى منعهم قسرا.

2 - مطالب الممارضين للصّرفة.

القرآن الكريم أعظم المعجزات هو الحجة الماضية، و الآية الباقية مدى الدهر ذاك لأته " نور الله في أفق الدنيا حتى تزول، ومُضِيّ الخلود في دولة الأرض إلى أن تدول، وكذلك تمادى العرب في طغيانهم يعمهون وظلّت آياته تلقف ما يَأْفِكُون، فوق الحقّ وبطل ما كانوا يعملون " 628، و يكفي فساد فرية الصّرفة شهادة ناقد من بيئة أهلها قال الزمخشري: " ودع عنك حديث الصّرفة، فما الصّرفة إلا صفرة⁶²⁹ من النظام وطفرة منه في الإسلام، ولقد ردّت على النظام صفرته، كما ردّت عليه طفرته، ولو صحّ ما قاله لوجب في حكمة الله البالغة، وحبته الدامغة، أن يتزله على أرك نمط و أنزله، وأفسل أسلوب وأسفله، وأعراه من حلل البلاغة وحليها، وأخلاه من بهيّ جواهر العقول وثرّيها، ثمّ يقال لولاة أعلى الكلام طبقة وأمتنه، ولأرباب آنقه طريقة

625 المصدر نفسه ، ص 109 ، 265 .

626 - العلوي، الطراز ، ج3 ص291. وانظر العماري، حول إعجاز القرآن، سلسلة الثقافة الإسلامية، عدد 44 ، و الخالدي، البيان في إعجاز القرآن ، ص 82، 83.

627 - انظر الطراز ، يحيى بن حمزة العلوي اليميني، ط 1980 م، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3 ص392

628 - انظر إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي، دار الفكر العربي ، بيروت ، ص 31

⁶²⁹ - الصفرة لمن يعتره الجنون لأنهم كانوا يمسخونه بشيء من الزعفران. الجوهري، الصحاح ، 2 ، 714

وأحسنه هاتوا بما ينحو نحوه، و هلموا بما يجدوه، فيعرضهم الحجز، ويتبين فيهم العجز، فيقال قد استصرفهم الله عن أهون ما كانوا فيه ماهرين، وأيسر ما كانوا عليه قادرين، ألم ترهم كيف كانوا يعنقون⁶³⁰ في المضمار فوقوا، وينهبون الحلبة بخطاهم فقطفوا⁶³¹، ولا يقال الله قادر على أن يأتي بما هو أفصح وأفصح، و أملح لفظا ومعنى وأملح، فهلا أتى بذلك المتناهي في الفصاحة والمتناهي في الملاحه، فإن الغرض اتّضح الحجّة وقد اتّضحت، وافتضح الشبهة وقد افتضحت، وإذا حصل الغرض فليس وراءه معترض⁶³²، و الصّرفة و إن درن أصلها، و خبت مقصدها، فقد آل البحث في الإعجاز القرآني بسببها إلى ذروة عطائه و جذوة حجاجه، و " أدّت إلى إنشاء علوم البلاغة في ظل القرآن، فاتّجه الكاتبون إلى بيان أسرار البلاغة في هذا الكتاب المبين المتزلّ من عند الله الحكيم قرءانا عربيا، فكان هذا الباطل سببا في خير كثير، وكما يقول المثل السائر " ربّ ضارة نافعة "، فقد تولّد عن هذا الباطل دفاع حكيم ولدت منه علوم البلاغة العربية، وكما تولّد عن الخطأ في تلاوة آية " علم النحو " تولّدت علوم البلاغة العربية عن الخطأ في القول بالصرفة في إعجاز القرآن⁶³³، ولقد ذهب جمهور العلماء إلى أنّ الصرفة بكل صورها وهم وخيال لا تعتمد إلى سند قوي، و لا تتصل بدليل معتبر، و اتفق المعارضون على فسادها، فرفضوا اعتبارها وجها من وجوه الإعجاز القرآني و استدلوا على مفاسدّها بما يلي: 634

أ - قوله تعالى: " قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٦٣٥﴾ " 635، فدلّ النصّ على ثبوت عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة لكان في ذكر اجتماعهم اللغو عينه، فلا يكون من وصف اجتماعهم مقصد لأنّهم في حكم الموتى، وليس في عجز الموتى ما

630 - يقنقون العنق ضرب من سير الدابة والإبل ، وهو سير سريع كقول الراجز: يا ناق سيري عنقا فسيحا. انظر الصحاح : 4، 1533 .

631 - يقال قطف إذا قارب بين خطواته بسرعة ، والقطوف من الدواب البطيء ، انظر الصحاح : 4، 1417 .

632 - الزمخشري، إعجاز سورة الكوثر ، 61 ، 62

633 - محمد أبو زهرة ، المعجزة الكبرى ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ص 81

634 - انظر المغني ، القاضي عبد الجبار ، 6 ، 325 ، و الرسالة الشافية ، عبد القاهر الجرجاني " ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، ص 133 ، و إعجاز القرآن ، الباقلائي ، ص 29 ، و البداية والنهاية، ابن كثير ، 6 ، 69 ، 81 ، و الإتقان ، السيوطي، 4، 7، و الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، 4 ، 76 ، و إعجاز القرآن ، الرافعي ، ص 145 ، و التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، ص 15 ، و النبا العظيم ، دراز ، ص 86 ، و المعجزة الكبرى ، محمد أبو زهرة ، ص 79 ، و مناهل العرفان للزرقاني ، 2 ، 277 .

يزكي تحدياً قال السيوطي شارحا الآية السابقة: "فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، و لو سلبوا القدرة لم يبق لهم فائدة لاجتماعهم لمزلته منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره، هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن، فكيف يكون معجزا وليس فيه صفة إعجاز." 636

ب - إجماع العلماء على إضافة الإعجاز إلى القرآن و عليه فكيف يوصف بالإعجاز تعريفا و يسلب منه حقيقة ليكون المعجز الله تعالى ؟ و دليل الإجماع أن وجوه الإعجاز القرآني كثيرة غير متباينة، و متعددة غير متعارضة 637، أن متدبر القرآن لو تأمله أدرك أن وجوه إعجازه لا تنحصر في وجه دون آخر لأنه حمال حقائق و رقائق قد يظهر للمتدبر منها ما لا يظهر لغيره فيفتح الله له من وجوه الإعجاز ما لا يفتح لغيره، و من هذا فإن " القرآن لانهية لوجوه إعجازه " 638، و سبحان من أخبر عن كلامه فقال: "قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا" 639، و قال عز و جل: " وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أُخْرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" 640

ت - إن القول بمذهب الصرفة يقتضي ضرورة ذهاب حقيقة التحدي و زمنه لأن إثباتهما لازمه وصف الله تعالى بالعبث و هذا خلاف أصل التزيه في العقيدة قال تعالى: "أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ" 641 فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم 642 و من يدع مع الله إلها آخر لا بؤهنا له بؤه فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكفرون 643 وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين 644، و عليه فإذا سقط فعل التحدي بزمنه سقط وصف الإعجاز عن القرآن و عندئذ لا يصلح لأن يكون حجة في إثبات صدق الرسالة قال محمد أبو زهرة: " لو قلنا إن الذي منع العرب عن الإتيان بمثله هو الصرفة ما كان القرآن هو المعجز، وإنما يكون العجز منهم، ولم يكونوا عاجزين، وإنما يكون قد أعجزهم الله، ولم يعجزهم

636 - السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، 2، 106.

637 - انظر إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق إحسان قاسم الصالح، ط1، 1989، دار الأنبار، العراق، ص226

638 - انظر معترك الأقران، السيوطي، 1، 35

639 - الكهف 109

640 - لقمان 27

641 - المؤمنون، من 115 إلى 118

القرآن ذاته، وقد كان القرآن هو معجزة النبي صلى الله عليه و سلم، والقول بالصرفة ينفي عنه خواص الإعجاز. "642

ث- لو كانت المعارضة من المشركين ممكنة و كانت الصرفة مانعا و عارضا لسقطت منزلة الكلام الإلهي، و لاستوى بمن دونه في القدر و المتزلة لكونه لم يعجز خصومه بذاته بل بمنع الله تعالى لهم قال الباقلاني: " لو كانت المعارضة ممكنة وإّما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزاً، وإّما يكون المنع معجزاً؛ فلا يتضمّن الكلام فضيلة على غيره في نفسه." 643

ج - لازم مذهب الصّرفة يقتضي وجوب ثبوت ما يضاهاى القرآن من نقول خصومه شعرا و نثرا، و لو ثبت افتراضا لدلّ قطعاً على انتفاء انفراد القرآن بالبلاغة العالية، و الفصاحة السامية.

ح - القول بالصرفة لازمه إنقاص منزلة العرب البيانية و قدرتهم البلاغية التي دلّت عليها الرواية المتواترة و أثبتتها الواقع التاريخي، فالعرب " هم الذين قد خُصُّوا من البلاغة والحكم ما لم يخصّ به الله غيرهم من الأمم، وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان ، ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب، جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقاً، وفيهم غريزة وقوة، يأتون منه على البديهة بالعجب، ويدلون به إلى كل سبب، فيخطبون بديهاً في المقامات و شديد الخطب، ويرتجزون به بين الطعن والضرب .. ولهم في البلاغة الحجّة البالغة، والقوة الدامغة، و القدح الفالج، والمهيج الناهج، لا يشكّون أن الكلام طوع مُرادهم، والبلاغة ملك قيادهم، قد حووا فنونها، واستنبطوا عُيونها، ودخلوا من كل باب من أبوابها ، وعلواً صرحاً لبلوغ أسبأها، فقالوا في الخطير والمهين، وتفتنوا في الغثّ والسّمين، وتقاولوا في القلّ والكُثر ، وتساجلوا في النظم والنثر، و مع بلوغهم إلى هذا الحدّ من صناعة الكلام، و وصولهم إلى ذروة البيان إلاّ أنّه لم يتصدّ للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحاءهم، ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهضٌ من بلغائهم، على أنّهم كانوا أكثر من حصى البطحاء ، وأوفر عدداً من رمال الدهماء ، ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهاهم بالإفراط في المضادّة و المضارّة، و ركوبهم في كل ما يرومونه الشطط إن آتاهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر ، وإن رماهم بمأثرة رمّوه بمآثر، وقد جرّد لهم الحجّة أولاً، والسيف آخراً، فلم يعارضوا إلاّ السيف وحده، وما أعرضوا عن معارضة الحجّة إلاّ لعلمهم أن البحر قد زخر فطمّ على الكواكب، وأنّ الشمس قد أشرقت فطمست نور الكواكب... وحيث عجز عرب

642 - محمد أبو زهرة ، المعجزة الكبرى، 61

643 - إعجاز القرآن ، الباقلاني ، ص 18

ذلك العصر، فما سواهم أعجز في هذا الأمر، وقد مضى — إلى الآن — أكثر من ألف وثلاثمائة عام، ولم يُوجد أحد من معاديه البلغاء إلا وهو مُسلم، أو ذو استسلام، فدلّ على أنّه ليس من كلام البشر، بل كلام خالق القويّ والقدر، أنزله تصديقاً لرسوله، وتحقيقاً لمقوله. "644

خ - القول بالصرفة إبطال للأحداث التاريخية:

قال الجرجاني: " لو لم يكن عجزهم عن معارضة القرآن وعن أن يأتوا بمثله لأنّه معجز في نفسه لكان لأن أدخل عليهم العجز عنه وصرفت همهم وخواطرهم عن تأليف كلام مثله، وكان حالهم على الجملة حال من أعدم العلم بشيء قد كان يعلمه وحيل بينه وبين أمر قد كان يتسع له لكان ينبغي أن لا يتعاضمهم ، ولا يكون ومنهم ما يدلّ على إكبارهم أمره وتعجبهم منه ،وعلى أنّه قد بهرهم وعظم كل العظم عندهم و لكان التعجب للذي دخل من العجز عليهم ولما رأوه من تغير حالهم ومن أن حيل بينهم وبين شيء قد كان عليهم سهلا وأن سد دونه باب كان لهم مفتوحا.. "645

د - لقد أجمع علماء الأمة الإسلامية على أنّ إعجاز القرآن ذاتي قبل أن تظهر بدعة القول بالصرفة ناقش ذلك القرطبي في جامعه فأبطل الصرفة و نقل الإجماع فقال: " الإجماع قبل حدوث المخالف: أنّ القرآن هو المعجز، فلو قلنا: إنّ المنع والصرفة هو المعجز لخرج القرآن عن أن يكون معجزا، وذلك خلاف الإجماع، وإذا كان كذلك علم أنّ نفس القرآن هو المعجز، و أنّ فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة إذ لم يوجد كلام قط على هذا الوجه، فلما لم يكن كذلك مألوفاً معتادا منهم دلّ على أنّ المنع والصرفة لم يكن معجزا. "646

ذ - القول بالصرفة إبطال لرسالات الأنبياء و المرسلين، فلقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يؤيد أنبياءه بالمعجزات الربانية تحقيقاً لدعوتهم الرسالية في إصلاح أقوامهم ، و تصديقاً لنبواتهم الإلهية في إقامة الحجة على منكريهم قال الله تعالى يصف معجزة صالح عليه السلام: "وَيَقَوْمٍ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَاءَ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعَدُّ غَيْرِ مَكْدُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۖ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ

1 - انظر القاسمي جمال الدين، محاسن التأويل ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية لعيسى الحلبي، 2، 75 ، 76

645 - الجرجاني، دلائل الإعجاز، 391

646 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1 ص75، و انظر قضية الإعجاز بين المتقدمين والمتأخرين، عبد الفتاح محمد سلامة، ط 1980م ، دار التوفيقية للطباعة ، الأزهر، القاهرة ، ص 154 .

الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِيمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بَعْدَ لَثَمُودَ ﴿٦٨﴾ 647، و معجزة موسى عليه السلام لفرعون الجاحد: "وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرُّعُونَ مِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٩﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِن كُنتَ بِغَايَةِ فَاتٍ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٧٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٧٣﴾ 648، ومعجزة عيسى عليه السلام لبني إسرائيل: "قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ ۗ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٧٤﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالنُّورَ وَالنُّورَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٧٥﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِغَايَةِ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ۗ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَأُنشِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٧٦﴾ 649، ومعجزة محمد صلى الله عليه و سلم بالقرآن الخالد الذي أنكره المشركون: "وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرًا لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٨﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۗ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَطْلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ" 650، فقد أجمعوا على تحدي الرسول صلى الله عليه و سلم بتزويل الآيات الكثيرة - على قراءة نافع، وأبي عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم على الجمع - كآيات الأنبياء الحسية 651 تعجيزا له، و غفلوا عن حقيقة زواها لتعلقها بالزمان و المكان و الإنسان 652، فأنزل الله عز و جل القرآن - المعجزة الباقية و الحجة الباهرة - في أعلى درجات البيان متحد لهم به لمناسبتين: 653

647 - هود من 64 إلى 68 .

648 - الأعراف من 104 إلى 108.

649 - آل عمران ، من 47 إلى 49.

650 - العنكبوت ، من 50 إلى 52.

651 - زاد المسير 3، 123

652 - تفسير النسفي، 2، 234

653 - محمد أبو زهرة ، القرآن المعجزة الكبرى، ص 67

﴿ أولهما: الوقوف على دلالة خرق المعهود عندهم فقد أعجز فصحاءهم، و أخرس بلغاءهم - بفصيح لفظه، وعجيب نظمه، وصدق خبره ، وصحة وعده و وعيده - 654 مع قيام وصف المشابهة في لغة الخطاب فكان " كل مقدار من مقادير إعجازه آية على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فإن آيات القرآن زهاء ستة آلاف آية، ومقدار كل ثلاث آيات مقدار مُعجز، فيحصل من القرآن مقدار ألفي معجزة ، وذلك لم يحصل لأحد من رسل الله.. "655

﴿ ثانيهما: إرادة خلوده لعموم شريعته، و بقاء رسالته ، و ذلك يستلزم كثرة الأتباع مع قيام مانع زوال المعجزات الحسية بموت أصحابها، فاقتضت الحكمة الإلهية إنزال المعجزة العقلية المحققة لوصف الخلود و مقصد التزول روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ " 656 ، و في رواية له: " مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أَوْ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. " 657

654 - الماوردي ، النكت و العيون ، 2 ، 179

655 - ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، 1 ، 89

656 - الجامع الصحيح ، البخاري ، رقم 4598

657 - الجامع الصحيح ، البخاري ، رقم 6732

الباب الثاني: التنايب القرائي و وجوه الإجاز القرائي.

و فيه الفصول التالية:

- الفصل الأول: التنايب القرائي بين الإجاز الصوتي

و الإجاز النحوي.

- الفصل الثاني: التنايب القرائي و الإجاز المقاصدي.

- الفصل الثالث: التنايب القرائي بين إجاز نظم القرآن

و إجاز بلاغته.

- الفصل الرابع: التنايب القرائي بين إجاز الرسم القرائي

و الإجاز التصويبي.

- الفصل الخامس: التنايب القرائي بين الإجاز التشريبي

و الإجاز المقاصدي.

- الفصل السادس: التنايب القرائي بين الإجاز النفسي

و الإجاز القروي.

- الفصل السابع: التنايب القرائي و الإجاز العلمي.

الفصل الأول : التنايح القرائي بين الإجاز الصوتي

و الإجاز النحوي.

- التنايح القرائي و الإجاز الصوتي.
- دلالة الأصوات على المعاني .
- الدلالة الصوتية المطرقة. " الإبطال نموذجًا . "
- الدلالة على المعاني بأصوات البيان الصوتي " التنعيم نموذجًا. "

- التنايح القرائي و الإجاز النحوي.

- ظاهرة الزمن في القرآن تأصيل مفهومها

و بيان أهميتها.

- الإجاز النحوي بين الزمن الفيزيائي

و الوظيفة الدلالية.

- التنوير القرائي و الإيجاز الصوتي :

- دلالة الأصوات على المعاني :

الألفاظ حوامل المعاني ترسم في النفس إيقاعا جماليا أفرادا و تركيبا 658 ، و تنقش في العقل بيانا شافيا من خلال ما تنشئه من المعاني الأصلية دلّ عليها الوضع و تبعية دلّ عليها السياق ، وقد تميّز بناء الألفاظ في لغة العرب بضرب من التأليف بين كمال المعنى و جمال المبنى ، فالانسجام الصوتي المتولد من تلاؤم الأجراس الإيقاعية للحروف في اللفظ المفرد 659 ، أو بين سياق الألفاظ في التركيب يشير إلى دلالات معينة ، ومقاصد مقررة 660 ، و انطلاقا من قاعدة مراعاة دلالة الحسّ لاحظت العرب ظاهرة أثر دلالة الأصوات في حسن انتقاء الكلم فعنيت بذلك في بناء خطابها ، فكثرت في لسانها أبنية ما استسهلته في نطقها 661 قال الرماني: " أما الحسن بتأليف الحروف المتلائمة ، فهو مدرك بالحسّ ، و موجود في اللفظ ، فإنّ الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعدهم الهمزة من اللام " 662 ، و " الفائدة من التلاؤم حسن الكلام في السمع ، وسهولته في اللفظ ، و تقبل المعنى له في النفس ، لما يرد عليها من حسن الصورة ، و طريق الدلالة " 663 ، و لقد تنبّه علماء اللغة قديما إلى دلالة الألفاظ الصوتية و إيحاءاتها الإيقاعية عند كلامهم عن فصاحة اللفظ و بلاغته ، 664 فوجدوا أنّ للألفاظ قيما تأثيرية جمالية ترتبط بإيقاع الكلمات أفرادا و تركيبا ، فجعلوا عذوبة الذوق السليم و فراسة الحسّ المرهف علامة الفصاحة ، فاتخذوا ذلك حكما في بيان حسن الكلام

658 - النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري ، نعمة رحيم العزاوي ، دار الحرية ، بغداد ، 1978 ، ص 231

659 - جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، ماهر مهدي هلال ، دار الرشيد للنشر ص 285

660 - مناهج تجديد في النحو البلاغة والتفسير والأدب ، أمين الخولي ، دار المعرفة ، ط 1 ، 1961 م ص 267 ، و طرق تنمية الألفاظ في

اللغة ، إبراهيم أنيس ، مطبعة النهضة الجديدة ، القاهرة ، 1967 ، ص 5

661 - ينظر عيار الشعر ، محمد بن احمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق طه الحاجري ، و محمد زغلول ، المكتبة التجارية الكبرى ، 1956 ص

14 ، و الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1990 ، 1 ، 65 ، 66 ، و

سر الفصاحة ، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي ، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي ، ط 1969 ، مطبعة محمد علي صبيح

وأولاده ، ص 54 ، 55 ، والمثل السائر: 1 ، 245 - 288 ، و منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، أبو الحسن حازم القرطاجني ، تحقيق: محمد

الحبيب بن الخوججة ، ط 1966 ، دار الكتب الشرقية ، المطبعة الرسمية ، تونس ، ص 222 .

662 - النكت في إعجاز القرآن ، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله ،

و محمد زغلول ، دار المعارف بمصر ، ص 72

663 - النكت في إعجاز القرآن ، علي بن عيسى الرماني ، ص 88

664 - أسس النقد الأدبي عند العرب ، أحمد أحمد بدوي ، دار فمضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص 455

وقبحة 665، ولقد تتبّع ابن جنّي ظاهرة محاكاة اللفظ للمعنى ، فتحدّث في باب: "إمساس الألفاظ أشباه المعاني " فاستقصى الظاهرة بدقّة عالية ، و استقرأها بدراسة وافية فقال : " إنّ كثيراً من هذه اللغة وجدته مضاهياً بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر عنها ، ألا تراهم قالوا قضم في اليابس ، وخضم في الرطب، و ذلك لقوة القاف وضعف الخاء ، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى ، والصوت الأضعف للفعل الأضعف " 666 ، و روى السيوطي أنّ رجلاً كان يدّعي العلم بدلالة اللفظ من وقع رنين الكلمة " فسل ما مسمّى الإدغاخ ، و هو بالفارسية الحجر، فقال أجد فيه يبسا شديداً و أراه الحجر 667 ، فصوت اللفظ و إن لم يدل قطعاً على المعنى ، فإنّه يدلّ دلالة إيجابية قوية تثير في النفس طمأنينة راجحة لقبول المعنى المقذوف فيها، 668 و إشارة بيانية واضحة تنشئ فيها حركة شعورية تدرك بها ظلال المعاني المرسومة 669، وقد يوحى وقع الصوت إلى النفس معنى تدرك صحته دون أن تقف عليه سالفاً، وقد تتحصّس دلالة الكلمة من وقعها الصوتي لجامع المناسبة بينهما، أو لمقام السياق أو غيره 670 قال العلوي: " فالألفاظ في سهولة تركيبها و عثورته ، وسلاسته

665 – قال أبو هلال العسكري : " و شهدت قوما يذهبون إلى أنّ الكلام لا يسمى فصيحاً حتى يجمع من هذه النعوت فخامة وشدة وجزالة." انظر الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق مفيد قمحة ، ط 1 ، 1951 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص 17 ، و اشترط الخطيب القزويني براءة اللفظ من إنكار السمع له "...بأن تمج الكلمة ، ويتبرأ من سماعها ، كما يتبرأ من سماع الأصوات المنكرة ، فإن اللفظ من قبيل الأصوات ، منها ما تستلذّ النفس سماعه ، ومنها ما تكره سماعه." انظر الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ، حققه وعلق عليه وفهرسه عبد الحميد هنداوي ، ط 1 ، 1999 ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ص 4 ، وقال العلوي : " إنا نراهم في أساليب كلامهم يفضلون لفظة على لفظة ، و يؤثرون كلمة على كلمة ، مع اتفاقهما في المعنى، وما ذاك إلا لأن أحدهما أفصح من الأخرى، فدل ذلك على أن تعلق الفصاحة، إنما هو بالألفاظ العذبة والكلم الطيبة." انظر الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق التنزيل ، يحيى بن حمزة بن يحيى بن إبراهيم العلوي اليميني ، دار الكتب الخديوية ، مطبعة المقتطف ، مصر ، 1 ، 131

666 – الخصائص، ابن جنّي ، 1، 66 ، وقال كذلك : "... إنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيهه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بما ترتبها ، وتقديم ما يضاهي أول الحدث ، وتأخير ما يضاهي آخره ، وتوسيط ما يضاهي أوسطه ، سوكاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب ، وذلك قولهم: بحث ، فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض ، والحاء تشبه مخالباً الأسد ، وبرائن الذئب ونحوها إذا غارت في الأرض ، والناء للنفث ، والبت في التراب ، وهذا أمر تراهم محسوساً محصلاً.." انظر الخصائص ، 2 ، 164 – 165

667 – المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطي ، شرحه وضبطه وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي، 1 ، 47

668 – فقه اللغة وخصائص العربية ، محمد المبارك ، دار الفكر ، ط 3 ، 1968 ، بيروت ، ص 261

669 – ينظر دلالة الألفاظ ، إبراهيم أنيس ، ط 1 ، 1958 ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ص 103

670 – دلالة الأنساق البنائية في التركيب القرآني، عامر عبد محسن السعد ، كلية الآداب جامعة البصرة، 1995، أطروحة، ص 39

و وعورته بمتزلة الأصوات في طينها ولذة سماعها ، ولهذا فإنه يستلذ بصوت القمري ، ويكره صوت الغراب "671 ، وتتجلى ظاهرة محاكاة الصوت للمعنى في مظهرين:

✽ - الأول: إيقاع أصوات الحروف المتألفة في اللفظ المعاني:

الحروف أصوات جمالية متفاوتة الجرس 672 ينتج من اجتماع إيقاعها الصوتية إيقاعات دلالية إضافية على المعاني الأصلية 673 ، و ينشئ جرس اللفظ الداخلي ، و وحي أصوات الحروف كمال التوافق بين المبنى والمعنى 674 ، وإن للكلمات ذات الأصوات المحاكية للمعاني مثل لفظ القهقهة لصوت الضحك ، و القعقة لصوت السلاح حال الأفراد والتركيب سمات صوتية إضافية ، و فيما إيقاعية متجددة توحى بالمراد المقصود ، لهذا اشترط العلماء لفصاحة الكلم و حسنه ما يلي:

أ- تناسق مخارج الحروف و عدم تباعدها 675 ، أو تنافرها ، قال العلوي: "لابد من مراعاة أمور في تأليف الكلمة لتكون فصيحة... أن لا تكون تلك الأحرف متنافرة في مخارجها ، فيحصل الثقل" 676 ، فالجاورة بين الحروف في مخارجها يضيف عليها تأليفا صوتيا يصغي له السمع ، و تطرب له النفس ، و انسجاما دلاليا في التركيب يأخذ بالألباب ، فيجتمع عند كمال الاتساق بين رنين المحاكاة الصوتية و إيقاعه جمال نغم الإيقاع ، و قوة بيان الدلالة. 677

671 - الطراز 1 ، 104 ، و قال أبو هلال العسكري: "... فإذا كان الكلام قد جمع العذوبة والجزالة والسهولة والرصانة ، مع السلاسة والنصاعة ، واشتمل على الرونق والطلاوة ، وسلم من حيف التأليف ، وبعد عن سماجة التركيب ، وورد على الفهم الثاقب قبله ولم يرد..". انظر الصناعيتين ص 71 ، و عيار الشعر ص 14 ، و العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، حققه وعلق عليه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ط 4 ، 1972 ، 1 ، 128 ، و سر الفصاحة ص 55 ، و المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق أحمد الحوفي ، بدوي طبانة ، ط 2 ، 1983 ، منشورات دار الرفاعي، الرياض، ج 1 ص 141

672 - الفن و الأدب بحث في الجماليات والأنواع الأدبية ، ميشال عاصي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ص 122

673 - التوجيه الأدبي ، ص 137

674 - ينظر دلالة الألفاظ ، إبراهيم أنيس ، ط 1 ، 1958 ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ص 75

675 - سر الفصاحة، ابن سنان ، ص 54

676 - الطراز، 1، 109

677 - المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، ط 1 ، 1970 ، دار الفكر، بيروت، 2 ، 458 ، و انظر التوجيه الأدبي ، طه حسين ، وأحمد أمين ، وعبد الوهاب عزام ، محمود عوض محمد ، المطبعة الأميرية، القاهرة ، 1945 ، ص 138 ، و من أسرار الإبداع النقدي في الشعر والمسرح ، سامي منير عامر ، ط 1989 ، القاهرة ، ص 28

ب - تناسق أصوات اللفظ المفرد و انسجامها 678 قال الجاحظ: " وأجود الشعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحدا ، وسبك سبكا واحدا ، فهو يجري على اللسان كما يجري على الدهان." 679

* - الثاني: إيقاع أصوات الألفاظ المتألفة في التركيب اللفظي:

لا تتم الجمالية الفنية للتناغم الصوتي بين أجراس الألفاظ في التركيب إلا بعد تمام التناسق بين صوت اللفظ ودلالة معناه ليوحى كمال التطابق بينهما بمقصد الفصاحة 680، وكلّما توطّدت العلاقة بين الجمل اللفظية وإيقاعها الصوتية قويت المعاني و تقرّرت 681 قال الآمدي: "حسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنا و رونقا، حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن ، و زيادة لم تعهد" 682 ، ولقد تجسّدت ظاهرة دلالة الأصوات على المعاني في صورتين: 683

- الإيقاع الصوتية المطرقة:

و يُعمد إليها بمسلكين:

أ- الإبدال بين الوحدات الصوتية الضمنية.

يرد الإبدال بين الحروف و الحركات لبيان معاني الألفاظ ، و الإبدال من سنن العرب في خطابها كقولهم: مدحه مدهه و فرس رفلّ و رفن ، و هو كثير مشهور 684 ، و لقد خصّ العلماء مبحث الإبدال فأفردوا له

678 - الطراز، ص 55

679 - البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط5 ، 1985 ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ، 1 ، 67

680 - الفصاحة مفهومها وبما تتحقق ، توفيق علي الفيل ، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الرسالة 27 ، الحولية 6 ، 1985 ، ص 17

681 - ينظر دور الكلمة في اللغة ، ستيفن اولمان ، ترجمة كمال بشر ، ط3 ، 1972 ، المطبعة العثمانية، ص 78 ، 79

682 - الموازنة بين أي تمام والبحثري ، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ص 381 إنّ لاختيار الكلمة دورا في كمال المعنى و جمال المبني قال ابن الأثير: "... و حكم ذلك حكم اللآلئ المبددة ، فإنها تتخير وتنقى قبل النظم..." انظر المثل السائر لابن الأثير، 1 ، 210

683 - الدلالة اللغوية عند العرب ، 166 - 183 ، وينظر : القاري والدرس الدلاليّ في كتابه مرقاة المفاتيح، إيمان صالح مهديّ ، ص 81 .

684 - الصاحبي، ابن فارس ، 204 .

المؤلفات العلمية المستقلة مثل كتاب "القلب و الإبدال" لابن السكيت " ت 244 هـ" ، و كتاب الإبدال لأبي الطيب عبد الواحد اللغوي الحلبي " ت 351 هـ"

- تعريف الإبدال لغة و اصطلاحاً.

- الإبدال لغة.

الأصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله و جعل شيء مكان شيء آخر 685 ، و أبدلت الشيء إذا " نُحيت الأوّل و جعلت الثاني مكانه." 686

- الإبدال في اصطلاحه:

✽ - هو: " إقامة حرف مكان حرف في موضعه في اللفظ." 687

✽ - هو: " إحلال حرف مكان آخر في الكلمة نتيجة لتطور صوتي حدث على مرّ العصور بشرط الاتحاد في المعنى." 688

✽ - هو: " إقامة حرف مكان حرف مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة." 689

✽ - هو: " وضع الشيء مكان غيره." 690

✽ - هو: " أن تقيم حرفاً مقام حرف ، إمّا ضرورة ، أو صنعة ، أو استحساناً." 691

✽ - هو: " هو التغيير الحاصل في لفظ من الألفاظ بتطوّر أحد الأصوات فيها إلى صوت آخر مع بقاء المعنى واحداً" 692 ، و لقد ورثت العرب الإبدال من تغاير أديانها الصوتية للغة العربية " ، فليس المراد بالإبدال أنّ

685 - اللسان لابن منظور ، "بدل" ، ج 11 ص 48

686 - المصباح للفيومي ، "بدل" ص 39

687 - انظر معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب ، مجدي وهبة و كامل المهندس ، ص 10 و الكليات لأبي البقاء العكبري ، ص 9

688 - انظر أثر القراءات في الأصوات ، عبد الصبور شاهين ، ص 269

689 - الإبدال ، ابو الطيب اللغوي ، 1، 9.

690 - المخصص ، ابن سيده ، 13، 267.

691 - شرح المفصل ، 10/104.

692 - ابو الطيب اللغوي وآثاره في اللغة ، ص 73.

العرب تتعمد تعويض حرف من حرف وإثما هي لغات مختلفة لمعانٍ متفقةٍ ، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفان إلا في حرف واحد. "693

- فائدة الإبدال: 694

للإبدال فوائد منها:

- ✱ - تحقيق كمال المجانسة بين المتجاورين.
- ✱ - تحقيق دقة الوضوح في السمع.
- ✱ - حسن الوقوف على مواضع التحريف و التصحيف.
- ✱ - تجسيد سهولة عملية الأداء الصوتي من خلال التخفيف و اقتصاد الجهد العضلي.

- أقسام الإبدال:

و ينقسم إلى قسمين:

أ - الإبدال قصد الإدغام ، و يحدث عند تقارب الحروف و تجانسها، و يطلب في مظان الإدغام. 695

ب - الإبدال لغير الإدغام و ينقسم إلى قسمين: 696

✶ الإبدال الصرفي: و هو " إبدال حرف من غيره لضرورة تصريفية " 697 ، و هذا النوع قياسي يخضع

لقواعد محددة و ضوابط ، و حروفه تسعة جمعت في قولهم: " هَدَأْتُ موطيا. " 698

✶ الإبدال اللغوي: و هو كالإبدال الصرفي إلا أنّ حروفه اثنان و عشرون حرفا جمعت في قولهم: " لَجَدَّ

صُرْفَ شَكْسٍ آمَنٌ طي ثوب عِزَّتَه " 699 ، و تتحدّد معالم التفريق بين الإبدال الصرفي و الإبدال اللغوي فيما

يلي: 700

693 - المزهر، السيوطي، 460/1، و شرح ابن الناظم على الألفية، ص 836

694 - انظر اللهجات في الكتاب لسبويه ، ص 235 ، و اللهجات العربية في التراث ، ج1 ص 348

695 - انظر التكملة لأبي علي الفارسي، ص 562

696 - انظر النحو الوافي ، ج4 ص 757

697 - انظر ظاهرة الإبدال اللغوي ، علي حسين البواب، ص 14 ، و يسمى كذلك بالإبدال الضروري و اللازم

698 - ينظر شرح ابن عقيل على الألفية ، 42/2

699 - انظر شرح التصريح على التوضيح ، ج2 ص 367 ، و توضيح المقاصد و المسالك ، ج6 ص 4

★ الإبدال اللغوي مقصور على السّماع أما الصرفي فيخضع للقياس.

★ الإبدال اللغوي لا يخضع لضابط محدّد و لا لقاعدة مطّردة عكس الإبدال الصرفي.

★ رجوع أغلب صور الإبدال اللغوي إلى أداء اللهجات العربية شيوعاً و ندرة عكس الإبدال الصرفي.

أ - الإبدال الصوتي: 701

و يقع الابدال الصوتي إما بين الصوامت أو الصوائت.

أ - الإبدال الصوتي بين الصوامت - الحروف - :

- الإبدال الصوتي بين حرف الراء و الزاي:

و قد وقع الإبدال في لفظ " ننشزها " و " ننشرها من قوله تعالى: "أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ

عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ

قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةً عَامٍ فَأَنْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَأَنْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ

إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٠٢﴾" 702

- توثيق القراءات القرآنية و توجيهاها: 703

700 - انظر ظاهرة الإبدال اللغوي، علي حسين البواب ، ص 25

701 - الصامت : هو صوت الحرف المحدث نتيجة احتكاكه بمخرجه، وهو الحرف الصحيح في اللغة العربية.

- الصائت : هو الصوت المحدث عند خروج الهواء بلا احتكاك ، ويقسم على قسمين:

- صائت قصير : ويراد به الحركات الثلاث " الفتحة ، والضمّة ، والكسرة" .

- صائت طويل : وهو حروف العلة في العربية الألف ، والواو ، والياء .

- المقطع : هو أصغر وحدة نطقية متألّفة من صائت واحد - غالباً ما يكون قصيراً - مكتنف بصامت أو أكثر ، ويتمثّل بالفترة المحصورة

بين عمليّتي فتح جهاز النطق للأداء وغلقة كلياً أو جزئياً. انظر: الأصوات اللغوية ص 26 و 156، و المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث

اللغوي ، رمضان عبد التواب، ص 101، 102، والمدخل الى علم اللغة، حجازي، ص 52-54، وأبحاث في أصوات العربية، حسام

النعيمي، ص 9، 11.

702 - البقرة ، 259

703 - الخمر، 2، 311 ، و المكرر 19 ، و الكشف عن وجوه القراءات، ج 1 ص 310 ، و التذكرة في القراءات الثمان، ص 284 ،

و جامع القرطبي ج 3 ص 295 ، و تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ص 37 ، والكشاف ج 1 ص 295

قرأ ابن عامر و عاصم و حمزة و الكسائي نُنشزُها بضمّ النون و الزاي ، و قرأ ابن عباس و قتادة و الأعمش بفتح النون و ضمّ الشين " نَنشزُها " ، و قرأ أبو جعفر بخلاف عنه بتشديد الزاي " نُنشزُها " ، و قد دلّ مجموع وجوه القراءات الواردة في هذه المفردة على المعاني التالية:

❖ – الدلالة على الارتفاع و العلو 704 ، و يشهد له قوله تعالى: "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" 705. و قوله سبحانه: " وَإِنَّ أُمَّرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا " 706

❖ – ثبوت الارتفاع على وجه مخصوص 707 ، و هو النشأة و النمو التدريجي لا الارتفاع بمعنى التركيب المشعر بالتجزئة و التبعض ، و يظهر الفارق بينهما بمعهود العرب في بيان المراد بصورة المحسوس ، فقد أطلقت العرب لفظ النشوز على المرتفع من الأرض ، 708 و هو الربوة فحصل من لفظ النشوز معنى الارتفاع و من لفظ الربوة معنى النمو فاجتمعا المعنيان على دلالة الارتفاع المتنامي بالتدرج الذي يشبه نشوز الناب في البعير. 709.

704 – مفردات الأصفهاني، ص 806

705 – المجادلة، 11

706 – النساء ، 128

707 – الدر المصون ، ج2 ص 567

708 – مفردات الأصفهاني ، ص 806

709 – انظر الخمر الوجيز، ابن عطية ، ج2 ص 298

✽ - عصيان المرأة زوجها و شاهده قوله تعالى: "الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالْصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ ۚ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرَبُوهُنَّ ۚ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٧١١﴾"

✽ - إيثار الرجل الرجل على زوجته غيرها من النساء و شاهده قوله تعالى: "وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ۗ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٧١٢﴾"

✽ - الارتفاع و شاهده قوله تعالى: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٧١٣﴾"

✽ - الحياة و شاهده قوله تعالى: "وَأَنْظِرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧١٤﴾"

- مفردة "ننشرها":

قرأ نافع و ابن كثير و أبو عمرو و ابن عامر و يعقوب و أبو جعفر "ننشرها" بضم التون و الراء ، و النشور الإحياء قال تعالى: "ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشُرْهُ ﴿٧١٥﴾"، والمراد به البعث 716 أما الضمير في قوله: "ننشرها" فيعود على العظام و يشهد لدلالته من الاستعمال القرآني قوله سبحانه: "وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۗ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧١٦﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧١٧﴾"

710 - إصلاح الوجوه و النظائر ، الدماغي ، ص 456

711 - النساء 34

712 - النساء 128

713 - المجادلة 11

714 - البقرة ، 259

715 - عيس ، 22

716 - انظر معاني القرآن ، الزجاج ، ج 1 ص 173

717 - يس ، 78 ، 79

✽ - الحياة و شاهده قوله تعالى: "وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ

719" ﴿١١﴾

✽ - البعث و شاهده قوله تعالى: "وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ

لَأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا" ﴿١٢﴾ 720

✽ - البسط - بسط النعمة - و شاهده قوله تعالى: " وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ

وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ" ﴿١٣﴾ 721، وقال تعالى: " وَإِذْ أَعْرَضْتُمْوَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْدَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ

رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا" ﴿١٤﴾ 722، وقال تعالى: "وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا

مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا" ﴿١٥﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِي كَثِيرًا" ﴿١٦﴾ " 723 " يبسط

السحاب بالريح للمطر" 724

✽ - التفرق و شاهده قوله تعالى: " يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ

غَيْرِ نَظَرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ

فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ

وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ

عَظِيمًا" ﴿١٧﴾ 725 أي تفرقوا 726 ، و قرأ أبي بن كعب " نُنْشِيهَا " أي نخلقها.

718 - الوجوه و النظائر في القرآن الكريم ، هارون بن موسى، ص 213

719 - الزخرف ، 11

720 - الفرقان ، 3

721 - الشورى ، 28

722 - الكهف ، 16

723 - الفرقان ، 48 ، 49

724 - الوجوه و النظائر في القرآن الكريم ، هارون بن موسى، ص 213

725 - الأحزاب ، 53

726 - الوجوه و النظائر في القرآن الكريم ، هارون بن موسى، ص 213

- صورة الإعجاز الصوتي:

تجسدت حقيقة الإعجاز القرآني في إحياء الرميم بحركة اجتماع أجزائه و ارتفاع بعضه على بعض لتبدأ العظام في النمو 727 " قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾" ، فقد دلّ الإحياء الأوّل على ارتفاعها بالتدرّج كنشوز ناب البعير 729 ، ثم يقع الارتفاع الآخر الذي تدلّ عليه هيئة العظام أول مرة لأنّ " العظام لا تحيا على الانفراد حتى يُضمّ بعضها إلى بعض " 730 ليردّها إلى أماكنها من الجسد ، فيركبها تركيباً لائقاً بما 731 يؤكد هذا المعنى ورود الخطاب القرآني للمرتابين في البعث مؤسساً على حجة الخلق: " يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عُلُقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۗ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنْكُمْ مَّن يَمُوتُ ۖ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً ۗ وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْتَبَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧٣٢﴾" ، وشاهد التفسير بالمأثور ، فقد جعل الرجل " ينظر كيف يوصل بعض عظامه إلى بعض " 733 ، و جاء إعجاز صوت الحروف ليدلّ على تكامل معاني وجوه التغيرات القرآني بأداتين:

✽ - الأولى: أدّى تغيّر التبادل الصوتي بين حرف " الراء " و " الزاي " إلى تعدّد معنى الكلمة ليُراد بها نشوز العظام بنقلها إلى مواضعها ، و رفع بعضها على بعض ، و إلى النشور بإحيائها 734 ، ثمّ تجتمع الدلالات على تصوير مشهد بعث الخلق ، وإظهار قدرة الله تعالى على الإعداد و الإيجاد و التصيير و التحويل و فيه دلالة صريحة على إثبات البعث الذي يشمل الروح و الجسد معاً.

727 - انظر الدر المصون ، ج 2 ص 567

728 - يس ، 78 ، 79

729 - انظر المحرر الوجيز ، لابن عطية ، ج 2 ص 298

730 - انظر الكشف ، مكّي ، ج 1 ص 310

731 - إرشاد العقل السليم ، 1، 252.

732 - الحج ، 5

733 - انظر معاني القرآن ، النحاس ، ج 1 ص 281

734 - لسان العرب ، 5، 206 " نشر " ، و 5، 418 " نشز " .

✽ - الثانية: ورد حرف الشين ليعث بتفشييه في دلالة وجهي القراءتين امتدادا في المعاني و اتساعا يدل عليه تصوير انتشار الحياة و انبثاقها في الروح و الجسد و تقريره في السمع و العقل و غرسه في النفس معا ليحصل تمام المناسبة بين التفشي - في كثرة خروج النفس بين اللسان و الحنك ثم انبساطه في الخروج عند النطق - 735 ، و معنى التغير القرائي ، و مما يزيد معنى الإحياء شمولا و انبساطا قراءة الحسن " نشرها " بفتح النون وضمّ الشين قال الفراء: كآته ذهب إلى النشر بعد الطي ، وذلك أنّ الحياة علّة البسط في التصرف ، فكآته مطوى ما دام ميتا ، فإذا عاد صار كآته نشر بعد طي⁷³⁶ ، و من لطائف الجامع الصوتي - حرف الشين - بين وجهي التغير القرائي دلالة المقارنة بين كلمة " نشرها " و " ننشرها " في ضوء توجيه التغير القرائي ، فإنّ القراءة بالراء بمعنى الإحياء ، والعظام لا تحيا على انفراد حتى يجتمع بعضها ببعض ، و القراءة بالزاي أولى بذلك المعنى و أرجح إذ هي بمعنى الانضمام دون الإحياء ، فالموصوف بالإحياء هو الرجل دون العظام على انفرادها ، ولا يقال: هذا عظم حي ، وإنّما المعنى: فانظر إلى العظام كيف نرفعها من مواضعها في الأرض إلى جسم صاحبها للإحياء 737 ، و على هذا فإنّ نشوز العظام علّة في الإحياء ، لأنّ الإحياء لا يحصل إلا برفع العظام إلى بعضها البعض ، ثمّ كسوتها باللحم ليدلّ وجوب اجتماع قراءة النشوز مع قراءة النشور على بيان مقصد عقدي عظيم و هو تثبيت أصل الإيمان باليوم الآخر في القلوب.

ب - الصلاة على الماني بأصوات البيان الصوتي.

- التنفير نحو الصلاة -

- مفهوم التنفير لغة و اصطلاحاً:

735 - قال مكّي: " معنى التفشي كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان و الحنك و انبساطه في الخروج عند النطق بالحرف. " انظر الرعاية ، ص 135 و قد يزداد اتساع تفشي معنى لفظ النشور و النشوز إذا حمل تكرير الراء و صفير الزاي على معنى مطلق التفشي .انظر لطائف الإشارات ، للمرعشي ، ج1 ، ص 202 ، و أحكام قراءة القرآن الكريم، محمود خليل الحصري، تعليق محمد طلحة بلال منيار، دار البشائر الإسلامية، بيروت ، ص 108

736 - التفسير الكبير، للرازي ج7 ص32، وجامع البيان، للطبري ج3 ص62، و الكشاف ، للنخشي ج1 ص303 .

737 - الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، 2 ، 1103 ، 1104.

- التنغيم الغنة:

التنغيم من النغم ، و هو " جَرَسُ الْكَلَامِ وَحُسْنُ الصَّوْتِ مِنَ الْقِرَاءَةِ وَنَحْوَهَا " 738 قَالَ تَعَالَى: "وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ" 739 ، و حقيقته " أَنْ تَلْحَنَ بِكَلَامِكَ ، أَي تُمِيلَهُ إِلَى نَحْوٍ مِنَ الْأَنْحَاءِ ؛ لِيَفْطَنَ لَهُ صَاحِبُكَ كَالْتَّعْرِيزِ وَ التَّوْرِيَةِ " 740
قَالَ الْكِلَابِيُّ: 741

وَلَقَدْ وَمَيْتٌ لَكُمْ لِكَيْمَا تَفْهَمُوا وَلَحْنَتْ لِحْنًا لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ

و يقوم التَّنْغِيمُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى أَصُولٍ ثَلَاثَةٍ " نَغْمَةٌ ، وَجَرَسٌ ، وَ لَحْنٌ " 742 ، وَيَطْلُقُ عَلَى مُوسِيقَى الْكَلَامِ 743 ، وَ النَبْرِ الْمَوْسِيقِيِّ. 744

- التنغيم في الإصطلاح:

هو ارتفاع درجات صوت الكلام صعودا وهبوطا و استواء 745 ، و قيل: هو إعطاء الكلام ألوانا موسيقية عند إلقائه ، فَتَظْهَرُ صُورُهُ فِي ارْتِفَاعَاتٍ وَ انْخِفَاضَاتٍ تَكُونُ ذَاتَ أَهْمِيَّةٍ فِي تَمْيِيزِ الْمَعْنَى الْمُخْتَلِفَةِ لِلجُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ وَجُودِ عَنَاصِرٍ تَرْكِيبِيَّةٍ أُخْرَى 746 ، فَالْجُمْلَةُ الْوَاحِدَةُ قَدْ يَتَنَوَّعُ مَعْنَاهَا بِتَنَوُّعِ طَرَائِقِ النُّطْقِ بِهَا ، وَ لَقَدْ تَنَاوَلَ التَّنْغِيمَ بِالْبَحْثِ وَ الدَّرَاسَةِ عُلَمَاءُ اللُّغَةِ وَ النَحْوِ 747 وَ الْبَلَاغَةِ 748 وَ الْقِرَاءَاتِ 749 ،

738 - ينظر : العين ، الفراهيدي ، " نغم " ، 3، 1819 ، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي 1 ، 614 .

739 - محمد ، 30

740 - الكشاف ، 1022 .

741 - ذَكَرَهُ صَاحِبُ اللِّسَانِ فِي مَادَّةِ " لَحْنٌ " ، 13، 380 ، والقرطبي في الجامع ، 16، 167 .

742 - ينظر التَّنْغِيمَ اللُّغَوِيَّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ص 25 ، وَ الدَّرَاسَاتِ الصَّوْتِيَّةِ عِنْدَ عُلَمَاءِ التَّجْوِيدِ، 568 .

743 - ينظر الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ، ط 1961 م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ص 176 .

744 - ينظر المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصيغ ، ص 263

745 - مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان ، ط 1974 م ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ص 134

746 - ينظر علم الأصوات ، كمال بشر ، ص 533 ، وَ الدَّرَاسَاتِ الصَّوْتِيَّةِ عِنْدَ عُلَمَاءِ التَّجْوِيدِ ، ص 106

747 - ينظر الكتاب ، سيبويه ، 1، 339 ، ومعاني القرآن ، الفراء 2 ، 343 ، وَ 3 ، 105 ، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن

الكريم ، ابن خالويه ، ص 119 ، 132 ، وَ الْخِصَائِصُ ، ابْنِ جَنِّي 2 ، 372 - 373 .

748 - ينظر : دلائل الإعجاز ، الجرجاني ، 88 ، 89 .

749 - ينظر التمهيد في التجويد ، الهمداني ، 119 ، 120 ، وَ رُوحُ الْمُرِيدِ فِي شَرْحِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ، السمرقندي ، ص 139 ، 141 ،

نقلًا عن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد غانم قدوري 567 ، 568 .

فقد روى الزبيدي أن رجلاً مرَّ بأبي بكرٍ رضي الله عنه وكان عند الرجلِ ثوبٌ ، فقال له أبو بكرٍ: أتبيعهُ ؟ فقال: لا ، رحِمَكَ اللهُ . فقال أبو بكرٍ: لو تستقيمون لقومتُ ألسنتكم ، هَلَا قُلْتَ: لا ، وَرَحِمَكَ اللهُ ، وروي كذلك أن المأمونَ سأل يحيى بن أكرمٍ عن شيءٍ فقال: لا ، و أيدَ اللهُ أميرَ المؤمنين ، فقال المأمونُ: مَا أَظْرَفَ هَذِهِ الْوَاوِ وَمَا أَحْسَنَ وَقَعَهَا 750 ، وذكر سيبويه في باب التَّدْبَةِ و الاستِغَاثَةِ " أنَّ المندُوبَ مَدْعُوٌّ ، وَلَكِنَّهُ مُتَفَجِّعٌ عَلَيْهِ ، فَإِنْ شِئْتَ لَمْ تُلْحِقْ ، كَمَا تُلْحِقُ فِي النَّدَاءِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ المندُوبَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَبْلَ اسْمِهِ " يا " ، أو " وا " 751 ، ولقد أحسن أبو عبيد القاسم بن سلام توجيه قِرَاءَةَ " مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ " 752 توجيهًا صوتيًا بنصب " مَالِكِ " 753 ، فقال: " نُصِبَ عَلَى النَّدَاءِ ، وَقَدْ تُحْدَفُ يَاءُ النَّدَاءِ ، مَجَازُهُ يَا مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ؛ لِأَنَّهُ يُخَاطَبُ شَاهِدًا ، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ ، فَهَذِهِ حُجَّةٌ لِمَنْ نَصَبَ ، وَمَنْ جَرَّ قَالَ: هُمَا كَلَامَانِ " 754 ، و لقد أتقن ابن جنِّي تفسير ظاهرة التنعيم تفسيرًا صوتيًا بالبيان فقال: " وَقَدْ حُذِفَتِ الصِّفَةُ ، وَدَلَّتِ الْحَالُ عَلَيْهَا ، وَذَلِكَ فِيمَا حَكَاهُ صَاحِبُ الْكِتَابِ فِي قَوْلِهِمْ: " سِيرَ عَلَيْهِ لَيْلٌ " ، وَهُمْ يُرِيدُونَ: لَيْلٌ طَوِيلٌ ، وَكَانَ هَذَا مِمَّا حُذِفَتْ فِيهِ الصِّفَةُ لِمَا دَلَّ مِنَ الْحَالِ عَلَى مَوْضِعِهَا ، وَذَلِكَ أَنَّكَ تَحُسُّ فِي كَلَامِ الْقَائِلِ لِذَلِكَ مِنَ التَّطْوِيحِ وَ التَّطْرِيحِ ، وَالتَّفْحِيمِ وَ التَّعْظِيمِ مَا يَقُومُ مَقَامَ قَوْلِهِ: طَوِيلٌ ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ، وَ أَنْتَ تَحُسُّ هَذَا مِنْ نَفْسِكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ ، وَذَلِكَ أَنْ تَكُونَ فِي مَدْحِ إِنْسَانٍ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، فَتَقُولُ: كَانَ وَاللَّهِ رَجُلًا ، فَتَزِيدُ فِي قُوَّةِ اللَّفْظِ بـ" اللهُ " هَذِهِ الْكَلِمَةَ ، وَتُمْكِنُ فِي تَمْطِيطِ اللَّامِ ، أَوْ إِطَالَةِ الصَّوْتِ بِهَا أَوْ عَلَيْهَا ، أَي: رَجُلًا فَاضِلًا ، أَوْ شَجَاعًا ، أَوْ كَرِيمًا ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ تَقُولُ: سَأَلْنَاهُ فَوَجَدْنَاهُ إِنْسَانًا ؟ وَ تُمْكِنُ الصَّوْتِ بِإِنْسَانٍ وَتُفَحِّمُهُ ، فَيَسْتَعْنِي بِذَلِكَ عَنْ وَصْفِهِ بِقَوْلِهِ: إِنْسَانًا سَمِحًا ، أَوْ جَوَادًا ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ إِذَا ذَمَّمْتَهُ ، وَ وَصَفْتَهُ بِالصِّقِ ، قُلْتَ سَأَلْنَاهُ وَكَانَ إِنْسَانًا ، وَتَرْوِي وَجْهَكَ وَتُقَطِّبُهُ فَيُعْنِي ذَلِكَ عَنْ قَوْلِكَ: إِنْسَانًا لَيْمًا ، أَوْ لَحِزًا ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ " 755 ، وَقَالَ السَّمْرَقَنْدِيُّ فِي قَصِيدَتِهِ: " الْعَقْدُ الْفَرِيدُ " 756

750 – ينظر طبقات الثَّوْبِيِّينَ وَاللُّغَوِيِّينَ ، 21 ، وَالتَّنْغِيمِ اللَّغَوِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، 32 .

751 – الْكِتَابُ ، 2 ، 225 .

752 – الْفَاتِحَةُ ، 4 .

753 – نُسِبَتْ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَعَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَنْظُرُ مُخْتَصِرَ شَوَازِ الْقِرَاءَاتِ ، 9 ، وَنَسَبَهَا الْقُرْطُبِيُّ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ

السَّمِيعِ . يَنْظُرُ الْجَامِعَ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ، الْقُرْطُبِيُّ ، 1 ، 148 .

754 – مَجَازُ الْقُرْآنِ ، 1 ، 22 – 23 .

755 – الْخِصَائِصُ ، 2 ، 150 .

756 – رُوحُ الْمَرِيدِ ، 198 .

إِذَا " مَا " لِنْفِي أَوْ لِجَحْدِ فَصَوْتُهَا
 ارْفَعَنَّ وَ لِلاِسْتِفْهَامِ مَكَّنْ وَعَدَلَا
 وَفِي غَيْرِ اخْفِضْ صَوْتُهَا وَالَّذِي
 بِمَا شَبِيهُ بِمَعْنَاهُ فَفِيسُهُ لِتَفْضُلًا
 كَهَمْزَةِ الِاسْتِفْهَامِ مَعَ مَنْ وَأَنْ وَإِنْ
 وَأَفْعُلْ تَفْضِيلَ وَكَيْفَ وَهَلْ وَلَا

ثُمَّ شَرَحَ فَقَالَ: " مِثَالُ ذَلِكَ: " مَا قُلْتُ " ، وَ يَرْفَعُ الصَّوْتُ بِـ " مَا " يُعْلَمُ أَنَّهَا نَافِيَةٌ ، وَإِذَا خَفِضَ الصَّوْتُ يَعْلَمُ أَنَّهَا خَبَرِيَّةٌ ، وَإِذَا جَعَلْتَهَا بَيْنَ بَيْنٍ يُعْلَمُ أَنَّهَا اسْتِفْهَامِيَّةٌ ، وَهَذِهِ الْعَادَةُ جَارِيَةٌ فِي جَمِيعِ الْكَلَامِ ، وَفِي جَمِيعِ الْأَلْسُنِ. " 757

و لقد توصلت دقة مناهج الدراسات الصوتية لموضوع التنغيم إلى قياس التردد الصوتي له ، و تحديد مستوياته ، واستنباط درجاته 758 ، فذهب فريق من الباحثين إلى أنها ستة درجات 759 ، و ذهب فريق آخر إلى أنها أربعة 760 ، وذهب فريق ثالث إلى أنها ثلاثة صاعدة ، و مستوية ، وهابطة 761 ليتشكل التنغيم في صور صوتية متفاوتة.

- درجات التنغيم: 762

ينقسم التنغيم من حيث دلالة صوته إلى درجات متفاوتة هي:

✽ - النَّعْمَةُ الصَّاعِدَةُ: وَتَعْنِي وَجُودَ دَرَجَةٍ مُنْخَفِضَةٍ فِي مَقْطَعٍ أَوْ أَكْثَرَ ، تَلِيهَا دَرَجَةٌ أَكْثَرَ عُلُوًّا مِنْهَا ، وَتَتَمَثَّلُ فِي الْأَمْرِ ، وَالتَّرْغِيبِ ، وَالتَّعْجُبِ ، وَ الإِثَارَةِ ، وَ العَرَابَةِ ، وَ الإِهَانَةِ ، وَ النَّهْيِ الْمَحْضِ 763 ، وَ يَكُونُ فِيهِ ارْتِفَاعٌ دَرَجَةِ الصَّوْتِ مِنْ أَسْفَلَ إِلَى أَعْلَى حَتَّى الْمَقْطَعِ الْأَخِيرِ. 764

-
- 757 - روح المريد، 198، و ينظر المدخل إلى علم أصوات العربية ، 261 .
 758 - ينظر مناهج البحث في اللغة ، 198 ، 199 ، والتشكيل الصوتي في اللغة العربية، سلمان العايي، 193 ، 194 ، و في نحو اللغة وتراكيبها ، خليل عمارة ، ص 173 ، والتنغيم واللغوي في القرآن الكريم ، 63 ، 83 .
 759 - ينظر مناهج البحث في اللغة ، ص 199 ، والتنغيم اللغوي في القرآن الكريم 157 .
 760 - ينظر دراسة السمع والكلام ، سعد مصلوح 258 ، 260 .
 761 - في نحو اللغة و تراكيبها ، 173 .
 762 - التنغيم اللغوي في القرآن الكريم 157. المدخل إلى علم أصوات العربية: 258
 763 - ينظر التنغيم اللغوي في القرآن الكريم: 157.
 764 - ينظر الدلالة الصوتية في القرآن الكريم: 179.

✽ - التَّعْمَةُ المَهَابَةُ: وتُعْنِي وجودَ دَرَجَةٍ عَالِيَةٍ فِي مَقْطَعٍ أَوْ أَكْثَرَ تَلِيهَا دَرَجَةً أَكْثَرَ انْخِفَاضًا، وَتَتَمَثَّلُ فِي التَّمَنِّي ، وَ التَّهَكُّمِ ، وَ إِظْهَارِ الأَسْفِ وَالْحُزْنِ 765 ، وَيَكُونُ فِيهِ انْخِفَاضُ الصَّوْتِ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلَ حَتَّى المَقْطَعِ الأَخِيرِ. 766

✽ - التَّعْمَةُ المُسْتَوِيَّةُ: وَ هُوَ اتِّحَادُ دَرَجَاتِ الصَّوْتِ فِي عَدَدٍ مِنَ المَقَاطِعِ ، وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الدَّرَجَاتُ قَلِيلَةً أَوْ مُتَوَسِّطَةً أَوْ كَثِيرَةً عِنْدَ وَقُوفِ المُتَكَلِّمِ قَبْلَ تَمَامِ المَعْنَى 767 ، وَتَتَمَثَّلُ بِالتَّقْرِيرِ وَ الخَبْرِيَّةِ ، وَالتَّصْحِحِ وَالإِرْشَادِ، وَالنَّدَاءِ المُحْضِ. 768

- مقاصد التنغيم:

أساس إتقان اللغة العربية معرفة أصواتها بتحقيق مخارجها و صفاتها، و فهم دلالاتها و معانيها، إذ هو منطلق كل دراسة جادة ، و بما أن العربية لغة القرآن الكريم فقد أوجب الشرع تلاوته على الوجه المبين وفق قواعد الأداء الصحيح ، لأن الانحراف عنه يوجب الاختلاف في المعاني و الدلالات فينبني على ذلك سوء فهم القرآن بالتأويل الفاسد ، وتضييع مقاصده بسوء التريل.

إن التنغيم أداة التعبير عن الحالات النفسية و المشاعر العاطفية للنفس الإنسانية ، فالتغيرات الصوتية تأخذ أشكالاً متعددة ، و صوراً متفاوتة باختلاف المواقف الانفعالية قوة و ضعفاً 769 ليدل بدرجاته المتنوعة على الحبّ و الإعجاب ، أو الاحتقار و السخرية ، أو الخوف و التهويل 770 ، والإنسان عندما " ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات ، لأن الأصوات التي يتكوّن منها المقطع الواحد تختلف في درجة الصوت ، وكذلك الكلمات قد تختلف فيها...ويمكن أن نسّمى نظام توالي درجات الصوت بالنغمة الموسيقية " 771 ، و بما أن " التنغيم ارتفاع الصوت و انخفاضه أثناء الكلام " 772 ، فإن ارتباطه

765 - ينظر التّغيم اللّغوي في القرآن الكريم: 157

766 - ينظر الدلالة الصوتية في القرآن الكريم: 179.

767 - ينظر الدلالة الصوتية في القرآن الكريم: 179.

768 - ينظر التّغيم اللّغوي في القرآن الكريم: 157.

769 - علم اللغة ، مقدّمة للقارئ العربيّ ، 211 .

770 - علم الأصوات ، 209 .

771 - الأصوات اللغوية ، ص 176 .

772 - مناهج البحث في اللغة ، ص 164 .

بالاهترزازات التي تحدثها الأوتار الصوتية أوكد ، إذ كلما زاد عدد الاهترزازات كانت ذات سرعة وكان عدد التغيرات في التنغيمات أوضح ، لأنها تجري على طبيعة صوتية واحدة.773

إنّ التنغيم فيصّل الحكم على نوع الجملة و دلالتها774 ، وميزان التفريق بين المعاني المختلفة للجملة ، فللجملة الاستفهامية نغمة صوتية تختلف عن نغمة الجملة الخبرية ، و نغمة الجملة المنفية مختلفة عنها في المثبتة 775 ، وهذا من القرائن الصوتية العجيبة 776 التي يقوم التنغيم فيها بوظيفة دلالية بما يصاحبه من ملامح حالية كإشاحة الوجه وتجهّمه ، أو إقباله وانفراج أساريره 777 ، فيصيب طيفه السحري الجملة الثابتة في معناها ومعناها ، فيلقي عليها بظلال التباير ، فتتسع المعاني الكثيرة لتفيض على المباني القليلة ، و يزداد الاتساع طولا و عرضا باجتماع أسبابه كالمقام و السياق 778 ، و تواطؤها على ذلك مواطأة تكشف مراد المتكلم تحقيقا لا تقديرا ، و تسفر عن وجه مقاصد خطابه يقينا لا تخيلا ، و إذا كانت علامات الترقيم في الكتابة العربية محدّدة للمعنى الوظيفي للجملة فإنّ إيقاعات التنغيم الصوتية أوفى بالبيان الدلالي من علامات الترقيم ، 779 و لقد تفتّن سيوبه العبقرى لدور التنغيم في التفريق بين دلالات الأساليب اللغوية ، فاستقصى الظاهرة محلا منقّحا ، و مدقّقا مستنبطا ، فقال معلّقا عن قول جرير: 780

أعبداً حلّ في شعبي غريبا ألوماً لا أبا لك و اغترابا

" وأما عبداً ، فيكون على ضربين: إن شئت على النداء ، و إن شئت على قوله: أفتخر عبداً، ثمّ حذف الفعل" 781 ، فالوقوف على القرائن المفسّرة للبيت الشعري - صورة أداء المتكلم الحالية و صورة انسجام المعاني السياقية - هي الأداة المحدّدة لصورة التركيب ونوع دلالاته ، فقد تنقّلت بسياق البيت الشعريّ و أسلوبه بين النداء والاستفهام ، و قد أضاف ابن جنّي في الموضوع إشارات علمية دقيقة في باب بيان المعاني

773 - البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ط 1412 هـ - 1993 م ، عالم الكتب ، القاهرة ، ص 263

774 - التفكير اللغويّ بين القديم والجديد ، كمال بشر ، 152 .

775 - المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغويّ ، 106 ، و ينظر الدلالة اللغوية عند العرب ، 178 .

776 - اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، ط 1973 م ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ص 228 .

777 - الدلالة اللغوية عند العرب ، 178 .

778 - علم اللغة العامّ " الأصوات " ، 212 ، و النحو والدلالة ، محمد حماسة ، 118 .

779 - اللغة العربية معناها ومبناها ، 226 ، 227 .

780 - ديوانه ، 96 .

781 - الكتاب ، سيوبه ، 1 ، 339 .

التركيبية بأداة تمديد الكلام ، أو تمطيط الحركات أو تقوية الصوت ، كقول العرب في المدح: كان والله رجلاً " فتزيد في قوة اللفظ بـ "الله" في هذه الكلمة لتمكّن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها ، أي: رجلاً فضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك، وكذلك تقول: سأله فوجدناه إنساناً، وتمكّن الصوت بـ " إنسان " وتفخّمه ، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً أو جواداً." 782

أما التنعيم عند المحدثين فقد برعوا في بحثه و أجادوا فوقفوا على حقائق علمية دقيقة تحققت من خلال تحاليل المخابر الصوتية ، فقد يتفنّن المتكلم في تنويع نعمات الأداء فتتغير المعاني وفقاً لهذا التعدّد في الأداء فتزداد استفهاماً إذا نطقت بنغمة صاعدة من أسفل إلى أعلى، و تكون خبريّة إذا نطقت بنغمة مستوية ، وتوكيدية إذا نطقت بنغمة صاعدة هابطة ، وترتيب الكلمات في الجملة الأولى و الثانية و الثالثة واحد، والفرق هو طريقة نطق كلّ جملة." 783

إنّ مقصد التّنعيم يكمن " في تصنيف الجمل إلى أمّاظها المختلفة ، من إثباتية ، أو استفهامية ، أو تعجبية...؛ إذ تصلح واحدة منها وفقاً للون موسيقي معين مما قد تحتويه الجملة من أدوات صرفية من شأنها أن تُساعد على تحديد نوعها ، كأدوات الاستفهام ، وصيغتي التعجب ، وفي كثير من الأحيان يكون التّنعيم وحده هو الفصل في الحكم على نوع الجملة كما يحدثُ - مثلاً - حين تخلو الجمل الاستفهامية من أدوات الاستفهام ، أو حين تكون الجملة مُشتملة على أداة استفهام لكنها خرجت عن أصلها." 784

- التنعيم و دلالة التفريق بين العبر بالنفوس و الإنشاء بالنفوس .

و من تطبيقات التّنعيم على آيات الأحكام الشرعية ما ورد من التغيرات القرآنية في قوله تعالى: " الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ." 785

782 - الخصائص ، ابن جني ، 2 ، 373 .

783 - التنعيم ودوره في التحليل اللغوي : عبد الحميد السيد 77 - 78 (بحث) .

784 - التّفكير اللّغوي ، كمال بشر ، 152 ، 153 .

785 - البقرة ، 197 .

- التوثيق القرآني:

أ - قرأ عاصم و ابن عامر و حمزة و الكسائي و نافع و الأعرج و الأعمش " فلا رفث ⁷⁸⁶ ولا فسوق ⁽⁷⁸⁷⁾ ولا جدال ⁽⁷⁸⁸⁾ في الحج " بالفتح في الثلاثة. ⁷⁸⁹

ب - قرأ أبو جعفر و الحسن البصري و جبلة و الكسائي كلاهما عن المفضل عن عاصم " فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج " بالرفع و التنوين في الثلاثة. ⁷⁹⁰

ت - وقرأ أبو رجاء العطاردي الآية بوجهين:

✽ - " فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج " بفتح لفظ الرفث و الفسوق ، و الرفع بالتنوين في لفظ الجدال. ⁷⁹¹

✽ - " فلا رفثاً ولا فسوقاً ولا جدالاً في الحج " بالفتح مع التنوين في الثلاثة ⁷⁹² ، و الألفاظ الثلاثة منصوبة على المصادر و العامل فيها أفعال من لفظها و التقدير: فلا يرفث رفثاً و لا يفسق فسقاً و لا يجادل جدالاً. ⁷⁹³

786 - الرفث : كل قول يتعلق بذكر النساء ؛ وقد يطلق على الفعل من الجماع والمباشرة ؛ قال الله تعالى: " أَجِلٌّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ " البقرة ، 187 ، أحكام القرآن ، 1،133 .

787 - الفسوق: فيه أقوال كثيرة أصولها ثلاثة: الأول: كل المعاصي قال النبي صلى الله عليه وسلم: " سببُ المسلم فسوقٌ ، وقتاله كفر " ، و الثاني: أنه قتل الصيد، و الثالث: أنه الذبح لغير الله تعالى ، لان الحج لا يخلو عن ذبح ، وكان أهل الجاهلية يذبحونه لغير الله فسقاً ، فشرعه الله تعالى لوجهه نُسكاً ، و الصحيح جميعها. أحكام القرآن، ابن العربي 1،134 .

788 - الجدال: هو المراء مع الغضب المؤدي إلى السباب ؛ وقيل: الجدال هنا أن يختلف الناس: أيهم في موقف ابراهيم عليه السلام ، كما كانوا يفعلون في الجاهلية حين كانت قريش تقف في غير موقف سائر العرب ، ثم يتجادلون بعد ذلك ؛ وقيل: الجدال هنا أن تقول طائفة: الحج اليوم ، و تقول طائفة: الحج غداً ، وقال مجاهد: الجدال الممارسة في الشهور حسب ما كانت عليه العرب من النسئء . انظر الجامع لأحكام القرآن ، ابن العربي ، 2،406 .

789 - ينظر إتحاف فضلاء البشر ، 1،433 ، معجم القراءات القرآنية : 1،152 .

790 - ينظر: الكثر في القراءات العشر ، 134 ، إتحاف فضلاء البشر ، 1،433 .

791 - ينظر: الجامع لأحكام القرآن ، ابن العربي ، 2،405 .

792 - ينظر: معجم القراءات القرآنية ، 1،153 .

793 - البحر المحيط ، 2 ، 88 ، و جامع القرطبي ، 2 ، 408 .

ث - قرأ ابن كثير و أبو عمرو بن العلاء ويعقوب واليزيدي و ابن محيصن " فلا رثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالٌ
في الحج " برفع الاثني عشر التنوين ، و فتح الثالث " ولا جدالٌ " دون تنوين.⁷⁹⁴

- التوجيه القرائي:

أ - توجيه قراءة الفتح.

و اختلف العلماء في توجيه هذه القراءة على أقوال:

- ❖ - النصب في هذه القراءة على معنى التبرئة بأداة " لا " التبرئة وهي لنفي الجنس⁷⁹⁵ " على أن الجميع اسم " لا " الأولى ، و " لا " مكررة للتوكيد في المعنى و الخبر في الحج⁷⁹⁶ ، و " الحجّة لمن نصب أنه قصد التبرئة بـ " لا " في الثلاثة ، فبنى الاسم مع الحرف ، فزال التنوين للبناء.⁷⁹⁷
- ❖ - أن المفتوح مع " لا " في موضع رفع على الابتداء⁷⁹⁸ ، ويكون " في الحجّ " خبراً عن الجميع لأنه ليس منه إلا العطف ، عطفٌ مبتدأ على مبتدأ ، و هذا مذهب سيوييه.⁷⁹⁹
- ❖ - أن " لا " عاملة في ذلك الاسم النصب على الموضع وما بعدها خبر " لا " إذا أُجريت مجرى أن في نصب الاسم و رفع الخبر ، وعلى هذا يكون " في الحجّ " خبر " لا " ، و هذا مذهب الاخفش⁸⁰⁰ ، و يعود معنى قراءة النصب إلى نفي مطلق الرث و الفسوق و الجدال ، فتحرم بذلك المنهيات كلّها على وجه العموم في الحج لهذا وردت واضحة في دلالتها على الحكم دون وجوه التغيرات القرائي الأخرى⁸⁰¹ ، و قد وقف ابن

794 - ينظر: البحر المحيط ، 2،88 ، و معجم القراءات القرآنية ، 1،152 .

795 - معاني القرآن ، للقرآن ، 1، 120 .

796 - إملاء ما منَّ به الرحمن ، العكبري ، 1،86 .

797 - الحجّة في القراءات السبع ، 94 .

798 - يقول الامام القرطبي : ويجوز أن يرفع " رث و فسوق " بالابتداء ، و " لا " للنفي ، و الخبر محذوف ايضاً. انظر الجامع لأحكام القرآن ، 2،405 .

799 - ينظر: الكتاب ، سيوييه ، 2،284 .

800 - ينظر البحر المحيط ، 2،88 ، و الجامع لأحكام القرآن ، 2،405 .

801 - جامع القرطبي، 405/2. و الرث الجماع أو ما يذكر بحضرة النساء مما يجانسه، أو الكلام الفاحش ، أمّا الفسوق فمطلق المعاصي ، و الجدال في الحج يطلق على المراء مع الرفقاء و الخدم، و إنما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لأنه مع الحج أسمع كلبس الحرير في الصلاة ، و التطريب في قراءة القرآن. تفسير النسفي، 1،101

العربي عند مدلول النفي فذهب إلى أنه " أراد نفيه مشروعاً لا موجوداً ،فإنَّ نجد الرفض فيه و نشأهده ، و خبر الله تعالى لا يجوز أن يقع بخلاف مخبره، فإنَّما يرجع النفي إلى وجوده مشروعاً لا إلى وجوده محسوساً... وهذه الدققة هي التي فاتت العلماء فقالوا إنَّ الخبر قد يكون بمعنى النهي و ما وجد ذلك قطّ و لا يصحّ أن يوجد ،فإنَّهما يختلفان حقيقة و يتضادان وصفاً" ⁸⁰² ، و قد اجتمع الوجهان فقد رفع الله تعالى الجدل في الحالتين بين الخلق إلى القيامة ؛ ولهذا قرئ لفظ الجدل بنصب اللام على التبرئة دون ما قبله . ⁸⁰³

ب - توجيه قراءة الرفع والتنوين في الثلاثة.

✽ - أداة " لا " بمعنى " ليس " ⁸⁰⁴ فارتفع الاسم بعدها ، لأنه اسمها ، والخبر محذوف تقديره: فليس رفضاً في الحج ، وليس فسوقاً في الحج دلّ عليه " في الحجّ " ، وهو تقدير لهما ، أما الخبر الظاهر في الآية فهو من نصيب " ولا جدال " ، فيكون التقدير في الكلام: فليس رفضاً في الحج ، وليس فسوقاً في الحج ، وليس جدالاً في الحجّ. ⁸⁰⁵

✽ - أداة " لا " غير عاملة و رفع ما بعدها بالابتداء ، والخبر عن الجميع هو قوله " في الحجّ " ⁸⁰⁶ ، و يعود معنى قراءة الرفع إلى عموم النهي عن الرفض و الفسوق و الجدل ، فتحرم كلها قطعاً في الحج لأنّها جاءت على نسق واحد ⁸⁰⁷ ، و المعنى: فلا يكون رفضاً و لا فسوقاً و لا جدالاً في الحجّ ⁸⁰⁸ ، أو " فلا يكن فيه رفض ولا فسوق ولا جدال في الحجّ". ⁸⁰⁹

⁸⁰² - ابن العربي ، أحكام القرآن ، 1 ، 134

⁸⁰³ - أحكام القرآن: 135/1 .

⁸⁰⁴ - قال أبو حيان معلقاً على كلام ابن عطية في إعمال " لا " عمل ليس: وهذا الذي جوّزه و جزم به ابن عطية ضعيف لأن إعمال لا إعمال ليس قليل جداً لم يجر منه في لسان العرب إلا ما لا بال له ... و كله يحتمل التأويل و أن يُحمّل على ظاهره... بحيث تبني عليه القواعد فلا ينبغي أن يحمل عليه كتاب الله.. " البحر المحيط ، 2،88 .

⁸⁰⁵ - الجامع لأحكام القرآن ، 2،405 .

⁸⁰⁶ - ينظر إعراب القرآن ، 245-1،246 ، البحر المحيط ، 2،88 .

⁸⁰⁷ - ينظر: معاني القراءات ، 73 .

⁸⁰⁸ - ينظر: الكشاف ، 243،1-244 .

⁸⁰⁹ - إعراب القرآن ، 245/1-246 .

ت - توجيه قراءة نصب الأول و الثاني و رفع الثالث.

نصب الأول و الثاني على التبرئة و رفع الثالث منوناً على إته اسم " لا " ، و يحمل معنى " فلا رَفَثَ ولا فسوقَ " على حكم النهي ؛ أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ، و معنى " ولا جدالٌ " على دلالة النفي ، فلما اختلفا في المعنى خولفَ بينهما في المبني ⁸¹⁰ ، و يعود معنى قراءة " فلا رَفَثَ ولا فسوقَ ولا جدالٌ في الحج " إلى التقدير : لا ترفثوا ولا تفسقوا في الحج ، ولا يكن بينكم جدال عن الحج ، و اختلف لفظ الجدال عما سبقه لأنه يحتمل أكثر من معنى ، عكس الرفث والفسوق.

ث - توجيه قراءة رفع الأول و الثاني و نصب الثالث.

رُفِعَ الأول و الثاني على آته اسم " لا " ، و الخبر مقدّر دلّ عليه قوله: " في الحجّ " ، و قوله : " و لا جدال " إما على النفي و التبرئة ، أو على إته مبتدأ ، أو على إته خبر " لا " ⁸¹¹ ، و يعود معنى قراءة " فلا رَفَثَ ولا فسوقَ ولا جدالٌ في الحجّ " " حملا الأولين على معنى النهي ، كأنه قيل: فلا يكوننّ رَفَثَ و لا فسوقَ ، والثالث على معنى الإخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل: ولا شكّ ولا خلاف في الحجّ " ⁸¹² ، أو لا شك في فرض الحج ؛ أو لا جدال و أنتم محرمون ⁸¹³ ، أو قد يؤكّد بمعنى: " فلا يكون ممن فرض الحج رَفَثَ و لا فسوقَ " ، ثمّ يتدئ بنفي الجدال فيه فينصبه وبينه " ⁸¹⁴ ، و يظهر كمال الاتساع في معاني النص القرآني من خلال فنية التنويع في الأداء الصوتي لوجوه التغيرات القرائي بين شمول النفي لوجوه التغير و بين الجمع بين النفي و النهي لتجتمع دلالة النفي و النهي على قاسم عموم الإنكار ⁸¹⁵ على الفاعل بقريئة ورود النكرة في سياق النفي لتشتمل على نفي مطلق الرفث والفسوق ، ونفي الجدال كلّه بكل أنواعه و أجزائه ، و بكلّ مواضعه و مواقعه ، و بكلّ أوقاته و أزمنته ، و بكلّ أدواته و الذرائع الموصلة إليه ، و لقد جاءت أداة " لا " في النص القرآني نافيةً للجنس ، وَالْأَصْلُ فِي الْجُمْلَةِ الْمُتَعَابِقَةِ " لَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ " أن

810 - انظر الجامع لأحكام القرآن ، 406/2 .

811 - ينظر: إعراب القرآن ، 246-245/1 ، و شرح ابن عقيل ، 12/2 .

812 - الكشاف ، 244-243/1 .

813 - إملاء ما منّ به الرحمن ن 86/1 .

814 - الحجة في القراءات السبع ، 94 .

815 - نظم الدرر ، 215،7 - 216 . و انظر كمال الدين عبد الواحد بن الخطيب الزمלקاني ، المجيد في إعجاز القرآن المجيد، تحقيق

شعبان صلاح، ط1، 1989، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ص 122

تَكُونُ خَبْرِيَّةً ، وَهَذَا النَّفْيُ لَوْ نُطِقَ عَلَى الْأَصْلِ ، فَإِنَّهُ يُنْطَقُ بِنِعْمَةٍ هَابِطَةٌ حَتَّى يُعْلَمَ أَنَّهَا خَبْرِيَّةٌ ⁸¹⁶ ، وَ لَكِنَّ النَّفْيَ وَرَدَ بِمَعْنَى النَّهْيِ ⁸¹⁷ ، وَنِعْمَةٌ قِرَاءَتُهُ مُتَّصِعَةٌ.

- التَّنْغِيمُ وَ طَائِلَةُ التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْخَبْرِ وَ الْإِسْتِفْهَامِ .

وَ مِنْ تَطْبِيقَاتِ التَّنْغِيمِ عَلَى آيَاتِ الْقِصَصِ الْقُرْآنِيِّ مَا وَرَدَ مِنَ التَّغْيِيرِ الْقِرَائِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: " وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ " ⁸¹⁸

- التَّوْثِيقُ الْقِرَائِيُّ: ⁸¹⁹

وَ قَدْ اختلف القراء في قراءة قوله: " إِنْ لَنَا لَأَجْرًا " على وجوه هي:

- أ - قرأ نافع و ابن كثير و حفص عن عاصم و أبو جعفر و ابن محيصن بهمزة واحدة على معنى الخبر.
- ب - قرأ ابن عامر و حمزة و الكسائي و أبو بكر عن عاصم بتحقيق الهمزتين على الاستفهام.

- التَّوْجِيهُ الْقِرَائِيُّ:

أ - القراءة بهمزة واحدة على الإخبار بمعنى " أَنَّهُمْ أَلْزَمُوا فِرْعَوْنَ أَنْ يَحْمِلَ لَهُمْ مَا لَأِنْ غَلَبُوا ، فَقَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنَ : نَعَمْ إِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ " ⁸²⁰ ، وَ عَلَيْهِ فَإِنَّ " بِطَرِيقِ الْإِخْبَارِ ثُبُوتِ الْأَجْرِ وَ إِجَابِهِ ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا لَا بَدَّ لَنَا مِنْ أَجْرٍ عَظِيمٍ حِينَئِذٍ. " ⁸²¹ ، وَ كَأَنَّ الْإِسْتِفْهَامَ أَظْهَرَ فِي صُورَةِ الْخَبْرِ لِإِبْرَازِ التَّفَاوُلِ الَّذِي مَلَأَ قُلُوبَ السَّحَرَةِ لِفِرْعَوْنَ تَقْتَهُمْ فِي الْعَلْبَةِ ، فَتَيَقَّنُوا عَظِيمَ الْأَجْرِ.

ب - القراءة بهمزتين على الاستفهام التقريري بحذف الهمزة ⁸²² على معنى أَنَّهُمْ اسْتَخْبَرُوا فِرْعَوْنَ هَلْ يَجْعَلُ لَهُمْ أَجْرًا إِنْ غَلَبُوا ، أَوْ لَا ، وَ قَدْ ذَهَبَ إِلَى هَذَا التَّوْجِيهِ جَمْعٌ مِنَ الْمَفْسَّرِينَ ⁸²³ بِحُجَّةِ أَنَّ السَّحَرَةَ

816 - ينظر الدرّاسات الصوتية عند علماء التّجويد ، 567.

817 - ينظر الكشّاف ، 120.

818 - الأعراف ، 113

819 - التذكرة في القراءات الثمان ، 343 ، و الحجة في القراءات السبع ، ابن خالويه ، 88

820 - الجامع لأحكام القرآن ، 7 ، 258 .

821 - إرشاد العقل السليم ، 3 ، 259

822 - إرشاد العقل السليم ، 3 ، 259

823 - ينظر : جامع البيان ، 9 ، 18 - 19 ، والبيان في تفسير القرآن ، 4 ، 498 ، و مجمع البيان ، 2 ، 460 ، و زاد المسير في علم

التفسير، ابن الجوزي ، 3 ، 239 - 240 ، و ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 2 ، 237 .

يستفهمون عن الأجر ، و لم يقطعوا أنّ لهم الأجر و الثواب يؤيد هذا التعليل الشاهد القرآني في موضوع القصة القرآنية الواحدة قوله: " فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ " ⁸²⁴ و من خلال فنية التنويع في الأداء الصوتي - التنغيم - لوجوه التغير القرائي ترتسم صورة إعجاز الجمع بين وجوه التغير القرائي بوجهي الأداء التنغيمي - الخبر بالنغمة الهابطة و الاستفهام بالنغمة الصاعدة - في مشاهد متعددة أنّ قراءة الخبر تجلت من خلالها صورة ثقة السحرة في الغلبة و لازم ذلك ثبوت الأجر على سبيل التقرير الذي يوميء و كأنهم حكموا لأنفسهم بذلك على جهة التأكيد و يدل على هذا التعليل شواهد قرينة السياق اللفظي قال تعالى: " إِمَّا أَنْ تَلْقَىٰ وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمَلْقِينَ " ⁸²⁵ ، فأشارت إلى فرط الثقة جملة من القرائن منها :

✱ - دلالة التخيير على الإلقاء من قبل السحرة.

✱ - دلالة الضمائر البارزة الدالة على الشأن و العظمة.

✱ - دلالة السياق اللاحق " فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَ اسْتَرْهَبُوهُمْ وَ جَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ " ⁸²⁶ في تصوير السحر مقيدا بوصف الإرهاب و العظمة.

- التنظير القرائي و الإيجاز النحوي:

لقد ظهر النحو العربي ليرفع مفاصد العجمة عن اللسان العربي، و لقد كان مقصد الحفاظ على النصّ القرآني العلة الأولى في ذلك ليتحقّق مقصد الهداية الربانية بحسن الوقوف على مراد الله تعالى من خطابه ، و كمال إدراك معاني كلامه سبحانه ⁸²⁷، و لقد قسّم النحاة الفعل ثلاثة أقسام: " ماضٍ و هو ما دلّ على الزمن الماضي ، ومضارع وهو ما دلّ على زمن الحاضر أو المستقبل ، وجعلوا القسم الثالث وهو الأمر يدخل ضمن الدلالة على زمن المستقبل " ⁸²⁸ ، و منطلقهم في ذلك أنّ الفعل " أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء

824 - الشعراء ، 41

825 - الأعراف ، 115

826 - الأعراف ، 116

827 - النحو و الدلالة ، محمد حماسة عبد اللطيف ، ط1 ، 2000 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، ص 26

828 - أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ، فاضل مصطفى الساقى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 1977م ، ص 229 ، و لقد سار كل العلماء على هذا التقسيم انظر شرح ابن عقيل 1 ، 24 ، و أوضح المسالك ، 1 ، 21 ، و ابن مالك ، تسهيل الفوائد ، 4 ، و حاشية الصبان ، 1 ، 45 ، و حاشية الخضري ، 1 ، 17 .

، وبنيت لما مضى ، ولما يكون و لم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع "829 ، و" خصّوا كلّ زمن بصيغة معيّنة هو معناها في حالة الأفراد و التساوق على السواء " 830 ، و لقد اجتهد بعض العلماء في فهم الظاهرة الزمنية في النحو من خلال أدوات تفسيرية فأضافوا بعض الحدود العلمية لفهم التراكيب اللغوية في إطار مسارات الأفعال الزمنية فقالوا: الماضي ينصرف إلى الحال بالإنشاء ، و إلى الاستقبال بالطلب ، و يحتل الماضي و الاستقبال بعد حرف التحضيض مثلا ، و المضارع إذا تجرّد عن القرائن أفاد الحال ، و إذا اقترن بأدوات التنفيس أو أسند إلى متوقع تخلّص للاستقبال ، و إذا سبق ببعض الجوازم - لم و لما الجازمتان ولو الشرطية - انصرف للماضي ، و الأمر للمستقبل أبدا.831

لقد شملت ظاهرة الإعجاز القرآني الحقائق القرآنية كلّها 832 حتى استوعبت آفاق الزمان و امتداد المكان ، ولا نغالي إن قلنا إنّ الإعجاز في الزمن قد ظهر في الأفعال أفرادا و تركيبا ، بل إنّّه قد تنوّع بتنوّع الأساليب النظامية في ظروفها الزمنية قال ابن أبي الفضل المرسي: " جمع القرآن علوم الأولين و الآخرين بحيث لم يحط بها علما حقيقة إلاّ واهبها و المتكلم بها ، ثمّ رسول الله صلى الله عليه و سلم خلا ما استأثر به سبحانه ، ثمّ ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة و أعلامهم مثل الخلفاء الأربعة ، و ابن مسعود و ابن عباس حتّى قال: لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله."833

829 - الكتاب، 12/1.

830 - أقسام الكلام العربي، 231.

831 - انظر المقتضب ، المبرد، 4، 81، و تسهيل الفوائد ص 5 .

832 - قال ابن خلدون: " إعجاز القرآن إنما هو في وفاء الدلالة منه لجميع مقتضيات الأحوال منطوقه و مفهومه و هي أعلى مراتب الكلام مع اكتمال فيما يختص بالألفاظ في انتقائها و جودة وصفها و تركيبها.." المقدمة، ص 407

833 - السيوطي ، معترك الأقران، 1 ، 17

الزمن نوعان:

- زمن خلقه الله تعالى معينا بمقادير جري الشمس و منازل القمر تكميلا لنسق حركة الوجود قال تعالى: "وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ۚ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۗ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ" 835، و رعاية لمصالح الخلق في دنياهم قال تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوْقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ وَلَيْسَ الْأَبْرُ بَأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْأَيْمَانَ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" 836، فإذا استوى أمن المكلفين تحققت حكمة الهداية الربانية في المعاش ، وظهر مقصد الحساب الزمني في المعاد قال تعالى: " وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ ۗ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۗ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلًا ۗ وَكُلٌّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ ۗ فِي عُنُقِهِ ۗ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ۗ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا مِّنْ أِهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا " 837

834 - الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره ، والجمع أزمن، وأزمان، و أزمنة، و أزمن الشيء طال عليه الزمن، و أزمن بالمكان إذا أقام به زمتا. انظر جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، 3، 199 مادة زمن ، و لقد التيس مفهوم الزمن على المفكرين فاختلفوا في حقيقته لكنهم ربطوا بينه وبين الحركة والتغير في الأشياء، فالزمان يعتمد على هذه الحركة فتقاس بالفواصل القصيرة والطويلة التي تتعاقب فيها الأشياء ،وقد عرّف الزمان بأنه مقدار حركة الفلك ،أو هو ساعات الليل والنهار الطويلة منها والقصيرة ،أو هو حركة الأرض حول الشمس، وحول نفسها. انظر حسام الألوسي، الزمان في الفكر الديني والفلسفي وفلسفة العلم، ط 1، 2005، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص169، و بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، 1957م، ص12 ، و محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، 1960 ، دار المعارف، القاهرة، مصر ، ص9 ، و يحيى جبر، نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة ، سلسلة أسفار العربية ، ط 1 ، نابلس، فلسطين المحتلة، ص72 ، و نبيل نايف، الزمن أعقد المفاهيم، مقالة ، الموقع الإلكتروني www.Alhewar.org

835 - يس ، 37

836 - البقرة ، 189

837 - الإسراء ، 12 - 15

- زمن عند الحق سبحانه قال تعالى: "وَسْتَعِجَلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" 838، و قال تعالى: "يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" 839

- أهمية الزمن في القرآن الكريم:

الزمن من المباحث التي اهتم بها التفكير الإنساني تفسيراً و تعليلاً لكونه ظاهرة مجردة غير ملموسة يشعر بها الإنسان و يوظفها في تقدير الأمور ، و لقد أظهر القرآن الكريم أهمية الزمن العظيمة في آيات قرآنية كثيرة ، فقد أقسم الله سبحانه وتعالى به فقال: "وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" 840 ، و العصر اسمٌ للدهر 841 ، وأقسم به تعالى للدلالة على العبر البالغة ، و الإشارة إلى تفرده سبحانه بالألوهية بعد تفرده بالتصرف في الوجود ، 842 كما أقسم الله سبحانه وتعالى بمكونات الزمن و أجزائه إشعاراً منه بقيمته وتبنيهاً على أهميته 843 ، فأقسم بالليل و النهار ، و بالفجر و الصبح ، و بالشفق و الضحى مثال ذلك قوله جلا و علا: "وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ" 844 ، وقوله تعالى: "وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ" 845 وقوله سبحانه: "وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ" 846 ، و تتضح أهمية الزمن في القرآن الكريم في كونه مقياساً لتوضيح المدة التي تعلق بها الوجود المسخر قبل التكليف الرباني منها قوله تعالى: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ؕ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ" 847 ، بل فصل القرآن الكريم هذه الحقيقة الكونية في مشاهد

838 - الحج ، 47

839 - السجدة ، 5

840 - العصر ، 1 ، 2

841 - محمد محمود حجازي التفسير الواضح ، ط 10 ، 1968 ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، القاهرة ، ج 30 ص 77

842 - عبد الفتاح أبو غدة ، قيمة الزمن عند العلماء ، ط 10 ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، ص 20

843 - المرجع نفسه ، ص 20

844 - الليل ، 1 ، 4

845 - الضحى ، 1

846 - التكويد ، 17 ، 18

847 - السجدة ، 4

تصوّر القدرة الإلهية مما يدعو إلى التأمل و التدبّر في حكمة الوجود و عظمة الودود ، ففي تعاقب الليل والنهار استقامة الحياة و عونٌ للإنسان على تحديد الزمن ، والتأريخ للأحداث و الوقائع ، فإذا سقط التعاقب بين الليل المظلم والنهار المشرق توقفت الحياة الإنسانية ، وتلاشى الإحساس الإنساني بحقيقة الزمن و غايته ، 848 قال تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ" 849 ، وقال تعالى: "إِنَّ فِي آخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ" 850 ، ومن أعظم الدلائل على الحكمة الإلهية في خلق الزمن دقة تسخيرها ، و كمال ارتباطها بمعظم أحكام التشريع الإسلامي المؤقتة بالمواعيد الزمنية اليومية أو الأسبوعية أو الشهرية أو السنوية ، 851 قال تعالى: "أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا" 852 ، كما ارتبطت أجزاء الزمن بتصريف شؤون الحياة الإنسانية مما يُحتمُّ على الإنسان فهم الوقت و كمال احترامه ، و حسن تقسيمه و اغتنامه قال تعالى: "اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ" 853. وقوله تعالى: "وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ" 854 كما ربط القرآن الكريم بين الزمن ومصير الإنسان في الآخرة في مواضع عديدة من خلال حركة العمارة بالصلاح في الحياة الدنيا.

- الظلمة الزمنية في القرآن الكريم:

لقد قسّم النحاة الفعل وفق معيار تقسيم الزمن القائم على حركة الوجود المنضبطة بتعاقب الليل و النهار ، و يتلخّص المفهوم عندهم في أنّ الأفعال " صيغ تدلّ على وقوع أحداث في مجالات زمنية مختلفة ترتبط

848 - زغلول النجار الليل والنهار في القرآن الكريم، مجلة حراء ، علمية ثقافية فصلية، عدد5 ، 2006 م، القاهرة.

849 - آل عمران ، 190

850 - يونس، 6

851 - حسين الشامي، قيمة الزمن في القرآن الكريم ، صحيفة الأضواء أسبوعية تصدر في هولندا الموقع الإلكتروني

www.aladwaa.net

852 - الإسراء، 78

853 - غافر ، 61

854 - الروم ، 23

ارتباطا كليًا بالعلاقات الزمنية عند المتكلم"، 855 فخصّوا كل زمن بصيغة معينة- الماضي والحاضر والمستقبل - ، ثم صحّحوا القسمة فأصلّوها فقالوا: " الفعل لا يقع إلا في زمان و الأزمنة ثلاثة قال الله تعالى: " له ما بين أيدينا " فدلّ على زمان المستقبل ، ثم قال: " و ما خلفنا " فدلّ على الزمان الماضي ، ثم قال: " و ما بين ذلك " فدلّ على زمان الحال ، و يوضّح ذلك أنّ الفعل حركات الفاعلين ، و الزمان حركات الفلك " ، 856 فأصبح للفعل دلالتين واحدة باعتبار الحدث ، و الأخرى باعتبار الزمن ، فتعددت فكرة الزمن في النحو بين البصريين الذين يأخذون بالقسمة الثلاثية و الكوفيين الذين أسقطوا الحال فلم يذكروه إلا على سبيل الوصف لدقته ، و لطافته 857 ، و من هذا لم تستوعب القسمة النحوية كل الحالات اللغوية إذ نسيت الجوانب العميقة الذاتية للغة العربية فوق التفريق مثلا بين حالة الأفراد و التركيب 858 ، و عليه فإنّ طبيعة الفرق بين مقرّرات القواعد و مطالب مقامات السياق تفرض علينا نسبة الزمن الصرفي إلى الميزان الصرفي ، و الزمن النحوي إلى مطالب السياق و التركيب 859 ، و عليه فإنّ منهج إدراك المعاني حسن الوقوف على نظم المباني مع اعتبار نوعين من الزمن هما: 860

أ - الزمن الصرفي: وهو الذي دلّت عليه صيغة الأفراد خارج التركيب و هو السياق.

ب - الزمن النحوي: وهو الذي دلّت عليه صيغة النظم التركيبي بقرائنه اللفظية أو الحالية 861 ، و عليه فإنّ " مجال النظر في الزمن النحوي هو السياق ، و ليس الصيغة المفردة ، و بناء الجملة العربية أخصب مجال لهذا النظر ، بينما لا يكون مجال النظر في الزمن الصرفي إلا في الصيغة مفردة خارج السياق " 862 ، و عليه فإنّ تفسير النصوص القرآنية يرتفع عن مفهوم الصيغة الزمنية التي تواضع عليها البشر لأنّ الزمن الدنيوي المخلوق لا يفي بالتعبير عن حالات خارج حدوده ، و عليه فإنّ المنهج في الوقوف على أسرار إعجاز القرآن

855 - في النحو العربي نقد وتوجيه ، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي ، ط2، 1406هـ، 1986م، بيروت ، 145

856 - الحيدرة اليمني ، كشف المشكل ، ص 199

857 - انظر المفصل، ابن يعيش، 7 ، 4

858 - أقسام الكلام العربي ، 231.

859 - انظر تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص 243

860 - انظر اللغة العربية معناها و مبناها، 240 ، و الزمن واللغة ، 83 ، و أقسام الكلام العربي، 235-236.

861 - الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، دراسة نظرية تطبيقية للتوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، عبدالحמיד أحمد يوسف هندراوي، المكتبة العصرية ، بيروت، ط1، 1422هـ - 2001م، ص 50.

862 - انظر أقسام الكلام العربي ، 237 ، و الزمن واللغة، 82

الكريم أن يكون القرآن هو منطلق الدراسة و أصل التقعيد ليظهر نحو المعاني الذي طبقه الجرجاني في نظرية إعجاز النظم القرآني.

لقد دلّ البحث بالتتبع أنّ ورود الأفعال في سياق التركيب القرآني يأبي اتباع الحدود النحوية المألوفة في أزمنة الفعل ليعجز اللفظ و زمنه بالقيود النحوي في التعبير عن الحدث الماضي بالمضارع ، و عن الحدث المستقبلي بالزمن الماضي قال ابن الأثير: " واعلم أنّ الفعل المستقبل إذا أتى به في حالة الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي ، وذلك لأنّ الفعل المستقبل يوضّح الحال التي يقع فيها ، و يستحضر تلك الصورة حتى كأنّ السامع يشاهدها ، وليس كذلك الفعل الماضي "863 ، فلا تقع المطابقة بين أزمنة الأفعال في التركيب الواحد بل إنّ إعجاز الأسلوب القرآني يؤثر صيغ التحوّل بين أزمنة الأفعال لأسرار ربانية ، و حكم شرعية ، كأن يرد في السياق ذكر الفعل المضارع ثمّ يتحوّل سياق النظم القرآني إلى الفعل الماضي أو العكس ، أو يقع الحديث عن الفعل في المستقبل بالحدث الماضي ليدفع التحوّل المخاطب إلى إعمال العقل بالتأمل في تلك الظاهرة للكشف عن تراحم الأزمنة في ظاهر المباني ثمّ يدفع المتلقّي للانتباه إلى أسرار النصوص وأزمنتها في البنية العميقة " ، 864 و يقول ابن الأثير: " اعلم أيّها المتوسّح لمعرفة علم البيان أنّ التحوّل عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك ، وهو لا يتوخّاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة و البلاغة الذي اطّلع على أسرارها ، وفتش عن دوائنها ، ولا تجد ذلك في كل كلام ، فإنّه من أشكال ضروب علم البيان ، وأدقها فهماً و أغمضها طريقاً "865 و يمثّل لهذه الظاهرة النحوية الإعجازية فعل " أتى " في قوله تعالى: " أتى أمرٌ الله فلا تستعجلوه "866 ، فقد دلّ بصيغته الصرفية على الماضي المنقضي بإطلاق ، غير أنّه دلّ على معنى الاستقبال بدلالة سياق النظم القرآني أشارت إلى ذلك القرينة اللفظية " فلا تستعجلوه " ، و بهذا اجتمعت دلالتان صرفية و نحوية إفراداً و تركيباً ليدلّ المقام بلفظه و نظمه على " توظيف الصيغة في معنى الاستقبال متضمّنة معنى الماضي و موظفة له في الوقت

863 - المثل السائر ، 2، 194.

864 - تحولات البنية في البلاغة العربية، أسامة البحيري ، دار الحضارة، القاهرة، مصر، ص 320.

865 - المثل السائر ، 2، 193.

866 - النحل، 1

نفسه ، فكأن مقصود الآية : سيأتي أمر الله لا محالة مجيئاً مقطوعاً به ، بل هو في حكم ما وقع و أتى بالفعل. "867

- الإيجاز النحوي بين الزمن الفيديائي والوظيفة الصائغية:

لقد وظّف القرآن الكريم أفعالاً في أزمنة دلّ عليها تقسيم النحاة للأفعال العربية إلاّ أنّها خرجت من ضيق حدود التقييد النحوي إلى سعة الزمن و رحابته ، فأظهرت معجزتها التي أبهرت العقل الإنساني فلم يحط بها خبراً ، و أعجزت التنظير النحوي فلم يستطع لها طلباً قال تعالى: " وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۗ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ " 868 لتفي بالتحدي المعجز "لَمْ تَفْعَلُوا" فعلهم بالقلب في آباد الأزمان الماضية ، و بالنظم المبهر " لن تفعلوا " في آفاق زمن المستقبل الممتد ليدلّ الخلود القرآني على معجزة خلود الزمن في الأفعال القرآنية ، و لقد تجلّى هذا المشهد الإعجازي من خلال تحوّل الأفعال في الأزمنة المتغيرة وفق الصيغ الآتية:

1- التحوّل من الماضي إلى الإصر:

مثاله ما ورد في قوله تعالى: " وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ " 869

- التوثيق الصائغ:

لقد جاء فعل " اتَّخِذُوا " على قراءتين: 870

✽ - قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء ، على الخبر بالفعل الماضي.

✽ - قرأ الباقون بكسر الخاء على الإنشاء بفعل الأمر.

867 - الإعجاز الصرفي ، 52-53.

868 - البقرة ، 23 ، 24

869 - البقرة 125

870 - انظر الداني ، التيسير في القراءات السبع ص 76 ، و ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر 2، 222 ، و إتخاف فضلاء البشر

147 ، وغيث النفع ، الصفاقصي ، 30 .

- التوجيه القرآني:

✽ - قراءة الفتح : فتح الحاء يدلّ على أنّه فعل ماضٍ أريد به الإخبار عن من كان قبلنا من المؤمنين أنّهم اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، وهو معطوف على قوله تعالى: " و إذ جعلنا على إضمار إذ كأنه و إذ اتخذوا 871 ، و التقدير: " و اذكر يا محمد صلى الله عليه و سلم إذ اتخذ الناس من مقام إبراهيم عليه السلام مصلى ، و اذكر إذ عهدنا إلى إبراهيم .. ، فكلمه خبر فيه معنى التثنية والتذكير لما كان ، فحمل ما قبله على ما بعده ليتفق الكلام و يتطابق. 872

✽ - قراءة الكسر: والقراءة بالكسر فيها معنى الأمر ، وهو على إرادة القول أي و قلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلّون فيه 873 ، وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب 874 ، وقيل إنّ ذلك عطف على الأمر الذي يتضمّنه "جَعَلْنَا أَلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ" لأنّ المعنى ثوبوا و اتخذوا 875 ، ولقد اختلف المفسرون في المخاطب بالأمر على أقوال:

✽ - الأول: أنّ المخاطب به الأمة على أنّه كلام اعترض في خلال قصّة إبراهيم عليه السلام، والتقدير: أنا لما شرفناه و وصفناه بكونه مثابة للناس وأمنًا ، فاتخذوه 876 - أنتم - قبلة لكم ، و الواو و الفاء قد تذكر كل واحدة منهما في هذا الوضع ، وإن كانت الفاء أوضح 877، ويؤيد هذا المعنى ما جاء عن عمر رضي الله عنه قال: " وافقت ربّي في ثلاثٍ ، فقلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فتركت " و اتخذوا

871 - أبو علي الفارسي ، الحجة للقراء السبعة ، ج 2، ص 220

872 - مكي بن أبي طالب القيسي ، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، ج 1، ص 263 .

873 - و الوقف على " أمنًا " ووقف تام لأنه وقف على كلام تم معناه ولم يتعلق بما بعده لا لفظًا ولا معنى. انظر الداني ، المكنفى في الوقف و الابتداء، ص 175 ، و لقد جاءت الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم لتفيد معنى القراءة. انظر مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب

حجة النبي صلى الله عليه وسلم 2 ، 887

874 - الزمخشري ، الكشاف ، ج 1 ، ص 31

875 - ابن عطية ، الخور الوجيز ، ج 1 ص 480

876 - انظر الكشاف ، 1 ، 263 ؛ و تفسير ابن كثير 1 ، 169 .

877 - تفسير الرازي ، ج 2، ص 402

مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى " 878 قال ابن خالويه: " فالْحِجَّةُ لِمَنْ كَسَرَ أَمْرَهُمْ بِذَلِكَ وَ دَلِيلُهُ قَوْلُ عُمَرَ: أَفَلَا تَتَّخِذُهُ مِصْلَى؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ذَلِكَ مُوَافِقًا بِهِ قَوْلَهُ. " 879

❦ - الثاني: أَنَّ الْمُخَاطَبَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ 880، فَيَكُونُ وَاتَّخِذُوا عِطْفًا عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: " يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ " 881، وَ التَّقْدِيرُ: اذْكُرُوا نِعْمَتِي وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى. 882

❦ - الثالث: أَنَّ الْمُخَاطَبَ بِهِ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ أَتْبَاعَهُ ، وَ الْأَمْرُ مِنْ جُمْلَةِ الْكَلِمَاتِ الْمُبْتَلَى بِهِنَّ ، وَ التَّقْدِيرُ: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا وَ اتَّخِذُوا. 883

❦ - الرابع: أَنَّ الْمُخَاطَبَ بِهِ وَلَدَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَمْرٌ بِهَذَا وَلَدُهُ إِلَّا أَنَّهُ تَعَالَى أَضْمَرَ قَوْلَهُ وَ نَظِيرَ هَذَا الْأَسْلُوبِ الْقُرْآنِيِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: " وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " 884 ، فَيَفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْأَمْرَ لَهُمْ هُوَ أَبُوهُمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَ لَوْلَا حَدِيثُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَكَانَ هَذِهِ الْأَقْوَالُ التَّفْسِيرِيَّةُ التَّوْجِيهِيَّةُ الْأَمْثَلُ فِي الدَّلَالَةِ الْقُرْآنِيَّةِ.

❦ - الرَّاجِعُ مِنَ الْأَقْوَالِ:

الصَّحِيحُ أَنَّ الْمُخَاطَبَ بِهِ - عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ - هِيَ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ وَكَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ الْأُمَّةَ السَّابِقَةَ قَدْ أُمِرَتْ بِهِ كَمَا أُمِرَتْ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ ، وَ لَا تَعَارُضُ ، وَ لَكِنَّ نَزُولَ الْآيَةِ مُوَافِقَةٌ لِرَأْيِ سَيِّدِنَا عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ

878 - رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس ، كتاب الصلاة ، باب ما جاء في القبلة ومن لم ير الإعادة على من سها فصلى إلى غير القبلة ، 1 ، 105 ، ورواه ابن جرير الطبري في جامع البيان ، ج 1 ، ص 534

879 - ابن خالويه ، الحجة 87 ، و حديث عمر رضي الله عنه نص صريح في أنه سبب نزول الآية بقراءة الأمر . انظر ابن حجر العسقلاني ، العجائب في بيان الأسباب ، تحقيق فواز أحمد زمرلي ، ط 1 ، 2002 ، دار ابن حزم ، بيروت ، 193 ، و حديث عمر رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب حجة النبي صلى الله عليه و سلم ، رقم 1218 ، 2 ، 886 ، و أبو داود في سننه ، كتاب المناسك ، باب صفة حجة النبي صلى الله عليه و سلم ، رقم 1905 ، 2 ، 182 ، و ابن ماجة في سننه ، كتاب المناسك ، باب حجة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، رقم 3074 .

880 - الطبري ، جامع البيان ، ج 1 ، ص 535

881 - البقرة ، 122

882 ينظر الأخفش ، معاني القرآن ، 1 ، 147 .

883 - انحرر الوجيز ، ابن عطية ، ج 1 ، ص 480

884 - الأعراف ، 171

عنه يدلّ على أنّ الأمر على قراءة كسر الخاء يتعلّق بهذه الأمة ، و أما القراءة بفتح الخاء فهي صريحة في أنّ المراد به من سبقنا من الناس ، أي من متّبعي إبراهيم عليه السلام ، ولا تعارض بين القراءتين ، بل إنّ كل قراءة أفادت معنى أرادته الله تعالى، وذلك أنّ الناس من أتباع إبراهيم الخليل عليه السلام اتّخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، وأمرنا نحن أتباع محمد صلى الله عليه و سلم أن نتّخذ مصلى اقتداءً بهم ، 885 و بهذا أضفى التحوّل عن الفعل الماضي "جعلنا " إلى فعل الأمر " اتّخذوا " من خلال مسلك فنية العدول شدّ انتباه المتأمّل في النص القرآني لمتابعة القصص لتحقيق مقصد الامتثال للتوجيه الإلهي الذي يُظهر عقيدة التوحيد الخالص ، و يجلّي حقيقة الاتّباع بين السابقين و اللاحقين ، 886 و قد دلّ التغير القرائي بوجهيه على أفضلية الأمة الحمّدية بمسلكين: 887

﴿ - الأوّل: التكليف فقد ظهرت الأفضلية بكمال الاتّباع و الامتثال.

﴿ - الثاني: التشريف فقد ظهرت الأفضلية بالتوصيف من خلال الإخبار ، و عليه فإنّ التغير القرائي قد أشار إلى صفة الخلود القرآني الذي تجلّت مشاهدته في الامتداد الزمني بين الماضي و المستقبل ، و في الاستيعاب الأفقي بين عموم المكلفين في الماضي المخبر عنهم و المخاطبين إلى قيام الساعة ، و في كمال المترلة في كمال اتّباع التوحيد.

2 - التحوّل من المضارع إلى الإص.

مثاله ما ورد في قوله تعالى: " أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِبَةٌ عَلَىٰ غُرُوبِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ^ط فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ^ط قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ^ط قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ^ط قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّه ^ط وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ ^ط وَانظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا ^ط لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " 888

885 - انظر مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، العدد 10 ، 1993 ، طرابلس، ليبيا ، ص 41

886 - تحولات البنية في البلاغة العربية ، 327.

887 - ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبع ، 87.

888 - البقرة ، 259

- التوثيق القرآني:

لقد جاء فعل " أعلم " بالتغاير على قراءتين هما: 889

- ✽ - الأولى: قرأ الجمهور بقطع الألف و الرفع ، وفاعل قال ضمير يعود على الرجل.
- ✽ - الثانية: قرأ حمزة و الكسائي بوصل الألف و الجزم ، و فاعل قال يعود على الله تعالى.

- التوجيه القرآني:

✽ - قراءة المضارع:

أفاد خطاب الإخبار بالعلم ما يلي:

✽ - دلت قراءة الرفع أن الرجل لما شاهد صورة البعث و النشور أبصر عظمة القدرة الإلهية ، فعلم علما يقينيا مؤصلاً بالآيات الإلهية في النفس و الآفاق فأقرّ للقادر سبحانه ، و أذعن له و استسلم 890 ، فوجه الخطاب لنفسه اعتذاراً عن مقالته التعجيبية " أتى يحيي هذه الله بعد موتها " التي استبعدت تعلق القدرة الربانية بالمشهد حصراً دون غيره ، 891 فرفع الفعل بالإخبار عنها 892 ليخبر غيره علم عين اليقين الذي لا تعتريه الشبهة ، ولا يطرأ عليه الريب. 893

✽ - قراءة الأمر:

أفاد خطاب الأمر بالعلم ما يلي:

-
- 889 - معاني القرآن و اعرابه ، 1، 193 ، الكشف ، 1، 312 ، و التيسير في القراءات ، 82 ، البحر الخيط ، 2، 205.
- 890 - الحجة في علل القراءات السبع ، 383/2، و الكشف عن وجوه القراءات ، 1، 312 ، و تفسير المراغي، ط1 ، 1946 ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده ، القاهرة، ج3، ص25
- 891 - نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، ط1 ، 1995 ، دار الكتب العلمية، بيروت، 4، 59
- 892 - انظر معاني القرآن ، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، ط 2 ، 1980 م، عالم الكتب، بيروت، 1، 174، و معاني القرآن، للأخفش ، 1، 183 ، و التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ، تحقيق علي محمد الجاوي، دار الجيل بيروت، ط2، 1407هـ - 1987م ، 1، 211.
- 893 - انظر الموضح ، 1، 343 ، و الحجة لأبي علي الفارسي ، 2، 383 ، و الحجة لأبي زرعة ، 144، 145.

﴿ - صدور خطاب الأمر من الله تعالى إلى الرجل خاصة ، و على هذا ففاعل " قال اعلم" هو الله تعالى فحصر العلم في المار دون غيره إمّا على سبيل التدبر و الاعتبار ، أو التحقق و التثبيت ، أو التدرّج باليقين ، 894، فعلم الرجل ضرباً من العلم لم يعلمه من قبل و لم يعلمه غيره ، 895،

لكنّ مكّي القيسي استبعد أن يكون الأمر بالعلم من الله جلّ ذكره لأنّه أظهر له تفرّده بالقدرة ، و بيّن له وحدانيته ، فأيقن العبد صحّة ما شاهده ، وأقرّ بالخضوع لقدرة من أماته ثمّ نشره، فخاطب نفسه آمراً لها بالعلم اليقيني. 896.

﴿ - صدور خطاب الأمر من الله تعالى إلى الرجل خاصّة ، و على هذا ففاعل" قال اعلم" هو الله تعالى ، و إلى الموجودين في زمان الرجل 897، و إلى الخلق عامّة ليتحقّق مقصد القصص القرآني في الدعوة إلى العقيدة الإسلامية ، و تثبيت أصولها الصحيحة في النفس البشرية ، و عليه فقد جاء الأمر لتذكير النفوس البشرية بالقدرة الربّانية المطلقة على البعث و النشور يؤكّد دلالة التذكير القرينة اللفظية لأفعال الأمر للسياق السابق " انظر إلى طعامك " و " انظر إلى حمارك " و " انظر إلى العظام. " 898

﴿ - صدور خطاب الأمر من الملك إلى الرجل.

﴿ - صدور خطاب الأمر من الرجل إلى نفسه ، و على هذا ففاعل " قال اعلم" هو الرجل ، فقد أنزل نفسه منزلة المخاطب الأجنبي المنفصل ، و التقدير: لما تبين له البعث عين اليقين قال لنفسه: اعلمي يا نفس هذا العلم اليقيني الذي لم تكوني تعلمينه ، و عليه يؤول معناه إلى معنى الخبر ، كأنّه يحقّق عند نفسه هذا العلم ، 899، و يسمّى هذا بالتجريد. 900،

894- انظر التفسير الكبير ، الرازي ، 7، 33، وجامع البيان ، 3، 56، و الكشاف ، 1، 303.

895- الجامع لأحكام القرآن ، 2، 4 و 11.

896- المصدر نفسه ، 2، 4 و 11.

897- حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، تحقيق عبد الله محمود محمد عمر، ط1، 2001، دار الكتب العلمية، بيروت، 418، 5، و تؤكد دلالة القراءة الشاذة " أعلم " من أعلم الرباعي " أي: أعلم غيرك بما شاهدته من قدرة الله تعالى. " انظر تفسير حدائق الروح و الريحان في روائع علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري ، تحقيق هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط1، 2001، دار طوق النجاة، بيروت، 4، 42

898- انظر الكشاف 1، 312، و دراسة الأعمش دراسة لغوية نحوية ، 180

899- الموضح ، 1، 343، و حجة أبي علي الفارسي ، 2، 383، و حجة أبي زرعة ، 144، 145.

900- العكبري، التبيان في إعراب القرآن ، 1، 211.

- مسالك اللمة الإجمالية بينه وبين التنوير القرآني:

لقد أفادت قراءة الأمر جزم القلب على كمال اليقين - بعد مشاهدة صورة البعث و النشور - بعد الجمع بين وجهي الإيمان بالبعث ، و التعجب منه ، و يؤكد معنى هذه القراءة أمران:

✽ - الاستعمال القرآني في دلالة أمره تعالى لإبراهيم عليه السلام في قصة إحياء الطيور: " و اعلم أنّ الله عزيز حكيم " ، فليس الذي دخل القرية بأفضل من الخليل عليه السلام. 901

✽ - دلالة قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه " قيل له اعلم " ، 902 ثم جاءت قراءة الرفع إخباراً عن حالة الخضوع و الاستسلام برؤية صورة مشهد اليقين 903 بعدما " تبين له ما كان على شكّ فيه أخبر عن نفسه بالعلم اليقين " ، 904 ثم بلغ غيره فائدة علمه لتدلّ القراءتان على أنّه علم وعلم ، فجمع فضل العلم والتعليم ، 905 و لقد دلّ الجزم النحوي على دلالة وجوب الجزم العقدي بتفرد الله تعالى بالقدرة المطلقة ، و القطع بتفرد سبحانه بالبعث و النشور ، فحصل بذلك وجه المطابقة بين القاعدة النحوية الإعرابية و الدلالة القصصية القرآنية ، و تجلّت صورة التطابق في نقل مشهد المعلوم المدسوس في النفس إلى حقيقة اليقين في صورة المحسوس في الكون لتدلّ القراءتان على درجتين من العلم: الأولى علم اليقين و الثانية عين اليقين.

901 - البقرة ، 260، و انظر معاني القرآن ، الفراء ، 1، 173، و الكشف 1، 312، و معاني القرآن ، الأخفش 1، 183.

902 - انظر معاني القرآن ، الفراء ، 1، 173.

903 - انظر الحجة في علل القراءات ، 312 ، و معترك الأقران ، 3، 28 .

904 - مكّي بن أبي طالب القيسي ، الكشف ، 1، 312-313.

905 - البقاعي ، نظم الدرر ، 1، 507.

الفصل الثاني: التنايخ القرآني و الإجاز المقاصدي.

- التنايخ القرآني و إجاز القدرة الإلهية:

”خلق ميسر عليه السلام نوحًا“

- التنايخ القرآني و الإجاز في بيان الخيب:

”البحث و النشور نوحًا“

- التنابيز القرائي و الإجاز المقابلي :

- المقيطة لنته و اصطلاحه :

- المقيطة لنته :

يطلق لفظ العقد على الربط والشد بين الطرفين قال ابن فارس: " عقد العين والقاف والذال أصل واحد يدلّ على شدّ وشدّة وتوحد ، و إليه ترجع فروع الباب كلها 906، وعقد الحبل والبيع والعهد يعقده إذا شدّه 907، و العقد نقيض الحل قال تعالى: "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ؕ أَحَلَّتْ لَكُمْ بَيْمَةً ءَلَّا تَعْمُرُوا إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ؕ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿٩٠٨﴾ " ، قيل هي العهود وقيل هي الفرائض التي ألزموها، ومنها التكاليف والأحكام و ما يعقدونه من عقود الأمانات والمعاملات. 909

- المقيطة اصطلاحه :

اختلف العلماء في تعريف علم العقائد على ما يلي:

✽ - تعريف ابن أبي الشريف المقدسي: " العلم بالأحكام الشرعية الأصلية، أي الاعتقادية. " 910

✽ - تعريف أبي حامد الغزالي: " و إنما مقصوده - علم الكلام - حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة " 911 ، وحصره في مذهب أهل السنة، ولم يتجاوز به إلى غيرهم من المخالفين كالجهمية والمعتزلة .

✽ - تعريف التفتازاني : و عرفه بوجهين :

906 - أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، ط 2، 1420، 86.4.

907 - الفيروز آبادي أبو طاهر محمد بن يعقوب ، القاموس الخيط، ط القاهرة، 1371 هـ، 1952 م، ص 383 .

908 - المائدة ، 1 .

909 - انظر ابن منظور أبو الفضل جمال الدين بن منظور ، لسان العرب، دار صادر، بيروت 1956 ، ط 1، 3 ، 296 ، 297 ، و إسماعيل حقي البروسي ، تنوير الأذهان في تفسير روح البيان، تحقيق محمد علي الصابوني ، دار القلم، ط 2 ، 1409 هـ، 1989 م، 1 ،

402

910 - ابن أبي شريف، المسامرة شرح المسامرة ، ص 31 .

911 - الغزالي أبو حامد ، المنقذ من الضلال ، تحقيق جميل ابراهيم حبيب ، دار القادسية، بغداد ، ص 17 .

✎ - أحدهما: " العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من الأدلة." 912

✎ - ثانيهما: " العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية." 913

✎ - تعريف ابن خلدون: "علم يتضمّن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ، والردّ على المبتدعة

المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنّة." 914

✎ - تعريف الجرجاني: و عرفه بوجهين :

✎ - أحدهما: "علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته وأحوال الممكنات من المبدأ و المعاد ، على

قانون الإسلام." 915

✎ - ثانيهما: " العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من الأدلة." 916

✎ - تعريف محمد عبده: " علم يبحث فيه عن وجود الله ، وما يجب أن يثبت له من صفات ، و ما يجوز أن

يُوصف به ، وما يجب أن ينفي عنه ، وعن الرسل لإثبات رسالاتهم ، وما يجب أن يكونوا عليه ، وما يجوز أن

ينسب إليهم ، وما يمتنع أن يلحق بهم." 917

✎ - تعريف محمد فريد وجدي: " علم يشتمل على بيان الآراء والمعتقدات التي صرّح بها رسول الله صلى

الله عليه و سلّم ، و إثباتها بالأدلة العقلية ، ونصرتها وتزييف كل ما خالفها " 918 ، و من هذه التعاريف

912 - ينظر التفتازاني ، شرح النسفية ، ص 8 ، 9 .

913 - التفتازاني مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين ، شرح المقاصد في علم الكلام ، ط 1 1305 هـ ، مطبعة الحاج محرم أفندي السنوي ، 1 ، 27 .

914 - ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ، المقدمة ، دار الكشاف ، بيروت ، ص 458 .

915 - الجرجاني علي بن محمد بن علي ، التعريفات ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 2002 ، 1 ، 24 ، وبهذا

اتفق الجرجاني مع التفتازاني على البحث في هذا العلم بقيد قانون الإسلام حتى يتميّز عن الإلهيات عند الفلاسفة. انظر عبد الله ، محمد رمضان ، الباقلاني وآراؤه الكلامية ، مطبعة الأمة ، بغداد ، 1986 ، ص 21 .

916 - المصدر نفسه ، ص 150 .

917 - محمد عبده ، رسالة التوحيد ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط 7 ، 1412 هـ 1992 م ، ص 43 .

918 - دائرة معارف القرن 14 هـ ، 20 م ، ط 3 ، 1971 م ، بيروت ، 6 ، 620 .

يَتَّضِحُ أَنَّ عِلْمَ الْعَقِيدَةِ يَعْتَمِدُ الْبَحْثَ الدَّقِيقَ، وَالنَّظَرَ الْعَمِيقَ فِي إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى صِحَّةِ الْعُقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ الثَّابِتَةِ بِالْوَحْيِ الْقُرْآنِيِّ، وَأَصْلُ هَذَا الْعِلْمِ الْإِيمَانِ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى فِي ذَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَصِفَاتِهِ. 919

- الْإِيمَانُ الْفَتَى:

يَطْلُقُ لَفْظَ الْإِيمَانِ عَلَى التَّصْدِيقِ مُطْلَقاً 920 ، وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: "قَالُوا يَا بَنَاتَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿٩٢١﴾" 921 أَي بِمُصَدِّقٍ لَنَا. 922

- الْإِيمَانُ الْمَطَالِقُ:

وَلَهُ تَعْرِيفَاتٌ كَثِيرَةٌ أَهْمُهَا:

- ✽ - "التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان" 923 ، و الإجماع أنه: لو صدق واعتقد بقلبه و شهد بلسانه، ولكنّه امتنع عن العمل بجوارحه فهو فاسق عاص لله تعالى ولرسوله، ومن لم يعتقد وإن شهد بلسانه وعمل بجوارحه فهو منافق، ومن أخلّ بالشهادة فهو كافر. 924
- ✽ - "الإيمان قول وعمل و معرفة ، يزيد بالطاعة ، و ينقص بالمعصية." 925

919 - ينظر التفتازاني، شرح المقاصد، 1، 179، 180؛ رشدي محمد عليان وقحطان الدوري، أصول الدين الاسلامي، مطبعة الرشاد، بغداد، ط 3، 1406 هـ، ص 26، 27.

920 - ينظر الباجوري، شرح الجوهرة، ص 279، و ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج 1 ص 60؛ و ابن سلوم محمد بن علي، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، ط 1، 1386 هـ، 1996 م، ج 1 ص 403؛ و ابن أبي العز علي بن علي بن محمد أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، المكتبة الاسلامية، ط 1430 هـ، 2009 م، بيروت، ص 332؛ و الجرجاني، التعريفات، ص 43. 921 - يوسف، 17.

922 - ابن أبي العز، شرح الطحاوية، ص 337.

923 - انظر التفتازاني، شرح المقاصد في علم الكلام، ج 5 ص 179؛ و ابن أبي العز، شرح الطحاوية، ص 331، 332؛ و العسقلاني، فتح الباري، 1، 61.

924 - ينظر ابن أبي العز شرح الطحاوية، ص 333؛ الجرجاني، التعريفات، ص 43.

925 - الصابوني أبو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن، ثلاث رسائل عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ط 1990 م، مكتبة التراث، بغداد، ص 67، و ابن تيمية، شرح العقيدة الواسطية، ط 2، 1417 هـ، 1979، مكتبة دار الفيحاء، دمشق، ص 13.

- التنزيه القرائي و إجاز القصة الإلهية: "خلق ميسو عليه السلام نموذجا"

و مثلت له بقوله تعالى: " قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ^ط وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٣٦﴾ * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٣٧﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا ﴿٣٨﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٣٩﴾ وَهَزِيءَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا ﴿٤٠﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ^ط فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٤١﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ^ط قَالُوا يَمْرَأَتُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٤٢﴾ يَتَأَخَّتُ هُنُورًا مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٤٣﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ^ط قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٤٤﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٤٦﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٤٧﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٤٨﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ ^ط سُبْحٰنَهُ ؕ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ^ط هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ^{٩٢٦}

- التوثيق القرائي:

قرئ قوله تعالى: " فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا " على وجهين:

- * - كسر الميم من " مِنْ " فهو حرف جرّ و الضمير في الفعل يرجع على عيسى أو جبريل. 927
- * - فتح الميم من " مَنْ " بمعنى الذي الفاعل و يرجع على عيسى أو جبريل أمّا " تحت " فظرف مكان. 928

926 - مريم ، 35 ، 36

927 - قراءة نافع و حمزة و الكسائي وحفص عن عاصم و هي قراءة البراء بن عازب و ابن عباس و زيد بن علي و الضحاك و روح و خلف و ابن محيصين و الأعمش. انظر الإتحاف 298 ، التبصرة 586 ، السبعة 409 ، الكشف عن وجوه القراءات، 2، 86 ، المكرر 79 ، التذكرة في القراءات الثمان ، 2 ، 425 ، روح المعاني، 16 ، 82 ،

928 - قراءة ابن كثير و ابن عامر و أبي عمرو و أبي بكر عن عاصم و زر بن حبيش و مجاهد و اليزيدي. انظر الإتحاف 298 ، التبصرة 586 ، السبعة 409 ، الكشف عن وجوه القراءات ، 2، 86 ، المكرر 79 ، التذكرة في القراءات الثمان، 2 ، 425 ، روح المعاني ، 16 ،

- التوجيه القرائي:

✽ - توجيه قراءة الجر:

قراءة الجرّ على أنّ " مِنْ " حرف جر، و" تحت "929 اسم مجرور ، و"نادى" فعل، والفاعل مضمّر تقديره "هو"930 ، والمفعول به مريم عليها السّلام، و التقدير: فناداها هو مِنْ تحتها،
وشبه الجملة " مِنْ تحتها " إمّا حال أو ظرف 931 ، والهاء ضمير متّصل عائد على مريم عليها السلام.
✽ - دلالة قراءة الجر:

أفادت تعيين موضع صدور النداء، سواء أكان المنادي عيسى عليه السلام932، أو جبريل عليه السلام933، و دلّت عبارة القراءة " مِنْ تحتها " أنّها موضع جلوس مريم عليها السلام دون إفادة معنى الوعاء يقول ابن خالويه: " جعلها حرفاً خافضاً للظرف لأنّه اسم للموضع، و الظرف في الحقيقة الوعاء ، فلذلك جعل المكان ظرفاً ، لأنّ الفعل يقع فيه فيحويه "934 ، و قد قصدت قراءة الجرّ بيان المكان فأضمرت الفاعل.
✽ - توجيه قراءة النصب:

قراءة النصب على الظرفية 935، و"مَنْ" - فاعل- اسم موصول بمعنى الذي 936 ، والتقدير: فناداها الذي تحتها ، والهاء ضمير متّصل عائد على النخلة.937
✽ - دلالة قراءة النصب:

929- يقول ابن عقيل: ما وقع منها مجروراً نحو سرت في يوم الجمعة وجلست في الدار على أن في هذا ونحوه خلافاً في تسميته ظرفاً في الاصطلاح. انظر شرح ألفية ابن مالك، ابن عقيل ، 2، 191 .
930 - ينظر الحجة في القراءات السبع ، 237 ، إملاء ما منّ به الرحمن، 2، 112 ، تفسير النسفي ، 3، 32 .
931- إملاء ما منّ به الرحمن ، 2، 112 .
932- ينظر جامع البيان ، 16، 69 ، معاني القراءات 283 .
933 - ينظر معاني القرآن للقرّاء ، 2، 165 ، الجامع لأحكام القرآن 11، 89 .
934- الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ، 237 ، و الإتحاف ، 298 ، و أبو حاتم السجستاني و الدراسات القرآنية، يسرى محمد ياسين الغباني ، رسالة ماجستير، 1409 هـ ، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص 195
935- ينظر: إعراب القرآن ، 2، 309-310 ، الحجة في القراءات السبع 237 .
936- انظر إملاء ما منّ به الرحمن، 2/112 ، تفسير النسفي، 3، 32 ، البحر الحيط، 6، 183 .
937 - تفسير النسفي ، 3، 32 .

أفادت تعيين المنادي ، ومعنى الظرفية المتضمنة ذات المنادي ، و اسم الموصول " مَنْ " مستقر في الظرف ، و الكون مشتمل على الفعل فانتصب الظرف لأنه مفعول فيه 938 ، و قد قصدت قراءة النصب بيان المنادي فأظهرت الفاعل.

و لقد اختلف المفسرون في تعيين المنادي في وجهي القراءتين على قولين:

– الأول: المنادي جبريل عليه السلام ، فقد أخبرها بما يدل على التوجيه الرباني.939

– الثاني: المنادي عيسى عليه السلام 940 ، و يؤكد رجحانه ما يلي :

1- اجتماع سياق الضمائر السابقة و اللاحقة في العود على عيسى عليه السلام، و هي نوعان:

أ- ضمائر السياق السابق:

✽ - ضمير الرفع المنفصل " هُوَ عَلَى هَيْنٍ "

✽ - ضمير النصب المتصل " وَلَجَّعَلَهُ " و " فَحَمَلَتْهُ "

✽ - ضمير الرفع المستتر " وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا "

✽ - ضمير الخفض المتصل " فَأَنْتَبَذَتْ بِهِ "

ب - ضمائر السياق اللاحق:

✽ - ضمير الخفض المتصل " فَأَتَتْ بِهِ " و " فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ "

✽ - ضمير النصب المتصل " تَحْمِلُهُ "

2 - دلالة قاعدة عود الضمير على أقرب مذكور ، 941 و أقرب مذكور سابق ضمير قوله: " فحملته " ، و

الحمل وصف يعتري البشر لا الملائكة.

938 - الحجة في القراءات السبع ، 237 .

939 - القرطبي 11 ، 93 ، و تفسير الرازي 21 ، 529

940 - انظر تفسير الطبري 18 ، 174 ، و البحر اخیط 6 ، 173 ، و تفسير عبد الرزاق، تحقيق مصطفى مسلم محمد ، ط1 ، 1989 ،

مكتبة الرشد ، الرياض ، السعودية ، 2-6

941 - القاعدة التفسيرية تقول: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له. انظر قواعد

الترجيح عند المفسرين ، 1 ، 312

3 - دلالة سياق القصة القرآنية في قوله: " كيف نكلم من كان في المهد صبيا " على أن قوله: " فأشارت إليه " مرادها من الإشارة إعلامهم بقدرته على الخطاب، و تشير إليه قرينتان:

✽ - أن إحالتهم عليه بالإشارة هو إحالة على معلوم سابق و هو كلامه و إلا لكانت إحالة على مجهول بعده هلاك محقق.

✽ - أن الإشارة منها أنبأت عن موقف فيه كمال اليقين و الاطمئنان ، و تمام الحجّة والبرهان بعد مشاعر نفسية توحى بالخوف من مواجهة قومها و شاهده " قَالَتْ يَلِيَّتِي مِثُّ قَبَلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا " ، فأبدل - العطف بالتعقيب دون مهلة - الخوف أمانا، و القلق اطمئنانا بكلام ابنها " فَتَادَنَهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي "

4 - أن جوابهم " كيف نكلم من كان في المهد صبيا " دلّ على ثلاثة وجوه من المعاني:

✽ - أنهم فهموا من إشارة مريم معنى قدرة ابنها على الكلام ، وقد دلّ إجماع العقول على أن العيان أقوى من الخبر، لأنّ الإشارة قد تكون في بعض المواضع أقوى من الكلام. 942

✽ - أنهم نفوا المفهوم من الإشارة - الكلام - عن عيسى عليه السلام ، فوجهوا سؤالهم لمريم عليها السلام عن كيفية 943 التكلم مع عيسى عليه السلام و هو في المهد " قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنَّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا " ، غير أنّ الإجابة صدرت من المسئول عنه لا من المسئول، فأظهر الأسلوب القرآني بإعجازه من خلال صورة الجواب العوار بين ظاهر سؤالهم و فساد مقصدهم ، فكان الأولى ألا يتطابق الجواب - من مريم عليها السلام - مع السؤال لخفاء صورة الكيفية المقصودة من السؤال.

✽ - دلالة القراءة المتواترة - " مَنْ تَحْتَهَا " بفتح الميم و التاء على أن من اسم موصول بمعنى الذي فدلّ على تعيين المذكور تحتها عند الوضع - على إعجاز كلام عيسى في المهد ليدلّ على معجزة ميلاده عليه السلام.

942 - القرطبي ، الجامع ، 11- 89 و نقل عن المهلب قوله: " وقد تكون الإشارة في كثير من أبواب الفقه أقوى من الكلام مثل قوله عليه الصلاة والسلام: " بعثت أنا والساعة كهاتين.. " نعرف قرب ما بينهما بمقدار زيادة الوسطى على السبابة.

943 - الأصل في " كيف " أن ترد للاستفهام بمعنى الحال و هو الغالب فيها و قد ترد لتفيد معنى الشرط. انظر مغني اللبيب ، 271، 270 ، و الكتاب، سيبويه ، 2، 128، و 4، 233.

5 - دلالة التصوير القرآني لمشاعر مريم عليها السلام النفسية - عند ردّها تهمة قومها - في اكتفائها بالإشارة الموحية دون العبارة المؤذية يشير إلى رباطة قلبها ، و يقين نفسها ، و ثبات موقفها ، و صواب قرارها إذ علمت أنّ كليهما - جبريل و عيسى - وقع منه الكلام صراحة، و دلّ عليه القرآن تصرّيحاً بالتغاير القرآني ، لكنّ براءتها متعيّنة في شهادة من انتفى وصف الكلام عنه عقلاً و عرفاً لا من تمثّل لها بشراً سويّاً ، و أنّ الحجّة خرجت من بين جنبيها ، و تكلمت بين يديها ، لا من خالفت جنسها فصلحت أن تكون عليها ، و الله أعلم و أحكم.

6 - دلالة التفسير النحوي على الإعجاز العقائدي:

لقد دلّ حرف العطف الفاء 944 في قوله تعالى: "قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبَلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا فَتَادَنِيهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي" على التعقيب الزماني بين قولها و ندائه ، و جعل قولها علّة لندائه 945 ، و " أن " من قوله: " أَلَّا تَحْزَنِي " مفسّرة بمعنى أي و التقدير: لا تحزني على ولادتي، فدلّ التفريع بالعطف على صورة الإعجاز العقائدي من جهتين:

✽ الجهة الأولى: إظهار معجزة الولادة بمعجزة الكلام و الإفادة ، و لقد تجلّت معجزة الكلام في مشاهد ثلاثة هي:

❧ - مشهد الحمل ليزيل عنها مشقة الانتباز " فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا " روى ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: قالت مريم عليها السلام: كنت إذا خلوت حدثني عيسى و كلمني وهو في بطني وإذا كنت مع الناس سبح في بطني و كبر. 946

❧ - مشهد الوضع ليزيل عنها حرج ضيق النفس " قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبَلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا " روى الطبري عن ابن عباس: " قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبَلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا " قال: " لم أخلق ، و لم أك شيئاً " 947 ،

944 - الأصل في الفاء التعقيب ، و تختص بأوصاف ثلاثة هي: التعقيب الزمني للشئيين اللذين لا يتعلق أحدهما بالآخر عقلاً، و التعقيب في القول ، و الحذف في مقام المحاورات. انظر شرح ابن يعيش ، 8 ، 95

945 - و يسمى بالتفريع ، وهو ما وقع قبل الفاء كان علّة لما جاء بعدها أمّا التعليل فهو وقوع ما بعدها علّة لما قبلها، انظر الكواكب الدرية ، 2 ، 94

946 - تفسير القرآن، ابن أبي حاتم، تحقيق محمد أسعد الطيب، ط 1، 1997، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، 7، 2402

فرفع عنها الحزن من النفس ، و أسكن قلبها القرار و الأنس⁹⁴⁸ ، و أمرها بواجب الأكل و الشرب لحفظ مقصد النفس ، و أرشدها إلى بينة قاطعة تدفع هممة الإنس " فَتَادِنَهَا مِنْ تَحْتَهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكَ بِجَذَعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا.."

﴿ - مشهد الانتصار من الظالمين ليردّ عن أمّه بهتان الكاذبين " قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا.. " ، فظهر بهذا المشهد إعجاز القرآن في ترتيب مقاصد الحقوق في الشريعة الإسلامية على الوجه الآتي:

﴿ - تقديم الحقوق الإلهية على الحقوق الإنسانية.

بعد أن قدّم عيسى عليه السلام حقّ الله تعالى على حقّ أمّه و هي أحوج إلى البراءة ربّ الحقوق الربانية ، فبدأ عليه السلام بإثبات ألوهية ربّه سبحانه فقدّمها بذكر عبوديته له جلّ و علا ، فأبطل بذلك شرك النصارى و دعوى الربوبية فيه ، ثمّ بشر برسالته إلى قومه ، ثمّ بوظيفته⁹⁴⁹ فيهم ، ثمّ أرشد إلى شريعته و أحكام دينه.

﴿ - تقديم حقوق الوالدين:

بدأ بإظهار براءة أمّه بقوله: " و برّاً بوالدي " ، و أعظم حقّها عليه أن يردّ عنها التهمة و البهتان ، فجعل الله سبحانه كلام عيسى في المهدي معجزة عظيمة فيها إعجاز عظيم أخرج " دليل البراءة من دليل الاتهام

947 - الطبري ، 18 ، 174

948 - روى ابن الأنباري عن الأصمعي معنى "وقرّي عيناً"، ولتبرّد دمعتك لأنّ دمعة الفرح باردة، ودمعة الحزن حارة، واشتقاق "قرّي" من القرور ، وهو الماء البارد. انظر زاد المسير، 4، 267

949 - قوله تعالى: " و جعلني مباركا أينما كنت " قال سفيان بن عيينة : معلما الخير و البركة تعليم الناس الخير و أعظم الخير بركة العلم الموروث عن الرسل و هو العلم بالوحي الرباني قال تعالى: " و هذا كتاب مبارك أنزلناه " الأنبياء ، 50 و بالحكمة النبوية قال تعالى: " و جعلني مباركا أينما كنت " فاجتمع خير العلم و الهداية و العبادة في بركة القرآن و السنة. انظر مفتاح دار السعادة ، ص 190 ، و بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن القيم الجوزية ، جمع و مراجعة يسري السيد محمد و صالح أحمد الشامي ، ط 1 ، 1428 هـ ، دار ابن الجوزي ، الدمام، السعودية ، 2 ، 171

لينقض الاتهام من أصله، و يأتي على قواعده ليفاجئهم بالبراءة، و برهانها الذي لا يأتيه الرب ليعيد إلى ذاكرتهم ما عرفوه في نسكها و عبادتها. "950

❦ - بيان حقوق النفس: فحدّث بنعمة ربّه عليه فقال: "وَلَمْ سَجِّعْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا"

❦ الجهة الثانية: إظهار معجزة القدرة الربانية بمعجزة الميلاد:

لقد دلّت الفاء على توالي الأحداث و تعاقبها من غير فاصل ، فأشارت إلى عظمة قدرة الله جلّ و علا بخرق سنن الوجود ، و ثما يظهر ذلك و يؤكده رأي ابن عباس أنّ مدّة الحمل كانت ساعة واحدة ، فقد روى الطبري عنه قوله: " ما هي إلا أن حملت فوضعت " 951 و أشارت إلى ذلك القرائن التالية:

❦ - أنّ الحمل و الوضع تواردا متقاربين على الفور دون مهلة " فَحَمَلْتُهُ فَأَنْتَبَذْتُ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِدْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا فَنَادَنَهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا " ، وشاهد التوارد دون مهلة دلالة القراءة الشاذة " فاجأها " من المفاجأة. 952

❦ - أنّ القصة سيقّت لبيان المعجزة الإلهية من وجهين:

- معجزة ميلاد المسيح عليه السّلام.

- معجزة كمال قدرة الربانية في خرق النواميس الكونية.

❦ - دلالة القياس القرآني في وصف الخلقة بين آدم و عيسى عليهما السلام " إِنَّ مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " 953 ، فظهر بالفاء التعقيبية -

التي أفادت الاستئناف - 954 من قوله: " كن فيكون " كمال المعنى و دلّ عليه أمران:

950 - محمد أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ط 4 ، 1404 هـ ، طبع الرئاسة العامة للبحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد، الرياض، السعودية ، ص 20

951 - الطبري ، جامع البيان ، 18 ، 178

952 - و هي قراءة حماد بن سلمة عن عاصم و شيبيل بن عزرة و مجاهد بن جبر. انظر البحر المحيط 6 ، 182 ، و الختسب 2 ، 29 ، و إعراب القراءات الشواذ، أبو البقاء العكبري، تحقيق محمد السيد أحمد عزوز ، ط 1 ، 1996 ، مطبعة عالم الكتب ، 2 ، 44

953 - آل عمران 59 ، و وقف الزركشي عند تقديم لفظ التراب على الطين معلقا فقال: " إنّما عدل عن الطين الذي هو مجموع الماء والتراب إلى ذكر مجرد التراب المعنى لطيف، وذلك أنه أدنى العنصرين و أكتفها لما كان المقصود مقابلة من ادعى في المسيح الإلهية أتى بما يصغر أمر خلقه عند من ادعى ذلك ؛ فلهذا كان الإتيان بلفظ التراب أمسّ في المعنى من غيره من العناصر. " انظر البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 3، 239.

954 - المعجم الوافي في أدوات النحو العربي ، علي توفيق الحمد و يوسف جميل الزعبي ، ص 219

- إثبات كمال القدرة في حدوث الخلق دون مهلة "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" 955، فخلق آدم عليه السلام من تراب، ثم قال له كن فكان، والمسيح لم يخلق من تراب بل خلقه ابتداء بقوله: كن، فكان فخرق الله تعالى به العادة فكونه، فكان المسيح آية من آيات الله تعالى بين به عموم قدرته سبحانه، وشمول قوته جلّ و علا 956، فانظر بارك الله فيك إلى إعجاز القدرة الإلهية كيف أظهرت صورة الإعجاز في حمل مريم عليها السلام، و في قوتها عند هزّ الجذع، و في ولادة المعجزة، و كلامها في المهد.

- سقوط مهلة الزمن لتدلّ على شرط ظهور المعجزة بنقض عادة الحمل.

7- الحوار القرآني و تصوير المشاعر النفسية:

لقد صورّ القرآن الكريم النفس البشرية في مشاهد قصصية متنوعة مرتبة مع أداة الحوار المتنوع كالتالي:

أ - الحوار الخارجي و البشارة بالطهارة.

و تجلّى من خلاله:

❖ - مشهد وصف طهارة النفس، و تصوير صلاح القلب، و بيان محاسن الخلق قال تعالى: " واذكر في الكتب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا " مشهد الفتاة الطاهرة المصطفاة، الناشئة في بيت النبوة و الرسالات، المنتقاة بالنذر للطاعات، المتقبلة من ربّ الأرض و السماوات "وإذ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ" 957 عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَمَرِيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ." 958

ب - الحوار الخارجي من الغريب و تصوير المشاعر:

و تجلّى من خلاله:

955 - يس 82، 83

956 - تحقيق القول في مسألة عيسى كلمة الله و القرآن كلام الله، ابن تيمية، ط 1، 1992، دار الصحابة، طنطا، مصر، ص 34

957 - آل عمران، 42

958 - البخاري رقم 3159، و مسلم رقم 4459

﴿ - مشهد مفاجأة الغريب قال تعالى: " فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا سويًا " مفاجأة عفيفة ذات هزّة قوية جسّدت لنا حالة الرعب والخوف التي كانت عليها السيّدة مريم عليها السلام حينما تمثّل لها روح القدس على هيئة بشر 959 لتظهر نفسية الانتفاضة باستثارة وازع التقوى 960 " قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا " ، فقد أظهرت المفاجأة " عفافها و ورعها أنّها تعوّذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة في الحسن " 961 ، و إنّما اشترطت في التّعوذ منه أن يكون تقياً لأنّ التقى إذا " تُعوّذ بالرحمن منه ارتدع عمّا يسخط الله، ففي ذلك تخويف وترهيب له، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: " علمت أنّ التقى ينهأه التقى عن المعصية " 962 ، و من لطائف المفاجأة في هذا الحوار القصصي جلاء صورة التوافق التام بين صلاح السريرة و العلانية بين التّعبد حال الانتباز و طهارة معدن النفس بعد مفاجأة الغريب.

﴿ - مشهد الخوف على العرض و الفرع من مفاجأة الخلوة ، و يظهر ذلك لما بشرها بالغلام فقال: " إنّما أنا رسول ربّك لأهب لك غلامًا زكيا " ، فجسّدت المفاجأة مع الحوار حالة الرعب والخوف في السيّدة العذراء ليصبح الخوف دهشة و تعجّبًا ، ثمّ يوّلّد ثبات الموقف في قوّة و انتفاضة ، و صراحة القول في بيان الحقّ بذكر وجهي الولادة نكاح أو سفاح ، فأظهر حوارها الصريح شدّة تعجبها ، و عظمة دهشتها من البشارة لتجرّدّها من مسلك مقصد حفظ النسل ، و من معول فساد 963 ، و كان يكفيها قولها: " ولم يمسنني بشر " لتفيد النكرة بعمومها الحلال و الحرام لكنّها جمعت بخطابها الصريح ما يفيد دفع الشبهة و التهمة معا ليصوّر مشهد وقفة الثبات متزلة شخصية المرأة العفيفة الثائرة على الرذيلة. 964

﴿ - مشهد إعجاز المفاجأة الكبرى في تصوّر معجزة القدرة الربّانية في خرق النواميس الكونية لبيان توحيد الألوهية " قال كذلك قال ربّك هو علي هين ولنجعله آية للنّاس ورحمة منّا و كان أمرا مقضيّا. "

ت - الحوار الداخلي و تصوير المشاعر:

-
- 959 - انظر فتح القدير ، 3: 327.
960 - انظر التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص 196
961 - البحر المحيط ، 6 ، 180 .
962 - مجمع البيان ، الطبرسي ، 4 ، 116 .
963 - ينظر زاد المسير ، 5 ، 153.
964 - انظر الفتح الأنعم في براءة عائشة و مريم ، علي أحمد عبد العال الطهطاوي ، ط 1 ، 2005 ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ،

لقد استقصى الحوار الداخلي وقائع حمل السيدة مريم عليها السلام فاستنطق مشاعرها النفسية المتعددة و أحاسيسها، فظهرت في مشاهد إعجازية رائعة كالتالي:

❦ - مشهد الشعور بالحمل " فحملته فانتبذت به مكانا قويا "، فرسمت مفاجأة الحمل صورة نفسية المتواري عن القوم ، و صورة مشاق الاختفاء عنهم.

❦ - مشهد المفاجأة بالمخاض " فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ " فقد ألقاها " و في تقديم لفظ الإجماع عن الإجماع " معنى شدة الموقف، و عسر الاضطرار ما ليس في كلمة " ألقاها " بما تفيد من معنى الملجأ و الملاذ بصريح آياتها الثلاث في الكتاب الحكيم⁹⁶⁵، و أظهرت مفاجأة المخاض المؤكدة بالقراءة الشاذة 966 كذلك مشاعر أتعاب الوضع الجسدية ، و مشاقه النفسية المصحوبة بهواجس الخوف من الجهول ، و مشاعر توقع مصير الهلاك في المستقبل 967 " قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا "

ث - الحوار الخارجي من القريب:

و تجلّى من خلاله:

❦ - مشهد المفاجأة بالمعجزة " فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا وَهَزَيْتَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا "، فأظهرت معجزة الكلام مشاعر الفرح ، فنسخت به أتراح الحزن، و رسمت على صفحات الوجه نضرة و سرورا بعبارة باردة تزيل دمة الحزن الحارّة ، و تصوّر بهجة القلب و انشراحه ، و كمال يقينه في ربّه تعالى بظهور الحجّة " فَإِمَّا تَرِينَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ".

ج - الحوار الخارجي العام:

965 - هكذا فسرها ابن عباس و استشهد بشعر حسان بن ثابت: إذ شددنا شدة صادقة... فأجأناكم إلى سفح الجبل. انظر الإعجاز

البياني للقرآن و مسائل ابن الأزرقي، بنت الشاطي، ص 324

966 - و هي قراءة حماد بن سلمة عن عاصم و شبيل بن عذرة و مجاهد بن جبر. انظر البحر المحيط 6 ، 182 ، و المختصب 2 ، 29 ،

إعراب القراءات الشواذ، أبو البقاء العكبري، تحقيق محمد السيد أحمد عزوز، ط 1، 1996 ، مطبعة عالم الكتب، بيروت ، 2 ، 44

967 - للمفسرين في قوله تعالى: " نسيا منسيا " خمسة أقوال: أولها يا ليتني لم أكن شيئا قاله الضحاك عن ابن عباس، و ثانيها دم حيض

ملقاة قاله مجاهد و سعيد بن جبیر، و ثالثها السقط قاله أبو العالية ، و رابعها معنى يا ليتني لا يدري من أنا قاله قتادة ، و خامسها الشيء

التافه يرتحل عنه القوم فيهن عليهم فلا يرجعون إليه قاله ابن السائب. انظر زاد المسير 5 ، 421 ، و تفسير الضحاك ، جمع و دراسة

محمد شكري أحمد الزاويتي ، ط 1، 1999 ، دار السلام ، القاهرة ، ص 556

و تجلّى من خلاله:

❦ - مشهد المفاجأة بالقذف " فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ^ط قَالُوا يَمْرَيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَتَأَخَذَ هُرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا "، فقد صوّر حرف الباء الملابس التامة ، و الملاصقة الكاملة بين مريم و ابنها ، فأضفت الباء على مدارج السياق مشاهد الارتباط الوثيق، و التعلق الدقيق بين الأم و وليدها ، ليدلّ المشهد على البراءة ، و يؤكد تعمّد القوم إتيان البهتان ، فصوّر السياق مشاعر مشاهد البراءة في مريم و ابنها ، و مشاعر الإيذاء في سراييل السخرية و الاستهزاء في قومها " فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ^ط قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْتِدِ صَبِيًّا "، فلما ضاق حالها ، وقصر مقالها ، و انحصر مجالها بانت مشاعر التسليم و التفويض بالاتكال على ذي الجلال .

❦ - مشهد المفاجأة الكبرى على المعجزة الكبرى للدلالة على الحقائق الكبرى " قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبِرًّا بَوَالِدَيْ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ " فأظهر الحوار في مشهد الحضور العام بمعجزة الكلام معجزة الميلاد ، فخرقت معجزة الميلاد نواميس الكون في العادة لتنبج معجزة القدرة الإلهية لتدلّ بحقائقها على معجزة توحيد الألوهية " مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَاَدٍ^ط سُبْحَانَهُ^ع إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ "، فصوّر الحوار مشاهد انتصار الحقّ المتعالي الشامخ ، و مشاعر المعية الإلهية للمؤمنين بالعزة و التأييد، و بهذا حقق القرآن مقصد التزييل بتصوير الحقائق العقديّة - بيان التوحيد و إبطال الشرك - عن طريق القصّة القرآنية في لوحات حوارية ، و يزداد المقصد العقائدي وضوحا إذا اجتمعت القراءتان المعجزتان - كلام جبريل و عيسى عليهما السلام - على الهداية و البيان قال مكّي بن أبي طالب: " وكون الضمير لعيسى في القراءة بفتح الميم أقوى المعنى وكون الضمير لجبريل عليه السلام في القراءة بكسر الميم أقوى في المعنى ، و يجوز في القراءتين أن يكون لعيسى وأن يكون لجبريل عليهما السلام " 968 ، و لقد دلّت معجزة كلام عيسى عليه السلام في مهده من خلال شاهد قوله: " وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا " مع شاهد

قوله: "وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي آلَمَهُدِ وَكَهَلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ" 969 على عودته قبل يوم القيامة 970 ، و هذه معجزة فيها البشارة بمعجزة النصر.

- التفسير القرآني و الإيجاز المقابلي: البحث و النشر نموذجاً

و مثلت له بقوله تعالى: " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِمَّا تُوْمِنُ ۗ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لَّا يَظُنُّونَ قَلْبِي ۗ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" 971

- التوثيق القرآني: 972

أ - قرأ الجمهور بضم الصاد و سكون الراء من صار يصور صوراً بمعنى الضمّ و التوجيه و الإمالة ، 973 تقول: صرت هذا الأمر إذا ملت إليه ، و إني إليكم لأصور أي مشتاق مائل و منه قول الشاعر: الله يعلم أنّا في تلقّنا يوم الفراق إلى أحبنا صور 974

969 - آل عمران ، 46

970 - انظر النحو في ظلال القرآن الكريم ، ص 56

971 - البقرة ، 260

972 - انظر معاني القرآن و إعرابه ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ، تحقيق عبد الجليل عبده شليبي ، ط1 ، 1988 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1 ، 345 ، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، و زاد المسير في علم التفسير ، ط4 ، 1987 ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1 ، 314 ، و جامع الطبري 3 ، 36 ، و الإتحاف 136 ، و معاني القرآن ، سعيد بن مسعدة الجاشعي الأحمش ، تحقيق فائز فارس ، ط1 ، 1979 ، المطبعة العصرية ، الكويت ، ص183 ، و إرشاد المبتدي و تذكرة المنتهي في القراءات العشر ، لأبي العز محمد بن بندار الواسطي القلانسي ، تحقيق عمر حمدان الكبيسي ، ط1 ، 1984 ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ص 248 ، و مجالس العلماء ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط2 ، 1984 ، طبعة وزارة الإعلام ، الكويت ، ص 184 ، و المكرر 19 ، و اختسب في تبين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق عبد الحليم النجار ، ط2 ، 1966 ، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، 1 ، 136 ، و التذكرة في القراءات الثمان 284 ، و ابن مجاهد ، كتاب السبعة في القراءات ، ص190 ، و ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبع ، ج1 ، ص101 ، و الوجيز في شرح قراءات القرآنة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة ، أبو علي الحسن بن علي الأهوازي المقرئ ، تحقيق دريد حسن أحمد ، ط1 ، 2002 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ص 141

973 - محمد ابن محمد بن محمد الغزي ، إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن ، تحقيق خليل محمد العربي ، ط1 ، 1985 ، دار الفاروق الحديثة ، القاهرة ، 1 ، 402 ، و ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج1 ، ص316 ، و البيضاوي ، أنوار التنزيل و أسرار التأويل ، ج1 ، ص563 ، و الأضداد في كلام العرب ، أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي ، ص 269 ، و الكشف 1 ، 313 ، و البحر

300،2

و قول الشاعر الطرماح:

عفائف إلا ذاك أو أن يصورها هوى و الهوى للعاشقين صروع 975

ب - قرأ حمزة و أبو جعفر و رويس و قتادة 976 بكسر الصاد 977 من صار يصير بمعنى الذبح و القطع و التشقيق و التمزيق. 978.

ت - قرأ ابن عباس و عكرمة بضمّ الصاد و تشديد الراء من صرّ يصرُّ بمعنى الجمع مع الشدّ.

ث - قرأ ابن عباس و عكرمة بفتح الصاد و تشديد الراء مع الكسر بمعنى التصرية. 979

ج - قرأ ابن عباس بكسر الصاد و تشديد الراء من الصرير بمعنى التصويت و الصياح.

- التوجيه القرائي:

أ- دلالة الوجوه و النظائر على الإعجاز العقائدي.

لقد أظهر مسلك علم الوجوه و النظائر- من خلال لفظ السعي - 980 صورة الإعجاز في مشهد بيان

القدرة الربانية على البعث و النشور من خلال ملمحين: 981

974 - انظر الطبري جامع البيان ، 3 ، 152 ، و ابن جني ، الخصائص، 1 ، 42 ، وابن منظور، لسان العرب ، 4 ، 474 ، المالقي ، رصف

المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق محمد الخراط، ط2، 1985، دار القلم، دمشق، ص 107

975 - انظر الأضداد، ابن الأنباري، ص 28

976 - هو قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز البصري، حافظ العصر، قدوة المفسرين و المحدثين أبو الخطاب السدوسي البصري الضريبر الأكمه ، مات بواسط في الطاعون، سنة ثمانى عشرة و مائة للهجرة ، انظر سير أعلام النبلاء ، 5، 269.

977 - و قرأ بما كذلك خلف و طلحة و شيبة و ابن جبير و الأعمش و قتادة و علقمة و ابن وثاب و ابن عباس. انظر محمد سالم مكرم ، المهذب في القراءات العشر، ط 2، 1389 هـ / 1978 م، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ، 1، 102 ، و احمد بن محمد البناء، إتخاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ج1، ص 450.

978 - و في الكلام تقديم و تأخير تقديره: فخذ أربعة من الطير إليك فصرهن ، فيكون إليك من صلة خذ. انظر ابن زنجلة ، حجة القراءات ، ص 145 ،

979 - و التصرية جمع و ضمّ لكنّه جمع أحصّ مما دلّت عليه قراءة الضم عند الجمهور على قاعدة الزيادة في المبني زيادة في المعنى و الله أعلم .

980 - الأصل في معنى لفظ السعي الإسراع في المشي الذي دون العدو. انظر نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النظائر ، ابن الجوزي ، ص 349

981- انظر الزمخشري ، الكشاف ، 1 ، 392

✽ - العدول عن صفة الطيران إلى سعي الإنسان ليتزلّ الطير منزلة المكلف العاقل ، وقد دلّ لفظ السعي من الطير على كمال الطاعة بوجهين:

✽ - كمال المبادرة إلى الأمر بالصدق في النية و الجدّ في العزيمة ، و يشهد لهذا أنّ من وجوه معاني لفظ السعي المبادرة بالنية و العزم 982، و يتزلّ على هذا المعنى من الاستعمال القرآني قوله تعالى : " يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ " 983 أي بادروا بالنية و الجدّ، 984 واستجيبوا لله تعالى. 985

✽ - كمال العمل ، و به يتحقّق مقصد الامتثال ، و يشهد لهذا المعنى أنّ من معاني لفظ السعي العمل 986 ، و يتزلّ على هذا المعنى من الاستعمال القرآني قوله تعالى : " وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿٩٨٧﴾ " 987 ، و بهذا فإنّ كمال العمل و حسنه معلق على كمال القصد و صدق العزيمة.

✽ - تقييد فعل الإتيان بوصف السعي - من خلال الجمع بين الطيران و المشي - يفيد بيان ما يلي:

✽ - استفراغ الجهد في إجابة الدعوة ، و دلّ عليه ورود لفظ السعي على معنى المشي بمرتين:

- المشي العادي 988 ، و يشير إلى مطلق الامتثال إلى الأمر ، و يشهد له من الاستعمال القرآني قوله تعالى : " يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ " 989

- المشي المسرع 990 ، و يشير له الجمع بين لفظ الإتيان و السعي إمّا تأكيدا للفعل أو حالا للفاعل، و يشهد له من الاستعمال القرآني قوله تعالى : " وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ " 991

982 - نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النظائر، ابن الجوزي ، ص 349

983 - الجمعة ، 9

984 - تفسير غريب القرآن ، ابن قتيبة، ص 465

985 - التفسير الكبير ، الرازي ، 30- 8

986 - نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النظائر ، ابن الجوزي ، ص 350

987 - الإسراء ، 19

988 - و المراد به المضي على قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه انظر مالك، الموطأ، رقم 220 و البخاري كتاب التفسير باب قوله تعالى: " وَآخِرِينَ مِنْهُمْ كَمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ "

989 - الجمعة ، 9

، و كذلك قوله: " وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ " 992 ، و من الاستعمال النبوي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا تُوبَ لِلصَّلَاةِ فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعُونَ وَأَتُوهَا وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأْتِمُوا فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ " 993 ، و لما يرجح هذا المعنى ورود لفظ السعي بوجهين من التركيب هما:

- حالا مقدرة بمشتق أي ساعيات 994 ، و بهذا صور الزمخشري مشهد حال الاستجابة ببيان حال إتيان الطير جامعا بين معنى السعي و الطيران ليفيد معنى استفراغ الوسع في الإسراع فقال: " ساعيات مسرعات في طيرانهن أو مشيهن " ، و استظهر هذا المعنى أبو حيان الأندلسي فقال: " جعل سيرهن سعيا إذ هو مشية المجدِّ الراغب فيما يمشي إليه لإظهار جدِّها في قصد إبراهيم ، و إجابة دعوته " 995 ، و الحكمة في المشي دون الطيران كونه أبعد من الشبهة لأنها لو طارت لتوهَّم متوهَّم أنها غير تلك الطير، وأن أرجلها غير سليمة. 996

- مصدرا مؤكدا فالسعي و الإتيان متقاربان 997، فتأصل الدلالة بالأوّل و تتأسس، و تتأكد بالثاني و تتقرّر ، و بهذا يتواطؤ اللفظان على بيان كمال المعنى و تمام تصويره.

✽ - إظهار الطير بوصف العبد المجدِّ ، فمن معاني السعي المشي في الجدِّ و الطلب إذا ورد في سياق العبادة 998 قال عدي بن زيد :

990 - ابن منظور ، اللسان، مادة سعى ، ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن، 509

991 - يس ، 20

992 - القصص ، 20

993 - مسلم عن أبي هريرة رقم الحديث 945 ، و في رواية أخرى له كذلك عنده برقم 946: " إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعُونَ وَأَتُوهَا تَمْشُونَ وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأْتِمُوا " و رواية أخرى له كذلك عنده برقم 947: " إِذَا تُوبَ بِالصَّلَاةِ فَلَا يَسْعَ إِلَيْهَا أَحَدُكُمْ وَلَكِنْ لِيَمْشِ وَعَلَيْهِ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ صَلِّ مَا أَدْرَكْتَ وَأَقْضِ مَا سَبَقَكَ " و في رواية أخرى له عند البخاري برقم 600 " إِذَا سَمِعْتُمْ الْإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ وَلَا تُسْرِعُوا فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأْتِمُوا " فيتلخص من هذه الروايات أن الأمر بالمشي هو نهي عن العدو و أن النهي عن الإسراع هو أمر بالسكينة فيتولد من الأمر و النهي معنى السعي الذي هو الإسراع في العدو.

994 - اجتنبي من مشكل إعراب القرآن الكريم، أحمد بن محمد الخراط، ص 96

995 - انظر أبو حيان، البحر الحيط ، 2 ، 311

996 - ينظر تفسير البغوي ، 1، 324.

997 - إعراب القرآن العظيم ، زكرياء الأنصاري ، تحقيق موسى علي موسى مسعود ، جامعة القاهرة ، رسالة ماجستير ، 2001 ، ص

و الشاهد من الحديث " و إليك نسعى و نحفد " 1000 ، فقد فسّر الحفد بمعنى السعي فيطلق على معنى الحفّة في العمل و الخدمة 1001 ، و يراد كذلك بالإتيان معنى الإقرار و الطاعة 1002 كما في قوله تعالى: " إن كُئِّلَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا " 1003 ، و بهذا يجتمع الإتيان و السعي من الطير على معنى الخضوع للداعي. 1004

✽ - بيان كمال صورة البعث و النشور بين يدي إبراهيم عليه السلام بعد كمال صورة الإمامة بين يديه ، لتتحقق حكمة السؤال ، فيضيف إلى عقيدة الإيمان حقيقة الإيقان ، و رقيقة الاطمئنان برؤية العيان ، 1005 لأن الأدلة إذا تظاهرت على البيان تضافت على زيادة الطمأنينة ، قال المازوني صاحب الدرر المكنونة: " سئل بعضهم عن الحكمة في قوله تعالى: "يأتينك سعيًا " مع أن الطير إنما شأنها الطيران فلم قالت الآية سعيًا ولم تقل طيرانًا فأجاب: الحمد لله إنما قال سعيًا ولم يقل طيرانًا لأنه قد لا يثبت نظره لاجتماع تلك الأجزاء

998 - انظر مفردات القرآن، عبد الحميد الفراهي ، تحقيق محمد أيوب الإصلاحي، ط1، 2002، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ص 195

999 - معجم البكري ، ص 752 ، البلدان، 5 - 451 ، و جبهة الأشعار، ص 129

1000 - و الحديث بأكمله رواه ابن أبي شيبة في المصنف من طريق ابن مسعود و أبي بن كعب " اللهم إنا نستعينك و نستغفرك و نؤمن بك و نشي عليك الخير ولا نكفرك و نخلع و نترك من يفجرك اللهم إياك نعبد و لك نصلي و نسجد و إليك نسعى و نحفد و نرجو رحمتك و نخشى عذابك إن عذابك الجد بالكفار ملحق." انظر المصنف 2 - 201 و 213 و السنن الكبرى للبيهقي، 2، 210 ، و مصنف عبد الرزاق، 3 ، 110، و تهذيب الآثار للطبري 6، 137 ، و صحيح ابن خزيمة 4، 247 ، و معرفة السنن و الآثار للبيهقي 3، 178،

1001 - أصل الحفد مداركة الخطو، ثم جعلت المداركة في معنى الإسراع، ثم استعملت في معنى الحفّة في العمل و الخدمة عموماً. انظر العين 1 ، 207 ، المخصّص 1 ، 277 ، الفائق في غريب الحديث و الأثر، الزمخشري، 1، 31 ، غريب الحديث ، أبو عبيد ، 3 ، 374 ، غريب الحديث، ابن قتيبة، 1 ، 17 ، و تهذيب اللغة، الأزهري، 2 ، 75 ،

1002 - إصلاح الوجوه و النظائر في القرآن، الحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل، ط3 ، 1980 ، دار العلم للملايين، بيروت، ص 15

1003 - مريم ، 93

1004 - و يزداد الخضوع بيانا إذا قرن حصول الإتيان سعيًا بغلبة وصف النفور في الطير من الإنسان. انظر تفسير المنار، رشيد رضا ، ط 2 ، 1947 ، دار المنار ، القاهرة ، 3 ، 55،

1005 - انظر العز بن عبد السلام، فوائد في مشكل القرآن، تحقيق سيد رضوان علي، دار الشروق، ط2 ، 1982، جدّة السعودية، ص 273

بعضها لبعض فعدل إلى سعيًا ليكون أثبت له في النظر كيف ترجع تلك الأجزاء بعضها إلى بعض و الله أعلم

"1006".

قلت: لا يمنع من اجتماع الطيران بالسعي مانع 1007 بل إنَّ مقام بيان القدرة الإلهية يرجح ذلك و يؤكدّه ، بل و يؤسس عليه دلالة اختلاف الحياة الثانية عن الأولى لرفع توهم عدم حصول الموت بعد مجيئها طيرانا و الله أعلم 1008 ، و نزيد على ذلك بأنَّ السرعة في السعي أفادت سرعة النشور و سهولته و أفاد الطيران سقوط شبهة توهم الحيلة في الإحياء. 1009

ب - دلالة الوقف و الابتداء على الإعجاز العقائدي:

ترتبط القراءات القرآنية ارتباطاً وثيقاً بعلم الوقف و الابتداء، فلها أثر في بيان نوع الوقف و حكمه ، فقد يكون الوقف على الكلمة القرآنية على قراءة ما واجباً ، وعلى قراءة أخرى جائزاً أو ممنوعاً ، يدلّ على هذه الصلة الوثيقة قول ابن مجاهد: " لا يقوم بالتمام إلا نحوي عالم بالقراءات عالم بالتفسير و القصص و تلخيص بعضها من بعض عالم باللغة التي نزل بها القرآن " ¹⁰¹⁰ ، و " إنَّ لاختلاف القراءات أثراً على الوقوف من ناحية المعنى ، فالوقف تابع للقراءة المتلوّة ، فإذا ما قرأ قارئ القرآن الكريم آية فيها وجه من وجوه القراءات فعليه أن يراعي في قراءته مواطن الوقف فيها ، تبعاً لذلك الوجه من القراءات ؛ لأنّه بالقطع أو الائتلاف يكشف عن معنى للآية التي يتلوها مغايراً للمعنى الناتج عن مراعاته للقراءة الأخرى." ¹⁰¹¹

1006 - الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، نسخة مكتبة الحامّة ، ورقة 292

1007 - فقد ذكر ذلك رشيد رضا في تفسيره انظر تفسير المنار ، 3 ، 55

1008 - و أضاف البغوي حكماً أخرى منها: دفع شبهة توهم اختلاط الطيور غيرها، و عدم سلامة أرجلها. انظر أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، معالم التنزيل، تحقيق محمد عبد الله النمر و عثمان جمعة ضميرية و سليمان مسلم الحرش، ط 4 ، 1997 ، دار طيبة للنشر و التوزيع ، المدينة المنورة 1 ، 322 ، و انظر محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، ط 1 ، 1957 ، 4 ، 675،

1009 - انظر إمداد القاري بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري ، عبيد بن عبد الله سليمان الجابري ، ط 1 ، 2000 ، مكتبة الفرقان ، عجمان ، الإمارات العربية المتحدة، 1 ، 226،

1010 - النحاس أحمد بن محمد ، القطع و الائتلاف ، ص 32

1011 - صالح عبد الكريم، الوقف و الابتداء و صلتهما بالمعنى في القرآن الكريم، ط 1 ، 2006 ، دار السلام، القاهرة، ص 340

وتقوم البراعة العلمية الرائدة على حسن الفهم ، و علامة ذلك كَلَّه الإِصابة في اقتناص المعاني القرآنية بمسلك الوقف و الابتداء ، و " لما لم يمكن القارئ السورة أو القصّة في نفس واحد وجب اختيار وقف للتنفس والاستراحة ، وتحتّم أن لا يكون ذلك ممّا يخلُّ بالمعنى، ولا يخلُّ بالفهم إذ بذلك يحصل الإعجاز ويحصل القصد ، ولذلك حضّ الأئمة على تعلّمه و معرفته "1012 ، و على هذا فقاعدة الفهم الثابتة توجب تحريّ المعنى التام بالوقف الوجيه إذ " ليس كلّ ما يتعسّفه بعض العربيين، أو يتكلّفه بعض القراء ، أو يتأوّل بعض أهل الأهواء ممّا يقتضي وقفاً أو ابتداء ينبغي أن يعتمد الوقف عليه ، بل ينبغي تحريّ المعنى الأتمّ والوقف الأوجه ، وذلك نحو الوقف على " وارحمنا أنت " و الابتداء "مولانا فانصرنا" على معنى النداء ، ونحو "ثمّ جاؤوك يملفون" ثمّ الابتداء " بالله إن أردنا " و نحو " وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك " ثمّ الابتداء " بالله إنّ الشرك " على معنى القسم "1013 ، و انطلاقاً من هذا التأمّل قصدنا مسلك الوقف لاستنباط أسرار المعاني الدالة على لطائف الإعجاز القرآني من خلال الوقوف التالية:

❖ - الوقف على قوله: "فخذ أربعة من الطير" يوحي بحصول التمكن من جمع الطيور وضمّ بعضها إلى البعض ، وهذا معنى قراءة الضمّ في صرهنّ.

❖ - الوقف على قوله: " فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك " توحى فائدة الأمر بالأخذ الجمع بين الضمّ و التوجيه و الإمامة،1014 - لدلالة السياق عليه- ليتحقّق كمال التأمل في أشكال الطيور، وتمام المعرفة بهيئتها ، فلا تلتبس عليه بعد الإحياء 1015 ، و دلّ حرف " الفاء " على دلالة الاتّصال و الاستمرار 1016 من غير انقطاع بين الفعلين " خذ " و " صرهنّ " .

❖ - الابتداء بقراءة الكسر يفيد معنى القطع استقلالاً بدلالة اللفظ ، و معنى الذبح تبعاً بدلالة اللازم.

❖ - وصل السابق " فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك " بقوله " ثمّ اجعل على كل جبل منهن جزءاً " يفيد - بقرينة لفظ الجزئية - معنى التكثير بالتقطيع و التمزيق يؤكد المأثور من التفسير منه قول ابن عبّاس: "

1012 - النشر، ابن الجزري، تصحيح، علي محمد الضباع ، 1، 224-225.

1013 - النشر، ابن الجزري، تصحيح، علي محمد الضباع ، 1، 231.

1014 - محمد ابن محمد بن محمد الغزي ، إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن ، تحقيق خليل محمد العربي ، ط1 ، 1985، دار الفاروق الحديثة ، القاهرة ، 1، 402 .

1015 - مفاتيح الغيب ، الرازي. 3، 480

1016 - انظر شرح المفصل ، 8، 92 ، و شرح قطر الندى، 333 .

فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ " قَطَّعُهُنَّ " 1017 ، وعن مُجَاهِدٍ قَالَ: 1018 " فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ " تَنْتَفُهُنَّ وَمَزَّقُهُنَّ " ، وقال كذلك: " أَنْتَفُهُنَّ بِرَيْشِهِنَّ وَحُومِهِنَّ " 1019 ، و عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: " صُرُّهُنَّ إِلَيْكَ " فَصَّلَهُنَّ. 1020

❖ – الوقف على قوله: " جزءا " يفيد اتساع المكان لا اتساع فعل التقطيع و التمزيق يرجح ذلك القرائن التالية:

❖ – قرينة اللفظ الدالة على العموم و شاهدها قوله: " كل جبل. "

❖ – قرينة الزمن لحرف " ثم " فقد دلّ على:

– اتساع الزمن لفعل الجعل " ثم اجعل على كل جبل منهم جزءا " ، و بين النداء " ثم ادعهنّ

يأتينك " من خلال دلالة المهلة والتراخي.

– إتيان الطيور بوصفين مجتمعين الأجزاء المقطعة ، و السعي الحثيث من خلال دلالة حرف العطف

على التشريك بين المتعاطفين لفظا و حكما، و بهاتين الداليتين تكون الرؤية أبلغ في دفع مفسدة التباس

أشكال الطيور على إبراهيم عليه السلام ، و يحقق مقصد الطمأنينة بعد كمال تثبته من رؤية مشهد الإحياء

بالعيان. 1021

❖ – قرينة القراءة القرآنية ، فقد قرأ أبو بكر عن عاصم " جزءا " بضم الزاي.

1017 – الثعالبي أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، تحقيق علي محمد عوض و عادل أحمد عبد الموجود ، ط 1 ، 1997 ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، 1 ، 514

1018 – هو مجاهد بن جبر الإمام أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي المقرئ المفسر الحافظ سمع سعداً وعائشة، وأبا هريرة، وأم هانئ، وعبد الله بن عمر وابن عباس ولزمه مدة، وقرأ عليه القرآن وكان أحد أوعية العلم، روى عنه جمع غفير من التابعين وغيرهم، توفي سنة ثلاث ومائة وقد بلغ ثلاثاً وثمانين سنة، انظر: تذكرة الحفاظ ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط 1 ، 1419هـ – 1998م ، 1 ، 93.

1019 – النكت و العيون ، الماوردي 1 ، 334

1020 – الثعالبي ، الجواهر الحسان، 1 ، 515

1021 – انظر تفسير ابن عجيبة ، 1، 220 ، و تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط 2 ، 1999 ، دار طيبة

للنشر و التوزيع، المدينة المنورة، 1 ، 688

١٠٠ - قرينة الرواية و التفسير ، قال مجاهد: " كل جبل " 1022 ، و قال أي على كل جبل من كل واحد جزء و ذلك أعظم في القدرة 1023 ، بل أمر الله تعالى خليله أكثر من ذلك أن يخلط الدماء بالدماء و الريش بالريش ثم يجعل على كل جبل منهم جزءاً. 1024

ت - الفاصلة القرآنية و إفهام المعاني الإعجازية:

تتجلى قيمة الفاصلة القرآنية في حقيقة الإفهام ، و بيان مراد المخاطب من الكلام ، فكلمها " بلاغة و حكمة لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة " 1025 ، و معرفة إيقاع المناسبة بين مقاطع الكلام و أواخره وفق تأمل ليبب يوجب استخراج المشاكلة الدلالية بين مواقع الكلام ، و ينحصر هذا التآلف الدلالي و التشاكل المعنوي في الصور البلاغية التالية - التمكين والتوشيح و التصدير و الإيغال - ، و الفيصل بينها أن لفظ الفاصلة إن تصدر الكلام سمي تصديرا ، و إن ورد بعد الصدر فهو توشيح ، و إن أفاد معنى إضافيا بعد الكمال سمي إيغالا ، و إن اجتمع التصدير بالتوشيح فدلالة الأول لفظية و الثاني معنوية ، 1026 و تفصيلها على النحو الآتي:

❖ - التمكين: هو اجتماع مَهَّدات البناء التركيبي على استقرار الفاصلة، و تمكّن معناها لتعلق كمال الفهم بها 1027 ، فقراءة " صرهنّ " بالضم بمعنى الجمع و الإمالة مهّد لها قوله: " أَرْبَعَةٌ مِّنَ الطَّيْرِ " ، فالجمع لا يقع إلا على متعدّد ، أمّا القراءة بالكسر بمعنى الذبح والقطع و التفريق 1028 ، فقد مهّدت لقوله: " ثُمَّ آجَعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا " ، فالتجزئة لازم التقطيع ، و عموم الجبال لازم التفريق ، و قوله: " يَا تَيْبِكَ سَعِيًّا " - بعد إفادته الحفّة في الاستجابة و الإسراع إليها- مهّد لاستشراق حكمة التناسب بين اسم العزيز و الحكيم بيان

1022 - انظر النكت و العيون ، الماوردي ، 1 ، 336

1023 - مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق ياسين محمد السواس ، دار المأمون للتراث، دمشق، 1، 110

1024 - انظر موسوعة الصحيح المسور من التفسير بالمأثور، حكمت بن بشير بن ياسين، ط 1، 199، دار المآثر، المدينة المنورة ، 1، 372

1025 - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، النكت في إعجاز القرآن ، الرماني ، 97

1026 - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 1، 78 ، و من أسرار التعبير في القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض ، ط 1982، ص 39

1027 - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 1- 78 و يظهر حسن الفهم بكمال التعلّق إذ لو أهمل وأسقط لاضرب المعنى و لساء الفهم.

1028 - الأضداد، ص 268

مزيد الاختصاص فيهما بالعرض المقصود ، و قد دلت قاعدة التقديم بالطبع في الفطر ، و مبدأ تقديم السبب على المسبب أنه لا عزّة إلا بعد حكم 1029 ، فدلّ معنى تقدّم اسم العزيز على كمال الملك لكمال التصرف ، فمن ملك الإحياء بعد العدم و الإمامة بعد الوجود فقد ملك كمال الحكم الذي يقوم على مقتضى الحكمة ، 1030 فظهر بهما كمال العزّة. 1031

✽ - التصدير: 1032 هو تقدّم لفظ الفاصلة القرآنية صدر الكلام ، و يرد على ثلاثة أقسام:

☞ - موافقة لفظ الفاصلة أوّل لفظ صدر الكلام ، فقد وافقت فاصلة "وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" أوّل صدر الكلام "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى" ، لأنّ إطلاع الغير على إحياء الموتى بالمشاهدة لا يحيط به إلا قوي مقتدر ، و لا يحصل ذلك إلا لعزيز حكم.

☞ - موافقة لفظ الفاصلة آخر لفظ صدر الكلام ، فقد وافقت فاصلة "وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" آخر لفظ صدر الكلام "ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَا تَيْنَكَ سَعِيًّا" لأنّ الإسراع في الاستجابة للأمر يقتضي عظمة عزّة الأمر ، وشمول حكمه.

☞ - موافقة لفظ الفاصلة بعض ألفاظ صدر الكلام ، فقد وافقت فاصلة "وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" قوله: " قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ " ، فتمكن إبراهيم عليه السلام من الطير المتعدّد المتنوع فيه إشعار بقوته سبحانه ، و إحياء إلى دلالة قوله تعالى: "أولم يروا إلى الطير فوقهم صفتت ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكلّ شيء بصير" 1033 ، و قوله جلّ و علا "ألم يروا إلى الطير مسخرات في جوار السماء ما يمسكهن إلا الله إن في

1029 - ابن القيم وحسنه البلاغي ، 100 ، و أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم ، محمود السيد شيخون، 81 .

1030 - ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي ، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان ، ط1، 1996، 2 ، 239.

1031 - التحرير والتنوير، 25 ، 27-28 ، و من أوجه البلاغة الدالة على عظمة هذا المقام إثارة وصف العزيز في هذا الموضع لما يدل عليه جذره من وجوه عديدة تتناسب مع الموضوع و السياق منها: أن العزّة تطلق على الغلبة قال تعالى: "وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ" المنافقون ، 8 ، ومنها: الرفيع الممتع ، فالعزّة رفعة و منعة قال تعالى: "عِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ" المائدة ، 54 ، و منها القوي ، فالعزّة قوة و شدة قال تعالى: "فَعَزَّزْنَا بِبَنَاتٍ" يس ، 14. انظر اشتقاق أسماء الله ، أبو القاسم بن إسحاق الزجاجي، 414 ، و المقصد الأسنى في تفسير أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، تحقيق أحمد بن فهد الحلبي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1430هـ، 1، 73.

1032 - و هو عند البلاغيين ردّ العجز على الصدر انظر ابن المعتز ، البديع ص 47 ، ومعتزك الأقران ، السيوطي 1 ، 49 ، و الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، ط2، 2000 ، دار عمار ، عمّان الأردن، ص289

ذَلِكَ لِأَيِّتِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" 1034 ، فإذا ثبت عجز الخلق عن الإمساك ، و هو أخفّ فكمال عجزهم على البعث أولى لأنّه أشقّ ، فدَلّ التمثيل بالطير بيان عظمة القدرة الإلهية ، و ضرورة الإيمان بالبعث ، و أنّه لا يقوى على ذلك إلاّ التقدير الحكيم العزيز.

✽ - التوشيح: 1035 أن يتصدّر الكلام ما يستلزم الفاصلة القرآنية فتزلّ منزلة الوشاح الذي يغطّي العاتق و الكشح 1036 ، و لقد ورد في صدر الكلام ما يستلزم الفاصلة في مواضع ثلاثة هي:

✽ - إحياء الموتى يقتضي القدرة ، و الاطلاع عليه بالمشاهدة وقت طلبه " أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى " يستلزم الإحاطة بالحكم ، و التناهي في العزّة "وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ".

✽ - الطمأنينة راحة نفسية تغمر القلب ، و سكينه تنزل عليه " قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لَّيَطْمَئِنُّ قَلْبِي " ، و القلوب بين أصبعين من أصابعه سبحانه يقلّبها كيف يشاء ، 1037 فلا يقدر عليها إلاّ هو سبحانه ، و وصف القدرة يستلزم الإحاطة بالحكم ، و التناهي في العزّة "وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ".

✽ - الإسراع في الاستجابة للأمر - مشيا و طيرانا - " ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا " فاستعمل المصدر استعمال الوصف ، لأنّ الأصل في الحال أن يكون وصفاً¹⁰³⁸ ، فإذا جاء الحال مصدراً فقد تمّ استعمال المصدر استعمال الوصف حتى يصلح لأن يكون حالا¹⁰³⁹ ، فـ " سَعْيًا " حال من فاعل يأتينك ، أي يأتينك ساعات مسرعات في طيرانهنّ أو في مشيهنّ على أرجلهنّ¹⁰⁴⁰ ، و هذا يستلزم ذلّ المأمور و عبوديته ، و عزّة الأمر و سيادته "وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ".

1034 - النحل ، 79

1035 - هو عند البلاغيين الإرصاد و التسهيم. انظر معجم المصطلحات البلاغية، 2، 392 و دلالة التوشيح معنوية. انظر معترك الأقران ، السيوطي ، 1، 49

1036 - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، 1- 95

1037 - انظر صحيح مسلم، الحديث رقم 4798

1038 - ينظر اللمع ، 62 ، و المفصل ، 89 ، و شرح ابن عقيل ، 2، 253 ، و شرح قطر الندى ، 234.

1039 - ينظر البيان في روائع القرآن ، 1، 56.

1040 - ينظر الكشاف ، 1، 337.

❖ - الإيغال: هو انفراد الفاصلة القرآنية بجديد المعاني في تعلّقها بما قبلها من الكلام لتعدّي ظاهر المعاني إلى منتهاها ، 1041 و قد دلّ صدر الآية " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ " من خلال مشهد التصوير على التوسّع بالإيغال في نقل وقائع البعث و النشور من عالم الغيب المدسوس إلى عالم الشهادة المحسوس " قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ... يَا تَيْنَكَ سَعِيًّا " ، و نقل حقيقة البعث في القلوب من صورة عقيدة الإيمان إلى حقيقة الاطمئنان برؤية العيان " قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ لَكِن لَّيَطْمِئِنُّ قَلْبِي " ، و لقد أوغل مشهد النقل بالتصوير في بيان منتهى القدرة الإلهية التي تقتضي كمال الحياة و القيومية ، و الذي لازمهما كمال العزة، و تمام الحكم " وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " .

ث- تواطؤ المناسبة و الموضوع على بيان الإعجاز العقائدي: 1042

إنّ قصّة إبراهيم عليه السلام مشهد من مشاهد التصوير التشخيصي الذي تبرز جانباً من جوانب تصوّر الإسلامي ، ويؤصل لمبادئ العقيدة الإسلامية ، و لقد جاء موضوع البعث و النشور في مشاهد تصويرية متعدّدة ربّبت أحداثها ترتيباً منطقياً تسلّم له العقول الصحيحة، و تدرّجاً برهانياً تخضع له الفطر السليمة ، فقد تألّف عندها النظم على كمال البيان ، و تواطأت الدلالات على جمال التصوير ، فاجتمعت المباني و المعاني على إخراج موضوع البعث و النشور في وقائع قصصية ، و أمثال حسية تطابقت فيها حقائق الكون المنظور مع معاني القرآن المسطور، و توافقت مرتبة وفق الوجوه الآتية :

❖ - مشهد الحوار بين الجحود و الإيمان - بين إبراهيم عليه السلام و النمرود- حول البعث و النشور بالحجّة الواقعة في الأنفس إلى البرهان الواقع في الآفاق ، و تجسّد في صورة الإحياء و الإماتة في الإنس ، وشاهده قوله تعالى: " إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ " 1043

1041 - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، 1، 96

1042 - المناسبة في اللغة اتصال شيء بشيء تحقيقاً لمعنى المقاربة و المشاكلة ، وفي الاصطلاح علم يعرف به علل اختيار النظم ، ومسالك الكشف عن ترتيب أجزائه. انظر السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط 1993 ، دار ابن كثير، بيروت، 2، 77 ، و أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت، دار الجليل، 5، 32 ، و برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، تحقيق عبد الرزاق، غالب المهدي، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط 1، 1415 هـ، 1995 ، 1، 5.

1043 - البقرة ، 258

❖ - مشهد المتعجب من البعث و النشور بالتساؤل النفسي والاستفسار الباطني ، و تجسد في صورة الأحياء و الإمامة في الإنس و الحيوان ، و شاهده قوله تعالى: " وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ... " 1044

❖ - مشهد طلب الاطمئنان بعد الاستيقان للبعث و النشور برؤية العيان ، و تجسد في صورة الأحياء و الإمامة في الحيوان ، و شاهده قوله تعالى: " قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ " 1045

❖ - مشهد الإخبار عن البعث و النشور بالمثل في صورة الأحياء و الإمامة في النبات ، و شاهده قوله تعالى: " مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةٌ حَبًّا ۗ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " 1046

❖ - مشهد الإخبار عن البعث و النشور في الأعراس في صورة الأحياء و الإمامة في الأعمال ، و شاهده قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى " ، فيتمحض من مجموع المشاهد كلها تثبيت عقيدة الإيمان بالبعث و النشور بالإشارة إلى كمال القدرة الإلهية، و آثارها على المشاهد الكونية كلها - عالم الأجرام السماوية ، و عالم الإنسان ، و عالم الحيوان ، و عالم الطيور ، و عالم النبات - من خلال مناهج دعوية إصلاحية متعددة - تحاور العقل ، و تنبه الروح ، و تصلح النفس - مجتمعة على تثبيت قاعدة الإيمان باليوم الآخر ، و سرّ الافتتاح بالاستفهام في بعض مشاهد الحديث عن اليوم الآخر أن جماله ينبئ بحركية أحاسيس المخاطب و مشاعره إلى استحضار الصورة الموحية ، و استعداد المتلقي لتصور مشهد الأحداث بفاعلية التلقي ، فالاستفهام التعجبي 1047 و البيان التمثيلي و الحوار الجدلي كله تعليم رباني يظهر به قوة حجة الحق ، و حوار أسطورة الباطل. 1048.

ج- بلاغة الإيجاز بالحذف و الإعجاز العقائدي :

لقد وقع الإعجاز بالإيجاز من خلال صور الحذف التالية:

1044 - البقرة ، 259

1045 - البقرة ، 260

1046 - البقرة ، 261

1047 - أنوار التنزيل و أسرار التأويل ، البيضاوي ، 1 ، 136

1048 - الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، 1 ، 434

لقد حذف حرف النداء " يا " 1049 ليشير إلى حقائق عقائدية صوّرها الإعجاز بالإيجاز من خلال

اللطائف التالية:

✽ - دفع توهم البعد في حرف النداء لقريظة الدلالة الزمنية احتراسا بالحذف، لأنّ حرف النداء "يا " لا ينادى اسم الله جلّ و علاّ إلاّ بها ، و كونها موضوعة لنداء البعيد حقيقة أو حكما ، أو للقريب توكيدا 1050 ، فهو من باب استعمال اللفظ في غير ما وضع له لأغراض بلاغية 1051، فيدفع هذا التوهم لهذا الاختصاص.

✽ - المناسبة بالمطابقة بين مقام الحذف و مقام الحال في سياق القصّة، لأنّ حرف النداء "يا" مختمو بألف ففيه إمكان مدّ الصوت بها ، والعرب يستعملونها " إذا أرادوا أن يمدّوا أصواتهم للشيء المتراخي عنهم ، والإنسان المعرض عنهم الذي يرون أنّه لا يقبل عليهم إلاّ بالاجتهاد ، أو النائم المستثقل " 1052 ، و هذا يخالف مقام حال سياق القصّة إذ مقتضى الكلام يشير إلى درجة التكريم و منزلة الزلفى ، و عدم الحذف يوهم خلاف ذلك.

✽ - دلالة الحذف على سرعة الطلب في مشاهد منها:

1049 - و هي أم حروف النداء وأصلها و أغلبها استعمالا. انظر: توجيه اللمع 320، والمقرب، ابن عصفور علي بن مؤمن، تحقيق احمد عبد الستار الجوارى وعبد الله الجبوري ، ط 1986، مطبعة العاني، بغداد، 192، و البحر المحيط 1، 231، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله وسعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط6، 1985، 488، والأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، ط1، 1985 ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، 3، 222- 223، و معاني الحروف، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، ط2، 1986 ، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة ، 92، و شرح عيون الإعراب، أبو الحسن علي بن فضال الخاشعي، تحقيق حنا جميل حداد ، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، 1985 ، 275، و شرح جمل الزجاجي ، ابن عصفور الاشيلي ، تحقيق صاحب أبو جناح ، ط 1980 ، مؤسسة دار الكتب ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، الجمهورية العراقية ، 82، 2، و شرح الكافية الشافية، ابن مالك ، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي ، ط1، 1982 ، دار المأمون للتراث، مكة المكرمة ، 1، 412.

1050 - انظر رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق أحمد محمد الخراط، مجمع اللغة العربية، دمشق ، 2، 451، والغرة المخفية في شرح الدرّة الألفية ، ابن الحجاز أبو العباس أحمد بن الحسين، تحقيق محمد العبدلي، مطبعة العاني ، بغداد ، ط1، 1990، 2، 512 ، و همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، تحقيق أحمد شمس الدين، ط1، 1998 ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2، 27.

1051 - الكتاب 2، 230، وشرح ابن الناظم على الفية ابن مالك بدر الدين محمد بن محمد بن مالك ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، ط1، 2000 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 401، و شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الأزهرى ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، ط1، 2000 ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2، 206.

1052 - الكتاب 2، 230

– سرعة النداء "ربّ أرني"، وسرعة الجواب دلّ عليه سؤال الإيجاب 1053 في قوله: "أولم تؤمن"، و الأصل في الفاء العاطفة التعيّن مع لفظ القول لتدلّ على التعقيب، لكن حذفت اختصاصا لورودها في مقام المحاورات.

– سرعة رؤية البعث بالعيان لأنّه أسرع في تحقيق الاطمئنان لهذا كان جواب الخليل عن الاستفهام التقريري 1054 "أولم تؤمن" بقوله "بلى ولكن ليطمئنّ قلبي"، فجاءت بلى جوابا للتصديق بإبطال مضمون النفي ليوافق التصديق التقرير، ويدلّ على أنه أراد "أن ينتقل من درجة علم اليقين إلى درجة عين اليقين" 1055 لينبئ ذلك عن كمال الإيمان وزيادته. 1056

– سرعة الموافقة بالمناسبة النحوية في قوله: "فخذ" لتنفيذ سرعة الخليل في قبول طلب خليله، وهو ثمرة الخلة.

– دلالة الحذف على سرعة الجواب ودقته بقوله: "بلى"، فيحصل الإيجاز لكفاية الوقف عليها 1057، و أمّا الوقف على قوله: "ليطمئنّ قلبي"، فهو أكفى منه 1058، و أفضل في كمال المعنى لأنّه إيجاز جمع الجواب و علته 1059، و ردّ توهم الشكّ و ريبته، و لقد أشار الجواب "ببلى" دون "نعم" إلى بلاغة الإعجاز ببراعة الإيجاز، فتجلّى ذلك في مشهدين:

1053 انظر الماوردي، النكت و العيون و قال: "وليس الألف في قوله: "أَوَ لَمْ تُؤْمِن" ألف استفهام وإنما هي ألف إيجاب كقول جرير: أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا... وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحٍ" 1، 334

1054 – و ذهب البعض إلى أنّ الهمزة ألف إيجاب لا استفهام. انظر مفاتيح الأسرار و مصابيح الأبرار، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، 2، 992

1055 – تفسير ابن رجب الحنبلي، جمع و تعليق طارق عوض الله بن محمد، ط 1، 2001، دار العاصمة، الرياض، 1، 192، و يؤكد المعنى المذكور ما رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه و سلم قوله: "ليس الخبر كالمعاينة." انظر فتح الباري، العسقلاني، 1، 11

1056 – انظر الإكليل في استنباط التزيل، السيوطي، ص 46

1057 – الداني، المكتفى في الوقف و الابتداء، ص 190 و نقل القسطلاني الخلاف في ذلك و قال المنع هو المختار. انظر لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني، تحقيق عامر السيد عثمان و عبد الصبور شاهين، ط 1972، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1، 258

1058 – الداني، المكتفى في الوقف و الابتداء، ص 190

1059 – قال أبو زهرة: "النفوس و لو كانت مؤمنة تتمتع بكثرة الدليل لتزداد إيمانا و إن كان أصل الإيمان قائما فزيادة الإيمان تزيد المؤمن إيمانا" انظر القرآن المعجزة الكبرى، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 177

- أن نفي النفي إثبات و التقدير بلى آمنت 1060 بخلاف نعم فهي لإثبات المنفي ، فحقق الجواب بلى زيادة سكون القلب و طمأنينته.

- اجتماع علم الضرورة و علم الاستدلال و تظاهرها على تحقيق السكينة و زيادة اليقين. 1061

✎ - دلالة الحذف على المعاني العقدية المتصلة بالبعث من خلال ما يلي:

- بيان عظمة منزلة المنادي " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ " 1062 ، و قد سأله خليله رؤية البعث فأعطاه ، فدلّ على رفعة المنادي و فضله عند ربّه جلّ في علاه ، و يرى الباحث أن الحذف الوارد على أداة النداء و أداة العطف " الفاء " عند المحاورات قد قلّصت حتى فارق الزمن في التعقيب ليشير إلى كمال الاستجابة بين الخليل و خليله و الله أعلم و أحكم ، و لقد دلّت الفاء التعقيبية على هذا المعنى نظماً ، و أكده المأثور عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: " ليطمئنّ قلبي " بقوله: " أعلم أنّك تجيبني إذا دعوتك ، وتعطيني إذا سألتك " 1063 ، فيوافق المأثور تفسيراً المنقول نزولاً " وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا " 1064 ، و قوله جل و علا " إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ۗ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۗ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ " 1065

- بيان عظمة قدرة المنادي بسعة علمه " وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ " 1066 إذ لازم كمال العلم كمال

القدرة على البعث و النشور.

✎ - حذف جملة العطف:

فقد أظهر الحذف مكونات أسلوب العطف في وجهي القراءتين على النحو الآتي:

1060- الكشاف، الرمخشري ، 1 ، 391.

1061 - الكشاف ، الرمخشري ، 1 ، 275

1062 - البقرة ، 186

1063 - انظر الطبري جامع البيان ، 3 ، 152.

1064 - النساء ، 125.

1065 - النحل ، 120 - 122

1066 - ق ، 16

﴿ - قراءة الضمّ أفادت معنى الجمع و الإمالة تصريحا ، و معنى الذبح و القطع تلميحا ، و التقدير:

أملهنّ فقطعهنّ "ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا" ، فحذفت جملة المعطوف عليه. 1067

﴿ - قراءة الكسر أفادت معنى الذبح و القطع تصريحا ، و معنى الجمع و الإمالة تلميحا ، و التقدير:

أملهنّ فقطعهنّ " ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا " ، فحذفت جملة المعطوف 1068، وعلى هذا فإن اجتماع

معاني التغيرات القرآني أولى و أرجح 1069 إذ به ظهر المحذوف من وجهي القراءتين ليرسم فروق الدلالات ، و

يصور تفاصيل وقائع الإمالة بين حدّ البداية بقوله: " فخذ " و حدّ النهاية بقوله: " ثمّ اجعل " ، و ليدلّ على

تفاصيل وقائع البعث بكمال تصويره "ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَا تَيْنَكَ سَعِيًّا" ، ثمّ ليختم مشهد البعث و النشور بصورة جمال

المقابلة بين دلالة الحياة في معنى قراءة الجمع و دلالة الموت في معنى قراءة القطع بمسلك صورة إيجاز الضدين

- على مذهب من قال أن قوله " صرهنّ " من ألفاظ الأضداد 1070 - في لفظ واحد متوافق مع مقام السياق

لفظ " صرهنّ " إذا نظرت إلى دلالة السياق السابق " فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ " كان معنى الجمع أولى به ، و إذا

نظرت إلى دلالة السياق اللاحق " ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا " كان معنى التقطيع أولى به ، فبان ببلاغة

الإيجاز الضديّ عظمة القدرة الإلهية في جمع الضدين - الحياة و الموت - على المخلوقات عموما و الله أعلم و

أحكم.

1067 - الحذف البلاغي في القرآن الكريم ، مصطفى عبد السلام أبو شادي ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، ص 140 و يشهد له من

الاستعمال القرآني قوله تعالى: "فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بَعْصَاكَ الْبَعْرَ فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ " الشعراء، 63 ، وتقدير المحذوف:

فضرب فانفلق و كقوله تعالى: " أَذْهَبَ بِكُنُوبِي هَذَا فَالْقَلْبَةُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّىٰ عَنْهُمْ فَانظَرْنَا مَاذَا يَرْجِعُونَ " النمل، 28 ، وتقدير المحذوف: فذهب و ألقى

الكتاب. انظر البحر المحيط ، 2 ، 300

1068 - و مما تختص به الفاء العاطفة جواز حذفها مع مدخولها انظر النحو القرآني، جميل أحمد ظفر، ط 2، 1998 ، مطبعة الصفا، مكة

المكرمة، ص 479

1069 - و هذه قاعدة جليلة يفهم بها التغيرات القرآني ليدرك كمال فهم القرآن. انظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 13 ، 391 ، و مكّي

بن أبي طالب ،الكشف عن وجوه القراءات السبع، 1، 224 ، والحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن

عطية، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، المغرب، 3، 165 ، و أحمد بن يوسف السمين الحلبي ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،

تحقيق أحمد محمد الخراط، ط 1 ، 1406 هـ ، دار القلم، دمشق، 3، 555 ، و عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، التشكيل بما في تأنيب

الكوثري من الأباطيل ، ط 2 ، 1406 هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، 2 ، 632

1070 - انظر الأضداد ،ابن الأنباري، ص 28

الفصل الثالث : التنظير القرآني بين إجاز نظم القرآن و إجاز بلاغته.

- النظم النظم القرآني حقيقة ، مستوياته إجازة.
- إجاز النظم القرآني " تصوير النسيم نموذجاً
- إجاز النظم القرآني " تصوير النفس نموذجاً "
- الإجاز البلاغي بالتقديم و التأخير
" قصة آدم نموذجاً "
- الإجاز البلاغي بالتقديم و التأخير
" نقض الشرك نموذجاً "
- الإجاز البلاغي بالتحكم و اللطف
" قصة موسى مع المرأتين نموذجاً "

- التنوير القرآني و إجاز النظم القرآني:

- القرآن الكريم و اللغة العربية:

لقد بلغت اللغة العربية منزلة عظيمة غداة نزول القرآن الكريم ، فقد أتت الفصاحة منتهاها ، و أضحى البلاغة مولانا فأسرت قلوب البلغاء ، و ملكت نفوس الفصحاء ، حتى قال بليغ إحدى القرينتين الوليد بن المغيرة: " فو الله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ، ولا بأشعار الجن مني ، و الله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، و إنّه ليعلو ولا يعلى ، وإنّه ليحطم ما تحته " 1071 كيف لا تعلق العربية و القرآن الكريم نور كلماتها ، و بيان معانيها قال تعالى: يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٠٧٢﴾ كيف لا تصفو العربية ، و الكمال الإلهي المطلق مصدرها قال تعالى: "وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٧٣﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٠٧٤﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٠٧٥﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٠٧٦﴾" 1073

و لقد جاء بيان القرآن حجة من طريقين: 1074

1071 - انظر تفسير القرآن ، عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق مصطفى مسلم محمد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط1 ، 1410هـ ، 328،2 ، و جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ابن جرير الطبري ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مراجعة أحمد محمد شاكر ، مطبعة دار الفكر ، بيروت ، ط 1408هـ ، 1988م ، 30.17 و 156.29 ، و دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شكر ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط 2 ، 1410هـ ، 1989م ، ص 388 ، 581 ، و البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزمكاوي ، تحقيق خديجة الحديشي ، و أحمد مطلوب ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط 1 ، 1394هـ ، 1974م ، 56 ، و البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، خرّج حديثه و قدّم له وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1408هـ ، 1988م ، 118-119 ، و الزهر في علوم اللغة وأنواعها ، السيوطي ، تحقيق محمد احمد جاد المولى ، وعلي محمد الجاوي ، و محمد أبو الفضل ابراهيم ، 345/2.

1072 - المائدة ، 15

1073 - الشعراء ، من 192 إلى 195

1074 - انظر مقدمتان في علوم القرآن ، نشر آرثر جفري ، تصحيح عبد الله اسماعيل الصاوي ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مصر ، ط 2 ، 1392هـ ، 1972م ، 23 ، و أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ، أحمد حسن الباقوري ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 3 ، 1983م ، 125-126.

أ- ظاهر القرآن فهو حجة قاطعة على بلغاء العرب - بفسيح لفظه ، وعجيب نظمه - ، فقد أجمعوا على كمال فصاحته ، وجمال بلاغته ، و تترّفه عن كل عيب. 1075

ب- باطن القرآن فهو حجة قاطعة على علماء العجم - بصدق خبره وصحة وعده - أجمعوا على كمال علومه ، و جلال أحكامه ، و تترّفه عن كل ريب.

لقد ملك اللسان العربي بالقرآن القلوب مطلقا ماضيا ، و حاضرا ، و حقّ له سيادة الألسن قاطبة مستقبلا 1076 قال تعالى: "وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٠٧٦﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۗ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٠٧٧﴾" ، و من عظيم لغة القرآن أن تتواطأ قواعدها و وجوه خطابها على استنباط الأحكام الشرعية ، فقد ذكر ابن هشام أنّ " الرشيد كتب ليلة إلى القاضي أبي يوسف يسأله عن قوله:

فإن ترفقي يا هند فالرفق أيمن وإن تحرقني يا هند فالحرق أشأم
فأنت طالق والطلاق عزيمة ثلاث، ومن يحرق، أعقّ وأظلم

فقال: ما يلزمه إذا رفع الثلاث ونصبها ؟ قال أبو يوسف: فقلت: هذه مسألة نحوية فقهية ، ولا آمن الخطأ إن قلت فيها برأيي ، فأتيت الكسائي وهو في فراشه ، فقال: إن رفع "ثلاث" طلق واحدة ، لأنّه قال: "أنت طالق" ثمّ أخبر أنّ الطلاق التام ثلاث ، وإن نصبها طلق ثلاثا ، لأنّ معناها أنت طالق ثلاثا ، وما بينهما جملة معترضة ، فكتبت بذلك إلى الرشيد، فأرسل بجوائز ، فوجّهت بها إلى الكسائي. 1078.

1075 - انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق عادل أحمد عبد الجواد، و علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1 ، 1413هـ، 1993م ، 366/6 ، و المظهر 345/2 ، و الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي ، دار العلم للملايين ، ط2 ، 1978م ، 540/8 ، و أثر القرآن الكريم ، الباقوري ، 39 ، 54 ، و أثر القرآن والقراءات في النحو العربي ، محمد سمير نجيب البدري ، دار الكتب الثقافية، الكويت، ط1 ، 1398هـ 1978م ، 65 - 66 ، و العربية الفصحى والقرآن الكريم أمام العلمانية والاستشراق، رمضان عبد التواب، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط1988م، 16.

1076 - انظر قضايا قرآنية في ضوء الألفية ، عبد الفتاح الزين ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، ط1 ، 1987م ، 44-45 ، من الدراسات القرآنية ، عبد العال سالم مكرم ، المطبعة العصرية ، بالكويت ، 1398هـ، 1978م، 52.

1077 - البقرة، 23 - 24

1078 - انظر مغني اللبيب، ابن هشام ، 1، 54 .

- النظم لغة و اصطلاحاً

- النظم لغة

- النظم عند ابن منظور: " النظم: التأليف...، و نظمت اللؤلؤ أي جعلته في السلك...، و النظام الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ ، و الانتظام: الاتساق." 1079

- النظم عند الجوهري: " نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك ، و التنظيم مثله...، و الانتظام: الاتساق " 1080 ، و " نظمت العقد و الشعر إذا ألقت بين مفرداته " 1081 ، و " المنظوم من كل شيء: ما تناسقت أجزاءه على نسق واحد " 1082 ، و بحسن التخلص نقول: أصل النظم ما دلّ على التأليف مطلقاً 1083 ، و أشار تاريخ اللغة إليه بدرجتين هما:

أ - أن لفظ النظم وضع في معهود خطاب العرب للدلالة أصالة على المعنى المادي المحسوس كنظم اللؤلؤ مثلاً.

ب - أن لفظ النظم نقل بالاستعمال للدلالة تبعاً على المعنى المجرد المدسوس كنظم الشعر مثلاً و الدرجتان مقيدتان بقيدين لا تصلح حقيقة النظم إلا بهما:

أ - أن التأليف ضمّ و جمع وقع على منوال التوافق.

ب - أن التأليف ترتيب و تنظيم وقع على منوال الانسجام و الاتساق.

- النظم اصطلاحاً

نظرية النظم عند الجرجاني فكرة علمية رائدة جمعت قواعد منهج الفهم الصحيح للخطاب العربي - و الذي تجسّد في ميلاد علم المعاني - للوقوف على حقائق النظم القرآني المعجز، فطالب " دليل الإعجاز من

1079 - لسان العرب ، مادة نظم ، 12 - 578

1080 - الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، تاج اللغة و صحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفار عطار ، ط1 ، 1956 ، 5 - 2041 ، القاهرة ، و محمد بن أبي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، تحقيق محمود خاطر ط 1995 ، مكتبة لبنان ، بيروت ص 278 ، و الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص 641 ، و الجرجاني ، التعريفات ، ص 310

1081 - المناوي محمد بن عبد الرؤوف ، التوقيف على مهمات التعاريف ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط1 ، 1400 هـ ، ص 689

1082 - المعجم الوسيط ، 2 - 933

1083 - ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مادة نظم

نظم القرآن إذا هو لم يطلبه في معاني النحو ، وأحكامه و وجوهه وفروقه ، ولم يعلم أنّها معدنه وموضعه ومكانه وأنّه لا مستتب له سواها ، و ألاّ وجه لطلبه فيما عداها غارّ نفسه بالكاذب من الطمع ، ومسلم لها من الخدع.. "1084 ، و من استقراء النصوص تلخّصت لدينا معالم نظرية النظم في النقاط التالية:

أ - النظم علاقات متناسقة بين المعاني ، و معلوم أنّ النظم " ليس سوى تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض "1085 ، فهذا التعلّق يدرأ فساد التأويل ، و يتعيّن به سداد الفهم ، فيحصل بذلك جمال الفصاحة وكمال البلاغة "وجملة الأمر أنّا لا نوجب "الفصاحة" للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه ، ولكننا نوجبها لها موصولة بغيرها ، ومعلّقا معناها بمعنى ما يليها."1086

ب - النظم حركة ترتيب عقلية بين المعاني استقلالاً ، و بينها و بين المباني اجتماعاً ، وترتيب الألفاظ في النطق يتبع ترتيب المعاني في النفس لأنّ اللفظ " تبع للمعنى في النظم ، وأنّ الكلم تترتّب في النطق بسبب ترتّب معانيها في النفس "1087 ، و " ليس الغرض بنظم الكلم أن توالى ألفاظها في النطق بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل " ، 1088 و أكّد الشريف الجرجاني قيد العقل في استقامة النظم فعرفه بأنّه: "الألفاظ المرتّبة المسوقة المعبرة دلالتها على ما يقتضيه العقل."1089

ت - الألفاظ مغلقة على معانيها ، مؤصّدة على مقاصدها ، فلا يسفر عن مراد المتكلّم و غايات خطابه إلاّ بالانتظام المحكم ، والاتّساق الملمهم ، و" لا يكون لإحدى العبارتين مزية على الأخرى حتى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتهما... إنّ قولنا المعنى في مثل هذا يراد به الغرض ، والذي أراد المتكلّم أن يثبته أو ينفيه."1090

ث - سلامة فهم النظم بتتبع قواعد النحو لأنّ كمال النظم " أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه و أصوله ، وتعرف مناهجه التي فهجت ، فلا تزيغ عنها "1091 ، و قد تعين قواعد

1084 - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 403-404 .

1085 - المصدر نفسه ، ص 55

1086 - المصدر نفسه ، ص 402.

1087 - الجرجاني، الدلائل ص 49

1088 - المصدر نفسه ، ص 50.

1089 - الشريف الجرجاني ، التعريفات ، ص 216

1090 - الجرجاني ، الدلائل ، ص 258.

1091 - المصدر نفسه ، ص 81.

النحو على إدراك الملكة الاجتهادية من خلال ملكة الوقوف على الاستنباط الفقهي فقد روى الزبيدي مناظرة وقعت بين الكسائي النحوي و أبي يوسف الحنفي قال : " دخل أبو يوسف على الرشيد و الكسائي يمازحه فقال له أبو يوسف: هذا الكوفي قد استفرغك وغلب عليك ، فقال: يا أبا يوسف إنه ليأتينني بأشياء يشتمل عليها قلبي، فأقبل الكسائي على أبي يوسف فقال: يا أبا يوسف هل لك في مسألة ؟ قال : نحو أم فقه ؟ قال: بل فقه ، فضحك الرشيد حتى فحص برجله ، ثم قال : تلقي على أبي يوسف فقها ! قال: نعم ، قال : يا أبا يوسف ، ما تقول في رجل قال لامرأته: أنت طالق إن دخلت الدار؟ قال: إن دخلت الدار طلقت. قال: أخطأت يا أبا يوسف ، فضحك الرشيد ، ثم قال : كيف الصواب ؟ قال: إذا قال " أن " فقد وجب الفعل ، و إن قال " إن " فلم يجب ولم يقع الطلاق. قال: فكان أبو يوسف بعدها لا يدع أن يأتي الكسائي."¹⁰⁹²

ج - النحو وقوف على قواعد معاني الخطاب العربي ، فحقيقته" أن تنحو إلى معرفة التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب ، وقوانين مبنية عليها ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية ، وأعني بكيفية التركيب تقديم بعض الكلم على بعض ، ورعاية ما يكون من الهيئات."¹⁰⁹³

ح - وجوه الخطاب في معهود كلام العرب متنوّعة ، منها علم الصرف الذي يحدّد دلالة المفردات في التركيب ، وعلم النحو الذي يرتبها ، ويحدّد وظيفتها بناء على دلالتها الصرفية والمعجمية 1094 ، و بهذا يدرك " سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره ، كالتثنية والجمع ، والتحقير والتكسير و الإضافة ، والنسب ، والتركيب وغير ذلك " 1095 ، و من أنكر هذا فقد ردّ الحسّ و تجرّ، وغالط النفس بالكدر ، وقدم العرر على الغرر" فلا ترى كلاما قد وصف بصحّة النظم أو فساده ، أو وصف بجزية وفضل فيه إلا و

¹⁰⁹² - انظر طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي ، ص 127 .

¹⁰⁹³ - السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر ، مفتاح العلوم ، ط 1348 ، دار التقدّم ، القاهرة ، ص 33

¹⁰⁹⁴ - التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة ، ط 2005 ، دار النشر للجامعات، القاهرة، ص 117

¹⁰⁹⁵ - ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد على النجار، ط 1952 ، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج1 ص 34

أنت تجد مرجع تلك الصحة و ذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو و أحكامه ، و وجدته يدخل في أصل من أصوله ويتصل بباب من أبوابه." 1096

خ - الإعجاز بالنظم " إذا كان التركيب النحوي له معنى أول يدل على ظاهر الوضع اللغوي ، وله معنى ثان ودلالة إضافية تتبع المعنى الأول ، و هذا المعنى الثاني ، وتلك الدلالة الإضافية هي المقصد و الهدف للبلاغة." 1097

- نظرية النظم عند الجرجاني: "معنى المنع"

المعنى عند الجرجاني نوعان :

- أ- المعنى: و هو " المفهوم من ظاهر اللفظ المتبادر ، و الذي تصل إليه بغير واسطة." 1098
- ب- معنى المعنى: و هو " أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر" 1099 ، و دلالات المعاني الإضافية المتولدة من مجموع الدلالات اللغوية المتناسقة لا يدرك طيفها المتسع إلا بعد التأليف المترابط ، و النظم المتناسك كعقد فريد تتابعت درره لترسم مشهد زينة يأخذ بالألباب ، أساسه التدبر العميق و التأمل الدقيق 1100 ، و روحه حسن تتبع سياق مشاهد التصوير " و إنما الشعر صياغة و ضرب من التصوير" 1101 ، و التصوير مداره على الأدوات البيانية - كالكناية و الاستعارة و التشبيه - التي تسفر عن بناء مرصوص من اتساق لبنات المعاني ، و تسربلها حلل سندسية من جمال الفصاحة ، و حسن البلاغة 1102 وفق صراط نحوي مستلهم من ملاحظة منهج العرب في معهود الخطاب 1103 ، فترشد دلالات الألفاظ اللغوية -

1096 - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ط2 ، 1989م ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ص 64 - 65

1097 - عبد الفتاح لاشين ، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، دار المريخ ، الرياض ، ص4

1098 - الجرجاني ، الدلائل ص 202-203 .

1099 - المصدر نفسه ، ص 263

1100 - و قصدت من الجمع بين التدبر و التأمل تحقيق مآلات المعاني بالنظر الصحيح تحقيقا و بالتبث الجازم ترجيحاً. انظر تاج العروس

مادة " دبر " ج3 ص200 ، و التعريفات للجرجاني ص36

1101 - درويش الجندي ، نظرية عبد القاهر في النظم ، ص 117 .

1102 - أحمد مطلوب ، عبد القاهر الجرجاني بلاغته و نقده ، ص 109 .

1103 - و أقصد بالنحو نحو المعاني أي علم المعاني الذي فصل مباحته - القصر و الاستفهام و الوصل و الفصل.. - الجرجاني في الدلائل

انظر دلائل الإعجاز للجرجاني ص 108 و 185

التي طريق معرفتها التوقيف والتقدم بالتعريف - إلى دلالات المعاني أحسن إرشاد و أوضح بيان 1104 بوساطة حسن مأخذها ، ودقّ مسلكها ولطفت إشارتها ، فيغدو النص الواحد "يحوي مدلولات متنوعة متناسقة... كلّ مدلول منها يستوفي حظّه من البيان و الوضوح دون اضطراب في الأداء ، أو اختلاط بين المدلولات ؛ وكل قضية وكل حقيقة تنال الحيز الذي يناسبها بحيث يستشهد بالنص الواحد في مجالات شتى" 1105 ، وتقوم نظرية معنى المعنى في إعجاز النظم القرآني على فنية التصوير المفتوح الذي يمنح العقل سعة التخيل في رحابة آفاق التفكير لينتقل إلى تصوير المعاني المجردة المدسوسة في مباني مجسّمة محسوسة ، وصياغة النظم بالتصوير كصياغة الذهب بالإبداع ، و إتقان نظم الكلام وكمال تصوير معانيه كنسج حسنت خيوط حريره ، و برعت آيات تطريزه.

- مستويات النظم عند الجرجاني:

للنظم مستويات متفاوتة:

أ- النظم الأدنى:

فما لا بدّ أن يعلم أنّ النظم في هذه المرتبة لا يحتاج واضعه " إلى فكر وروية حتى انتظم ، بل ترى سبيله في ضمّ بعضه إلى بعض سبيل من عمد إلى لآل فخرطها في سلك لا يبتغي أكثر من أن يمنعها التفرّق ، و كمن نضد أشياء بعضها على بعض لا يريد في نضده ذلك أن تجيء له منه هيئة أو صورة ، بل ليس إلّا أن تكون مجموعة في رأي العين ، وذلك إذا كان معنك معنى لا تحتاج أن تصنع فيه شيئاً غير أن تعطف لفظاً على مثله..، فما كان من هذا وشبهه لم يجب به فضل إذا وجب إلا بمعناه ، أو بمتون ألفاظه دون نظمه وتأليفه " 1106 ، و عليه فإنّ النظم بهذه الحقيقة قد انضبط بما يلي:

✻ - استقامة اللسان ومجانبة الألفاظ.

✻ - مجرد التركيب ومطلق الترتيب.

✻ - سطحية الفكر و بساطة التناول.

ب - النظم العالي:

1104 - الجرجاني، الدلائل ص 97

1105 - الظلال ، سيد قطب ج3 ص 1787

1106 - دلائل الإعجاز ، ص 98 .

التَّظْمُ العَالِي أَن يَبْلُغَ فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهِ ذُرُوءَ الْحَسَنِ كَأَنَّهُ لِفِظَةٍ وَاحِدَةٍ "سَهْلَةٌ لَيْتَنَ، وَرَطْبَةٌ مَوَاتِيَّةٌ ، سِلْسِلَةُ النِّظَامِ ، خَفِيفَةٌ عَلَى اللِّسَانِ، حَتَّى كَأَنَّ الْبَيْتَ بِأَسْرِهِ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى كَأَنَّ الْكَلِمَةَ بِأَسْرِهَا حَرْفٌ وَاحِدٌ" 1107 ، وَمِثْلُ النَّظْمِ فِيهِ " كَمَثَلٍ مِنْ يَأْخُذُ قِطْعًا مِنَ الذَّهَبِ أَوْ الْفِضَّةِ ، فَيَذِيبُ بَعْضَهَا فِي بَعْضٍ حَتَّى تَصِيرَ قِطْعَةً وَاحِدَةً " 1108 ، وَ مِثْلُ مَزِيَّةِ أَجْزَاءِ مُحَاسِنِهِ " كَالْأَجْزَاءِ مِنَ الصَّبْغِ تَتَلَاخَقُ وَيَنْضَمُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ حَتَّى تَكْثُرَ فِي الْعَيْنِ ، فَأَنْتَ لَدُنْكَ لَا تُكْبِرُ شَأْنَ صَاحِبِهِ ، وَلَا تَقْضِي لَهُ بِالْحَذَقِ وَالْأَسْتَاذِيَّةِ وَسَعَةِ الذَّرْعِ وَشِدَّةِ الْمُنَّةِ ، حَتَّى تَسْتَوْفِيَ الْقِطْعَةَ وَتَأْتِيَ عَلَى عِدَّةِ آيَاتٍ ، وَذَلِكَ مَا كَانَ مِنَ الشَّعْرِ فِي طَبَقَةٍ مَا أَنْشَدْتِكَ مِنْ آيَاتِ الْبَحْتَرِيِّ" 1109 ، وَ النَّظْمُ إِذَا جَوَّدَ فِي سِلْسِلَةٍ ، وَ صَبِغَ فِي صُورَةٍ مَاسَةٍ ، فَقَدْ أَصَابَ سَهْمَهُ بِنَاتِ الْأَفْكَارِ ، وَ أَسْرَ سَيْفَهُ أَلْبَابَ الْأَنْظَارِ، فَتَنْقَادُ لَهُ النَّفْسُ اخْتِيَارًا وَ اضْطِرَارًا ، وَ يَسْلَمُ لَهُ الْعَقْلُ إِقْرَارًا وَ إِصْرَارًا ، وَ لَقَدْ وَقَفَ الْجُرْجَانِيُّ مِنْ خِلَالِ قِرَاءَةِ نَقْدِيَّةٍ لِبَعْضِ نصوصِ الْجَاحِظِ الْأَدْبِيَّةِ عَلَى ضَوَابِطِ النَّظْمِ الْعَالِي 1110 وَ هِيَ:

✱ - التَّفْكِيرُ التَّامُّلِيُّ الدَّقِيقُ ، وَ التَّرْوِيُّ الْمَتَزِنُ الْعَمِيقُ.

✱ - الْمَلَكَةُ الْإِبْدَاعِيَّةُ فِي صِنَاعَةِ النَّظْمِ.

✱ - الْاسْتِقْرَاءُ الرِّيَادِيُّ فِي اسْتِنْبَاطِ حَقَائِقِ الْمَعَارِفِ ، وَدِقَائِقِ اللَّطَائِفِ.

ت - النَّظْمُ الْأَعْلَى:

التَّظْمُ الْأَعْلَى أَن يَبْلُغَ كُلُّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهِ ذُرُوءَ الْحَسَنِ وَ الْجَمَالَ ، ثُمَّ يُضَافُ إِلَيْهِ مِنْ تَاخِي الْأَجْزَاءِ ضَرْبٌ آخَرٌ أَسْمَى مِنْ ضُرُوبِ الْحَسَنِ وَ الشَّرْفِ ، فَيُؤَوَّلُ الْكَلَامُ بِمَجْمُوعِ أَجْزَائِهِ إِلَى مَقَامِ تَمَامِ الْحَسَنِ وَ كَمَالِهِ ، فَكُلُّ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ مِثْلًا " إِذَا أَفْرَدَ قَامَ بِنَفْسِهِ ، وَاسْتَقَلَّ مَعْنَاهُ بِلَفْظِهِ ، وَإِنْ رَدَفَهُ مَجَاوِرُهُ صَارَ بِمِثْلَةِ الْبَيْتِ الْوَاحِدِ ، بِحَيْثُ يَعْتَقِدُ السَّامِعُ أَنَّهُمَا إِذَا انْفَصَلَا تَجْزَأُ حَسْنَهُمَا ، وَنَقَصَ كَمَالَهُمَا ، وَتَقَسَّمَ مَعْنَاهُمَا ، وَهُمَا لَيْسَا كَذَلِكَ ، بَلْ حَالَهُمَا فِي كَمَالِ الْحَسَنِ وَتَمَامِ الْمَعْنَى مَعَ الْإِنْفِرَادِ وَالْإِخْتِرَاقِ كَحَالَهُمَا مَعَ الْإِلْتِمَامِ وَالْإِجْتِمَاعِ

1107 - الْبَيَانُ وَالنَّبِيْنُ ، الْجَاحِظُ ، 89/1 .

1108 - الدَّلَائِلُ ص 412-413 .

1109 - الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ ص 88 .

1110 - الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ ص 98 .

"1111، و قال شاعر لأحد الشعراء: "أنا أشعر منك " قال: " وجم ذلك؟ " فقال: " لأني أقول البيت وأخاه ، ولأنك تقول البيت وابن عمّه"1112 ، و عليه فكلمّا اجتمعت الأجزاء على كمال الحسن تضافر حسنهما ، و تعاضد جمالها ، و كان نظمها " متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً واحداً ، و سبك سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان "1113 ، و كلاً ما أصابت البراعة الإبداع في نظم الأجزاء أتقنت كمال صناعة الحسن ، و الأصل في توخي المعاني " أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض و يشتدّ ارتباط ثان منها بأول ، و أن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً ، و أن يكون حالك فيها حال الباني يضع يمينه هاهنا في حال ما يضع بيساره هناك نعم و في حال ما يبصر مكان ثالث و رابع يضعها بعد الأولين و ليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حدّ يحصره و قانون يحيط به فإثمه يجيء على وجوه شتى و أنحاء مختلفة."1114

– مراحل بناء نظرية النظم عند الجرجاني¹¹¹⁵

تقوم نظرية النظم عند الجرجاني وفق المراحل التالية.

- ✱ – بناء المعاني في النفس: باختيار ما يوافق أداء مقصد المتكلم و غرضه.
- ✱ – انتظام المعاني في قوالب المباني: باختيار الألفاظ المناسبة للمعاني المحددة.
- ✱ – ترتيب النظم المركب: فمقصود الخطاب التواصل و الإفادة ، فلا بدّ من ترتيب المعاني وفق قواعد الرتبة في النحو لإفادة الغرض.
- ✱ – التعليق عن النظم بالبيان: من خلال إيصال بيانه في صورة متطابقة بين المعاني و المباني.
- و لقد نبّه الجرجاني – عند بناء نظريته – على السير وفق الدرجات التالية:
- ✱ – ضرورة مراعاة المعنى في صناعة التركيب.
- ✱ – ضرورة اتساق دلالة التركيب مع الفكرة.

1111 – تحرير التحرير في صناعة الشعر و النشر و بيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري ، تحقيق حفي محمد شرف، دار إحياء

التراث الإسلامي ، القاهرة، 425

1112 – الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، ط 1966م ، 90/1 .

1113 – البيان والتبيين ، 89/1 ، و العمدة ، 261/1 .

1114 – دلائل الإعجاز ، ص 93 .

1115 – تمام حسان ، مقالات في اللغة و الأدب ، ط 1 – 2006 ، عالم الكتب، القاهرة، ص 332

٥٥- ضرورة كمال المطابقة بين مقام المقال و مقام الحال.

إنّ الألفاظ خدّم للمعاني ، ومعرفة المعاني مقامها الأول ، ثم تأتي مطابقة الألفاظ لها ، ثم ترتيبها في النفس ، ثم ترتيب الألفاظ بما يوافق الفكر و يناسقه. 1116

- التنوير القرائي و إجاز النظم القرآني:

لقد برز الإعجاز في النظم القرآني من خلال اتّساع المعاني القرآنية بأداة التغير القرائي ، و مصطلح الاتّساع شجاعة عربية أصيلة لها تعلق بالتطور الدلالي للمفردة العربية في إطار علاقة التطور بمقاصده و مظاهره 1117 ، و لقد أشارت النقول اللغوية إلى أصالة المصطلح و دقته، فالعرب مثلاً كانت تسمي الخروج إلى الميادين بربدا لا سفراً، ثم توسّعت فأطلقت لفظ السفر على البريد 1118، و لا تقف معرفة العرب بالاتّساع عند بيان معاني المفردات بل تعدّته إلى:

أ - الاتّساع بالأضداد ، و العرب إنّما أوقعت " اللفظتين على المعنى الواحد ليدلّوا على اتساعهم في كلامهم.." 1119 ، فإذا وقعت الكلمة " على معنيين متضادين فالأصل لمعنى واحد ، ثمّ تداخل الاثنان على جهة الاتّساع ، فمن ذلك الصريم يقال لليل صريم و للنهار صريم لأنّ الليل ينصرم من النهار، و النهار ينصرم من الليل، فأصل المعنيين من باب واحد و هو القطع." 1120

ب - الاتّساع بالحذف و الإيجاز كقاعدة التضمين في الفعل و الأداة قال سيبويه: " و لما جاء على اتّساع الكلام و الاختصار قوله تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكَرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

1116 - الجرجاني، دلائل الإعجاز 54، 56

1117 - انظر علم الدلالة ، أحمد عمر مختار، ط5 ، ط 1998 ، عالم الكتب ، القاهرة، ص243 ، والتطور الدلالي بين لغة الشعر و لغة القرآن ، عودة خليل أبو عودة ، ط1 ، 1985 ، مكتبة المنار الزرقاء ، الأردن ، ص 56 .

1118 - انظر شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ، محمد عبد الباقي الزرقاني، ط1 ، 1411 هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1 ، ص 424 .

1119 - انظر الأضداد في اللغة ، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1960 ، دار المطبوعات و النشر، ص 8.

1120 - المصدر نفسه ، ص 9.

﴿ ٣١ ﴾ " 1121 ، و إنما المعنى بل مكرّم في الليل و النهار... و مثله في الاتّساع قوله عز و جلّ: "وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهَمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٣١﴾ " 1122 ، فلم يشبّوها بما ينعق و إنما شبّوها بالمنعوق به ، و إنّما المعنى مثلكم و مثل الذين كفروا كمثل الناعق و المنعوق به الذي لا يسمع ، و لكّته جاء على سعة الكلام و الإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى. " 1123

ت - الاتّساع بالمجاز " و إنّما يقع المجاز و يعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة و هي: الاتّساع و التوكيد و التشبيه ، فإنّ عدمت هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتّة فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه و سلّم في الفرس هو البحر ، فالمعاني الثلاثة موجودة فيه أمّا الاتّساع فلأنّه زاد في أسماء الفرس... حتّى إنّ احتياج إليه في شعر أو سجع أو اتّساع استعمال استعمال بقية تلك الأسماء و لكن لا يفضى إلى ذلك إلا بقريئة تسقط الشبهة..، و أمّا التشبيه فلأنّ جريه يجري في الكثرة مجرى مائه ، و أمّا التوكيد فلأنّه شبه العرض بالجوهر ، و هو أثبت في النفوس منه ، و الشبه في العرض منتفية عنه. " 1124

ث - الاتّساع بتعدّد الاحتمال في اللفظ و قوة التأويل في المعنى و رحابة النظم في التركيب " قال الأصمعي: خير الشعر ما أعطاك معناه بعد مطاولة..، و إنّما الأصمعي الشعر القوي الذي يحتمل - مع فصاحته و كثرة استعمال ألفاظه و سهولة تركيبه و جودة سبكه - معاني شتى يحتاج الناظر فيه إلى تأويلات عدّة ، و ترجيح ما يترجح منها بالدليل " 1125 ، و مثل بعض أهل البديع بذلك فقالوا: " أن يتّسع فيه التأويل على قدر قوى الناظم فيه بحسب ما تحتمل ألفاظه من المعاني " 1126 ، و منه أن يأتي المتكلم في نظمه أو نثره " بلفظ فأكثر يتّسع فيه التأويل بحسب ما يحتمله من المعاني كقوله تعالى: " وَالشَّفَعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣١﴾ " 1127، فقد اتّسع التأويل في

1121 - سبأ 33

1122 - البقرة 171

1123 - الكتاب ، سيبويه، ج 1، ص 212 .

1124 - الخصائص ، ابن جني، ج 2، ص 442 .

1125 - تحرير التحيير في صناعة الشعر و النثر و بيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصعب المصري ،تحقيق حفني محمد شرف، دار إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ص 455 .

1126 - خزنة الأدب و غاية الأرب ، أبو بكر تقي الدين ابن حجة الحموي، شرح عصام شعيتو، ط 1، 1987، دار الهلال بيروت ، ج 2، ص 403

1127 - الفجر 3

هاتين اللفظتين لثلاثة و عشرين قولاً " 1128 ، و من هذا فإنّ الاتّساع إجادة صناعة النظم بحسن الإبداع في استنباط المعاني القريبة و البعيدة و جمال اختيار المباني البليغة إذ " لا يتصور أن يعرف للفظ موضعاً من غير أن تعرف معناه ، ولا أن تتوخّى في الألفاظ من حيث هي ألفاظٌ ترتيباً ونظماً ، وأنك تتوخّى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك ، فإذا تمّ لك ذلك أتبعها الألفاظ وتقوّت بها آثارها ، و أنّك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنّها خدّم للمعاني ، وتابعة لها ولا حقة بها ، و أنّ العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق " 1129 ، و تجلّى الإعجاز باتّساع النظم في صورتين من خلال نموذجين:

- الصورة الأولى: إعجاز اتّساع معاني النظم عند وصف النعيم الأخروي.

و من الآيات القرآنية التي أسفرت عن وجه إعجاز النظم القرآني فصورّت حقائق معاني المعاني قوله تعالى: " إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حُزُوا وَسُجِدُوا ﴿١﴾ وَيَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤﴾ " 1130

- التوثيق القرائي:

لقد جاء لفظ أخفي في الآية على قراءتين: 1131

- 1128 - أنوار الربيع في أنواع البديع ، علي صدر الدين بن معصوم المدني، تحقيق شاکر هادي شكر ، ط 1969 ، دار النعمان، النجف ، العراق ، ج 6 ، ص 56 .
- 1129 - الدلائل، الجرجاني، ص 53.
- 1130 - السجدة ، 15 ، 16 ، 17.
- 1131 - قرأ حمزة ويعقوب أخفي بإسكان الياء - لفعل مضارع مبني للمعلوم مرفوع بالتجرّد و فاعله ضمير مسند إلى الله تعالى - والباقون بفتحها - بالماضي المبني للمجهول - انظر السبعة ص 516 ، و النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد ابن الجزري الدمشقي ، مراجعة وتصحيح علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية، بيروت 2- 347 ، و المكرر فيما تواتر من القراءات السبع و تحرر ، لأبي حفص عمر بن قاسم بن محمد المصري الأنصاري المعروف بابن النشار ، مراجعة طارق فتحي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ص 287 ، و المسوط في القراءات العشر، أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، تحقيق سبيع حمزة حاكمي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ص 354 ، و الموضح في وجوه القراءات و عللها ، أبو عبد الله نصر بن علي بن محمد الشيرازي الفارسي المعروف بابن أبي مريم ، تحقيق عمر حمدان الكبيسي - دكتوراه- ج 1 ص 1021 ، و التذكرة في القراءات الثمان لأبي الحسن طاهر بن عبد المعتم بن غلبون الحلبي ، تحقيق أيمن رشدي سويد ، طبعة الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ج 2 ص 341 ، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر

- الأولى: جاء الفعل فيها ماضيا - مبنيا للمجهول - يشير إلى تحقق حصول النعيم مقيّدا بوصف الخفاء مع استقرار المتحقق و الوصف و ثباتهما.

- الثانية: جاء الفعل فيها مضارعا - مبنيا للمعلوم - و الأصل في المضارع الدلالة على الحركة المتجدّدة 1132، و هذه قرينة نحوية توحى بتجدّد إعداد النعيم مقيّدا بوصف الخفاء و زيادتهما ، و أكّدت معنى التجدّد و زيادته المتدرّجة قرينة السياق اللفظي السابق الذي جمع أفعال المضارعة على المناسبة الزمنية ، و على هذا فإنّ العدول النحوي إذا وقع بين القراءتين من الماضي إلى المضارع فقد أفاد تجددّ الثابت و زيادته ، وإن وقع من المضارع إلى الماضي فقد أفاد ثبات المتجدّد وعدم نقصانه ، و بمجموع القراءتين أفاد التجدّد المستمر و الثبات المستقر استقلالاً و اجتماعاً ، و لقد دلّ ظاهر النظم القرآني أصالة على نفي العلم بالنعيم وإخفائه أصلا و فصلا عن عموم كل نفس مخلوقة بقرائن منها:

أ - نفي مادة العلم بأداة النفي " لا " ليفيد انقطاع عموم العلم عن كل نفس.

ب - ورود لفظ النفس نكرة في سياق النفي 1133 ليفيد عموم كل نفس مخلوقة.

ت - الإحالة على المستحيل بالتخييل ، فالقرآن ينثر بين يدي المسلم رسائل الجمال فتعكس محاسن الرسائل على مرآة النفس المتدبّرة عقلا و قلبا و روحا و حواساً و خيالا فتستجيب النفس للجمال فتطير نحو آفاق النظر الفسيح ، و رحابة التأمل الواسع لترسم المعاني الإضافية للتركيب و تصوّر حقائق الجمال الموعود. 1134

ث - دلالة قرينة السياق اللفظي اللاحق " مَا أَحْفَى هُمْ " ، و يشهد له ما يلي :

☞ - ظاهر النظم إذ لو كان المقصود من لفظ النفس من أعد لهم التّعيم و لما وقع العدول من صيغة المفرد " نفس " إلى الجمع " لهم " .

المسمى منتهى الأماني و المسرّات في علوم القراءات لأحمد بن محمد البنا ، تحقيق شعبان محمد إسماعيل ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1 - 1407

- 1987 ، ج2 ص367 ، و إبراز المعاني من حرز الأماني لأبي شامة ص 758

1132 - انظر السكّاني، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، ط2، 1407، دار الكتب العلمية بيروت، ص 208

1133 - انظر المحصول في علم الأصول ، فخر الدين الرازي ، تحقيق طه جابر العلواني ، ط3 - 1418 - 1997 ، مؤسسة الرسالة،

بيروت ، و شرح الكوكب المنير، محمد بن أحمد الفتوحى " ابن النجّار " دار الفكر ، دمشق 3 - 137 ، و إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من

علم الأصول ، محمد بن علي الشوكاني ، ط 1979 ، دار المعرفة ، بيروت ، ص 119

1134 - انظر في البلاغة القرآنية ، أسرار الفصل و الوصل ، صباح عبيد درّاز ، ط1 ، 1986 ، مطبعة الأمانة ، القاهرة ، ص 69

❦ - باطن النظم إذ لا عبرة بقرة العين - و على قراءة أبي هريرة قرأت أعين - 1135 إذا وقع الخفاء عن المنعم عليهم دون غيرهم بل غرة الفقرة ، و درة العبرة أن يعم الخفاء كل نفس ليتحقق وصول عموم التشويق إلى التعميم كل نفس مخلوقة ، ثم يزال الخفاء عن أهل التعميم ليقع توفيقهم لما فضلوا به عن غيرهم لتفضيلهم محاب محبوهم و تقديمها عن كل من دونه " إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حَمَزُوا سَجْدًا وَسَبُّوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ " ، و عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْعَرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْعَابِرَ مِنَ الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ قَالَ بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ " 1136 ، أما إعجاز النظم في معنى المعاني فهو ذهاب المخاطب بفكره في تخيل النعيم المخفي مذهب الاتساع ، واستنفاذ وسعه بالتفكير في تصور حقيقة النعيم ، فيتقوى دلالة اختلاف القراءتين بمسلكين:

- المسالك التوجيهية للقراءة تينة:

و دلّ توجيه التغيرات القرآنية على أن:

- 1- حذف فاعل الإخفاء - على قراءة الجمهور - يوحى بسعة خيال النفس في تقدير الوعد الإلهي ، وفي هذه الحالة الحذف أبلغ في موضعه من الذكر " لأنّ النفس تذهب في الحذف كلّ مذهب ، و لو ذكر الجواب لكان مقصورا على الوجه الذي تناوله الذكر. " 1137
- 2 - ذكر فاعل الإخفاء - على قراءة حمزة ويعقوب - يوحى بسعة خيال النفس في تقدير حقيقة النعيم و تدلّ على ذلك وجوه البيان التالية:

1135 - روى البخاري في الجامع الصحيح قال حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ذُخْرًا بَلْهَ مَا أَطْلَعْتُمْ عَلَيْهِ ثُمَّ قَرَأَ " فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. " قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ قَرَأَ أَبُو هُرَيْرَةَ قُرَاتٍ أَعْيُنٍ. رقم الحديث 4407

1136 - صحيح مسلم ، رقم الحديث 5059

1137 - الرماني، النكت في إعجاز القرآن ، ص 77

أ - تصوّر التّعيم مع قيام وصف الإخفاء.

ب - تصوّر التّعيم مع قيام وصف الإخفاء مقترنا بقيد زمن الغيب.

ج - تعمّد الإبهام في اسم التّعيم وحققيقته - بالعدول عن قاعدة الاستعمال القرآني في الترغيب بالجنة 1138

- ثمّ أضفى بظلال الخفاء على حقيقة التّعيم فاتّسعت آفاق تخيّل ، وبرزت حكمة الإبهام في المقاصد التالية:

﴿ - بيان عظمة منزلة المعتمدين و عظمة التّعيم ، و من لطائف القراءتين أنّ أهل التّعيم لما أخلصوا أعمالهم لله

تعالى وحده بإخفائها عن مشاهدة كل نفس مخلوقة أخفى الله تعالى تعيين التّعيم الموعود به لهم عن كل نفس

مخلوقة " فلا تعلم نفس " 1139 ، و لما اجتهدوا في إخفاء حظّ مشاهدة أنفسهم الأعمال الخالصة جاءت إحدى

القراءتين لتخفي فاعل إخفاء التّعيم ، و لما كان مقصودهم من إخفاء أعمالهم تعظيم ربّهم و توحيده جاءت

القراءة القرآنية الأخرى لتظهر فاعل الإخفاء. 1140.

﴿ - رجحانه في الفضل رتبة قال سيد قطب : " تعبير عجيب يشي بحفاوة الله سبحانه بالقوم ؛ وتوّلّيه

بذاته العليّة إعداد المذخور لهم عنده من الحفاوة والكرامة ، ثمّ تقرّ به العيون ، هذا المذخور الذي لا يطلع

1138 - لقد دلّ الاستقراء أنّ القاعدة القرآنية في الاستعمال القرآني عند الترغيب في الجنة تقوم على بيان تفاصيل التّعيم وفق قاعدة

الاشترك في الأسماء دون المسميات لقوله تعالى: " و أتوا به متشاهما " إلا أنّ الآية النموذج خرجت عن قاعدة الاستعمال القرآني.

1139 - روى الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح الأمين قال : قال: " قال

الرب عز وجل : يؤتى بحسنات العبد وسيئاته فيقص بعضها ببعض فإن بقيت حسنة وسع الله له في الجنة " قال : فدخلت على يزداد فحدثنا

بمثل هذا الحديث ، قلت له : فإن ذهبت الحسنة ؟ قال : " أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا " - وقرأ إلى قوله - " يوعدون " قلت

له : أفرايت قوله عز وجل: " فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين. " قال: " العبد يعمل سرّاً أجره على الله عز وجل فلا تعلم به الناس

فأسرّ الله له يوم القيامة قرة عين. " انظر المستدرک، 4-252 ، رقم الحديث 7749 - قال الحسن البصري: " أخفوا عملا في الدنيا فأناهم

الله بأعمالهم. " أخرجه البخاري في التاريخ الكبير 7-113 ، والطبري في تفسيره، ج 18 ص 623 ، و أبو نعيم في الحلية ، 3-91 ،

والبيهقي في الشعب 4-354 ، و الذهبي في السير 12-340

1140 - فقد جاء فاعل الإخفاء ضميراً مستترا على قراءة حمزة ويعقوب ، وضميراً للشأن والعظمة على قراءة ابن مسعود رضي الله عنه

الشاذة ، و قاعدة الشرع تؤكد أنّ العبد إذا عظم ربه تعالى عظم الله منزلته في الآخرة وأنّ من دلّ نفسه لله تعالى محبة وقربة رفع الله مرتبته

بين العالمين و أعلى درجاته في الجنان بين المقربين لهذا عرض الله أوصاف أهل دار السعادة تصرّحاً بنص وحيه فقال: " إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِقَائِلَتِنَا الَّذِينَ إِذَا

ذُكِرُوا بِهَا حُزُوا سُبْحًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. ﴿٥٠﴾ تَنجَافِي جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥١﴾

قال الضحاك : " هم قوم لا يزالون يذكرون الله إما في الصلاة و إما قياما و إما قعودا و إما إذا استيقظوا من منامهم هم قوم لا يزالون

يذكرون الله. " انظر تفسير الضحاك ، جمع و دراسة و تحقيق محمد شكري أحمد الزاويتي ، ط 1 ، 1419 ، 1999 ، دار السلام ، القاهرة،

ج 2 ص 671 ، و عرض بذكر أحوال أهل دار الشقاوة بيان سبب التزول فقد نقل الطبري أنّ قوما من المنافقين كانوا يخرجون من المسجد

إذا أقيمت الصلاة. انظر جامع البيان ، ابن جرير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد احسن التركي، ط 1 ، 2001 ، دار هاجر، القاهرة ج 18

ص 608 ، و تفسير ابن جريج ، جمع و دراسة علي حسن عبد الغني ، ط 1 ، 1413 ، 1992 ، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة ص 282

عليه أحد سواه ، والذي يظلّ عنده خاصّة مستورا حتى يكشف لأصحابه عنه يوم لقائه...، وإثنا لصورة
وضيئة لهذا اللقاء الحبيب الكريم في حضرة الله ، يا لله ! كم ذا يفيض الله على عباده من كرمه ! وكم ذا
يغمرهم سبحانه بفضلته ! ومن هم- كائنا ما كان عملهم وعبادتهم وطاعتهم وتطلّعهم - حتى يتولّى الله جلّ
جلاله إعداد ما يدخره لهم من جزاء في عناية و رعاية وودّ و احتفال ؟ لولا أنّه فضل الله الكريم المنان !?

1141"

﴿ - تفاوت درجاته ، وتفاضل أهله 1142 ، فإن ذكر لفظ العين - قرّة أعين - في سياق الإكرام يوحى
بأنّ الله تعالى أكرمهم بقدر حضور جوارحهم مع أعمالهم الخالصة إذ سياق الآية السابق يؤكد ذلك 1143 ،
فالاتّعاظ بآيات الله تعالى يوجب استحضر عظمتة عزّ و جلّ ، و من لوازمه البكاء ، وشاهده قوله صلى الله
عليه و سلم : " و رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه.. " 1144 ، كما أنّ التهجد الذي استوفى شرط الخوف منه
تعالى ، و الطمع في نعيمه سبحانه من لوازمه البكاء ، و شاهد حال النبي صلى الله عليه و سلم يؤكّد ذلك
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لأبيّ بن كعب : " إنّ الله عزّ و جلّ
أمري أن أقرأ عليك " ، قال : الله سمّاني لك ؟ قال : " الله سمّك لي " ، قال فجعل أبيّ يبكي " ، وفي رواية : " إنّ الله أمري
أن أقرأ عليك : " لم يكن الذين كفروا " 1145 قال : وسمّاني لك ؟ قال : " نعم " قال : فبكي ، 1146 و يقرّره كذلك أنّ

1141 - سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج 3 ص 1787

1142 - روى مسلم بسنده عن الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ عن الرسول صلى الله عليه و سلم قال : سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً قَالَ
هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيَقَالُ لَهُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَيُّ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخْدَانَهُمْ فَيَقَالُ لَهُ
أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مَلِكٍ مِنْ مَلُوكِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ رَضِيْتُ رَبِّ فَيَقُولُ لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ فَيَقَالُ فِي الْخَامِسَةِ رَضِيْتُ
رَبِّ فَيَقُولُ هَذَا لَكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ وَلَكَ مَا اشْتَهَيْتَ نَفْسُكَ وَلَدَّتْ عَيْنُكَ فَيَقُولُ رَضِيْتُ رَبِّ قَالَ رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً قَالَ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ
غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي وَحَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ قَالَ وَمِثْلُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : { فَلَا
تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ } الْآيَةَ ، صحيح مسلم ، رقم 276

1143 - قال ابن زنين : قوله تعالى : " إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حُزُوا وَسَجَدُوا لِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ - عن عبادة
الله - ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ . قال الحسن : يعني قيام الليل - يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا - من عذابه - وَطَمَعًا - في رحمته يعني الجنة -
وَمِمَّا زَكَّيْتَهُمْ يُنْفِقُونَ - الزكاة المفروضة - فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ - على قدر أعمالهم . "

1144 - صحيح البخاري

1145 - البيهقي ، 1 .

1146 - مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحدّاق فيه وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه ،
برقم 245 و 246 .

المنفق في سبيل الله تعالى حريص على سرية صدقته ، و شاهده قوله صلى الله عليه و سلم : " و رجل تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.. " بل أكثر من ذلك فإن زمن التهجد ناسب الإخلاص و الأسرار - التناسب النظمي - فعن عائشة رضي الله عنها في حديث طويل ذكرت فيه صلاة النبي صلى الله عليه و سلم بالليل و أنه بكى مرات ، قالت : " فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي ، قال : يا رسول الله لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر؟ قال : " أفلا أكون عبداً شكوراً ؛ لقد نزلت عليّ الليلة آية و يل لمن قرأها و لم يتفكر فيها " **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ...** " ¹¹⁴⁷

و دلّ بمعناه مع لفظ " أخفي " بقراءتيه على تصوير مشهد سعة خفاء النعيم الذي وعد الله تعالى به عباده الصالحين.

- المسألة النحوية للقراءتين :

و يتجلى النحو القرآني لإعجاز نظم التغيرات القرائي في الصورتين التاليتين:

- 1 - أن تكون " ما " من قوله تعالى: " مَا أَخْفَى لَهُمْ " استفهامية ¹¹⁴⁸ ، وحق الاستفهام الجواب عنه ، فنذهب النفس ساعية في استفراغ جهدها بحثاً عن الجواب بتخيّل النعيم.
 - 2 - أن تكون " ما " مرفوعة بالابتداء ¹¹⁴⁹ - وأخفي لهم خبرها - ومن حقّ المبتدأ بيانه بالإخبار عنه ، وحققة الخبر غائبة فتطلب النفس بسعة التخيّل حقيقة النعيم المخفي سعة زمن تحقّقه ، وسعة مكان وجوده.
- الصورة الثانية: إعجاز اتّساع معاني النظم عند القصص القرآني.

و من أمثلة التغيرات القرائي الذي أظهر إعجاز النظم بالاتساع قوله تعالى: "وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٦٦﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٦٨﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ

1147 - آل عمران، 190. و الحديث رواه ابن حبان في صحيحه، برقم 620، وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان: "إسناده صحيح على شرط مسلم"، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 86: "وهذا إسناده جيد".

1148 - إملاء مامن به الرحمن من وجوه الإعراب و القراءات في جميع القرآن ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، ص 279

1149 - المصدر نفسه، ص 279

وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿١١٥٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ حَيْرًا مِّنْهَا

مُنْقَلَبًا ﴿١١٥٥﴾ 1150

- التوجيه القرائي:

- لفظ الثمر و وجوه قراءاته: 1151

أ- قرأ عاصم و أبو جعفر و الحسن و جابر بن زيد و رويس عن يعقوب و ابن محيصن بفتح الثاء و الميم و الثمر اسم جمع لثمرة و المراد به المأكول. 1152

ب - قرأ ابن عامر و ابن كثير و نافع و حمزة و الكسائي بضمّ الثاء و الميم و يراد به النخل و الشجر بما فيها، 1153 و شاهده قوله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالزُّمَانِ مُمْتَثِلًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ۚ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۗ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١١٥٤﴾" 1154

ت - قرأ أبو عمرو و الأعمش و أبو رجاء و الحسن و اليزيدي بضمّ الثاء و سكون الميم اسم جمع على فعيل سكنت عينه للتخفيف ، و الثمر بالإسكان المال. 1155

- التوجيه القرائي:

لقد ورد لفظ الثمر في الآية نكرة في سياق الإثبات فأفاد اتّساع اللفظ عموم المعاني و تنوع الدلالات دلّ على ذلك ما يلي:

- 1150 - الكهف ، من 32 إلى 36
- 1151 - النشر ج 2 ص 310 ، و الكشف عن وجوه القراءات ، ج 2 ص 59 ، و الحجة لابن خالويه ، 147 ، و التذكرة في القراءات الثمان ، ج 2 ص 413 ، و الحجة للفارسي ، ج 5 ص 143 ، و البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، ص 192
- 1152 - طلائع البشر في توجيه القراءات العشر ، محمد الصادق قمحاوي ، ط 1 ، 2006 ، دار العقيدة ، القاهرة ، ص 112
- 1153 - إتخاف فضلاء البشر 2 - 214 ، و مشكل إعراب القرآن ، مكي بن أب طالب القيسي ، تحقيق ياسين محمد السواس ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ج 2 ص 42
- 1154 - الأنعام ، 141
- 1155 - طلائع البشر في توجيه القراءات العشر ، محمد الصادق قمحاوي ، ص 112

أ - دلالة مشهد الصورة القرآنية على كثرة الثمار بكثرة الأشجار و تعددها ، و يشهد له ثلاثة أمور:

﴿ - دلالة الشاهد اللغوي في أنّ حدّ الجنة مقترن بوصف الكثافة و الستر ، و عليه فالجنة تشمل كل

حديقة أو بستان تكاثرت أشجارها فتكاثفت ، و اشتدّ التفاف أغصانها فسترت الأرض. 1156

﴿ - القرينة اللفظية للسياق اللاحق في قوله: "أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا" و قوله كذلك: " قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ

تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا" ، و أوحى التغيرات القرائي مع دلالة السياق إلى أنّ كثرة الثمار هو الوصف الغالب على الأشجار المتنوعة.

﴿ - التغيرات القرائي لضمائر الألفاظ في السياق في قوله تعالى: "وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودَتْ إِلَى رَبِّي

لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿١١٥٧﴾ ، فقد قرئ لفظ " منها " بالإفراد و التثنية 1158 ليدلّ الحديث عن الجنة

بالصيغة المفردة بالشكل العام على بيان كفر النعمة ، وبصيغة الجمع على بيان صفة الكثرة. 1159

﴿ - شواهد الاستعمال القرآني لنظائر التغيرات القرائي للفظ الثمار مع تغير صيغه الصرفية كقوله

تعالى: "إِلَيْهِ يُرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ

شُرَكَاءِي قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿١١٦٠﴾ فقد قرئ " لفظ " ثمرة " بالإفراد و الجمع. 1161

ب - دلالة كمال التوافق بين معاني وجوه التغيرات القرائي المتسعة من جهة ، و كمال التناسق بين المفردة

القرآنية ، و مقاصد الموضوع القرآني من جهة أخرى ، و منه فقد دلّ لفظ الثمر بوجوه قراءاته على كثرة

أصناف المال و تعدده ، و دلّ موضوع الآية القرآنية على الاغترار بزينة الحياة الدنيا لتسهم مشاهد تصوير

1156 - انظر مفردات غريب القرآن، الأصفهاني، ص 105 ، و حقائق التأويل، الشريف الرضي، ج 5، ص 246 .

1157 - الكهف ، 36

1158 - قرأ أبو عمرو و عاصم و حمزة و الكسائي و خلف و سهل و يعقوب بالإفراد بعود الضمير على الجنة المدخولة " و دخل جنته "

و قرأ نافع و ابن كثير و ابن عامر و غيرهم بالتثنية بعود الضمير على الجنتين في قوله " كلتا الجنتين " انظر الكشف عن وجوه القراءات ج

2 ص 60 ، و التذكرة في القراءات الثمان ، ج 2 ص 530

1159 - انظر الفروق الدلالية بين القراءات القرآنية العشر، رانية محفوظ عثمان الورفلي، ط 1، 2008، منشورات جامعة قار بونس،

بنغازي، ليبيا، ص 224

1160 - فصلت ، 47

1161 - قرأ ابن كثير و أبو عمرو و حمزة و الكسائي و أبو بكر عن عاصم و يعقوب و خلف و غيرهم لفظ الثمرات بالإفراد للدلالة

على الكثرة و قرأها نافع و ابن عامر و حفص عن عاصم و أبو جعفر و غيرهم بالجمع. انظر الكشف عن وجوه القراءات ، ج 2 ص 59

و التذكرة في القراءات الثمان ، ج 2 ص 529

النعم الطبيعية المزخرفة في رسم لوحة ألوان تشكيلية متعددة و متنوعة - يعضدها تعدد ذكر الأعناب و الزروع و النخيل المحيط و النهر الممتد بينهما - لينسجم مشهد التصوير الواسع مع مشهد اتساع دلالات وجوه التغيرات القرآني في بيان الموضوع القرآني بدقة عالية ، و براعة فائقة قال تعالى: "إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءِى قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿١١٦٣﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحْيِصٍ ﴿١١٦٤﴾ لَا يَسْعَمُ إِلَّا نَسْنُنٌ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيُحْسِنُ قَنُوطٌ ﴿١١٦٥﴾ وَلَئِن أَدَقَّنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُجِعْتُ إِلَى رَبِّىَ إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿١١٦٦﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَقَّ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿١١٦٧﴾"

ت - دلالة تعدد الفروق الدلالية لوجوه التغيرات القرآني على اتساع معاني لفظ " ثمر " كالتالي: 1163

🔸 - أموال مثمرة نامية ، لأن اشتقاقه من فعل ثمر الشيء إذا تموله.

🔸 - ما تحمله الأشجار من الفاكهة ، و منه قوله تعالى: "هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١١٦٤﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١٦٥﴾"

🔸 - الأولاد الصغار، و منه قوله تعالى: "وَلَنَبِّئَنكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ﴿١١٦٥﴾ وَثَبِيرٌ الصَّابِرِينَ ﴿١١٦٦﴾"

🔸 - الذهب و الفضة على الخصوص.

و لقد دلّ الوجه الأول للتغيرات القرآني على المعنى القريب المتبادر الذي أشار إليه ظاهر اللفظ ، و قرينة سياقه - هو ما تحمله الأشجار - ، و دلّ الوجه الثاني للتغيرات القرآني على المعنى البعيد الذي أشارت إليه

1162 - فصلت ، من 47 إلى 51

1163 - انظر إيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري ، تحقيق علي بن سليمان العبيد ، ط1 ، 1997 ، مطبعة النبوة، الرياض ، ج2 ص 11 ، و إصلاح الوجوه و النظائر في القرآن، الحسين بن محمد الدامغاني، ص 94 ، و إبراز المعاني ص

569 ، و إتخاف فضلاء البشر ، 2 - 214

1164 - النحل ، 10 ، 11

1165 - البقرة ، 155

مستتبعات النظم القرآني - وهو المال عموماً و الذهب و الفضة خصوصاً- ، فأفضى تغاير وجوه القراءات إلى توسع الدلالات الذي أظهر إعجاز نظم الآيات القرآنية في بيان الأحكام الشرعية و المقاصد القرآنية.

و لقد دلّ الإعجاز التصويري القرآني في عرض مشاهد النعم الربانية مرتبة الأجزاء لتجتمع في سياق تركيب واحد فتكون نظماً مشاهداً يأبى التفكك و التبعض حيث بدأ بذكر النعم آحاداً معطوفة فقال: "جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ" ، ثم عطف فقال: "وَحَفَفْنَاهَا بِنَخْلٍ" ثم عطف فقال: "وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا" ثم عطف فقال: "كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا" ، ثم عطف فقال: "وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا" ، فحبت الثمرات المذكورات في نظم معجز باهر دلّت عليه بلاغة العطف ليتناسق جمع النعم بالذكر في صورة طبيعية هية مع جمع المفردات بالعطف في صورة إعجاز نظم بليغ ، و لقد دلّ على المشهد الأول من الإعجاز الوجه الأول من التغاير القرائي و هو قراءة ضمّ الثاء و الميم ، ثم جاء المشهد الثاني بذكر النعم الربانية الأخرى ليتسع مشهد النعم بدلالة معنى السياق عليه في قوله تعالى: "وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا" ، فعدل التركيب عن ذكر لفظ الثمر إلى لفظ المال و الذرية - و هما معنيان ثابتان اتسع لهما لفظ الثمر لغة و الوحي في الاستعمال القرآني من خلال مسلك النظائر و الوجوه - ، ليدلّ العدول اللفظي على اتساع لفظ الثمر في المشهد الثاني إلى معنى الوجه الثاني من التغاير القرائي و هو قراءة ضمّ الثاء و سكون الميم ، و من لطيف الإعجاز في هذا النظم توسط لفظ الثمر مشهدي القراءتين ، فدلّ السياق القبلي لمشهد ذكر النعم على قراءة ما حملته الأشجار ، و دلّ السياق البعدي لمشهد ذكر النعم على قراءة المال و الذرية ، و لقد أضفت أداة التمثيل القرآنية مسحة بلاغية في باب الاتساع الدلالي على مستوى التغاير القرائي للمفردة القرآنية ، و على مستوى الموضوع القرآني. 1166

1166 - و يعدّ التمثيل من أدوات التوسّع و التصرف في الكلام عند العرب. انظر بلاغة التمثيل من : الوساطة بين المتبني و خصومه، أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد الجاوي، ط 1966 ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة، ص 428 ، و اللباب في علل البناء و الإعراب ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق عبد الإله النبهان، ط 1 ، 1995 ، دار الفكر، دمشق، ج 1 ص 153

- التناهي القرائي و الإيجاز البلاغي:

- الإيجاز البلاغي بالتقديم و التأخير

- مقاصد التقديم و التأخير.

و من المقاصد الدلالية التي يعدل إليها أسلوب التقديم و التأخير ما يلي:

أ - التقديم قصد الاهتمام.

و منه قوله تعالى: " وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ انْتِهَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" (١١٦٧) ، فقدّم المجرور اهتماماً به و إفهاماً ؛ لأنّ العلم وصف مختص به 1168 ، فهو المحيط علماً و قدرة بالسريرة و العلانية و الظاهر و الباطن.

ب - التقديم قصد التعظيم.

و منه قوله تعالى: " وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنفَعٌ كَثِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ" (١١٦٩) ، فقدّم الجار بياناً لمنافع الشراب اختصاصاً ، و تعظيماً لمنافعها عموماً حتى كأن غيرها عدم. 1170

ت - التقديم للعلم به.

و منه قوله تعالى: " * وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ" (١١٧١) ، فقدّم جلّ و علا مفردة " البر" لعلم الإنسان به ، و أكثر ملابسة له ، و آخر مفردة " البحر" لأنّ إحاطة العقل بأحواله أقل ، و إن كان الحسّ قد دلّ على عجب أمره و عظيم مخلوقاته ، فقربّ بالحسوس في البر العظيم المعقول في البحر. 1172

ث - التقديم للتخصيص.

1167 - الأنفال ، 39.

1168 - نظم الدرر ، 281/8.

1169 - المؤمنون ، 21.

1170 - نظم الدرر ، 127/13.

1171 - الأنعام ، 59.

1172 - ينظر نظم الدرر ، 136/7.

و منه قوله تعالى: "يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ" 1173 ، قال البيضاوي: 1174 " إِنْ كُنْتُمْ تَخْصُونَهُ بِالْعِبَادَةِ " 1175 ، و منه قوله تعالى: " الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿١٦٦﴾ " 1176 ، قدّم الجار تخصيصاً له لغيره كالمعدوم ، فالذي قدر على تمييز النار من الماء والخشب و خبء النار فيهما ، لا النار تعدو على الخشب فتحرقه ، ولا الماء يعدو على النار فيطفئها قادر على تمييز تراب العظام من تراب غيرها. 1177

ج- التقديم للاختصاص و مراعاة لحسن النظم.

و منه قوله تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿١٦٧﴾ أِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦٨﴾ " 1178 ، فقدّم مفعول " نعبد " و " نستعين " قصد الاختصاص 1179 ، ومعناه نُخَصِّكْ بِالْعِبَادَةِ فَلَا نَعْبُدُ غَيْرَكَ ، ونُخَصِّكْ بِالِاسْتِعَانَةِ فَلَا نَسْتَعِينُ بِغَيْرِكَ 1180 ، فلا تصحّ العبادة إلا له سبحانه ، ولا تجوز الاستعانة إلا به جلّ و علا 1181 ، و جوزّ صاحب الطراز أن يكون التقديم من أجل الاختصاص ، و المشاكلة في التقديم مراعاة للمبنى و المعنى على السواء ، و عليه فالاختصاص أمر معنوي ، و المشاكلة أمر لفظي. 1182

ح - التقديم لبيان شمول الإحاطة.

1173 البقرة،: 172 .

1174 - هو قاضي القضاة أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشافعي، من بلاد فارس صاحب المصنفات و عالم أذربجان ، ولي قضاء شيراز، وكان إماماً بارعاً مصنفاً، فريد عصره، ووحيد دهر، أثنى على علمه وفضله غير واحد، من مصنفاته: أنوار التنزيل وأسرار التأويل في التفسير، توفي سنة إحدى وتسعين وستمائة، وقيل: خمس وثمانين، انظر طبقات المفسرين، السبكي، 155/8، والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، 83/2.

1175 - الإيضاح ، 1 ، 111 ، وينظر الكشاف ، 1 ، 240 ، وتفسير البيضاوي ، 1 ، 119 .

1176 - يس ، 80 .

1177 - نظم الدرر ، 16 ، 182 .

1178 - الفاتحة ، 5 - 6 .

1179 - ينظر الكشاف ، 1 ، 56 .

1180 - الإيضاح، 1، 111، و البرهان ، 3 ، 236 ، وجواهر البلاغة ن 173

1181 - ينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، 32 ، 33 ، و التعبير القرآني ، 48 ، ومعاني النحو ، 2 ، 509 .

1182 - الطراز ، 2 ، 62 .

ومنه قوله تعالى: " وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ " 1183 " لما ذكر سبحانه وتعالى نفس الخروج وما فيه من الفساد ، وذكر ثمرته الخبيثة ، وهم عازمون على تحديد ذلك في كل وقت ، فلما كانت هذه مقاصدهم كان نسجهم هلهلاً وبنياهم واهياً ، فإنها من عمل الشيطان ، وكل عمل لا يكون لله إذا صدم بما هو الله اضمحل ، بذلك سبحانه وتعالى أجدى سنته ولن تجد لسنته تحويلاً ، فإنّ العاملين عبيد لله سبحانه ، وهو محيط بكل عمل سواء أكان ظاهراً أم باطناً ، فقدّم الجار والمجرور لشمول إحاطته بأعمالهم ، فلا شاغل له عنها ولا صارف. " 1184

خ - التقديم لبيان الأبلغ.

و منه قوله تعالى: " لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ " 1185 قال البقاعي: " والرأفة شدة الرحمة فقدّم الأبلغ " 1186 ، فسيرهم أعلى الرحمات فيسبغ عليهم أعظم النعم ، ويدفع عنهم الرزايا و النقم ، قال الطوسي: " الرأفة أشدّ مبالغة من الرحمة ؛ ليجري - على طريقة التقديم بما هو أعرف - مجرى أسماء الأعلام ثمّ إتباعه بما هو دون منه ؛ ليكون مجموع ذلك تعريفاً أبلغ منه " 1187 ، فدلّ تقدّم الرأفة على المبالغة ، و دلّ اجتماع دلالاتي الاسمين على منتهى القوة. 1188

د - التقديم للتشيع.

و منه قوله تعالى: " قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَلًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَدَّبَ لَكُمْ أُمَّرَةً عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿١١٨﴾ " 1189 ، فقد جاء في بيان النص القرآني أنّ الشرع الذي بهر العقول ، بين كذب ادّعائهم في أنّهم أبعد الناس عن مطلق الكذب ، فصرّح القرآن أنّ الله سبحانه وتعالى لم يأذن لهم في شيء من ادّعائهم

1183 - الأنفال ، 47.

1184 - نظم الدرر ، 8، 297-298.

1185 - التوبة ، 117.

1186 - نظم الدرر ، 9، 38.

1187 - التبيان ، 2، 11، و البحث الدلالي في التبيان: 258.

1188 - ينظر البحث الدلالي في التبيان ، 258 ، و الفروق في اللغة ، 190

1189 - يونس ، 59.

، قال البقاعي: "وتقديم الجار للإشارة إلى زيادة التشنيع عليهم من حيث إنهم أشد الناس تبرء من الكذب وقد خصّوا الله — على تقدير التسليم لهم — بأن تعمّدوا الكذب عليه." 1190
ذ - التقديم لبيان الأولى.

و منه قوله تعالى: "وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١١٩١﴾" ، فقدّم ذكر الأرض وأخّر ذكر السماء ، و ذلك لبيان الأولى ؛ لأنه سبحانه لا يغيب عنه مثقال ذرة لا أصغر من ذلك و لا أكبر ، و ترك الجمع اكتفاء بالمفرد الدال على الجنس. 1192
ر - التقديم للتبنيه.

و منه قوله تعالى: " وَعَلَّمْتَ وَيَا لَنَجْمٍ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١١٩٣﴾ " ، ولما كانت الدلالة بالنجم أنفع الدلالات و أوضحها براً وبحراً ليلاً و نهاراً نبّه الله تعالى على عظمها و كثير منافعها دون غيرها بتقديم الجار ، و أشار التقديم إلى أعظم من ذلك ، و هو عظمته سبحانه و وحدانيته.
ز - التقديم مراعاة لنظم الكلام.

و منه قوله تعالى: "خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿١١٩٤﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿١١٩٥﴾" ، و وقع التقديم لرعاية الفاصلة. 1195
س - التقديم لإرادة التبيكيت و التقريع. 1196

و منه قوله تعالى: " وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١١٩٦﴾" ، فقدّم المفعول الثاني " شركاء " على المفعول الأول " الجن " ، و الأصل " الجنّ شركاء " لأنّ المقصود توبيخ فاعل الإشراك و تقريعه ، و تقديم لفظ الشركاء أفلح في حصول المقصد و أصلح. 1197

1190 - نظم الدرر ، 148:9

1191 - يونس ، 61.

1192 - ينظر ، معاني القرآن للفراء ، 1، 317، و نظم الدرر، 151:9.

1193 - النحل ، 16.

1194 - الحاقة ، 31 ، 32 .

1195 - ينظر وجواهر البلاغة ، 172 ، و المعاني في ضوء أساليب القرآن ، 169 .

1196 - ينظر البرهان ، 3 ، 236 ، و البلاغة فنونها وأفانها، علم المعاني ، 239 .

ش - التقديم لردّ سوء الفهم بسبب الاشتراك.

فقولك: "زيداً عرفت" لمن اعتقد أنك عرفت زيداً وعمراً ، وتقول لتأكيد: زيداً عرفت وحده ، 1198
ومنه قوله تعالى: "أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ^ع وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٩٩﴾" ، فهنا لا ينكر عليهم

ابتغاء الحكم ، وإنما الذي ينكر عليهم هو ابتغاء حكم معين هو حكم الجاهلية بالذات. 1200

ص - التقديم للعناية و التأنيس: 1201

و منه قوله تعالى: "لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^ع تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ^ع يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْتًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿١٢٠٢﴾"
1202 ، و قدّم لفظ الإناث لجبر خاطرهنّ و رفع اللوم عنهنّ " بيان أن الخلق بمشيئة الله تعالى لا على وفق
غرض العباد " 1203 ، كما دلّ التقديم على الاهتمام بأمرهنّ و التوصية بهنّ و تأنيسهنّ " لأهنّ موضع
الإنكار" 1204 ، و اللطيفة الكبرى من التقديم هي التنبية على أن الأنثى نعمة عظيمة ، و أن نعمتها لا تنقص
عن نعمة الذكر بل قد تزيد عليها ، 1205 فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: " من يُمنِ المرأةَ تكبيرها
بالأنثى قبل الذكر ، لأنّ الله تعالى بدأ بالإناث. " 1206

ض - التقديم لبيان الأهمية.

ومنه قوله تعالى: " * لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي
الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بَعْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا^ط وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ^ط

1197 - ينظر البرهان ، 3 ، 236 ، و دلائل الإعجاز ، 222 ، والبلاغة فنونها وأفانها ، علم المعاني ، 240 ، و إعراب القرآن ،

الزجاج ، 2 ، 689

1198 - ينظر مختصر المعاني ، 111 ، و المطول ، 198.

1199 - المائدة ، 50 .

1200 - ينظر من أسرار اللغة ، 312 .

1201 - البرهان ، 252/3 .

1202 - الشورى ، 49

1203 - المصدر السابق ، 252/3 .

1204 - المصدر السابق ، 252/3 .

1205 - نظم الدرر ، 17 ، 354 .

1206 - نظم الدرر ، 453/17 و ينظر جامع البيان ، 25 ، 27 ، والكشاف ، 3 ، 475 ، أنوار التنزيل ، لبيضاوي ، 2 ، 366

أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ " 1207 ، فبدأ بتقديم الأهم فالأهم 1208 ، ومنه كذلك قوله تعالى: "يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ " 1209 قال البقاعي: " ولما خصّ أشرف العبادة عمّ بقوله: وَاعْبُدُوا أي بأنواع العبادة رَبَّكُمْ المحسن إليكم بكل نعمة دنيوية و دينية... ولما ذكر عموم العبادة ، أتبعها ما قد يكون أعمّ منها للأهمية " 1210 ، ومنه كذلك قوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ " 1211 قال البقاعي: " وغير السياق فلم يقل: ولا تحسنون إلا إلى الوالدين ، إفهاماً لأن الإحسان إليهما يشركهما من بعدهما ، وجبر فوات هذا الحصر بتقديمهما إيذاناً بالاهتمام " 1212 ، و قال أبو حيان: " وكان تقديم الوالدين لأنهما أكد في البرّ والإحسان ، و تقديم الجرور على العامل اعتناءً بمتعلق الحرف وهما " الوالدين " و اهتماماً بأمرهما. " 1213

- الإيجاز البلاغي بتقديم المفعول به وتأجيله.

الأصل في الجمل المتكوّنة من الفعل والفاعل والمفعول به أن يتقدّم الفاعل ويتأخّر المفعول ، ليتّزّل الفاعل من الفعل منزلة الجزء وكذلك المفعول 1214 ، و قد شاع عند العرب من خلال استقراء الكلام عندهم كثرة تقدّم المفعول على الفاعل ، و أكد ذلك الاستعمال القرآني الكثير حتى أصبح قسماً قائماً برأسه يسابق الأصل في تكوّن الجملة العربية ، 1215 و يعتبر سبويه أوّل النحاة الذين فتحوا لعلماء الإعجاز باب الوقوف

1207 - البقرة ، 177

1208 - التسهيل، ابن جزي، 69/1 .

1209 - الحج ، 77

1210 - نظم الدرر ، 99، 100 - 13

1211 - البقرة ، 83

1212 - نظم الدرر ، 2، 2 ، و انظر الكشاف ، 1، 292 ، و انوار التنزيل ، 1، 72 .

1213 - البحر المحيط ، 1، 283 .

1214 - انظر الأشباه والنظائر: 79/2 .

1215 - انظر ابن جني، الخصائص: 296/1 - 299 .

على المعاني البلاغية وعللها ، و على الأسرار البيانية و مسالكها 1216 ، و قد وقفت على الإعجاز في هذه الصورة من خلال نموذجين من التغيرات القرآني:

1 - دلالة التغيرات القرآني على الإعجاز البلاغي بالتقديم و التأخير في مجال القصص القرآني.

و مثلت له بقوله تعالى " فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٧٧﴾ " 1217

- التوثيق القرآني: 1218

﴿ - قرأ ابن كثير بنصب آدم و رفع كلمات.

﴿ - قرأ الباقون برفع آدم ونصب كلمات.

- التوجيه القرآني: 1219

﴿ - قراءة ابن كثير: أسندت الفاعلية إلى الكلمات و المفعولية إلى آدم عليه السلام ، فأفادت أن

الكلمات التي ألهما الله تعالى آدم عليه السلام ليدعوه بها فيغفر له هي التي تلقته و كانت سببا في نجاته و توبته ، فالكلمات هي الفاعلة و آدم عليه السلام هو المستنقذ بها.

﴿ - قراءة الجمهور: أسندت الفاعلية إلى آدم عليه السلام ، و المفعولية إلى الكلمات، فأفادت أن آدم

عليه السلام هو الذي تلقى هذه الكلمات بنفسه من ربه تعالى ، فاستقبلها بالفهم ، و أخذها بالحفظ ، فأدم عليه السلام هو القابل لهذه الكلمات ، و الكلمات هي المقبولة ، و قد نجمع بين القراءتين فنقول: 1220 لما

1216 - انظر سيوييه، الكتاب: 34/1، و المرجاني ، دلائل الإعجاز: 84-85.

1217 - البقرة 37

1218 - انظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 2-159 ، وغيث النفع في القراءات السبع، الصفاقسي، ص38 ، و الكافي في القراءات السبع ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن شريح، تحقيق جمال الدين محمد شرف ، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ص62 ، و أبو طاهر إسماعيل بن خلف الأنصاري الأندلسي ، العنوان في القراءات السبع، تحقيق زهير زاهد و خليل عطية، دار عصمي للنشر و التوزيع، القاهرة، ص69

1219 - انظر حجة القراءات ، ابن زنجلة، ص 95، و الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها و حججها، مكي بن أبي طالب، 1 -

237، و الحجة في القراءات السبع ، ابن خالويه ، ص75

1220 - و يطلق لفظ التلقي على الاستقبال ، و على التعرض للقاء على صيغة التفعّل ، و على الأخذ و القبول ، و على التعليم و التعلّم.

انظر محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، مفاتيح الأسرار و مصابيح الأبرار ، تحقيق محمد علي آذرشب، ط1 - 2008 ، مركز البحوث و

الدراسات ، طهران ، 1-298

علم الله تعالى حرص آدم عليه السلام استقبال الكلمات الشرعية بالتوبة 1221 ، و صدق تلقيه لها عزمًا بالأوبة اصطفاها إلى الخير فاجتباها ، و أهمه العلم النافع ، و إلى العمل هداها ، فأضحت الكلمات حبل القبول 1222 ، وتجسدت صورة التوبة النصوح بوصف الله تعالى له : " قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ " 1223 ، وظهر مشهد التوفيق الإلهي بتلقي كلماته الكونية ، 1224 توبة عبده الشرعية "ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ" 1225

- الإيجاز بينه وبينه التقدير والتأخير وأثر الظاهر التوبيخ:

لقد اجتمعت فنية بلاغة التقديم و التأخير و دلالات مباحث التجويد - من خلال حكم الإخفاء في النون الساكنة و التنوين - على بيان المعاني الخفية المبتوثة في التغيرات القرائي ، فقد دلّ التقديم و التأخير - بمجموع القراءتين - مع حكم الإخفاء - في لفظ كلمات رفعا و نصبا - على خفاء التوبة بين العبد و ربه ، و يؤكد هذه الحقيقة القرائن التالية:

أ- دلالة لفظ التلقي على مطلق الفهم و الفطنة ، فالفهم سرّ دقيق خفي على من استوى علمهم ، و قدر زائد راجح على من تكافأت معارفهم ، و الفطنة دقة النظر في الأمور 1226 ، و على هذا فإنّ مقام التوبة سرّ خفي لا يتحقّق إلا باجتماع الفهم و الفطنة ، فالفهم حضور العقل بعد غيابه عند المعصية ، و الفطنة صحوة بعد غفلة قاتلة ، و قديما قالوا: " التدبّر والتفكّر يبحثان عن الفطنة ويكشفان الحزم." 1227

1221 - الكلمات الشرعية هي كلمات الاستغفار - الواردة مفعولا - و التي وقع الخلاف في تفسيرها دون ترجيح ، و التي منها تمثيلا قوله تعالى: " قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ الأعراف ، 23

1222 - انظر أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، حجة القراءات ، تحقيق سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص 95 ، و أبو القاسم النويري ، شرح طيبة النشر في القراءات العشر ، عبد الفتاح سليمان أبو سنة ، المطابع الأميرية ، القاهرة ، 4-20 ، قال الطبري: " فلقي الله آدم كلمات توبة فتلقاها آدم من ربه وأخذها عنه تائباً فتاب الله عليه بقبله إياها وقبوله إياها من ربه." انظر جامع البيان ، 1-317

1223 - الأعراف ، 23

1224 - الكلمات الكونية هي الكلمات - الواردة فاعلا - و التي يبنى عليها مبحث القضاء و القدر و هي المقصود من عموم قوله تعالى: " قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ سورة الكهف الآية 109

1225 - طه ، 122

1226 - أبو عبيد ، غريب الحديث 4-409

1227 - التذكرة الحمدونية ، ابن حمدون ، 1-379 ،

ب- دلالة لفظ " كلمات " على مطلق الخفاء ، و تقرّره جملة من المسالك :

﴿ - ورود اللفظ نكرة في سياق الإثبات لإفادة عموم الإبهام. 1228

﴿ - دلالة الإيماء في لفظ التلقّي تشير إلى بُعد آدم عليه السلام ، وعليه فإنّ المعصية توجب المهجر و

الإبعاد ، و لازم الإبعاد الإخفاء. 1229

﴿ - دلالة التقديم و التأخير بصورة التغير القرائي تظهر جمال التقابل الوظيفي الخفيّ بين عناصر

الجملة العربية 1230 - فالمقدّم مؤخّر و المؤخّر مقدّم - ففعل تلقّى من الأفعال التي الفاعل فيها مفعول ، و

العكس صحيح بحيث لا يتغيّر المعنى عند تغيّر الإسناد كقول العرب: نلت خيرا ، و نالني خير 1231 ، و

منطلق هذا التقابل أصل الحمل على المعنى 1232 و قاعدته استصحاب مقام معهود العرب عند الخطاب ، و

منه أفضى جمال التقابل بين اللفظين إلى تحقيق أسلوب القصر بالتخصيص المشعر بخفاء الاصطفاء 1233 قال

تعالى: "ثُمَّ آجَتْبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ" 1234.

﴿ - اتّسع الخلاف في تفسير لفظ الكلمات شاهد نقلي قوي على معنى الخفاء ، فقد نقل أبو حاتم

لوحده في تفسيرها ستة وجوه 1235 ، و علّق أبو حيان على الخلاف فقال: " و اختلفوا في تعيين تلك الكلمات

على أقوال ، و قد طوّلوا بذكرها ، ولم يجزنا الله بها إلا مبهمة " 1236 ، و قلّل ابن عاشور من ثمرة الخلاف

1228 - انظر المسألة و الخلاف فيها من : كشف الأسرار للبخاري، 2، 11 ، و تنقيح الأصول مع التوضيح والتلويح، 55 - 66 ، و

التمهيد للأسنوي 93 ، و أصول السرخسي 158 - 159 ، و المنحول 146 ، و المسودة 103 .

1229 - تفسير الألوسي، 1 ، 237

1230 - إن المقصد من مراعاة التقابل الوظيفي بين اللفظين الوقوف على علل التقديم و التأخير بالإيضاح و البيان فلو " كان كل فن من

العلوم شيئا واحدا لم يكن عالم ولا متعلم و لا خفي و لا جلي لأن فضائل الأشياء تعرف بأضدادها فالخير يعرف بالشر و النفع بالضر و

الحلو بالمر و الصغير بالكبير و الباطن بالظاهر.. " ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن، ص87 و انظر الجرجاني، التعريفات، ص 185 ، و ابن

رشيق، العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط4- 1972، دار الجيل، بيروت ، 2- 12

1231 - انظر الأزهري ، معاني القراءات ، ص49 ، و ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص28 ، و أبو علي الفارسي، الحجة ، 2-

40 ، و الكرمانى، مفاتيح الأغاني في القراءات و المعاني، ص101

1232 - انظر مباحثات لسانية ، ص145

1233 - و القصر بالتقديم و التأخير مبحث لغوي جليل ، و لون بلاغي دقيق يبيّن مقاصده كبار النحاة و البلاغيين أمثال سيبويه

و السكاكي، و فتح الجرجاني بنات أفكاره بالتفصيل. انظر السكاكي، مفتاح العلوم ، 133 ، و الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، 143 .

1234 - طه ، 122

1235 - تفسير ابن أبي حاتم ، 1 ، 90

1236 - تفسير أبي حيان ، 1 ، 372

فقال: " ولهم في تعيين هذه الكلمات روايات أعرضنا عنها لقلة جدوى الاشتغال بذلك ، فقد قال آدم الكلمات فتيب عليه، فلنهتم نحن بما ينفعنا من الكلام الصالح و الفعل الصالح." 1237

ت - الدلالة على سرّ اللطف الإلهي للملتقى - على قراءة تقديم المفعول - بشمول الرعاية الربانية ، و على علو مقامه عند الله تعالى بعد التوبة بعظيم الاهتمام به يؤكد هذا الملمح البلاغي استقراء دلالة الاستعمال القرآني كقوله تعالى: " وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۗ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۗ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٣٨﴾ " ، فإذا دلّ التقديم في آية إبراهيم عليه السلام على زيادة الاهتمام بالمتلى بعد العلم بالمتلى 1239 ، فقد أشارت قراءة تقديم وصف الفاعلية لآدم عليه السلام حرصه على التلقي الذي كان سببا في التوبة من خلال دلالة الفاء على التفريع 1240 في قوله تعالى: " فَتَابَ عَلَيْهِ " ، و إلى قوة الاهتمام بتوبة المتلى، وتصوير ملامح نفسيته 1241 ، وأخت إلى تقديمه في الرتبة ، و تشريفه بعلو المنزلة من خلال إضافة ضمير المفعول المتقدم إلى لفظ الربوبية الدالّ - من ربه - على كمال الرعاية الربانية ، و تمام التكريم الإلهي.

ث - الدلالة - بمجموع القراءتين - على تفرّد الحقّ سبحانه بسرّ كمال التوفيق إلى كمال التلقي والقريئة اللفظية " من ربه " تقرّر ذلك ، و تشير إلى اختفاء المشروط - كمال التوفيق - لختفاء الشرط - كمال التلقي - يقرّر هذا - مرجع الضمير في الأفعال المذكورة إلى الذات المقدّسة - قوله تعالى: "ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ" 1242.

1237 - تفسير ابن عاشور ، 1 ، 187

1238 - البقرة ، 124

1239 - ابن عطية ، المحرر الوجيز ، 1 - 347 ، وحسين بن أبي العز الهمداني ، الفريد في إعراب القرآن الخيد ، تحقيق محمد حسن النمر و فؤاد علي محيّم ، دار الثقافة ، قطر ، ط 1 ، 1411 ، 3 ، 368 ، وأبو حيان ، البحر المحيط ، 1 ، 375

1240 - و التفريع ما وقع قبل الفاء و كان علّة لما جاء بعدها أمّا التعليل فهو وقوع ما بعدها علّة لما قبلها . انظر الكواكب الدرية ، 2 -

94

1241 - و الآية 23 من الأعراف تبين ذلك و توضّحه ، فقد اعترف ، واستلطف .

1242 - طه ، 122 و في لفظ الكلمات دلالات على جبر نقيصة المعصية الصغيرة بعظيم النوال . انظر إيجاز البيان عن معاني القرآن ،

محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري ، تحقيق علي بن سليمان العبيد ، ط 1 ، 1997 ، مكتبة التوبة ، الرياض ، السعودية ، ج 1 ص 93

ج - دلالة صيغة تفعل في لفظ التلقي يستشف منها قصد التعمد من آدم عليه السلام على استقبال الكلمات 1243، وعزيمته على حفظها ، وظهر ذلك بشدة إقباله - عليه السلام - على الندم بالإقرار ، وعظمة إقدامه على التوبة بالإصرار " قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٢٤٣﴾ " ، وقديما قالوا: "إجمالة الفكر و استخراج الفطنة تتبع الإساءة بالندم ، وتتبع الندم بالإقلاع. " 1245

و لما حصل من آدم عليه السلام كمال الفهم و حسن التلقي صانه ربه سبحانه بكمال الحفظ و الرعاية ، و وفقه لكمال الهداية 1246 ، قال تعالى: " وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوْا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٤٧﴾ " 1247

2 - دلالة التغيرات القرآنية على الإعجاز البلاغي بالتقديم و التأخير في مجال العقيدة.

و مثلت له بقوله تعالى : "وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٤٨﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۗ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٢٤٩﴾ بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنِّيٰ بَيِّنٌ لِّكُمْ شَيْءٌ وَعَلَىٰ أَعْيُنِكُمْ حَسْرَةٌ يَّوْمَ ٱلْحِسَابِ ۗ وَمَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَهُوَ كَمَا يَصِفُ ۗ إِنَّهُ لَبَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ لَئِن لَّمْ يَظْهَرْ آيٰتُنَا لَيَكْفُرَنَّ بِهَا وَلَئِن لَّمْ يَظْهَرْ آيٰتُنَا لَيَكْفُرَنَّ بِهَا وَلَئِن لَّمْ يَظْهَرْ آيٰتُنَا لَيَكْفُرَنَّ بِهَا وَلَئِن لَّمْ يَظْهَرْ آيٰتُنَا لَيَكْفُرَنَّ بِهَا ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ فَهُوَ يَكْفُرُ بِكُلِّ شَيْءٍ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢٤٨﴾ " 1248

- توثيق التنابير القرآنية و توجيهها.

أ - لفظ الجن و وجوه قراءاته:

1243 - البستان في علوم القرآن ، أبو القاسم هبة الله بن عبد الرحيم البارزي، تحقيق يحي بن عبد ربه الزهراني، رسالة ماجستير، كلية الدعوة و أصول الدين، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة، ص 114 .

1244 - الأعراف ، 23

1245 - الطرطوشي ، سراج الملوك ، 1 - 171 ،

1246 - و يظهر كمال الحفظ في افتتاح قوله تعالى : " إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ " بأن المؤكدة ثم عرف الخبر و وسط ضمير الفصل لقصر التوبة على الله تعالى وحده و تأكيد الحصر له دون غيره ثم جيء بها على صيغة المبالغة لتأكيد قبول توبة العاصي، و في حصر الوصفين بالجمع وعد للتائب بالعمو و الاحسان. انظر تفسير البيضاوي ، 1- 144

1247 - التوبة ، 118، فقد ضاقت الأرض عليهم هما و غما مع سعتها ، و ضاقت أنفسهم عليهم كربا و وجدا فلم يجدوا أنسا و لا سرورا. انظر الطبري، جامع البيان ، 14- 542 ، و تفسير ابن عادل ، 2- 490

1248 - الأنعام ، 99- 100- 101

لقد تعدّدت أوجه التغيرات القرائية للفظ "الجنّ" فقرأ بالثلاث - المتواتر و الشاذ - على الوجوه

التالية:1249

❖ - قراءة النصب:1250 ولها أربعة أوجه في التعليل:

❧ - بدل من شركاء 1251 ، و قد ضعّف هذا القول لعدم كمال المراد من الخطاب عند قيام البدل مقام

المبدل 1252 ، بل قد يدلّ البدل على نفي عموم الاتّخاذ ، و هذا معنى مراد من التقديم و التأخير.

❧ - عطف بيان من شركاء 1253 ليدلّ على عظيم ما اختلقوا ، و على حقارة ما عبدوا.

❧ - منصوب بفعل مضمّر مقدّر تقديره: "أعني".1254

❧ - مفعول به أوّل مؤخر وشركاء مفعول به ثان مقدّم1255.

❖ - قراءة الرفع:1256

ولها وجهان في التعليل:

❧ - لو وقع الاقتصار على " وَجَعَلُوا لِلّهِ شُرَكَاءَ " لصحّ أن يراد به الجنّ والإنس و الحجر ، فجاء تقدير

السؤال - ليرز ما دلّ عليه موضوع الآية - ومَنْ أولئك الشركاء ؟ فقيل: الجنّ.1257

❧ - تقدير مبتدأ محذوف " هم الجنّ ".1258

1249 - انظر أثر التغيرات الإعرابي في فهم الخطاب مغني اللبيب عن كتب الأعراب، أبو محمد جمال الدين بن هشام الأنصاري ، تقديم

وفهرست حسن حمد وإميل بديع يعقوب ، ط1، 1998 ، دار الكتب العلمية، بيروت ،2،471.

1250 - قراءة الجمهور انظر معاني الفراء ، ط1- 348 ، و إعراب النحاس،1- 570

1251 - ينظر أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ، إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط3، 1409هـ-

1988 ، 25/2 ، والزمخشري ،الكشاف، 52/2، و أبو البقاء محب الدين العكبري ، التبيان في إعراب القرآن ، تحقيق علي محمد

البحاوي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت ، 255/2.

1252 - ينظر تفسير الرازي ، 114/13.

1253 - ينظر الكشاف، 52/2، وتفسير الرازي ، 114/13.

1254 - معاني القرآن للفراء ، 348/1، وينظر البحر الحيط ، 193/4، وقطف الأزهار في كشف الأسرار ، 919/2.

1255 - ينظر إعراب القرآن للنحاس ، 525/2، والكشاف ، 52/2.

1256 - قراءة أبي حيوة و يزيد بن قطيب و أبي المتوكل و أبي عمران و الجحدري. انظر البحر الحيط 4 -193 ، و زاد المسير ،3- 96

، ومختصر ابن خالويه ، 39

1257 - تفسير الرازي ، 114/13.

1258 - وهو قول الكسائي. ينظر مشكل إعراب القرآن ، أبو محمد مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق حاتم صالح الضامن، ط

1395هـ-1975 ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، 1/264.

✽ - قراءة الخفض: 1259 و لها وجه واحد في التعليل:

✽ - الإضافة للتبيين ، والمعنى المقدر أشركوهم في عبادته. 1260

ب - لفظ " خرّقوا " و وجوه قراءاته:

لقد تعدّدت أوجه التباير القرائي للفظ " خرّقوا " فقرأ كما يلي: 1261

✽ - قراءة الجمهور بالتخفيف دلّت على قليل الشرك المختلق وكثيره.

✽ - قراءة نافع بالتثقيل - التشديد - دلّت على التكثر الحاصل بتمام المطابقة بين المبنى و المعنى بوجهين:

✽ - كثرة الشرك المخترق.

✽ - كثرة فاعل - المشركين - فعل التشديد 1262 ، فالمشركون قالوا الملائكة بنات الله ، و قالت اليهود

عزير ابن الله ، و قالت النصرى المسيح ابن الله 1263 ، فأجمعوا على اختلاق الشرك الكثير ، و اجتمعوا على

افتراء الكفر العظيم ، و جملة " وخرّقوا له بنين و بنات " بالقراءتين تفسير لفعل الجعل فقد أفادت جملة

العطف التفسيرية انتفاء مطلق الشرك و الشركاء.

- دلالة التباير القرائي على الإعجاز البلاغي بالنظم القرآني :

لنظم القرآني تصرف بلاغي من خلال فنية ترتيب الكلام - التقديم والتأخير - لتحقيق أغراض دلالية

أهمها قاعدة الاحتراز للمعنى فقد تصرف النظم القرآني في أجزاء الجملة من قوله تعالى: " وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ

الْجَنِّ " غاية التصرف و أكمله ، و منتهى التفنن و أحسنه، فأصل الكلام أن ترد الآية وفق الرتبة التالية "

وجعلوا الجن شركاء لله " ، فيقدم المفعول به الأول " الجن " ، ثم المفعول الثاني "شركاء" ، ثم شبه الجملة "لله"

، لكن بلاغة إعجاز النظم عدلت عن رتبة مراعاة الأصل في الكلام إلى معنى مقصود بالاحتراز ، فجاء النظم

1259 - قراءة شعيب بن أبي حمزة و أبي حيو. انظر البحر المحيط 4-193 ، و الكشاف 1-520 .

1260 - ينظر الكشاف 2/52، و تفسير الرازي 13/114.

1261 - أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الكشاف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها، ج 1 ص 143

1262 - ابن أبي مريم ، الموضح في وجوه القراءات و عللها ، ج 1 ص 490

1263 - الحجة للقراء السبعة، أبو علي الحسن الفارسي ، تحقيق بدر الدين قهوجي و بشير جويباتي، ط 1 ، 1987 ، دار المأمون للتراث،

دمشق ، 3 - 656 ، و الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع ، عبد الفتاح القاضي، ط 1 ، 1999، مكتبة السوادى ، جدة،

السعودية، ص 264

على قوله: "وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ" ؛ ولو جاء النظم على الأصل - "وجعلوا الجن شركاء لله" - "لم يكن فيه شيء أكثر من الإخبار عنهم بأنهم عبدوا الجن مع الله ، أمّا إنكار المعبود الثاني على الإطلاق فلا يكون في اللفظ دليل عليه مع تأخير الشركاء ، و ذلك أنّ التقدير في التقديم هو: أنّ شركاء مفعول أول لجعل و لله في موضع المفعول الثاني و يكون الجنّ على تقدير آخر و هو كآئه قيل: فمن جعلوا شركاء لله؟ فقول: الجنّ" 1264 ، فيترتب على هذا التقديم ما يلي:

أ- وقوع الإنكار يقينا على وجه الإطلاق دون قيد الاختصاص على جاعل الشريك لله تعالى.

ب- الدخول الكلّي لمطلق الشركاء من غير الجنّ في حكم الإنكار.

ت- دفع توهم معنى فاسد بالاحتراز للمعنى الصحيح فإذا قيل: "وجعلوا الجنّ شركاء لله" " كان الجنّ مفعولا أول و الشركاء مفعولا ثانيا فيكون الشركاء مخصوصا غير مطلق لاستحالة أن يجري الخبر على الجنّ ثمّ يكون عاما فيهم و في غيرهم، فبقي احتمال أن يكون المقصود بالإنكار هو جعل الجنّ شركاء لا جعل غيرهم... فيحتاج في نفي هذا الاحتمال إلى أن يقال: " وجعلوا الجنّ شركاء لله" 1265

ث- أنّ النفي و الإنكار يشتركان في الحكم الواحد 1266 ، و على هذا فإنّ النكرة إذا تجرّدت ثمّ تعلّقت بالنفي أفادت وقوع عموم الإنكار ، فحصل من ذلك أنّ اتخاذ الشريك من غير الجنّ قد دخل في الإنكار دخول اتخاذه من الجنّ. 1267

ج- التنبيه بالتقديم والتأخير في متعلقات الإسناد 1268 على كمال الاهتمام بمطلق المعنى المقصود ، و تمام العناية به من وجهين :

1264 - الرازي ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص222

1265 - المصدر نفسه، ص222

1266- نظم الدرر ، 7/215 - 216 ، و انظر كمال الدين عبد الواحد بن الخطيب الزمלקاني ، الجيد في إعجاز القرآن الجيد، تحقيق شعبان صلاح، ط1-1989 ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ص 122

1267 - انظر البغوي ، معالم التنزيل: 2/165 ، والنيسابوري، غريب القرآن 7/203 ، و السيوطي، الدر المنثور: 3/37 ، و الشوكاني، فتح القدير: 2/147.

1268 - و أقصد بالمتعلقات ما اصطلح عليه بالفضلة كالمفاعيل والحال والتمييز والتوابع... إلخ انظر الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، يحيى بن حمزة بن علي العلوي اليمني، مطبعة المقتطف، مصر 1914 م، ج2 ص69 ، و من بلاغة النظم العربي، عبد العزيز عبد المعطي عرفة، عالم الكتب ، بيروت، ط 2 ، 1984 م، ج1 ص269، و الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، فاضل صالح

٤٥ - تقديم اسم الله- المفعول الثاني - على الشركاء - المفعول الأول- " لاستعظام أن يتخذ مع الله شريك سواء كان ملكا أم جنيا أم إنسيا أم غير ذلك." 1269

٤٦ - تقديم لفظ الشركاء لاستعظام فضاة الإشراف ، و بيان منتهى شناعته. 1270

- طائفة الوقف و الابتداء على الإجازة

لقد جاء الوقف في الآية على درجات ثلاث:

أ - الوقف على لفظ شركاء من قوله تعالى: " وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ " فينتهي المعنى بذلك و يكتمل على رأي السكاكي لينصبَّ حكم الإنكار على الشركة أصالة ، فيتحقق بذلك مقصد عقائدي صرف عنوانه كمال التزيه ، و يكون لفظ الجنّ على قراءة الرفع كلام مستأنف إمّا جواب شديد الإنكار لسؤال عن الشريك المتخذ ، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هم الجنّ. 1271

ب - الوقف على لفظ الجنّ من قوله تعالى: " وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ " ، فيكون المعنى كافيا 1272 مع تعلقه بما بعده ، و يكون التقدير مع التقديم على مذهب الجرجاني " أنّ شركاء مفعول أول لجعل و لله في موضع المفعول الثاني ، ويكون الجنّ على كلام ثان على تقدير أنه قيل: فمن جعلوا شركاء الله تعالى؟ فليل الجنّ وإذا كان التقدير في شركاء أنّه مفعول أول و لله في موضع المفعول الثاني وقع الإنكار على كون شركاء الله تعالى على الإطلاق من غير اختصاص شيء دون شيء ، و حصل من ذلك أنّ اتخاذ الشريك من غير الجنّ قد دخل في الإنكار دخول اتخاذ من الجنّ." 1273

السامرائي، منشورات الجمع العلمي العراقي ، بغداد، 1998 م ، ص 6 ، و الزركشي، البرهان، ج1 ص386 ، و الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان، ط5 ، 1980 م، ص207 .

1269 - الزمخشري ، الكشاف ، 2 ، 380

1270 - نظم الدرر ، 215/7 - 216 ، و انظر ما قيل في الآية عند البغوي ، معالم التنزيل، 165/2 ، و النيسابوري، غريب القرآن ، 203/7 ، و السيوطي، الدر المنثور ، 37/3 ، و الشوكاني، فتح القدير: 147/2 .

1271 - السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 133 ، و حلمي مرزوق ، النقد و الدراسة الأدبية، ط1- 1982 ، دار النهضة العربية، بيروت ، ص 133

1272 - المكتفى في الوقف و الابتداء ، لأبي عمرو الداني ، ص 257

1273 - الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص 131

ت - الوقف على لفظ خلقهم من قوله تعالى: " وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ^ط " يدلّ على حصول الشرك منهم في ربوبيته سبحانه بعد دلالة صدر الآية على حصوله منهم في ألوهيته ، و يشهد لهذه الدلالة ثلاثة مسالك :

١٥٠ - إذا تعلّق الخلق بالجاعلين له الشركاء كان المعنى: وجعلوا للذي خلقهم شركاء لا يخلقون ، و إن رجع إلى الجنّ كان المعنى: والله خلق الجنّ ، فكيف يكون الشريك لله مُحدثاً؟ 1274

١٥١ - تعلّق معنى لفظ " وخلقهم " بما قبله و بما بعده ، و عليه فقد أفاد تحقّق وقوع فعل الخلق منه سبحانه عليهم يقينا لثبوت الفارق بين الخالق و المخلوق. 1275.

١٥٢ - دلالة واو الحال على استصحاب وقوع وصف الخلق عليهم عند الردّ عليهم على تقدير: جعلوا لله شركاء وهو خلقهم ليتّسع فعل الخلق اتّسع معنى الضمير في عوده على مسمّى الجنّ و الجاعلين ، 1276 و بهذا ظهر الكمال الإلهي ، وبطلت الشركة بوجهين:

- بطلان استحقاق الشركاء حكم الشركة في الألوهية ، لوقوع وصف الخلق عليهم، فيسقط بذلك حكم التسوية بينهم و بين الخالق.

- بطلان إصدار حكم الجعل و الخرق من المشركين بدلالة نفي العلم عنهم.

- دلالة التنابير الصوتية على الإيجاز البلاغي:

صفة حرف الخاء الانفتاح ينساب الهواء عند النطق بها ، و يساعد طول مخرجه على سعة الانسياب ، فيحدث تماوج صوتي يأخذ منحى الشدّة و القوة عند اجتماعه مع حرف الراء المكرّر ، فيجتمع تموج الخاء مع تكرّر الراء ليحدث المضاعفة 1277 ، و تظهر هذه المضاعفة في معاني لفظ الخرق الذي يدور معناه في أصل الوضع على دلالة القطع المتسع مع تعيّن وصف الفساد و انتفاء وصف التدبّر 1278 ، فاجتمعت بذلك

1274 - ابن الجوزي، زاد المسير، 2، 385

1275 - و هذا التحقّق أفادته " قد " - التي يشترطها النحاة لثبوت جملة الحال للماضي القريب- لكن دلّ الاستعمال القرآني على حذفها ليفيد جملة الحال التي توغّل فعلها في الزمن الماضي فيشير إلى أنّ وصف الخلق قد عمّمهم و شمل غيرهم في الزمن الموعّل في الماضي، و أنّ الله انفراد بخلقه إياهم، و هذا من ملامح إعجاز النحو القرآني. انظر نحو القرآن، أحمد عبد الستار الجوارى، ط 1974 ، مطبعة النجم العلمي العراقي، بغداد ، ص 96

1276 - التسهيل لعلوم التنزيل 2 ، 143

1277 - انظر التمهيد في علم التجويد ، ابن الجزري ص100 ، و الكتاب ، سيويه ، 4- 136

1278 - الأصهباني، المفردات، ص 279 ، و الزمخشري، الكشاف، 2- 53 ، و ابن عاشور، التحرير و التنوير، 7- 407

دلالات أصوات المباني و اشتقاقات المعاني على تصوير بشاعة الاختلاق و شناعة الاختراق في نسبة الشركاء إلى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

- الإجازة البليغة بالظن والشاف. 1279.

اختلف العلماء في إطلاق لفظ الحذف و الزيادة على القرآن و الذي نراه ظاهرا و الله تعالى أعلم أن مصطلح الحذف و الزيادة و إن عُرف عند أهل النحو و البلاغة ، فإنه لا يتناسب مع الحقيقة القرآنية ، و لا ينسجم مع دقة الاصطلاحات الشرعية ، ذاك لأن الله تعالى وصف كلامه بالكمال فقال: "اللَّهُ تَزَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿١٢٧٩﴾" 1280، و نزهه عن اللغو و النقصان فقال سبحانه: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿١٢٨١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ ۗ تَنْزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿١٢٨٢﴾" 1281، و انطلاقا من هذه المسلمات فإن القرآن الكريم أصل قائم بذاته ، والحذف خلاف الأصل، و الكلام إذا دار بين الحذف و عدمه كان الحمل على عدمه أولى و أرجح ، لأن الأصل عدم التغيير ، 1282 و عليه فكل ما في القرآن من تراكيب معينة فإنها الأصل الذي لا يقبل الوصف بالحذف المشعر بالإسقاط و الطرح ، 1283 و هذا من حسن الفهم عن الله تعالى و عن رسوله صلى الله عليه و سلم إذ يجب على من تصدى لفهم القرآن " أن يتجنب إطلاق لفظ الزائد في كتاب الله تعالى ، فإن الزائد قد يفهم منه أنه لا معنى له ، وكتاب الله متره عن ذلك ، ولذا فرَّ بعضهم إلى التعبير بدله بالتأكيد والصلة " 1284 ، فما من حرف في القرآن ذكر إلا وله مقصد و تظهر أسرار هذا التعميد جلية ظاهرة عند البحث الإعجازي على مستوى مباحث معاني الحروف مطلقا ، و تظهر الخصوصية في علم الرسم القرآني فمثلا " في رسم الألف في مائة

1279 - لفظ الحذف و إن ذكرناه فهو من باب الدلالة على المعهود عند أهل العلم بالعلوم العربية.

1280 - الزمر 23

1281 - فصلت ، 42

1282 - البرهان ، 3 ، 104 ، و ينظر بداية الاجتهاد ونهاية المقتصد ، ابن رشد ، تحقيق خالد العطار ، 1 ، 237 .

1283 - البرهان 3:103.

1284 - الإنشقاق ، 1:535.

وعدمها في فئة سرّ ، وفي زيادة الياء في بأييد و بأييكم سرّ ، وفي سموات سرّ فكل ذلك لأسرار إلهية... وإمّا خفيت على الناس لأنّها أسراراً باطنية لا تُدرَك إلا بالفتح الرباني". 1285

- أثر التغيرات القرائية في بيان حالة اللحن.

الذكر والحذف مبحث " دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر " 1286 امتاز به اللسان العربي ، و لقد تركّز البحث فيه على قاعدة أصل الوضع - التي يقوم عليها معهود العرب في الخطاب - و تتركّب القاعدة من مسند إليه ومسند إذ بهما يقوم أصل الكلام ، و كل ما استغني عنه مما يكمل الخطاب فهو في حكم الفضلة ، و هذا ضرب من الاتّساع 1287 الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بإدراك المخاطب لمراد المتكلم " فجرى بمثّلة المثل كما تقول لا عليك و قد عرف المخاطب ما تعني". 1288

- الإيجاز البلاغي بالظنر و اللحن في القصص القرآني.

و لقد مثلت لأثر التغيرات القرائية في بيان صورة الإعجاز عند حذف المفعول به بقوله تعالى: "وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ" 1289

- توثيق التغيرات القرائية و توجيها.

✽ - قراءة " يَصْدُرُ " قرأ بها أبو عمرو و ابن عامر و أبو جعفر بفتح الياء وضمّ الدال 1290 " و القراءة لفعل صدر اللازم - فدلّ وصف اللزوم على اقتصار الفعل بفاعله - المسند إلى الرعاء و تقدير الكلام : حتى يَصْدُرَ الرعاء من موضع سقيهم أي حتى يرجعوا من المورد الذي يسقون فيه المواشي " 1291 ، و القراءة

1285 - مناهل العرفان في علوم القرآن ، 376:1. وينظر: مباحث في علوم القرآن ، صبحي الصالح، 276-277

1286 - الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، ص 67

1287 - أبو بكر بن السراج، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط1- 1985 ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2-255

1288 - سيويه ، الكتاب، 1- 224

1289 - القصص، 23

1290 - وقرأ بها كذلك شيبه و الحسن وقتادة انظر الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع ، عبد الفتاح القاضي، ط 1، 1999،

مكتبة السوادى، جدة، ص238، والتذكرة في القراءات الثمان، ابن غلبون، 2، 484

1291 - الموضح في وجوه القراءات و عللها ، ابن أبي مريم 3 - 980

على معنى اكتفاء الفعل بفاعله وتام معنى الحدث به دون المفعول ، و " لما لم يذكر مع الفعل المفعول عُلِمَ أَنَّهُ غير واقع ، وَأَنَّهُ يُصَدَّرُ الرَّعَاءُ بِمَعْنَى يَنْصَرِفُونَ عَنِ الْمَاءِ " 1292 ، والحكمة في الاستغناء بلفظ الإصدار عن ذكر المفعول 1293 بيان كمال الإيجاز في العناية بإثبات الفعل لفاعله ، 1294 و يسمّى الحذف الواقع في هذه القراءة بالاختصار. 1295

✽ - قراءة " يُصَدِّرَ " و قرأ الباقون بضمّ الياء وكسر الدال 1296 بصاد خالصة ، و أشمّ حمزة والكسائي وخلف و رويس الصاد زايا و رقق ورش الراء 1297 ، و القراءة لفعل أصدر المتعدّي فدلّ وصف تعدّي الفعل إلى المفعول على تمكّن الوقوع عليه ، و كمال التباسه به لا مطلق الوجود في نفسه 1298 ، و تمكّن الفعل من المحذوف بالتعدّي يوجب تعمد الحذف ، والتقدير: " حتى يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ مَا شِئْتَهُمْ " 1299 ، و لقد وقع الحذف في أربعة مواضع من القصة ، والمعنى المقدّر من مجموع الحذف في القراءتين هو: " وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم أو مواشيهم وامرأتين تذودان غنمهما وقالتا لا نسقي غنمنا فسقى لهما " 1300 ، و يسمّى الحذف الواقع في هذه القراءة بالاختصار، و السرّ في وقوع الحذف على المفعول دون الفعل لدلالة الاهتمام بالمذكور دون المحذوف ، ولأنّ مقصد الكلام لا يصحّ إلا بتركه ، 1301 - ولو ذكر لوقع الإطناب في صورة اللغو الذي يجب أن يتزّه عنه الكلام الإلهي- ، و لتتسق مباني التركيب في سياق الاهتمام بمعانيه ، و ليستقلّ

1292 - أبو زرعة ، حجة القراءات ، 543 .

1293 - ينظر النحاس، إعراب القرآن 3 ، 234 ، و معاني القراءات للأزهري، 2-250 .

1294 - البرهان للزركشي، 3 - 162 ، و السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق علي محمد الجاوي، ط 1983 ، دار الفكر العربي، بيروت ، 1-309

1295 - الزركشي، البرهان، 3-262 ، و السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، 1-309 .

1296 - وقرأ بها كذلك الأعرج وطلحة والأعمش و ابن أبي إسحاق انظر ابن مجاهد ، السبعة ، 492 ص 238 ، و الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، عبد الفتاح القاضي، مكتبة السوادي ، جدة ، ط 1-1999 ، ص 238.

1297 - انظر المكرر فيها تواتر من القراءات السبع و تكرر، ابن النشار، ص 271

1298 - القزويني ، الإيضاح ، ص 61

1299 - أبو زرعة ، حجة القراءات ، 543 .

1300 - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ص 124

1301 - الحذف البلاغي في القرآن ، مصطفى عبد السلام أبو شاذي ، مكتبة القرآن، القاهرة، ص 20

النظم بكمال المراد - دون الفضلة - فتجسد صورة بلاغة الحذف في التركيب 1302 ، و لقد تقرّر هذا الإعجاز بجملة من الأدوات اللغوية منها:

* - دلالة الإطالة الصوتية التلويحية:

فقوله تعالى: " قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ " جملة يحسن السكت على لفظ الرعاء منها، لأنّ ما بعده منقطع معنى و لفظا ، 1303 و في تقديم السكت على الوقف لطيفتان:

⌘ - قصد إرادة ذهاب الرعاء لا المواشي لأنّ عدم إصدارهم سبب في ترك السقي ، و ذريعة توجب مفسدة الاختلاط ، فدلّ السكت على أنّ حفظ العرض هو المقصود ابتداء ، و أنّ ذريعة فتحه و تحقيقه متوقفة على إصدار الرعاء.

⌘ - أنّ قوله: " وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ " بيان لعلّة الخروج ، و تعريض بالاستعانة ، 1304 فدلّت الضرورة التي نطق بها النص على وصف العليّة في تعيّن حكم الخروج للسقي.

* - دلالة الحذف السياقي القصصي:

إنّ ملاحظة النسق القرآني في آيات القصص يقف على مبدأ النظم القرآني في إثارة قاعدة الإيجاز بالاستغناء عن المفعول به ، لأنّ مقام القصص يقتضي العناية بالحدث الذي تقوم عليه مقاصد القصّة المترجمة به امتزاج الأعضاء 1305، فلو وقع الفصل أو الحذف في هذا المشهد لاختلّ مقصد نسق ترتيب القصص في هذه السورة ، ثمّ لسقط مقصد السورة كلّها من القصص ، و بما أنّ أساس مقصد قصّة موسى عليه السلام مع المرأتين بيان صفات الصلاح الفردي و الأسري المؤهلان للإصلاح الاجتماعي فإنّ ذكر المرأة في القصص القرآني قيد معتبر في باب الدعوة إلى الخير و التنفير من الشرّ 1306 من أجل هذا اقتضى المقام ما يلي :

1302 - ينظر الفراء ، معاني القرآن ، 4 ، 139 . و النحاس ، إعراب القرآن ، 3 ، 234 ، و مكي ، الكشف ، 2 ، 172 ، وانظر المترع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد القاسم السجلماسي ، تحقيق علال الغازي، ط1، 1980، دار المعارف، الرباط، ص202
1303 - أبو عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي، علل الوقوف، تحقيق محمد بن عبد الله العيدي، ط2، 2006، مطبعة الرشد، الرياض، ج2 ص 776

1304 - ابن طيفور السجاوندي، علل الوقوف، ج2 ص 777

1305 - بدائع الإضمار القصصي ، ص 27 و على هذا فإنّ منهج القصّة في القرآن يقتصر من الحوادث على ما يتعلق به مقصد القصّة.

1306 - الإعجاز اللغوي في القصّة القرآنية، ص70

❧ - انتقاء الأحداث القصصية التي تخدم المقصد ، فقد وقع حذف مفاعيل الأفعال في خمسة مواضع من القصة وهي: يسقون و تذودان ، و لا نسقي ، و يصدر ، و فسقى ، و مقصود الحذف كله بيان قوّة موسى عليه السلام و أمانته ، و إظهار طهارة المرأتين و حياتهما. 1307

❧ - ضرورة الحذف مسaire لقاعدة المناسبة بين المقصد القرآني و الحدث القصصي. 1308.

❧ - الدقة في انتقاء الألفاظ - إصابة المعنى - التي تحمل دلالات عميقة عمق مقصد القصة ، فكلمة تذودان قد بينت أنّ الفتاتين كانتا تحبسان الغنم ، و تبدلان وسع الجهد في منعها عن مخالطة أغنام الرعاء 1309 ، و توحى ظلال الكلمة بمشاهد الحالة النفسية التي كانت عليها المرأتان ، و صورة الأخلاق التي عليها المجتمع من خلال مشهد الورود.

* - حالة مقاصد القصص القرآنية:

إنّ تغاير القراءتين في لفظ الإصدار ما هو إلا مدخل قصصي يمهد لمقصد حفظ العرض ، و أثر تربية المرأة على الأخلاق الفاضلة في التغيير الحضاري المنشود ، و يشهد هذه الحقيقة الكبرى دلالة السياق اللاحق من قوله تعالى: "جَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٣١٠﴾" ، فدلّ الوقف و الابتداء على كمال الاستحياء قولاً و فعلاً و حالاً من خلال ما يلي:

❧ - الوقف على قوله: "جَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ" فالوقف على لفظ الاستحياء وقف في موضع الحال و التقدير: جاءت مستحياً.

1307 - انظر كذلك حلمي مرزوق ، النقد و الدراسة الأدبية، دار النهضة العربية ، ط 1982، بيروت ص 90 ، و مختار عطية ، الإيجاز في كلام العرب و نص الإعجاز، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ص 293 .

1308 - بدائع الإضمار القصصي ، ص 37 فالمناسبة بين الحدث القصصي و مقصده إما في الحكم أو الموضوع أو العبرة أو المعنى أو اللفظ.

1309 - انظر الطبري، جامع البيان ، 20- 55 ، الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق صفوان عدنان داودي، ط 1-1995، دار القلم ، دمشق، 2- 816 ، و السمعاني أبو المظفر منصور بن محمد ، تفسير القرآن ، تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس ، ط 1-1997 ، دار الوطن ، الرياض ، 4- 131 ،

1310 - القصص ، 25

٤٥ - الوقف على قوله: "جَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي" ، ثم الابتداء بقوله: "عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا " يفيد أن قولها كان على حياء 1311 ، و يرجح صحة اجتماع المعنيين الآتي:

- حذف مفعول - الغنم - فعل الذود اختصارا 1312 لعلة الاهتمام بالحدث و العناية به.
- دلالة لفظ الذود من قوله تعالى: وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ " فقد دلّ الفعل على معنى مشقة معالجة الغنم حبسا و منعا و كفاً تحقيقا لإصدار الرعاء 1313 ، فتدفع مفسدة الاختلاط لتظهر فضيلة العفة الجالبة لمقصد حفظ العرض.

و على هذا فإنّ التغيرات القرآنية قد أسفر على تفسير قرينة حالية - في موسى عليه السلام و المرأتين - تحيل على مقصد حفظ النسل و هي أمانة العفة التي يتوقّف عليها صلاح النكاح و الفلاح يشهد لهذه الحقيقة حديث أبي هريرة رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم: " إذا خطب إليكم من ترضون دينه و خلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض و فساد عريض." 1314

* دلالة قولها بالبذخ القرآنية:

إنّ العرب في معهود خطابها تسعى نحو بلاغة الاتساع بالإيجاز و الحذف مناطه إذا دلّ على إصابة المعنى بالإضمار 1315 على شريطة التفسير. 1316

1311 - انظر الرازي ، مفاتيح الغيب ، 12- 269 ، و انظر الداوي ، المكففي في الوقف و الابتداء، تحقيق يوسف المرعشلي، ط 2 - 1987 ، مطبعة الرسالة ، بيروت، ص 436 .

1312 - ابن قتيبة ، تفسير غريب القرآن ، تحقيق إبراهيم محمد رمضان ، ط 1 ، 1991 ، دار الهلال ، بيروت ، ص 282
1313 - انظر اليعقوبي ، معالم التنزيل ، 3- 441 ، و ابن عطية أبو محمد عبد الحق، ائخر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، ط 1- 1993 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 4- 283 ، و القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، 13- 268 ، و اليعضوي أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي، أنوار التنزيل و أسرار التأويل، تحقيق عرفان بن سليم العشا حسونة، دار الفكر ، بيروت، 4- 288 ، و النسفي أبو البركات عبد الله بن أحمد ، مدارك التنزيل و حقائق التأويل، مطبوعات محمد علي صبيح ، ميدان الأزهر، القاهرة، 3- 232 ، و ابن جزى الغرناطي محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل ، ط 4 - 1984 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 3- 104

1314 - انظر سنن الترمذي ، رقم 1004 و 1005 ، و البيهقي ، السنن الكبرى، 7 - 82
1315 - ابن مضاء القرطبي ، كتاب الرد على النحاة ، تحقيق شوقي ضيف، ط 3- 1988، دار المعارف ، القاهرة، ص 92 ، و أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو ، تحقيق محمد إبراهيم البناء، ط 1978 ، منشورات جامعة قاريونس ، ليبيا ، ص 165

1316 - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 74

- الفصل الرابع: التباين القرائي بين إجاز الرسم

القرائي و الإجاز التصويفي

- إجاز الرسم القرائي: لقيته ، مقاصده .

” تصويير النسيم نموذجاً ”

- الإجاز التصويفي: لقيته ، مقاصده ، مسالطه .

” النفس الجالحة نموذجاً ”

- التنقيح القرآني و إجاز الرسم القرآني.

- الرسم لغة و اصطلاحاً:

- الرسم في اللغة: 1317

الرسم الأثر و المراد أثر الكتابة في اللفظ قال امرؤ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب و عرفان و رسم عفت آياته منذ أزمان.

أت حجاج بعدي عليها فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان. 1318

و رسم الدار ما لصق بالأرض من آثارها ، و رسم له إذا امتثل له ، و رسم على الورق إذا كتب ، و يقاربه في المعنى لفظ الرقم و هو أقوى منه في المعنى ، و الخط و الهجاء و الكتاب و الإملاء و الزبر و السطر و

الرشم. 1319

- الرسم في اصطلاحاً:

هو تصوير اللفظ بحروف هجائه بتقدير الابتداء به ، و الوقوف عليه لتحوّل اللغة المنطوقة إلى آثار مرئية

1320 ، و هو على ثلاثة أنواع:

أ- الرسم القياسي: هو رسم اللفظ بحروف هجائية غير أسماء الحروف مع تقدير الابتداء

و الوقف. 1321

ب - الرسم العروضي: هو رسم اللفظ بالحركات كما عند العروضيين من خلال وزن الأبيات في نظمها و نسبتها إلى مجورها الشعرية.

1317 - مختار الصحاح ، ج1 ص102 ، ولسان العرب، ج 12 ص242، مادة "رسم" و أساس البلاغة ، مادة رسم ص 339 ، و ابن دريد ، الجمهرة ، ج 2 ، ص 336 .

1318 - ديوان امرؤ القيس، ص 89

1319 - انظر بطرس البستاني ، محيط الخيط ، مطبعة بغداد ، ص 242 ، 335 ، 347 ، 410

1320 - الشافية في علم التصريف ، أبو عمر جمال الدين بن عمر الدويني المعروف بابن الحاجب ، تحقيق حسن أحمد العثمان ، ط 1 ،

1415 هـ، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ص 138

1321 - السيوطي ، همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، 2 ، 305

ت - الرسم الاصطلاحي: هو مرسوم القرآن الكريم ، أي حروفه التي رسم بها عند الجمع الأول له على عهد الرسول صلى الله عليه و سلم مع اعتبار قيد العرضة الأخيرة.

- تعريف الرسم القرآني العثماني:

✽ - هو رسم الكلمات القرآنية وفق الجمع الأول مع اعتبار قيد العرضة الأخيرة للقرآن الكريم ، فعرف ذلك ليغدو علما تدرك به مخالفات خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي. 1322

✽ - هو الهيئة المخصصة التي كتب بها القرآن على عهد النبي صلى الله عليه و سلم.

✽ - هو " الوضع الذي ارتضاه الصحابة على عهد عثمان رضي الله عنه في كتابة كلمات القرآن الكريم وحروفه". 1323

✽ - هو أوضاع حروف القرآن في المصحف و رسومه الخطية. 1324

- قواعد الرسم القرآني:

تتجلى أهمية الرسم القرآني في كونه علما مستقلا بذاته قائما بنفسه تجتمع فيه قواعد الآثار و مقاصد

الأسرار ، فيتلخص أمره في ستة قواعد هي: 1325

✽ - الحذف و الزيادة قال ابن القاصح: " و يحتاج القارئ إلى معرفة الرسم في ذلك فيقف بالحذف على ما

رسم بالحذف و بالإثبات على ما رسم بالإثبات " 1326 ، و يمثل له بحذف الألف في " يأبها " ، و الياء في " باغ " .

✽ - قاعدة الزيادة: كزيادة الألف في " تفتوا " ، و الياء في " بأيد " .

✽ - قاعدة الهمز: ككتابتها حال سكونها بحرف حركة ما قبلها " ائذن ، أوتمن " .

✽ - قاعدة البدل: ككتابة الألف واواً للتفخيم في لفظ " الصلوة " ، وكتابة التنوين ألفاً في نون التوكيد

1322 - علي إسماعيل سيد هنداوي ، جامع البيان في معرفة رسم القرآن ، ط 1410 هـ ، دار الفرقان ، الرياض ، ص 9

1323 - دراسات في علوم القرآن فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، ص 315.

1324 - المقدمة ، ابن خلدون ، ج 1 ص 791

1325 - انظر الضبط الصحفي نشأته و تطوره ، عبد التواب مرسي الأكرت ، ط 1 ، 2001 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ص 58

1326 - مرسوم خط المصحف ، إسماعيل بن ظافر بن عبد الله العقيلي ، تحقيق محمد بن عمر بن عبد العزيز الجنايني ، ط 1 ، 2009 ،

دار طيبة الخضراء ، مكة المكرمة ، ص 12

المخففة " لنسفعاً " ، و هاء التأنيث تاء مفتوحة في نحو " رحمت " .

✱ - قاعدة الوصل والفصل: كوصل "أن" بـ "لا" ، و "عن" ، و "كل" بـ "ما" .

✱ - قاعدة ما فيه قراءتان: فيكتب برسم إحداهما ، نحو " يخدمون " ، و " غيبت " .

- مزايا الرسم العثماني و فوائده

لرسم العثماني مزايا كثيرة و فوائد عديدة أبرزها ما يلي: 1327

أ - الدلالة على ما في الكلمة من أوجه القراءات المتعددة ، فقد روعي في رسم اللفظ تحمُّله لأوجه القراءات المتعددة ، إمّا موافقة حقيقية ، أو احتمالية.

✱ - الموافقة الحقيقية: هي التي يتوافق اللفظ بها مع الرسم الموجود في بعضها موافقة صريحة ، وهذه الموافقة لها ثلاث صور:

☞ - الصورة الأولى: أن يكون للكلمة وجه واحد في القراءة موافق للرسم وهذا يشمل جميع المفردات القرآنية التي قرئت بوجه واحد.

☞ - الصورة الثانية: أن يكون للكلمة في اللفظ أكثر من قراءة ، ويحتملها رسم واحد كتبت به ، و منها ما لا يحتمله رسم واحد ، 1328 نحو قوله تعالى: " وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ " 1329 ، فقد رسمت في المصحف المكي والكوفي والبصري بواو قبل السين ، و رسمت في المصحف المدني والشامي بغير واو 1330 ، وكل هذه الأوجه موافقة لرسم المصحف موافقة حقيقية.

1327 - انظر البسط في القراءات العشر ، سمر العثا ، ط 2005 ، دار البشائر ، دمشق ، ص 35 ، و السالم بن محمد محمود بن أحمد الجكني الشنقيطي، أبحاث في القراءات ، ص 11 ، و رسم المصحف العثماني و أوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم ، عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، ص 61

1328 - انظر مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية بجامعة الكويت، السنة 10 ، العدد 56 ، محرم 1425هـ - مارس 2004 م ، ص 89، محمد خازر انجالي، " ما اختلف رسمه من الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية " .

1329 - آل عمران ، 133

1330- انظر النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، 2 ، 242 .

❧ - الصورة الثالثة: أن يكون للكلمة أكثر من قراءة ، ولكنها لم ترسم إلا على وجه واحد من الوجوه المتعددة المقروء بها ، فتكون القراءات وفق هذا الرسم في حكم الموافقة التحقيقية، و القراءات الأخرى على غير الرسم في حكم الموافقة الاحتمالية مثاله قوله تعالى: " ملك يوم الدين." 1331

❧ - الموافقة الاحتمالية: مثاله قوله تعالى: " ملك يوم الدين" ، فقد رسمت الكلمة في كلِّ المصاحف بغير ألف 1332 ، وهذه هي قراءة نافع ، وابن كثير ، وابن عامر ، وأبي عمرو ، وحمزة ، وأبي جعفر ، و هي موافقة للرسم تحقيقاً ؛ أمّا القراءة بالألف فهي لعاصم ، والكسائي ، ويعقوب ، وخلف 1333 ، و هي موافقة للرسم احتمالاً حيث حذفت الألف اختصاراً 1334 ، وهذا مراد العلماء بقولهم في أركان القراءة موافقة الرسم ولو احتمالاً.

ب - اتصال السند بالرسول صلى الله عليه و سلم صدرا و سطرا و تتجلى مقاصد السند المتصل في ما يلي:

1335

❧ - جمع القرآن بمعرفة مخارج الحروف و الصفات و الأحكام.

❧ - حفظ القرآن من صور التغيير و طرائق التبديل.

❧ - إظهار عظمة القرآن وكمال العناية به.

❧ - استمرار ثبوت تواتر القرآن الكريم صدرا و سطرا.

ت - دلالة إعجاز الرسم القرآني على بيان الأعراف الفاسدة قال تعالى: "وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١٠٦﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿١٠٧﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزِنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿١٠٨﴾" 1336 ، فحرف "على" يرد على ثلاثة " اسما و فعلا و حرفا فالفعل قولك: علا فلانٌ يا زيد ، والحرف قولك: على زيدٍ مالٌ ، والاسم قولك: جئتُ من عليه ، لمعنى " من فوقه" ، وتجيئ في مكان " من " قال الله تعالى: "وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١٠٦﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿١٠٧﴾ وَإِذَا

1331 - الفاتحة ، 4

1332 - انظر النشر ، 1 ، 11 ، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للدماطي ، ص53.

1333 - انظر إتحاف فضلاء البشر ، ص151.

1334 - النشر ، 11/1.

1335 - انظر دراسات في علوم القرآن ، الرومي ، ص343 ، و المدخل لدراسة القرآن ، لأبي شهبة ، ص315.

1336 - المطففين ، 2

كَأَلُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿١٣٣٧﴾" 1337 أي من الناس" 1338 ، و ذهب إلى هذا أبو عبيدة 1339 ، و ابن الجوزي 1340 ، و استعرض سيد قطب هذه الظاهرة اللسانية ليستقرئ منها حالة اجتماعية ذات جاهلية فقال: " كان ذوو النفوذ لهم سلطان على الناس بسبب من الأسباب يجعلهم يستوفون المكيال منهم والميزان قسراً ، وليس المقصود أنهم يستوفون حقاً لهم ؛ إنما المفهوم أنهم يحصلون بالقسر على أكثر من حقهم ، ويستوفون ما يريدون إجباراً ، وإذا كالوا أو وزنوا كان لهم من السلطان ما يجعلهم ينقصون حق الناس " 1341 ، و عليه فإن القرآن قد أشار إلى مفاسد الاستكبار و الاستعلاء بالظلم من خلال دلالة حرف على.

ث - الدلالة على ظاهرة صوتية معتبرة قال إبراهيم السامرائي: " لولا خطّ المصحف لكان الرسم " فما تغني النذر" ، بالياء في " تغني" ، وخطّ المصحف في حذف الياء هذه كان لغرض صوتي ، هو أنّ المدّ الطويل الذي تحقّقه الياء يُحدث ضرباً من الثقل عند وصل الفعل بالفاعل " النذر " ، فكأنّ اتصال الكسرة بضمّة النون هو اتصال منسجم لا يتحقّق لو رسمت الياء، فاقتضت ما تستحقّ من المدّ." 1342

ج - الدلالة على بعض لطائف المعاني الدقيقة ، و أسرار الحقائق الرقيقة كزيادة الياء في كلمة " أيد" من قوله تعالى: "وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿١٣٤٣﴾" 1343 ، فقد كتبت بياءين إشارة إلى تصوير مشهد عظمة قوّة الله تعالى في خلق السماء ، فدلتّ زيادة المبنى على زيادة المعنى 1344 ، و كحذف الواو في بعض آي القرآن كقوله تعالى: " وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ " 1345 ، و قوله سبحانه: " وَيَمْحُ اللَّهُ " 1346 ، و قوله عزّ و جلّ: " يَدْعُ الدَّاع " 1347 ،

1337 - المطففين ، 2

1338 - حروف المعاني ، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي ، تحقيق علي توفيق الحمد ، ط 2 ، 1986 ، دار الأمل، مؤسسة الرسالة ، ص 23.

1339 - مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى ، تعليق محمد فؤاد سزكين ، ط 1 ، 1954 ، مطبعة محمد الخانجي ، مصر، ج 1 ص 14 .

1340 - زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، ط 1 ، 1968 ، المكتب الإسلامي، بيروت، ج 9 ص 52.

1341 - في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج 6 ص 3855.

1342 - من بديع لغة التنزيل ، إبراهيم السامرائي ، ط 1 ، 1404 هـ - 1984 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، دار الفرقان، عمان ، ص 286.

1343 - الذاريات ، 47

1344 - مناهل العرفان ، 1 ، 367.

1345 - الإسراء ، الآية 11.

1346 - الشورى ، الآية 24 .

1347 - القمر ، الآية 6.

و قوله جلّ و علا: " سَدَّعُ الزَّبَانِيَةَ " 1348 للتنبيه على سرعة وقوع الفعل ، وسهولته على الفاعل ، وشدة وقوع المنفعل المتأثر به في الوجود ، أمّا " وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ " ، فيدلّ على أنّه سهل عليه و يسارع فيه كما يسارع في الخير ، بل إثبات الشرّ إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير ، وأمّا " وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ " ، فللإشارة إلى سرعة ذهابه و اضمحلاله ، وأمّا " يَدْعُ الدَّاعِ " ، فللإشارة إلى سرعة الدعاء وسرعة إجابة المدعوين ، وأمّا الأخيرة فللإشارة إلى سرعة الفعل و إجابة الزبانية وشدة البطش. 1349

ح - الدلالة على تعدّد المعاني القرآنية ، و تنوّع فروق الدلالات بطرق متفاوتة و ذرائع متعدّدة مثل قطع " أمّ " في قوله تعالى: " هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجِدِ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أُمَّ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا ① " 1350 ، ووصلها في قوله تعالى: " أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ② " 1351 بإدغام الميم الأولى في الثانية وكتابتها ميماً واحدة مشدّدة ؛ فقطع " أمّ " الأولى في الكتابة للدلالة على أنّها " أمّ " المنقطعة التي بمعنى " بل " ، و وصل " أمّ " الثانية للدلالة على التغيّر فيما بينهما. 1352

خ - الدلالة على أصل الحركة ، ككتابة الكسرة ياء في قوله تعالى: " و إيتاءى ذي القربى " 1353 ، وكذلك الدلالة على أصل الحرف ، نحو كتابة الصلاة والزكاة بالواو ، هكذا الصلوة ، الزكوة للدلالة على أنّ الألف فيها منقلبة عن واو. 1354

د - إدراك علّة التفضيل القرآني لجيل الصحابة رضي الله عنهم من خلال الوقوف على سعة علمهم و سداد فهمهم و كمال حكمتهم في كتابة القرآن على الرسم الذي يستوعب التغيّر القرائي الثابت بدليل العرضة الأخيرة قبل موت الرسول صلى الله عليه و سلم قال أبو عمرو الداني: " وليس شيء من الرسم ، ولا من

1348 - العلق ، الآية 18.

1349 - عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، أبو العباس أحمد بن البناء المراكشي، تحقيق هند شلبي، ط1، 1990، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 88 و 89 .

1350 - النساء ، 109

1351 - الملك ، 22

1352 انظر المدخل لدراسة القرآن، أبو شهبة ، ص315، 317، ومناهل العرفان ، الزرقاني ، 376.1.

1353 - النحل ، 90

1354 - مجلة العلوم الإسلامية ، المجلد 13 ، العدد 2 ، جوان 2005 ، الجامعة الإسلامية، غزة، ص 59

النقط اصطلاح عليه السلف رضوان الله عليهم إلا وقد حاولوا به وجهاً من الصحة و الصواب ، وقصدوا به طريقاً من اللغة والقياس ؛ لموقعهم من العلم ، ومكانهم من الفصاحة ؛ عَلِمَ ذلك مَنْ علمه وجهه مَنْ جهله ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم" 1355 ، فالصحابه أول من تلقى القرآن و سمعه ، و أول من دوّنه و رسمه ، فلم يكن ذلك منهم كيف اتفق بل على أمر عندهم قد تحقّق. "1356

ذ - إدراك عظمة منزلة المتكلم و كلامه سبحانه و تعالى ، و الوقوف على جمال أسرار الوحي و كمال أحكام التشريع ، و جلال منهج ربّ العالمين ، و أثر التغيرات القرآني في بيان أسرار التغيرات في الرسم القرآني ، فالنبي صلى الله عليه و سلم يوم نزل عليه القرآن الكريم أمر الصحابة رضي الله عنهم " أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف أو نقصانها ؛ لأسرار لا تهتدي إليها العقول ، وهو سرّ من أسرار هذا الكتاب العزيز دون سائر الكتب السماوية ، وكما أنّ نظم القرآن معجز فرسه أيضاً معجز ، فكيف تهتدي العقول إلى سرّ زيادة الألف في " سعوا " في قوله تعالى: "وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٣٥٧﴾" ، وعدم زيادتها في قوله تعالى: "وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ﴿١٣٥٨﴾" ، فللقرآن أسرار لا تستفاد إلا بهذا الرسم ، فمن كتبه بالرسم التوقيفي فقد أداه بجميع أسراره، ومن كتبه بغير ذلك فقد أداه ناقصاً ، ويكون ما كتبه إنّما هو من عند نفسه لا من الله. "1359

ر - التمييز بين ما وافق رسم خط المصحف من القراءات القرآنية مع المتواتر والموافق للغة فيقبل و يقرأ به ، وما خالف الرسم القرآني فيردّ و يترك ذاك لأنّ موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً شرط من شروط قبول القراءة.

ز - الدلالة على بعض اللغات الفصيحة التي نزل بها القرآن الكريم قال الداني معلقاً على تعمد ترك نقط المصحف: " و إنّما أخلّى الصدر منهم المصاحف من ذلك و من الشكل من حيث أرادوا الدلالة على بقاء السعة في اللغات و الفسحة في القراءات التي أذن الله تعالى لعباده في الأخذ بها و القراءة بما شاءت منها فكان

1355 - المحكم في نقط المصاحف ، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق عزة حسن، ط 2، 1997، دار الفكر، دمشق، ص 196.

1356 - لطائف الإشارات ، القسطلاني، ج 1، ص 285

1357 - الحج ، 51

1358 - سبأ ، 5

1359 - الإبريز، عبد العزيز بن مسعود الدباغ ، ص 60 ، و انظر المدخل في دراسة القرآن ، ص 320 ، ومنهج الفرقان في علوم القرآن ، محمد علي سلامة ، ص 146.

الأمر على ذلك إلى أن حدث في الناس ما أوجب نقطها و شكلها " 1360 ، مثاله كتابة كلمة "رحمة" في بعض

المواضع بالتاء المفتوحة كقوله تعالى: " إن رحمت الله قربة من المحسنين " للإشارة إلى لغة طيء . 1361

س - توحيد الرسم القرآني من أهم عوامل توحيد الأمة الإسلامية في الفهم والعمل والسلوك و ما فعل عثمان بن عفان رضي الله عنه إلا دليل قوي على ذلك المقصد الشرعي الضروري ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يُعازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفرع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلِفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف نسسخها في المصاحف ثم تردّها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ؛ فإنما نزل بلسانهم ففعلوا ؛ حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق . " 1362

ش - الحفاظ على مقصد التوثيق الكامل للقرآن الكريم من خلال إلزام الناس بتلقي القرآن الكريم من أفواه القراء دون الاعتماد على الرسم القرآني لوحده خاصة فيما دلّ الدليل على تعيّن السماع والعرض فيه ، و كذلك فيما تعلّق وصف صحّة النطق عليه كمبحث الروم والإشمام والتسهيل والإمالة 1363 ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: " قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: " اقرأ عليّ القرآن . قلت: اقرأ عليك و عليك أنزل؟ قال: إني أحبّ أن أسمعه من غيري . " قال بن بطلان: " يحتمل أن يكون أحبّ أن يسمعه من غيره

1360 - المحكم في نقط المصاحف ، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ص 3

1361 - مجلة العلوم الإسلامية ، المجلد 13 ، العدد 2 ، جوان 2005 ، الجامعة الإسلامية، غزة، ص 59

1362 - رواه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ، رقم 4987.

1363 - البسط في القراءات العشر ، سمر العشا ، ص 36

ليكون عرض القرآن سنة "1364، وروى أبو عمرو الداني بسنده عن ابن وهب قال: "سمعت مالكا يقول: إنما أَلَفَ القرآن على ما كانوا يسمعون من قراءة رسول الله صلى الله عليه و سلم". 1365

ص - درء مفسدة التحريف و التصحيف من خلال منع تلقي القرآن من المصاحف، قال عبد الملك بن مروان: "الإعراب جمال للوضع و اللحن هجنة على الشريف" 1366 ، و روي أنّ حمّادا الراوية قرأ قوله تعالى: " و ما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلى عن موعدة وعدّها إياه " 1367 ، فجعل " أباه" عوض " إياه"، فقراها بالباء الموحدة 1368، و قرأ حمزة الزيّات قوله تعالى: " ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه"، فقراها: لا زيت فيه ، فقال له أبوه: دع المصحف وتلقى عن أفواه الرجال 1369 ، و روى إسماعيل بن محمد البصري قال: "سمعت عثمان بن أبي شيبة يقرأ: " وجعل السقاية في رجل أخيه " فقلت له: " ما هذا ؟ قال: تحت الجيم واحدة.

1370

ض - الوقوف على علل الرسم و قواعد توجيهه ، فقد علّل ابن الجزري بعض مسائل الرسم بقوله: " فانظر كيف كتبوا " الصراط " 1371 ، قال تعالى: " أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ ﴿٤٧﴾ " 1372 بالصاد المبدلة عن السين ، وعدّلوا عن السين التي هي الأصل ؛ لتكون قراءة السين وإن خالفت الرسم من وجه قد أتت على الأصل فيعتدلان ، وتكون قراءة الإشمام محتملة ؛ ولو كتب ذلك بالسين على الأصل لفات ذلك ،

- 1364 - فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني ، ج 9 ، ص 93
- 1365 - المنع في رسم مصاحف الأمصار ، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الدائي ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ، مصر ، ص 18 ، و الجامع لأحكام القرآن ، ل محمد بن أحمد القرطبي، طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ج 1 ص 20
- 1366 - العقد الفريد ، ابن عبد ربه ، ج 2 ص 480
- 1367 - التوبة ، 114
- 1368 - القراءات القرآنية، سالم مكرم ، ص 17
- 1369 - المصدر نفسه ، ص 18
- 1370 - تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ، السيوطي ، دار الكتاب العربي ، بيروت، ج 2 ص 175 ، و الذي أراه أن المنقول عن الأئمة الثقات من التحريف و التصحيف لا يقبله عقل راجح و لا واقع حالهم الذي دلّت عليه تراجمهم ، و قد أنكر هذا التحامل الحافظ ابن كثير فقال: " وما يتقله كثير من الناس عن عثمان بن أبي شيبة أنه كان يصحف قراءة القرآن فغريب جدا لأن له كتابا في التفسير و قد نقل عنه أشياء لا تصدر عن صبيان المكاتب.. انظر الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، ابن كثير ، تحقيق أحمد شاكر، ط1، 1983، دار الكتب العلمية ، بيروت، ص 166،
- 1371 - الفاتحة ، 6
- 1372 - الطور ، 37

وعدت قراءة غير السين مخالفة للرسم والأصل ؛ ولذلك كان الخلاف المشهور في "أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً ط فَأَذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٦﴾" 1373 دون " بسطة " 1374 ؛ لكون حرف البقرة كتب بالسين ، وحرف الأعراف بالصاد. 1375"

ط - لقد جمع القرآن الكريم في خلافة عثمان رضي الله عنه وفق طريقة خاصة في رسم الحروف و المفردات القرآنية و قد اعتمدوا في الأغلب على طريقة الجمع في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه التي توافق ما أقرّ عليه النبي صلى الله عليه و سلم كتبة الوحي على عهده ، و لقد اتّصف الرسم القرآني بوصفين: 1376

✽ - أولهما: انفراده بالإملاء الخاص في كيفية كتابة بعض الحروف و الكلمات في باب الهمز و الحذف و الزيادة و الذي جعل اللسان القرشي فيصل الترجيح عند الاختلاف كما دلّ على ذلك أمر عثمان رضي الله عنه لأعضاء اللجنة المكلفة بجمع القرآن الكريم.

✽ - ثانيهما: تجرّد رسم المصاحف عن النقط الذي تميّز به الحروف و عن الشكل الذي يظهر الإعراب و مع ذلك فإن سلامة النطق بالقرآن اعتمد فيها المسلمون على طريقتين هما:

❧ - الأولى: فصاحة اللسان العربي سليقة ، فقد دلّت على انتفاء اللحن و إدراك المعاني.

❧ - الثانية: التلقّي و المشافهة قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: " حفظت من في رسول الله صلى الله عليه و سلم بضعا و سبعين سورة " 1377 ، فدلّ ذلك على ثبوت الضبط في الصدور و وضوح الكتابة في السطور ، ثم صحّة الفهم و النظر في العقول.

1373 - الأعراف ، 69

1374 - البقرة ، 247

1375 - النشر ، 1، 12 ، و انظر الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها و سنن العرب في كلامها ، ص 18.

1376 - انظر الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، و محي الدين ديب مستو، ط 2، 1998، دار الكلم الطيب، دمشق، ص

98

1377 - صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن ، ج 6 ص 102 ، و صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، 4 ، 1912

ظ - الوقوف على ملامح الإعجاز القرآني الذي أودع الله تعالى سرّه في كتابه العظيم لفظاً و معنى ، و من ألوان إعجاز لفظه لطائف رسمه ، و عليه فقد وجب تلمّس أبعاده و مقاصده و استشفاف معانيه و دلالاته ، و تفقّد حقائق أمره و استخراج مكوناته الروحانية و أسرارهِ البديعة. 1378

مصائب العلماء في رسم القرآن:

الرسم العثماني منهج قويم في توثيق القرآن الكريم ، و مع إجماع العلماء على جلالته ، و عظمة منزلته إلا أنّهم اختلفوا هل هو توقيفي أم توفيقى؟ على ثلاثة مذاهب هي:

✽ - المذهب الأول: ذهب بعض العلماء إلى أنّ الرسم العثماني ليس توقيفياً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنّه اصطلاح ارتضاه عثمان رضي الله عنه وتلقته الأمة بالقبول ، و جوّز أصحاب هذا الرأي تغيير الرسم وفق ما تقتضيه قواعد الرسم الحديثة و ممن ذهب إلى هذا القول الباقلاني و ابن خلدون. 1379

✽ - المذهب الثاني: ذهب بعض العلماء إلى أنّ الرسم العثماني ليس توقيفياً بل توفيقياً فجوّزوا كتابته بقواعد الرسم الحديث لعامة المسلمين دون خاصتهم من العلماء ، و ذهب إلى هذا القول العز بن عبد السلام و وافقه الزركشي ، 1380 و مال إليه مصطفى المراغي 1381 ، و رجّحه الزرقاني بقاعدة المصلحة فقال: " هذا الرأي - رأي العز بن عبد السلام - يقوم على رعاية الاحتياط للقرآن من ناحيتين ناحية كتابته في كل عصر بالرسم المعروف وفيه إبعاد للناس عن اللبس و الخلط في القرآن الكريم، و ناحية إبقاء رسمه الأول المأثور يقرؤه العارفون و من لا يخشى عليهم الالتباس و لا شك أنّ الاحتياط مطلب ديني جليل خصوصاً في جانب حماية التزييل. " 1382

1378 - انظر الدلالات فوق التركيبية و رسم المصحف الشريف في ضوء علم اللغة الحديث، أحمد عبد التواب الفيومي ، ط 1 ، 2010 ، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ص 6

1379 - مناهل العرفان ، الزرقاني ، ج 1 ص 373

1380 - انظر البرهان للزركشي، ج 1 ص 379

1381 - تفسير المراغي ، ج 1 ص 15

1382 - مناهل العرفان ، الزرقاني ، ج 1 ، ص 285 و انظر لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، محمد بن لطفي الصباغ، ط 3 ،

1990 ، المكتب الإسلامي، بيروت ، ص 137

✽ - المذهب الثالث: ذهب جمهور العلماء سلفاً و خلفاً إلى أن رسم المصحف توقيفي 1383 ، يمنع تغييره و تحرم مخالفته ، و حكمه في التوقيف حكم ترتيب السور و الآيات. 1384

- تنقيح و تنجيز:

لقد حرص النبي صلى الله عليه و سلم على التوثيق القرآني ، و تجلّى ذلك في صورتين:

✽ - الأولى: التوثيق الصدري و شاهد بيانه الأمر بالتلاوة لنبيه صلى الله عليه و سلم: " لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ

لَتَعَجَلَ بِهِ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۝ " 1385

✽ - الثانية: التوثيق السطري فقد كُتب القرآن الكريم بين يدي رسول الله صلى الله عليه و سلم كما صرح

بذلك زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال: كنت أكتب الوحي عند رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو يملي

عليّ فإذا فرغت قال صلى الله عليه و سلم: اقرأ فأقرؤه فإذا كان فيه سقط أقامه ثمّ أخرج به إلى الناس" ، و

تشير بعض النصوص النبوية إلى إرشاد الرسول صلى الله عليه و سلم بنفسه كتابة الوحي إلى رسم الحروف و

الكلمات فقد قال معاوية رضي الله عنه و كان من كتابة الوحي عنده: " ألقى الدواة ، و حرّف القلم ، و

انصب الباء ، و فرّق السين ، ولا تعور الميم ، و حسنّ الله ، و مدّ الرحمن ، و جوّد الرحيم... " 1386 ، و من

هذا تأكّد العمل بالرسم القرآني من وجهين: 1387

✽ - أولهما: الإقرار النبوي للرسم الثابت بكتابة الصحابة بين يديه صلى الله عليه و سلم زمن التزول

القرآني ، و لو ثبت خلافه لدلّ عليه التزليل.

1383 - ينظر الإتقان ، 4، 145 ، والبرهان في علوم القرآن ، 1، 376-430 ، و رسم المصحف " دراسة لغوية تاريخية" ، غانم قدوري

الحمد ، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ، ط 1، 1982 ، 95-123 ، و الجامع لما يحتاج إليه المصحف ، ابن

وثيق الأندلسي ، تحقيق غانم قدوري الحمد ، دار الأنبار للطباعة ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط 1، 1408هـ-1988 ، 31-42.

1384 - رسم المصحف و ضبطه بين التوقيف و الاصطلاحات الحديثة ، شعبان محمد إسماعيل ، ط 2 ، 2001 ، دار السلام ، ص 63

1385 - القيامة ، من 16 إلى 19

1386 - تاريخ القرآن و غرائب رسمه و حكمه ، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي ، ط 2 ، 1953 ، دار الحلبي ، ص 190 ، و انظر لغة

القرآن ، دراسة توثيقية فنية ، أحمد مختار عمر ، ط 2 ، 1997 ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، الكويت ، ص 16

1387 - انظر التوجيه السديد في رسم و ضبط بلاغة القرآن المجيد ، أحمد بن أحمد شرشال ، حولية كلية الشريعة و القانون و الدراسات

الإسلامية ، جامعة قطر ، العدد 20 ، 2002 ، ص 19

❦ - ثانيهما: عمل الصحابة رضي الله عنهم، فكيف نقبل روايتهم للتزييل و درايتهم بالتأويل و نردّ ما كان بهم ألصق ، و عليه فإنّ كان الرسم القرآني توقيفا فقد وجب علينا اتباعه ، و إن كان اصطلاحا فقد رجح الأخذ به لرجحان منزلة فاعليه عدالة و علما و فهما و دعوة قال البيهقي: " من كتب مصحفا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به هذه المصاحف ، ولا يخالفهم فيه ، ولا يغيّر ممّا كتبه شيئا ، فإنّهم كانوا أكثر علما ، وأصدق قلبا ولسانا ، وأعظم أمانة ممّا ، فلا ينبغي أن يظنّ بأنفسنا استدراكا عليهم " 1388 ، و بهذا وقع الإجماع من خير الخلق، ثمّ " أجمعت عليه - الرسم - الأمة و تلقته بالقبول بترتيب آياته بل كلماته بل حروفه فليس لنا إلى إنكاره من سبيل... حجّة على القارئ و المقرئ إلى يوم الدين " ، 1389 سئل مالك بن أنس هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال: لا إلاّ على الكتابة الأولى " 1390 ، وقال الداني: " ولا مخالف له من علماء الأمة " 1391 ، و الأصل فيه التوقيف ، و حكم المكلفين إتباعه قال ابن تيمية: " ليس لأحد أن يقرأ قراءة بمجرد رأيه بل القراءة سنّة متّبعة " ، ثم قال: و سبب تنوّع القراءات فيما احتمله خطّ المصحف هو تجويز الشارع و تسويغه ذلك لهم ؛ إذ مرجع ذلك إلى السنّة و الاتّباع لا إلى الرأي و الابتداع " 1392 ، و إنّ ممّا يؤكّد أصل التوقيف في الرسم تجرّده عن أشكال الكتابة العربية مع ثبوتهما عند نزول القرآن فعن زياد بن أنعم قال: قلت لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: معاشر قريش هل كنتم تكتبون في الجاهلية بهذا الكتاب العربي تجمعون فيه ما اجتمع و تفرّقون فيه ما افترق هجاء بالألف و اللام و الميم و الشكل و القطع و ما يكتب به اليوم قبل أن يبعث الله تعالى النبي صلى الله عليه و سلم؟ قال: نعم. قلت: فمن علّمكم الكتاب ؟ قال: حرب بن أميّة. قلت: فمن علّم حرب بن أميّة ؟ قال: عبد الله بن جدعان. قلت: فمن علّم عبد الله بن جدعان ؟ قال: أهل الأنبار. قلت: فمن علّم أهل الأنبار ؟ قال: طارئ طراً عليهم من أهل اليمن من كندة. قلت: فمن علّم الطارئ ؟ قال: الجلجان بن الموهم كان كاتب هود نبي

1388 - ينظر شعب الإيمان ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،

1410هـ ، ج2ص547 رقم 2678 ، و البرهان في علوم القرآن ، 1.379.

1389 - رسم المصحف العثماني و أوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم، عبد الفتاح إسماعيل شليبي، ص 6 و قارن مع رسم المصحف و نقطه، عبد الحي حسين الفرماوي ص 115، و الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم، لبيب السعيد ص73.

1390 - الداني أبو عمرو ، المقنع في معرفة مباحث الأمصار ، ط 1 ، 1940 ، دار الفكر ، دمشق، ص 9 .

1391 - الإتيان ، 4 ، 146 ، و ينظر البرهان في علوم القرآن ، 1.379 .

1392 - مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ج 13 ص 399.

الله صلى الله عليه و سلم بالوحي عن الله عز و جل"1393، و بهذا ندرك أنّ الرسم مشروع كتابة قُصد به مخالفة قواعد الكتابة العامّة لاستيعاب جميع المقروء الثابت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال مكّي بن أبي طالب: " فالمصحف كتب على حرف واحد وخطّه محتمل لأكثر من حرف إذ لم يكن منقوطةً ولا مضبوطةً ، فذلك الاحتمال الذي احتمل الخطّ هو من الستة الأحرف الباقية "1394 ، وقال البغوي:" المصحف الذي استقر عليه الأمر هو آخر العرّضات على رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فأمر عثمان بنسخه في المصاحف ، وجمع الناس عليه ، وأذهب ما سوى ذلك قطعاً لمادة الخلاف ، وصار ما يخالف خطّ المصحف في حكم المنسوخ والمرفوع كسائر ما نسخ ورفع ، فليس لأحد أن يعدو في اللفظ ما هو خارج عن الرسم."1395

– هبة الله بن القاسم القرطبي بالرسم القرآني.

إنّ قوة الوثاق بين اختلاف القراءات القرآنية و الرسم القرآني تُظهر حاجة الأمة الإسلامية إلى ضرورة معرفة قواعد الرسم القرآنية و " الحاجة إليه كالحاجة إلى سائر علوم القرآن بل أهمّ ، و وجوب تعليمه أشمل و أعمّ إذ لا يصحّ معرفة بعض ما اختلف القراء فيه دون معرفته "1396 ، و تتجلى حقيقة هذه الوثاق في أنّ القرآن حتّى و إن كُتب بالرسم الإملائي فإنّه لا يتلى على حقيقته الشرعية إلا بقاعدة التلقي و السماع ، و لأنّ في الرواية كفيات متواترة في أداء القرآن الكريم لا تدرك إلا بالمشافهة ، و لا تضبط إلا بالسماع كمقادير المدود و صيغ الإمالة و مراتب الغنة و صفة الإشمام و الروم ، " فلا يتوصّل إلى حقيقة اللفظ بها إلا بالمشافهة من فم القارئ دون الضبط و الخط "1397، و لا تكتمل المشافهة إلا " من العالم مع رياضة و تفهّم و

1393 – انظر تاريخ الكتابة العربية من: المصاحف لابن أبي داود ، ص 4 ، وفتوح البلدان، البلاذري، ص 471 ، و الاشتقاق ، ابن دريد ، ص 223 ، و شرح شواهد المغني، السيوطي – ترجمة عدي بن زيد – ، ص 161 ، و الخكم في نقط المصاحف، أبو عمرو الداني، ص 26 1394 – فتح الباري لابن حجر العسقلاني ، 9 ، 24 ، 25.

1395 – انظر شرح السنة ، البغوي ، 4، 225، و فتح الباري ، ابن حجر، 9، 39، و المرشد الوجيز لأبي شامة المقدسي، ص 144 1396 – انظر مخالقات النساخ و لجان المراجعة و التصحيح لمرسوم المصحف الإمام ، أحمد بن أحمد شرشال ، ط 1 ، 2002 ، دار الحرمين ، القاهرة، ص 33، نقلا عن هجاء مصاحف الأمصار ، لأبي العباس المهدي ، ص 75 1397 – انظر مخالقات النساخ و لجان المراجعة و التصحيح لمرسوم المصحف الإمام، أحمد بن أحمد شرشال، ص 29 نقلا عن أصول الضبط لأبي داود سليمان بن نجاح ، ص 24

تعلم" 1398 ، و إلا كيف يستساغ جعل أئمة القراءة موافقة الرسم العثماني شرطاً لقبول القراءة القرآنية 1399 ، بل أوجبوا بعد اشتراطه التزامه و الأخذ به ، فمنعوا مخالفته بالإجماع كما نقل ذلك الزركشي 1400 ، و من هذا المنطلق فليس " للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة ، وإنما هو توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها لأسرار لا تهتدي إليها العقول ، وهو سرّ من الأسرار خصّ الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية ، وكما أنّ نظم القرآن معجز فرسمه أيضاً معجز" 1401 ، و إنّ من مفاسد تغيير الرسم القرآني تصحيف حرف أو تحريف كلمة قال أحمد بن حنبل: " تحرم مخالفة خطّ مصحف عثمان في واو أو ألف أو ياء أو غير ذلك " 1402 ، أو تغيير معنى قطعي، أو إسقاط قراءة متواترة ثابتة ، أو ذهاب لهجة عربية صحيحة 1403 ، و قال الزمخشري عند تفسير قوله تعالى: " ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا " 1404 " وقرئ " نبغ " بغير ياء في الوصل ، وإثباتها أحسن ، وهي قراءة أبي عمرو 1405 ، وأمّا الوقف فالأكثر فيه طرح الياء لخط المصحف. 1406"

- إجازات الرسم القرآني و تصوير النيب الجوهري

- 1398 - انظر مخالفات النساخ و لجان المراجعة و التصحيح لمرسوم المصحف الإمام، أحمد بن أحمد شرشال، ص 29 نقلا عن أصول الضبط لأبي داود سليمان بن نجاح، ص 137
- 1399 - ابن الجزري محمد بن محمد، طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق علي بن محمد الضباع، ط 1 ، 1950 ، مصطفى الباي الحلبي وأولاده، القاهرة، ص 3
- 1400 - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 256 .
- 1401 - السلجماسي أحمد بن المبارك ، الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، مطبعة مصطفى الباي الحلبي، ط 1961 ، القاهرة ، ص 101، والزرقي، مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1 ، ص 376
- 1402 - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1، ص 379 .
- 1403 - مخالفات النساخ و لجان المراجعة و التصحيح لمرسوم المصحف الإمام، أحمد بن أحمد شرشال، ص 34
- 1404 - الكهف، 64.
- 1405 - قرأ "نبغ" وصلاً كلّ من نافع وأبي عمرو والكسائي وأبي جعفر، وقرأ بـ"نبغي" في الخالين كل من ابن كثير ويعقوب ، ينظر البحر المحيط 147.6، و إتخاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، أحمد البنا، تعليق محمد الضياء ، دار الندوة الجديدة ، بيروت، 292 ، و معجم القراءات القرآنية، عبد العال سالم مكرم، و أحمد مختار عمر، ط 3، 1408هـ - 1988، مطبوعات جامعة الكويت، 381،3.
- 1406 - الكشف ، 2، 733، وينظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، فاضل صالح السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، ط 1422هـ - 2002 ، 20-21.

إنّ منهجنا في فهم الرسم القرآني ما ذكره ابن البناء المراكشي في عنوانه: "إذا بطنت حروف في الخطّ و لم تكتب فلمعنى باطن في الوجود عن الإدراك ، و إذا ظهرت فلمعنى ظاهر في الوجود إلى الإدراك كما إذا وصلت فلمعنى موصول ، و إذا حجزت فلمعنى مفصول، و إذا تغيّرت بضرب من التغيّر دلّت على تغيّر في المعنى في الوجود يظهر في الإدراك بالتدبّر" 1407 ، و من نماذج الإعجاز في الرسم القرآني ما ثبت في قوله تعالى: "وَالسَّيْقُوتِ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" 1408

- التوثيق القرائي 1409.

✽ - قراءة الجمهور: حذف أداة " من " الجارّة ، و فتح تاء المفعول فيه " تحتها " ، فقرئت " تجرّي تحتها الأنهار " .

✽ - قراءة ابن كثير: ذكر أداة " من " الجارّة ، فقرأها " تجرّي من تحتها الأنهار " و هي كذلك في مصاحف أهل مكة .

- التوجيه القرائي .

لقد جاءت القراءتان القرآنيتان في نظم موجز بمعنى معجز تلوّنت دلالاته بأداة التغير القرائي ليشير اختلاف الرسم القرآني بإعجازه الدقيق إلى بيان حقائق شرعية و رقائق ربانية على النحو التالي:
لقد ورد النص القرآني بإثبات حرف " من " في قوله تعالى: " جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ " في أربعة وثلاثين موضعاً في القرآن الكريم 1410 ، فدلّ حرفُ الخفض " مِنْ " على ابتداء الغاية 1411 ، ولفظ الجنّات

1407 - عنوان الدليل من مرسوم خط التزليل، ابن البناء المراكشي، ص 34

1408 - التوبة ، 100

1409 - انظر المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق نورة بنت حسن بن فهد الحميد، ط 1 ، 2010 ، الدر التدمرية ، الرياض ، ص 580 ، و ابن مجاهد ، السبعة ، 317 ، و مكّي ، التبصرة ، 216 . و فتح القدير، الشوكاني، ج2 ص398 .

1410 - المواضع هي: البقرة 266 ، و آل عمران 136 و 195 و 198 ، والنساء 13 و 57 و 122 ، والمائدة 12 و 85 و 119 و التوبة 72 و 89 ، و الرعد 35 ، و ابراهيم 23 ، و النحل 31 ، و طه 76 ، و الحج 14 و 23 و الفرقان 10 ، و العنكبوت 58 ، و الزمر 20 ، و محمد 12 ، و الفتح 17 ، و الحديد 12 و المجادلة 22 ، و الصف 12 ، و الطلاق 11 ، و التحريم 8 ، و البروج 11 ، و البينة

على معنى البستان ، و المراد ما في الجنة من الأشجار اليافعة و الثمار اليانعة دون أرضها لهذا قال جلّ وعلا: "تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ" 1412 ، فدلّ بذلك على سعة الأنهار من خلال نسبة فعل الجري لها، وإنما يجري الماء وحده توسعا وتجوّزا 1413، و من هذا فإنّ مبدأ جريانِ أنهارِ الجنّاتِ إنّما هو أصولُ أشجارها ، فهي منابع انبجاس الماء و مصادر انفجاره ليبيّن عظمة الجنّات بجعلها أصل الماء الفرات ، و أساس الريّ العذب الزلال لينبئ عن وصف الدوام في الجنّات إشارة إلى أنّ الله تعالى جعل أصل بقائها منها ، أمّا قوله تعالى: " جنّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ " على قراءة حذف حرف الجر فإنّ المقصود إخفاء أصول المياه ، و إهمام منابع الأنهار ، و ما الجنان إلّا ظرف مكاني أسفله مجرى مياه الأنهار 1414 قال ابن أبي مريم: " و الوجه أنّ من أدخل " من " فقد جعل " تحت " اسما و لم يجعله ظرفا ، كما أنّ فوق قد تأتي و يراد بها الاسم قال الله تعالى: " هُمْ مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ " ذَلِكَ تَخَوُّفُ اللَّهِ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبادِ فَاتَّقُونِ ﴿١١٥﴾ " 1415 ، و المراد من أعلاهم و من أسفلهم ، فإذا دخل " من " خرج عن كونه ظرفا لأنّ دخول الجار منع من تقدير جار آخر، و من نصب " تحتها " و لم يدخل " من " جعل " تحت " ظرفا و قدّر معنى " في " و جعلها مفعولا فيه ، و الفرق بين القراءتين في المعنى أنّه إذا ألحق "من" أفاد أنّ " الأنهار " مبدأ جريها من أسفل الجنّات لأنّ " من " لابتداء الغاية و من نصب و لم يلحق "من" أفاد أنّ الأنهار جارية من جهة أسفلها " 1416 ، وقال ابن الجزري: " يحتمل أنّه إنّما لم يكتب " من " في هذا الموضع لأنّ المعنى : ينبع الماء من تحت أشجارها لا أنّه يأتي من موضع ويجري من تحت هذه الأشجار ، وأمّا في سائر القرآن فالمعنى أنّها تأتي من موضع وتجري من تحت هذه الأشجار ، وتكون هذه الجنّات في الآية الكريمة معدّة لمن ذكر تعظيماً لأمرهم وتنويهاً بفضلهم و إظهاراً لمزلتهم لمبادرتهم التصديق بهذا النبي الكريم - عليه من الله أفضل السلام وأكمل التسليم ، ولمن تبعهم بالإحسان والتكريم. والله تعالى أعلم " 1417 ، و في هذا المعنى المراد دلالات:

1411 - البحر المحيط، لابن حيان ، ج 1 ص112

1412 - انظر جامع البيان ، للطبري ، ج1 ص170 .

1413 - انظر البحر المحيط، ج1 ص113

1414 - انظر جامع البيان للطبري ، ج1 ص170 ، وزاد المسير لابن الجوزي، ج1 ص52 .

1415 - الزمر ، 16

1416 - انظر الموضح في وجوه القراءات و عللها، ابن أبي مريم ، ج2 ص603

1417- النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، 2 ، 280

❖ - الأولى: الإشارة إلى عظمة النعيم المخصوص 1418 قال تعالى: " إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حُزُوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٤١٨﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٤١٩﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١٩﴾ " ، و لقد قصد بالحذف " زيادة اختصار حالة جري الأثمار إذ الأثمار لا تكون في بعض الأحوال تجري من فوق ، فهذا الوصف جيء به لتصوير الحالة للسامع لقصد الترقيب" 1420 ، و ليس لحرف " من " معنى مع أسماء الظروف إلا التأكيد ويكون خلو الجملة من التأكيد لحصول ما يغنى عنه من إفادة التقوى بتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي ، ومن فعل " أَعَدَّ " المؤذن بكمال العناية فلا يكون المعد إلا أكمل نوعه " 1421 قال الرازي: " لم يبين أنهم سابقون في ماذا فبقي اللفظ مجملا إلا أنه وصفهم مهاجرين و أنصارا، فوجب صرف اللفظ إلى ما به صاروا مهاجرين وأنصارا. " 1422

❖ - الثانية: بيان عظمة منزلة الزمرة المخصوصة التي رفع الله تعالى في الملا الأعلى قدرها ، و أعلى في العالمين مقامها ، إذ اجتباها بأعمال مخصوصة دلّ عليها القرآن الكريم في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوْا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٤٢٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿١٤٢١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوْا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١٤٢٢﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٤٢٣﴾ " ، و قوله عز و جل: "لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٤٢٤﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ

1418- إعجاز رسم القرآن، محمد شملول، ط3، 2010، دار السلام، القاهرة، ص182 .

1419 - السجدة ، 15 ، 16 ، 17.

1420 - ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 2 ص 33 .

1421 - التحرير والتنوير، ابن عاشور ، ج 6 ص 19 .

1422 - انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي ، ج 15، ص168

1423 - الأنفال ، 72 إلى 75

وَالْإِيمَانِ مِنْ قَبْلِهِمْ تَحْبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا تَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٤٤٥﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٤٦﴾" 1424 ، و قوله سبحانه: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٤٤٥﴾ وَءَاخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٤٤٦﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٤٤٥﴾" 1425 قال الطبري: "الذين سبقوا الناس أولا إلى الإيمان بالله ورسوله "من المهاجرين" الذين هاجروا قومهم و عشيرتهم ، وفارقوا منازلهم وأوطانهم ، " الأنصار" الذين نصرُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه من أهل الكفر بالله و رسوله ، " والذين اتبعوهم بإحسان " الذين سلكوا سبيلهم في الإيمان بالله ورسوله ، والهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام "رضي الله عنهم ورضوا عنه." 1426

✽ - الثالثة: الترغيب في الإيمان والعمل الصالح من خلال دعوة العقل الإنساني إلى السياحة في آفاق التأمل في الجنان ، و رحاب التدبر في القرآن من خلال فنية التخيل البديعية التي تقوم على " تصوير حقيقة الشيء حتى يتوهم أنه ذو صورة تشاهد و أنه مما يظهر في العيان " 1427 ، فتوظيف الخيال لتصور مشاهد التعميم كما يوسع الأمل في السعي و الهمة في الطلب قال مسروق : " الجنة تجري في غير أخاديد ، وأنها تجري على سطح أرض الجنة منبسطة " 1428 ، فدلّ الذكر على دخولهم في التعميم إجمالا للدلالة على شرط التوحيد و بالحدف خصّهم بأنواع التعميم تفصيلا للدلالة على كمال الأفضلية و جلال المترلة عند الله تعالى ، و بهذا تظهر ميزة السابقين الأولين في الإيمان و في الزمان و المكان 1429 قال صلى الله عليه و سلم: " خير القرون قرني .. " ، و قد يزداد تخيل التعميم سعة و روعة إذا اعتبرنا ثبوت التمايز بين السابقين و حصول التفاضل فيما بينهم ، و

1424 - الحشر ، 8 إلى 10

1425 - الجمعة ، 2 إلى 4

1426 - تفسير الطبري، ج6 ص453

1427 - المجيد في إعجاز القرآن المجيد، كمال الدين عبد الواحد بن خلف الأنصاري الزملاكي، تحقيق شعبان صلاح ، ط 1 ، 1989 ،

دار الثقافة العربية ، القاهرة، ص 165

1428 - البحر المحيط، أبو حيان ، ج1 ص 113 .

1429 - انظر الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، ج5، ص321 ، و جند الله ثقافة وأخلاقا ، سعيد حوى، دار السلام، القاهرة، ط2،

1998م، ص166

يؤكد هذه الحقيقة ثبوت التغيرات القرائي في لفظ الأنصار فقد قرأ عمر بن الخطاب و أبي بن كعب و الحسن و قتادة و يعقوب برفع الراء عطفًا على لفظ " السابقون " 1430 على معنى التشريك في السبق بين المهاجرين و الأنصار ، و قرأ الجمهور بجرّ الراء عطفًا على لفظ " المهاجرين " 1431 ، و كذلك لفظ " الذين اتبعوهم " 1432 ، فقد قرأ عمر بن الخطاب بغير الواو صفة للأنصار ، و قرأ الجمهور بالواو عطفًا على ما سبق ، قلت: إنَّ السرّ في حذف " من " من الآية هو اجتماع لذات النعيم في الجنة في صورتَي عالم الشهادة و الغيب ، - و أوتوا به متشابهًا - ثمَّ إكرامهم بمزية انفراد حقيقة نعيمهم في الآخرة عن نعيم الدنيا ، و بما أنَّ التفاضل في نعيم الجنة ثابت فإنَّ المزية في ذلك ترجع إلى التفاضل في مراتب الأعمال و منازل الرجال و لا أفضل مرتبة من مرتبة النبي صلى الله عليه و سلم و صحابته و التابعين - كما ثبتت تركيبتهم في القرآن و السنّة إجمالًا و تفصيلًا - ، و لهذا فإنَّ السبق إلى الدين و الهجرة من أجله و نصره منهجه و إخلاص المتابعة له هي من أعظم خلال الأفضلية ، و هذا إشارة إلى منزلة أهل القرون الفاضلة في الدنيا و الآخرة و الله أعلم.

- التغيرات القرائية والإجاز التصويبية:

- الإجاز التصويبية " النفس المعرّضة عن اللقّ نموذجًا " .

و مثلت له بقوله تعالى: " فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿١٤٣﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴿١٤٤﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿١٤٥﴾ بَلْ

يُرِيدُ كُلُّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ أَن يُوْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةٌ " 1433

- التوثيق القرائي 1434

✽ - قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر بفتح فاء لفظ مستنفرة.

✽ - قرأ الباقر بكسرها مستنفرة.

1430 - البحر المحيط ج 5 ص 92 ، و المختسب لابن جني، ج 1 ص 300 ، الكشاف للزمخشري، ج 2 ص 55 ، و النشر ج 2 ص 280 .

1431 - التذكرة في القراءات الثمان، ص 359 ، و معاني الزجاج، ج 2 ص 466 ، و الدر المصون، ج 3 ص 497 .

1432 - جامع الطبري، ج 11 ص 8 ، و جامع القرطبي، ج 8 ص 238 ، و روح المعاني، الألويسي، ج 11 ص 8 .

1433 - المدثر ، 49 - 52

1434 - انظر الإتحاف ، 562 ، والكشف 2 - 347 ، و النشر 2 - 393

لقد صور القرآن المشركين في إعراضهم المستبشع عن القرآن واستكبارهم المستشع عن الحقّ فبدأ مشاهد تصوير حالهم مع الوحي الكريم بالاستفهام الإنكاري ، و وصف إعراضهم بالتعجب الإنكاري من خلال براعة الاستهلال بحسن الاستفتاح بصيغة " فما لهم " الدالة على التعجب والإنكار- و هي في القرآن كثير - من إصرارهم على الباطل ، ومن إعراضهم عن الحقّ مع وضوح الدلائل المرشدة ، و ظهور البيّنات الهادية 1435، و يزداد الاستفهام تعجباً، والإنكار توسعاً أنّ المرصّ عنه تعيّن فيه خصال الخير كلّها فهو العظة البالغة لهديتهم ، 1436 و الوحي المعصوم لصالحهم ، 1437 و الشرف العالي لسعادتهم في الدنيا والآخرة ، 1438 و البيان الشافي لأحكام معاشهم و معادهم ، 1439 ومن هنا جاء الاستفهام يحمل وصف الإنكار التعجبي ليصوره بهوله ، و يرسمه بفضاعته ، ليظهر الإعجاز بالتصوير البارع في الحقائق التالية:

* - الإيجاز التصويري بين التيسير والتشبيّه:

التجسيم إبراز المعاني المجردة المدسوسة ، و تجسيدها في أجسام متحرّكة محسوسة ، و لقد وظّف الإعجاز القرآني أداة التصوير لينقل المعاني القرآنية من التجريد إلى حياة الحركة ، أمّا التشخيص فهو تحويل مظاهر الطبيعة الجامدة و الانفعالات النفسية الباطنية إلى شخوص حيّة متحركة ، في صورة مجازية بليغة يستعمل فيها " اللفظ لغير ما وضع له في أصل اللغة لعلاقة قد تكون المشابهة ، أو السببية ، أو الزمانية ، أو المكانية " 1440 لتجول الحواس في رحاب الوجود ، و تصول متدبّرة معاني القرآن المسطور بتأمّل مشاهد الكون المنظور ليفتح لها آفاق التخيل ، 1441 و التصوير فيتمثّل لها المعنى في الخيال 1442 مصوّراً بصورته

1435 - التفسير الوسيط ، 15 - 270

1436 - و الشاهد من الاستعمال القرآني قوله تعالى: "نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ" سورة ق الآية 45

1437 - و شاهد المعنى من الاستعمال القرآني قوله تعالى: "أَلَيْسَ الَّذِي عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ" سورة القمر - 25

1438 - و الشاهد من الاستعمال القرآني قوله تعالى: "وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ" سورة المؤمنون - 71

1439 - و شاهد المعنى من الاستعمال القرآني قوله تعالى: "أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" سورة الأعراف ، 63

1440 - انظر إنعام نوال عكاوي ، المعجم المفضل في علوم البلاغة ، مراجعة أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1992 ، ص 693

1441 - انظر محمد دالي الوحدة الفنية في القصة القرآنية ، ط 1 ، 1993 أمون للطباعة و التجليد ، ص 215

البدیعة فی منظر تظهر به حياة المعاني فی لوحات طبيعية رائعة الجمال 1443، ولقد فتح التصوير القرآني للعقل الإنساني آفاق التأمل فی مظاهر إعراض الكافرين المتنوعة ، ثم استحضر وجوه لفظ الإعراض و نظائره فی القرآن ليقف على وجوهه الشنيعة ، و درجاته المتفاوتة ، و مفسده الخطيرة ، لينطلق العقل فی عملية تأملية من خلال المقارنة السهلة بين الذوات المموسة - الكفار و الحمر الوحشية - و الأفعال المحسوسة - الإعراض و النفور و الفرار - ليتطابق كمال الإعجاز القرآني التصويري مع المعاني المرادة من المقارنة ، و بهذا تجتمع مشاهد المباني مع حقائق المعاني فی صورة كمال الحياة كاجتماع الجسد بالروح " فاللفظ جسم ، و روحه المعنى ، و ارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته " 1444 ، و مما يزيد الإعجاز التصويري قوة و دلالة القطع بحمل التشخيص فی القرآن على حقيقته دون تأويل ليكون أداة مقصودة فی بيان المعاني و توضيح الأحكام ، و لاحتفائه بقرائن الفهم و الإدراك ، و بمقامات الحال المفسرة لمقاصد الخطاب ، و لما كان المقصد من التشبيه كشف المعاني و إيضاها و جب كمال الملاءمة بين المشبه و المشبه به ، و حتى يتحقق هذا المقصد شبه القرآن أحوال الكفار و مشاهد إعراضهم بالحمر الوحشية النافرة من الحيوان المفترس ، 1445 فأوحى وصف الملاءمة فی الصورة البيانية الرائعة بجملة من لطائف الإعجاز التصويري منها:

- أ- تشبيه الكفار المعرضين بالحمر الوحشية النافرة فيه إشارة بالغة على منتهى الحمق و الخرق ، و كمال الجهالة و السفاهة ، 1446 و لا أدلّ على ذلك من إنكار الحقّ بعد بيانه ، و من ردّ الخير بعد ظهوره.
- ب- تشبيه صورة ثبات النفور و دوامه و شدّته بسرعة عدو الحمر الوحشية حين ترى قانصها ، و بحفّتها حين تحسّ بجرّكة مفترسها ، 1447 و هذا تصوير فيه دقّة تستجلي وقائع الإعراض الطائشة ، و مظاهره

1442 - الخيال هو الملكة المولدة للتصورات الحسية بالنسبة للأشياء المادية الغائبة عن النظر، و هو نوعان: الأول تستعاد فيه الصور التي سبقت مشاهدتها، فهو تذكّر و استحضار ، و الثاني يعتمد على صور سابقة لتوليد صور جديدة فهو فن و إبداع . انظر جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط 2، 1984 ، ص 2

1443 - انظر الكشاف، ج 3 ص 226

1444 - ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر و نقده، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، 1 ، 124 ، و انظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح ياسين الأيوبي، ط 1 ، 2002 ، المكتبة العصرية ، بيروت،

1445 - البلاغة فنونها و أفنانها، علم البيان، فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، الأردن، 2 ، 96

1446 - احرر الوجيز 5 - 399

1447 - البحر المحيط 8 - 372

المشينة ، كما تستنطق دقائق العناد القبيح و أعماقه الخبيثة من خلال مسلك دلالة العموم في لفظ التذكرة الذي استغرق معاني أفراده.

ت- تعميق حقيقة التصوير في الأنفس من خلال دلالة الحدود المقيدة لمشهد التشبيه " فمن عادة القرآن في رسم صورة التشبيه أن يذكر فيها من القيود وأحوال الصياغة ما يجعلها معبرة تعبيراً دقيقاً عن الغرض المسوقة فيه ، وهذه القيود والأحوال شأن في صورة التشبيه لا ينتبه إليها إلا المعنى بإبراز نواحي الجمال ، وسرّ البلاغة في الأسلوب " ، 1448 و من الأدوات التي زادت التصوير براعة و مشاهد التشخيص نصاعة قيدان:

❧ - وصف المشبه به بوصف النفور " حمر مستنفرة " ، والنون والفاء والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على التجافي و التباعد 1449 ، و استنفر الدابة كَنَفَرٌ ، و الإنفار عن الشيء و التَّنْفِيرُ عنه و الاستنفار كله بمعنى ، و الاستنفار أيضا التُّفُور ، و من قرأ مستنفرةً بكسر الفاء فالمعنى نافرة ، و من قرأ مستنفرةً بفتح الفاء فالمعنى منفرةٌ أي مذعورةٌ 1450 ، و لقد زاد التغير القرائي التصوير دقةً ، و المعنى عمقا حينما ورد لفظ التغير " مستنفرة " - بصيغة الفاعل و اسم المفعول - على قراءتين ، فعلى قراءة الكسر " مستنفرة " أي نافرة 1451 يكون النفور فيها جبلةً و طبيعة، وعلى قراءة الفتح " مستنفرة " منفرة - مدفوعة إلى النفور - يكون النفور فيها جهدا و اجتهادا ، و تزداد ظلال اللفظ إيضاحا و تجسيدا دخول حرفي السين و التاء صياغة المفردة القرآنية ليفيد المبالغة في إثبات هذا النفور 1452 ، ففي " الاستقبال من الطلب قدراً زائداً على الفعل المجرد كأنها تواصلت بالنفور ، و تواطأت عليه " ، 1453 و الغالب في صيغة " استنفر " أن حروف

1448 - محمد حسين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، القاهرة ، ص 407

1449 - معجم مقاييس اللغة ، 5 - 459

1450 - لسان العرب ، 5 - 224

1451 - مجاز القرآن ، 2 - 276

1452 - التحرير و التنوير ، 29 - 330

1453 - التفسير القيم، ابن قيم الجوزية ، ط1، 1990 ، دار الهلال ، بيروت ، 503

الزيادة فيها تفيد المبالغة و كأن الحمر لشدة العدو تطلب التّفار من نفسها ، والمعنى مشبّهين بحمر نافرة

جدا. 1454

✎ - تنكير المشبّه به للدلالة على التفخيم ، و عليه فإنّ " مجيء لفظ في القرآن معرفة ، ومجيء لفظ آخر نكرة ، ومجيء لفظ في موضع معرفة ونكرة في موضع آخر ، لم يكن مصادفة في القرآن ، إنّما هو مقصود في كل موضع ، ومجيء به على تلك الحالة لينسجم مع السياق الذي ورد فيه ، ويتناسق معه " 1455 ، و من هذه القاعدة فإنّ تنكير لفظ الحمر أفاد لزوم صفة الوحشية للحمر فنفي التنكير عنها وصف الأهلية كما أضاف التّوين تفخيم هذه الصفة و تعظيم ما فيها من النّفور مع استصحاب وصف النّفور بوجهي التّغايير القرآني.

ث - دلالة التقديم و التأخير على إعجاز التصوير إذ " هو باب كثير الفوائد ، جمّ المحاسن ، واسع التصريف بعيد الغاية لا يزال يفترّ لك عن بديعة ، ويفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعرا يروك مسمّعةً ، ويلطف لديك موقعه ، ثمّ تنظر فتجد سبب ذلك أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء ، وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان " 1456 ، و التقديم و التأخير في القرآن أسلوب مقصود و يقع " بأحد خمسة أشياء إمّا بالزمان ، وإمّا بالطبع ، وإمّا بالرتبة ، و إمّا بالسبب ، و إمّا بالفضل والكمال " 1457 ، ولقد تقدّم الجار و المجرور " عن التذكرة " عن متعلّقه " معرضين " ، و في التقديم دلالة على معنى الاختصاص المبين لإعراضهم الكبار ليشير إلى أنّ الجار و المجرور مفعول في المعنى كما يبرز عظمة ما أعرضوا عنه ، وكشف منزلة الاهتمام بالمقدّم و العناية البالغة به ، فيكون التقديم لواء دعوة لهم إلى الإيمان ، و دلالة تسفيه عقولهم لجرم ما اقترفوا و جهل ما تركوا.

1454 - روح المعاني، 29 - 134 و انظر النكت للرماني، ص 78 ، و إعجاز القرآن البياني بين النظرية و التطبيق، حفي شرف ، ط 1970 ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ص 339 ، و من أساليب البيان في القرآن ، محمد علي أبو حمدة، ط 1 ، 1978 ، عمان ، الأردن، ص 76 .

1455 -صلاح الخالدي ، إعجاز القرآن البياني ، 230 .

1456 - دلائل الإعجاز ، 83.

1457 - انظر ابن القيم ، بدائع الفوائد، ص 69، و التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، حميد احمد عيسى العامري، ط1، 1996، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص 158.

ج - عدول لفظ الإعراض من صيغة الفعل إلى صيغة الاسم " معرضين " للدلالة على ثبوتهم على وصف الإعراض و دوامهم عليه ، وكأنّ إعراضهم كفر تأصل في قلوبهم ، و تأسّس في نفوسهم ، ليفيد عموم الذمّ ، يشهد لهذا الإيجاء ورود المفردة إيجاز قصر لتجمع كلّ معاني صورة الإعراض عن الحقّ.

* - عناصر الإيجاز التصويري:

الصورة ريشة ترسم معاني الحياة على مشاهد اللوحات ، و لقطة تضفي دلالات الحركة على المجسّدات ، فتمنح المصوّرات " الحركة و اللون و الإيقاع ، ما يجعله ربّما أجمل من واقعه ، و أكثر من ذلك أنّ المصوّر الفني يضفي من روحه و ذوقه وثقافته على الصورة الفنية ما يعجز المصوّر بالآلة عن الإتيان به ، فالصورة بالآلة تحكي شيئاً واحداً، و وضعاً واحداً ، و معنى واحداً ، و لحظة واحدة ، بينما تحكي الصورة الفنية أشياء ، و تتحرّك في أوضاع ، و توحى بمعان كما أنّها تنسب إلى مصورها. "1458

إنّ التصوير فنّ عجيب و مسلك رهيب يخرج خبء المدسوس فيصيرّه محسوساً ، و يلج مداخل الأنفس فيصف المشاعر و يرسم الإحساس فهو " الصورة المحسّنة عن المعنى الذهني ، و الحالة النفسية ، و عن الحادث المحسوس ، و المشهد المنظور ، و عن النموذج الإنساني ، و الطبيعة البشرية ، ثمّ يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة.. ، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة ، و إذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ، و إذا النموذج الإنساني شاخص حي ، و إذا الطبيعة البشرية مجسّمة مرئية ، فأما الحوادث و المناظر ، و القصص فيردها حاضرة ، فيها الحياة ، و فيها الحركة ، فإذا أضف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخيل.. ، حتى يحيل المستمعين نظارة تتوالى المناظر ، و تتجدّد الحركات ، و ينسى المستمع أنّ هذا كلام يتلى، و مثل يضرب ، و يتخيّل أنّه منظر يعرض ، و حادث يقع.. فإذا ما ذكرنا أنّ الأداة التي تصوّر المعنى الذهني و الحالة النفسية ، و تشخّص النموذج الإنساني ، أو الحادث المروي إنّما هي ألفاظ جامدة لا ألوان تصور ، ولا شخوص تعبّر أدركنا بعض أسرار الإعجاز في هذا اللون من ألوان التعبير "1459 ، و لقد أشار الإعجاز التصويري في التغيرات القرائي إلى جملة من الخصائص منها:

أ- الإعجاز التصويري و دقّة التناسق بين المشاهد.

1458 - منير سلطان، الصورة الفنية في شعر المتنبي ، ط 2002 ، منشأة المعارف ، الإسكندرية، ص149

1459 - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ، ط 3، 1993، دار الشروق ، القاهرة، ص36

لقد أظهر الإعجاز بالانتقال - من خلال مسلك القرينة النحوية "بل" في مشاهد إعراض الكفّار عن الحقّ - بين المشاهد التصويرية لطيفة إعجاز التناسق في رسم ملامح الصورة بتحقيق التلاؤم بين أجزائها المشخّصة ، وتوزيعها بانتظام بديع متجانس بعيدا على التنافر و الاكتظاظ 1460 ، فبدأ بأول مشهد ليرسم الصورة بالاستفهام الإنكاري بقوله: "فَمَا هُمْ عَنِ التَّدْكِرَةِ مُعْرِضِينَ" ، ثمّ ينتقل للمشهد الثاني فيصوّر شناعة الإعراض في لوحة طبيعية مجسّمة شخّصت ملامحها وجوه التغيرات القرائي بقوله: "كَأَنَّهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ" ليحيل العقل عليها فيسبح في آفاق الخيال ليحكم بالمقارنة التأمّلية على صورة الإعراض المقيت ، ثمّ ينتقل للمشهد الثالث فيزيد الصورة نصاعة ، و المشاهد وضاحة ، و ظلال المعاني عمقا وكثافة بقوله: "فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ" لتؤوّل المقارنة بالعقل المتدبّر فيصير قوّة الحقّ في شجاعة القسورة ، و ضعف الباطل في نفور الحمر ، ثمّ ينتقل للمشهد الرابع ليصوّر اجتماع الإعراض بالسخرية و العناد ليقف على علّة مرض القلوب في هجر الخشية من علامّ الغيوب فقال: "بَلَّ يُرِيدُ كُلُّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنْشَرَةً كَلَّا بَلَّ لَا تَخَافُونَ الْآخِرَةَ" ، و بهذا التناسق التصويري المعجز تتكشّف للناظر المتأمل آفاق المعاني العميقة وراء آفاق المباني الفصيحة في حلقات متواصلة رائعة ، و دلالات موحية واسعة ، لتتفياً ظلال التناسق الوارفة بين النظم المعجز الفصيح إلى المعنى القوي المترابط ، و من اللفظ الدقيق المعبر إلى التعبير المصور المؤثر ، و من التصوير الطبيعي المشخّص إلى التخيل العقلي المجسّم ، و من التفتّن في إخراج مشاهد التصوير إلى الإبداع بالإيقاع ، و من السرد المتسلسل العذب إلى التغيير السلس الهادئ. 1461

ب - الإعجاز التصويري بين واقعية الحدث ومثالية الهدف.

لقد أضفى التغيرات القرائي على واقعية تصوير معاني الإعراض و العناد و الاستهزاء ظلالا عجيبة من وضوح البيان - فالإعراض يشير إلى بطل الحقّ ، و العناد يشير إلى تعمدّ السوء ، و الاستهزاء يشير إلى غمط الخلق- ، و عجب قوّة التأثير في النفس البشرية ذاك لأنّ " الصورة التي تنقل المشهد بشكله الواقعي قد تبدو أكثر تأثيرا و إمتاعا ، ولا تنقصها القدرة على استثارة المتلقي ، وتحريك مشاعره ، فإنّ من المشاهد

1460 - سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص 92

1461 - عدنان زرزور ، القرآن و نصوصه ، ط 1980 ، مطبعة خالد بن الوليد ، الرياض ، ص 308

الواقعية ما يحرك العواطف ، و يهزّ الوجدان بمجرد التعرض له "1462 ، و بهذا استطاع إعجاز التصوير القرآني مع جمال اللغة الفنية أن يبعث بالمعاني الواقعية المصوّرة إلى الوجدان الإنساني ليحرّك الفطرة الدينية ، فيحقق في الإنسان مقصدين:

– طمأنينة نفسية ثبتتها واقعية الموضوع.

– متعة فنية حققتها قوّة الأداء التأثري ، وجمال الإبداع التصويري.

ت – الإعجاز التصويري و وظيفة التمثيل القرآني.

إنّ عناصر التصوير بالتمثيل في القرآن الكريم منتزعة من الطبيعة الواسعة التي سخّرت للعمارة البشرية ، و بسطت للحياة الإنسانية ، فوهب الخالق الإنسان معرفة مظاهر الطبيعة انطلاقاً من قاعدة الاعتبار بالنظر في الكون المنظور ، فتوطّدت علاقة الألفة بين المكلف و المستخر ، و غدت الطبيعة ميدان تصوير و صورة تمثيل يدركها الإنسان مطلقاً ليتساوى الخلق في رؤية جمالها ، و فهم مقاصد توظيفها في تقريب المعاني المجردة إلى العقول في مشاهد محسوسة لها ارتباط بشؤون الحياة الإنسانية 1463 ، و الهدف من التمثيل " هو التفخيم للمعنى و التكميل ... فأنت كمن يتوسّل إليها – النفس – للغريب بالحميم ، و للجديد الصحبة بالحبيب القديم ... و كمن يخبر عن شيء من وراء حجاب ، ثم يكشف عنه الحجاب ، و يقول: ها هو ذا فأبصره تجده على ما وصفت "1464 ، فالمثل يضفي على الصورة الجمال الآسر ، ويلفت الانتباه إلى لطائف التشبيه المؤثر ، و مقاصد التصوير الهادف. 1465

ث – الإعجاز التصويري بين رحابة الصورة و عمق التغيير.

تعتبر الصورة القرآنية أوضح المسالك الفنية لكشف المعاني العميقة ، و أعظم الأدوات الحوارية لإقناع العقول و التأثير على النفوس ، و لما كان مقصد التصوير تحقيق الهداية الربّانية تجرّد بإعجازه عن القيود العلمية للصور البيانية ، و امتطى جميع الأشكال المجازية ، 1466 لتنسجم رحابة الإعجاز التصويري مع اتّساع المعاني الإعجازية ، و من دلائل ذلك عدم القدرة على تقييد أساليبه و طرقه " و لو ذهبت تفكّر لتقف على

1462 – ابراهيم بن عبد الرحمن الغنيم ، الصورة الفنية في الشعر العربي ، ص176

1463 – سميح عاطف الزين ، الأمثال في القرآن ، ط 1987 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ص35

1464 – الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان ، ص103

1465 – محمود بن الشريف ، الأمثال في القرآن ، دار المعارف ، مصر ، ص64

1466 – إحسان عباس ، فن الشعر ، ط 6 ، 1979 ، دار الثقافة ، بيروت ، ص238

القاعدة التي بها يتم تصوير اللفظ للمعنى كي تتخذ منها دستوراً لصياغة الكلام على نحو ما فعل العلماء في استنباط قواعد الاستعارة و الجاز و غيرها لما انتهت إلى شيء كل ما يمكن للفكر أن يعلمه ، وكل ما يمكن للحس أن يشعر به هو أن الألفاظ القرآنية تلصق صورة المعنى و شكله بإحساسك ، و أن لتناسق حروفها المعينة ، وتوالي حركاتها المتنوعة أثراً كبيراً في هذا التصوير" 1467 ، و عليه " فإنّ التقديم الحسي للمعنى القرآني أسلوب أعمّ من التشبيه و الاستعارة ، و الصور الحسية لا تستعمل هذا الأسلوب على وجهة الحقيقة أو جهة الجاز ، و إنّما هي تصوير للمعنى ، و تمثيل له في مخيلة المتلقي فحسب." 1468

ج - الإعجاز التصويري بين تماسك صورته و وضوح أدائه.

لقد تماسكت لوحات الصور التمثيلية في القرآن الكريم حتى غدت عقداً فريداً تواصلت معالم جمال حلقاته ، و تناسقت خيوط وثاقه ، فقد تواردت مشاهد التصوير التمثيلي مركبة الأجزاء ، محبوكة الأوصال تأتي الانقطاع ، ظاهرة للعيان واضحة البيان ، قوية الأثر في العقل و الوجدان ، فتدبر قوله تعالى: " كَانَهُمْ حُمْرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ " ، وتأمل تصوير القرآن إعراض الكفار عن الحقّ في مشهد الحمر الوحشية فهل يصفح عنك النظر الصحيح أن تجعل التصوير في الآية عضين فتكتفي بصورة الحمر مشهداً لمطلق التشبيه ؟ كلا و الله ففي لفظ الحمر دلالة على رذيلة الإعراض بتعطيل أدوات الفهم و الإدراك " وَلَقَدْ دَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَأَلٍ تَنْعِمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ " 1469 ، و ياهمال إعمال العقول في معرفة الخالق المعبود " وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ " 1470 ، ثمّ يأبي التماسك الاجتزاء ، فيضيف للإعراض نفورا سريعاً لينبئ عن عداوة بغیضة بالطبع و الدفع جسّد أعماقها التغيرات القرائي ، ثمّ يزداد تماسك الصورة وضوحاً و أجزاء التمثيل جلاء عندما تلتحق بالصورة الكلية لوحة جزئية الفرار من القسورة ليكتمل رسم

1467 - البوطي، من روائع القرآن ، ص 202

1468 - جابر عصفور ، الصورة في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، ط 3 ، ، 1992 المركز الثقافي العربي، بيروت، ص 267

1469 - الأعراف، 179

1470 - التوبة ، 21- 23

صورة الإعراض و هو هائم على وجهه لا يقدر على شيء كَلَّ على غيره لا يأتي بخير يقلب كفيه في إنفاق العناد ، ترتعد أوصال قلبه فرعا من جلبة الحق ، يتهاوى من جرف هار إلى الهلاك.

*- الأسلوب القرآني و الإعجاز التصويري.

لقد جمع الإعجاز التصويري في أسلوبه ظلالة من التناسق " أسلوب متناسق ، متناسق ألفاظه ، وجمله و تراكيبه ، وتناسق صورته و ظلالة، و متناسق إيقاعاته و موسيقاه ، و هذا التناسق يحسّه كل قارئ للقرآن بدرجات متفاوتة ، وكثيرا ما يعجز عن تعليل ما يجده من أثر إيقاع القرآن في نفسه ، و تأثيره على حسّه " 1471 ، و قد تجلّى في الصور التالية:

أ - التناسق اللفظي.

المفردات القرآنية مفاتيح المعاني العميقة و الظلال الإيحائية ، فقد تنوّعت وظائفها فمفردة جمال وقعها على السمع ، و أخرى حسنها في اتّساقها مع المعنى ، و ثالثة كماها في اتّساع دلالتها 1472 ، و لقد تناسقت المفردات القرآنية في حسن تواردها فجاء لفظ الإعراض ليفيد معنى التولّي عن الحقّ ، ثمّ اتّسعت دلالة الإعراض ليضاف إليها التولّي مع النفور ، ثمّ تأتي شجاعة الاتّساع لتشمل دلالة الإعراض الاستهزاء مع شدة النفور باختيار مفردة القسورة دون غيرها من ألفاظ الافتراس إشارة إلى بيان صورة النفور بمجرد وقوع الرؤية ، فاكتملت بذلك صورة البيان القرآني بدلالة الألفاظ القرآنية على معانيها العميقة المقصودة ، و صورها الدقيقة المعبرة ، و ظلالتها الوثيقة المؤثرة. 1473

ب - التناسق التركيبي.

لقد تناسقت العبارات في حسن نظمها ، وحبك صياغتها لينتقل التركيب بإعجازه في بيان المعاني من التجريد بقوله: " فَمَا هُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ " إلى التصوير بالتجسيم " كَانَهُمْ حُمْرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ " ، و

1471 - عبد الفتاح الخالدي ، نظرية التصوير عند سيد قطب، ص154

1472 - بكرى شيخ أمين ، التعبير الفني في القرآن ، ص281

1473 - فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 263. العلاقة واضحة بين دلالة الإيقاع الصوتي و مشاعر النفس البشرية فهو أداها الصوتية المحاكية لانفعالات النفسية ولغتها الجرسية القادرة على بيان أعماق عواطفها الوجدانية. انظر الأصول الفنية للأدب، عبد الحميد حسن، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1964، القاهرة ، ص 23 ، و بكرى شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن الكريم ، ص281

من التصوير الواضح في مشهد رسم طبع النفور في الحمر المتسع بدلالة التغير القرائي " كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ " إلى التصوير الجليّ الأوضح في مشهد رسم سعة النفور في سعة لوحة الطبيعة " فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ " ليدلّ إعجاز النظم بدقّة حيكه ، وإعجاز التصوير بعمق هدفه على بيان المعنى القرآني.

ت - التناسق الصوتي.

يعتبر الإيقاع من اللطائف الظاهرة لأسلوب الإعجاز التصويري ، ويظهر ذلك جليًا في تناسق المقاطع ، وإجاء النبرات 1474 ، لتتناسق الدلالات بالنغمات ، وكمال المعاني بقوة جرس المباني 1475 ، فتبلغ أعماق مواطن التأثير في النفس البشرية لتغرس المقاصد الدينية ، لهذا جاء كل حرف في القرآن يحمل وظيفة تربوية ورسالة شرعية تشخص أمراض النفس و تصحّحها ، و تسرد وقائع التاريخ و تبين حقائقه ، و تستنطق سنن قيام الحضارات و سقوطها إلى غير ذلك من المقاصد القرآنية 1476 ، ولقد صورّ التغير القرائي مشهد شناعة الإعراض عن الحقّ ببيان شدة نفور الحمر من خلال لوحة طبيعية مشخّصة ، دلالات مفرداتها قوّة الإيقاع ، و أصوات حروفها مصلصلة الجرس بقوله: " فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ " فأضاف إلى أصالة النفور بالطبع و دوامه بالوصف فعل الفرار عند رؤية موجهه القوي ، و قد تناسقت إيقاعات المفردات مع مقامات السياق القرآني ما بين البطء بقوله: " معرضين " - ليدلّ المدّ على طول زمن الإعراض - و السرعة بقوله: " مستنفرة و قسورة " ليدلّ الوقف دون مدّ على التويّ السريع عن الحقّ سرعة نفور الحمر عند سرعة اقتناص القسورة ، و أضاف لفظ الفرار بظلاله الصوتية معاني الهروب و التباعد و التجافي بدلالة مسلك النظائر القرآنية 1477 ، و قد زاد النفور تصويرا عدول التركيب القرآني عن لفظ الأسد إلى لفظ القسورة فظهر أثر الصوت على المعنى إذ دلّ لفظ القسورة دلالة أقوى على القسر و القهر و السيطرة و الغلبة ، و ما سمي بذلك إلاّ لأنّه يقهر السباع ويغلبها. 1478

ث - التناسق الدلالي.

1474 - تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي ، ضبط وتصحيح محمد سعيد العريان ، مطبعة الاستقامة ، ط 3 ، 1953 ، القاهرة، 2، 222.

1475 - فقه اللغة وخصائص العربية ، 283.

1476 - التعبير القرآني والدلالة النفسية ، عبد الله محمد الجيوسي، دار الوثائقي للدراسات القرآنية ، دمشق ، 244.

1477 - انظر إصلاح الوجوه و النظائر في القرآن ، الدامغاني ، ص 353 ، و الوجوه و النظائر، ابن الجوزي ، ص 304

1478 - التفسير الكبير ، الرازي ، 30 - 213

لقد حقّق الإعجاز التصويري تناسقت المعاني و الدلالات بأداة حسن الانتقال بين مشاهد الصور الطبيعية ، و قد أفاد هذا التناسق العجيب بقريظة " بل " النحوية و دلّ الإعجاز بالانتقال في التصوير على الانتقال في بيان عرض المعاني على منحى التصاعد في الجلاء و الوضوح فأخبر عن الإعراض ، ثمّ صورّه في الحمر الوحشية ليزداد معناه بوصف الوحشية ، ثمّ وسّع دلالته طبعاً جبلياً و عملاً دفاعياً بدلالاتي القراءة القرآنية باسم الفاعل و المفعول ، ثمّ ختم مشهد كمال المعنى - الإعراض المتشدّد ، و العناد المتجدّد ، و الاستهزاء المتأكّد - بقوة الوارد - الحقّ - كقوة القسورة في الافتراس ، و فجأة المباغنة في الاقتناص.

ج - التناسق النفسي.

لقد تناسقت مشاعر الإعراض مطلقاً - فظهر منه الاستكبار- لتضاف إليها صورة أحاسيس العناد المشبّه بالنفور - فظهرت سريرة الإصرار على الباطل- بوجهي القراءتين ثمّ تضاف إليه نفسية الفرع عند شدة الحقّ المشبّه برؤية الطريدة شراسة مفترسها.

✽ - مقاصد الإعجاز التصويري:

لقد حقّق الإعجاز التصويري - إعراض الكافرين من خلال وجهي التغيرات القرائي - جملة من المقاصد القرآنية منها:

أ- تقريب المعاني المجردة من إدراك العقل بالحجّة و الإقناع ، و غرسها في حسّ القلب بالتأثير في الوجدان ، و بفتية التشخيص صورّ القرآن إعراض الكافرين لوحة تجمع رسم نفور الحمر الوحشية لينفر العقل من نفور المعاندين ، و يبعث في الوجدان النفسي قوّة الحقّ في لوحة شجاعة القسورة ، فيجتمع العقل و القلب على مقصد الإعجاز من التصوير يقول سيد قطب: " إنّ المعاني في الطريقة الأولى- التجريدية- تخاطب الذهن و الوعي ، و تصل إليهما مجردة من ظلالها الجميلة... و في الطريقة الثانية - التشخيصية - تخاطب الحسّ و الوجدان ، و تصل إلى النفس من منافذ شتى من الحواس بالتخييل ، و من الوجدان المنفعل بالأصداء و الأضواء ، و يكون الذهن منفذا واحداً من منافذها الكثيرة إلى النفس لا منفذها الوحيد." 1479

ب - إظهار الأغراض بدقّة بالغة ، و بلغة رائعة تخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية ، لأنّ " قيمة الجمال لشيء تكمن في البنية التكوينية له ، و هذه البنية تتألف من جمال العناصر المكونة له ، و انسجام

هذه العناصر ، و عدم تنافرها ، و جمال المعنى ، و نبل المقصد الذي تعبّر عنه هذه التركيبة " 1480 ، و لقد أبطل الله تعالى إعراض الكافرين و أزهد عنادهم ، ثم أظهر تذكرة القرآن و موعظته ، ثم حدّد بمسلك الإعجاز التصويري مقصد التزييل و غايته ، فقال سبحانه : "كَلَّا إِنَّهُ تَذَكِّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْغَفْرِ" 1481

ت- تقريب الحقائق القرآنية الكلية في صور جزئية متناسقة تمكّن العقل الإنساني الحدود من إدراك الأمور الغيبية العقدية و المعاني القرآنية المجردة ، فالصورة الكلية هي قضية التدافع بين الحق و الباطل ، ثم تجسّدت حقائقه في صورة الإعراض و مراتبه ، ثم في العناد و دركاته ، ثم في الاستهزاء و فنونه في لوحات طبيعية متناسقة تجلّت أولها في صورة الحمر الوحشية التي أشارت ألوانها وأشكالها و شخوصها إلى دلالات العناد و الإعراض ، و هذا وصف ثابت في الحمر الأهلية فكيف بالوحشية ؟ إذ هي أولى به لمناسبة البلادة الظاهرة ، و لهذا ضرب الله تعالى بها الأمثال فقال سبحانه : "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" 1482 ، ثم انظر بعد إلى حركات الحمر ، و دلالة لفظ الوحشة على النفور ، ثم انظر إلى شدّته و حدّته و قد شخصّته إيقاعات المفردات ، و رسم و ضوحه تغاير القراءات بقوله جلا و علا : " كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ " ، و أخرج حياته إلى الوجود تناسق مشاهد اللوحات بقوله سبحانه : " فَزَيَّنَّا مِنْ قَبْلِهَا لُجُجًا مِثْلَ الدُّخَانِ تُغْمِضُ فِيهِ الْمُشْرِكِينَ " ، حتّى الحروف أبت إلا أن تظهر صورة التباعد في الإعراض و النفور بتباعد مخارج الحروف بين الحاء الحلقي و الميم الشفوي في لفظ الحمر ليدل الإعجاز بالتصوير على كمال المقاصد و الغايات ، فيخضع العقل لخالقه مستسلما منقادا ، و تنساق النفس له طائعة .

ث- اختزال مسافات الزمن في التغيير ، و إيجاز التعبير بالتصوير ، و اغتنام جهد العقل في الخيال بالتفكير ، ليستنهض المتدبّر إبداع فكره ، و يستحضر رصيد ذكرياته في تأمل لوحات الصور المتناسقة ، لتجتمع عنده المعاني دفعة واحدة ، فيحقّق مقاصد التزييل من إعجاز التصوير ، فقد استطاع القرآن ببنية تصوير المعرضين المعاندين أن ينسخ مفاوز الزمن في تغيير النفوس ، فيغرس فيها كراهة الحمر الوحشية و نفورها ، و يدفع

1480 - محمد رواس قلججي ، لغة القرآن لغة العرب المختارة ، ص 67

1481 - المدثر ، 54 ، 55 ، 56

1482 - الجمعة ، 5

شروء العقول في استحضار المجردات بفرض واقع حركات نفور الحمر المجسمة بأدوات الإقناع المشخصة لمشاهد الإعراض ، و بسعة فروق معاني التباير القرائي.

ج - تذوق القلب إعجاز الإيجاز بجمال التصوير ، وبلاغة الحذف بحسن الإيقاع ، " فالأشياء الحسنة على اختلافها مواقع لطيفة عند الفهم لا تجد كفييتها كموقع الطعوم المركبة لذيدة المذاق " 1483 ، فيضفي التصوير على النظم إعجازا بليغا ، فتجتمع دلالات ألفاظ الإعراض و النفور لتتسجم بالكمال مع ذوات الحمر الوحشية ، فيكفي لفظ الحمر الدلالة على النفور، والتباعد ، فكيف وقد تأخى معه لفظ النفور بوجهي قراءته ، ولفظ الفرار بظاهره ، ولفظ القسورة بظلاله و إيقاعاته ، فجمعت فنية الإعجاز بالتصوير جمال المفردات بكمال الدلالات ، ودقة الحركات بروعة الإيقاعات ، وتربية النفوس و الذوات على نبل المقاصد و الغايات " ، فكل كلمة لو أُفردت كانت في الجمال غاية ، وفي الدلالة آية ، فكيف إذا قارنتها أخواتها ، وضامتها ذواتها مما تجري في الحُسن مجراها ، وتأخذ في معناها. " 1484

*- الإيجاز التصويري و اتساق المنع التفسيري

لقد جرى التشبيه على قاعدة مراعاة المشهور من معهود كلام العرب الذي يصف مشاهد معاشها ، و يرسم مقامات أحوالها ، و يصور وقائع اجتماعها ، و لهذا فإن أكثر تشبيهات العرب لا تخرج عن أوصاف محيطها ، و منه وصفها الإبل بالحمر في شدة عدوها إذا وردت ماء فأحست بمفترسها 1485 ، و عليه فإن تشبيه القرآن الكفار بالحمر النافرة المستنفرة مذمة شنيعة لهم ، و تهجين قبيح 1486 قال ابن عاشور: " إن التشبيه في الآية مبتكر لحالة إعراض مخلوط برعب مما تضمنته قوارع القرآن ، فاجتمع في هذه الجملة تمثيلان ، و يثار لفظة قسورة هنا لصلاحيته لتشبيهين مع رعاية الفاصلة " 1487 ، و هذا يفيد أن الحق أشد على أهل الكفر وقعا إذا ظهرت شدته ، و صورت من خلال مشهد شدة عدو الحمر و نفورها من الأسد يشهد له قوله تعالى: " وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ

1483 - أحمد عبد السيد الصاوي ، مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين ، دراسة تاريخية فنية ، ط 1988 ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ص 15

1484 - أبو بكر الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص 190

1485- ينظر، الكشاف ، 4، 188

1486 - ينظر الكشاف ، 4، 188 ، و تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، 4، 404

1487 - التحرير والتنوير ، 26، 330

يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ" 1488- و لقد وسّعت نقول اختلاف المفسرين - في تفسير لفظ القسورة - مشاهد التصوير فزادت من لطائف إعجاز القرآن فكانت أقوالهم في لفظ القسورة كالتالي: 1489

أ - لفظ جمع يراد به الرماة الصيادون ، فالقسورة بلهجة هذيل رماة الوحش 1490 ، و على هذا فإن صورة نفور الحمر الوحشية تتصاعد برؤية الإنسان ابتداء ، ثم بمشهد الرمي منه ثانيا .

ب - الرجال الأقوياء 1491 قال ابن عباس: " ما أعلم القسورة الأسد في لغة أحد من العرب ، ولكنها عصب الرجال " 1492 ، و منه تتجلى لوحة النفور المتشّتت غير المهتدي إلى صراط قويم .

ت - اسم ذات على وزن " فعولة " و يراد به الأسد بلهجة قريش 1493 ولغة الحبشة 1494 قال ابن عباس: " القسورة الأسد بالحبشية. " 1495

ث - ظلمة الليل ، فالحمر عند سواد الليل أشدّ نفرة و أعظم توحّش 1496 ، و بهذا يجتمع عليها افتراس شديد و محله الجانوس له .

ج - أصوات الناس 1497 إذا أحدثت الجلبة المفضية إلى النفور الشديد ، و بهذا تجتمع دلالات الأقوال الماثورة في التفسير على توسيع مشاهد الصراع بين الحق و الباطل ، و مواقف إعراض الكافرين عن التذكرة

1488 - التوبة ، 124، 125

1489 - لقد توسعت العرب في دلالة لفظ القسورة فأطلقتها على كل شديد ، وذهب بعض أهل اللغة لفظ القسورة اسم جمع لا واحد له من لفظه ، و ذهب البعض الآخر إلى أنه اسم جمع قسور للرامي ، وذهب البعض الآخر إلى أنه جمع على خلاف القياس إذ ليس قياس ، وعدّه بعض العلماء من الألفاظ الأعجمية . انظر لسان العرب ، مادة " قسر " 6 / 402 ، و التحرير والتنوير ، 26 / 330 ، و الاتقان في علوم القرآن ، 2 / 101 ، و معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية ، عبد الحليم محمد قنيس ، ط 1987 ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ص 93 ، و المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم و قراءاته ، أحمد مختار عمر ، ط 1 ، 2002 ، مؤسسة سطور المعرفة ، الرياض ، ص 372

1490 - انظر معاني القرآن ، للفراء 3، 206 ، و جامع البيان للطبري ، 12 ، 320 ، و مقاييس اللغة ، مادة قسر 5، 88 .

1491 - معترك الأقران ، للسيوطي ، 2 ، 352 ، وفتح القدير ، للشوكاني ، 50 ، 414

1492 - الجامع لأحكام القرآن ، 19، 58

1493 - البحر الحيط ، 8 - 372

1494 - ينظر مجاز القرآن ، 2 / 276 ، و معاني القرآن للفراء 3 / 206 .

1495 - ينظر الإتقان في علوم القرآن ، 2 / 99 ، و معترك الأقران في إعجاز القرآن ، 2 / 352 و ذهب البعض إلى أنّ الأسد بلسان الحبشة عنيسة ، و بلسان فارس شير ، و بلسان النبط آريا . انظر معاني القرآن للفراء ، 3 / 206 .

1496 - لسان العرب ، 6 / 402

1497 - النكت والعيون ، الماوردي ، 6 / 149

لندل على "إسراعهم في إبعاد أنفسهم عنها إسراعاً يمضون فيه على غير هدى ، فوصف الحمر بأنها مستنفرة تحمل نفسها على الهرب وتحتها عليه ، يزيد في هربها وفرارها أسدٌ هصور يجري خلفها فهي تتفرق في كل حذب و صوب ، وتجري غير مهتدية إلى كل مكان ، أو لا ترى في صورة هذه الحمر وهي تجدُّ في هربها لا تلوي على شيء ، تبغي الفرار من أسد يجري وراءها ثم ينقل إليك صورة هؤلاء القوم المعرضين عن التذكرة فارين من أمام الدعوة لا يلوون على شيء ، سائرين على غير هدى ، ثم ألا تبعث فيك هذه الصورة الهزء بهم و السخرية ؟ " 1498

✽ - النحو القرآني و الإجاز التصويرية

لقد أفادت أداة "بل" 1499 في قوله تعالى: " بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنشَرَةً " الإضراب بالسكوت بعد تصوير حكم سابق مثبت ، ثم الانتقال إلى تصوير حكم جديد مؤسس ، و عليه فقد أضرب القرآن عن جواب الاستفهام في قوله: " فَمَا هُمْ عَنْ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ " ، و سكت إذ لا حجة عندهم في إعراضهم ، ثم انتقل ليدلّ الانتقال على مقدّر يقتضيه المقام ، فهم لا يرتضون تذكيرا و لا يحبون نذيرا ، غير أنهم يريدون صحفا منشرة 1500 ، فدلّت قرينة التفسير النحوي " بل " على الانتقال من تصوير مشهد شناعة الإعراض في لوحة نفور الحمر إلى تصوير مشهد بشاعة العناد في لوحة السخرية والاستهزاء ، ثم الانتقال إلى تصوير مشهد النفس المعرضة المعاندة بتشخيص علّة المرض فقال سبحانه: " كَلَّا بَلْ لَّا تَخَافُونَ الْآخِرَةَ " ، و يرى الباحث أنّ قرينة التفسير النحوي "بل" في الموضعين و إن أفادت الإضراب و الانتقال فإنّ ظلال المعاني العميقة لسياق النظم القرآني توحى بدلالة إبطال ما هم عليه من الإعراض و العناد و الاستهزاء ، فقد دلّ مقام السياق على معنى الإنكار بالتوبيخ و التشنيع مؤكداً بمقام الوقف على أداة النفي " كلا " 1501 التي أفادت الردع و الزجر في قوله تعالى: " بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنشَرَةً كَلَّا " - و

1498 - من بلاغة القرآن ، أحمد بدوي ، فضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص200

1499 - حرف إضراب و له معنيان : أحدهما إضراب إبطالي و هو إبطال الأول و الرجوع عنه إمّا لغلط أو نسيان ، و ثانيهما انتقالي و هو الخروج من قصة إلى أخرى من غير إبطال . انظر الكتاب ، سيبويه ، 1 ، 439 ، و المقتضب للمبرد ، 1 ، 150 ، و شرح الكافية الشافية لابن مالك ، 3 ، 1233

1500 - الفتوحات الإلهية ، 8 - 70 ، و تفسير أبي السعود ، 9 ، 63 ، و روح المعاني ، 29 ، 168

1501 - انظر لطائف الإشارات لفنون القراءات ، شهاب الدين القسطلاني ، 1 ، 258

الله أعلم و أحكم- ، و لقد أفادت دلالة التفسير النحوي أنّ الجمع بين المشاهد التصويرية بالانتقال قد صور إعجازا آخر في النظم القرآني فقد اجتمعت المفردات القرآنية بإيقاعاتها لتؤلف جملا قرآنية ، ثم اجتمعت الجمل القرآنية لتؤلف الصورة القرآنية ، ثم اجتمعت مشاهد الصور لتؤلف كلية التصوير القرآني الذي تتحرك فيه مشاهد الصور المتتالية ، و تتحاور فيه الكلمات القرآنية المتألفة في طبيعة واسعة اتساع المعاني القرآنية 1502 فيؤدي التشخيص بالكون المفتوح عملا إعجازيا " لا يؤديه العمل السينمائي اليوم من نقل المشاهد بحركاتها و سكناتها ، ونطقها و صمتها ، و كم تتكلف السينما لهذا العمل من لقطات مئات و ألوف ، أما النظم القرآني فإنه ينقل المشاهد بأبعادها وأعماقها ، و بحركاتها و سكناتها ، و بنطقها و صمتها ، و بوسوسة خواطرها و هواجس نفوسها ، ثم لا يكون ذلك كله إلا بلقطة أو لقطتين أو ثلاث للمشاهد الواحد " 1503 ، و لقد أظهرت لطيفة التصوير بالانتقال من خلال القرينة النحوية تفرّد القرآن بالطريقة التصويرية المعجزة و قد دلت " طبيعة الإنسان أنه لا يستطيع أن يطوّع ألفاظ اللغة لكل ما يتصوره من دقائق المعاني و الأخيلة ، فهو كثيرا ما يضطرّ أن يتزل عن بساط خياله المخلّق لحاقًا بكلمة هي دون خياله الحالم ، و لكنّه لا يجد من حوله سواها ، فيضطرّ أن يهبط إلى مستواها ، و بذلك يفسد سير فكر تصوّراته غير أن القرآن لا يعجزه أن تكون الكلمة دائما في مستوى المعنى المراد على أدقّ وجه. " 1504

1502 - انظر محمد رواس قلعجي، لغة القرآن لغة العرب المختارة ، ط 1 ، 1988 ، دار النفائس، ص 67 ، و أحمد نصيف الجنابي ، في

الرؤية الشعرية المعاصرة ، بيروت ، ص 119

1503 - عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني في منطوقه و مفهومه ، درا الفكر العربي، القاهرة ، ص 65

1504 - البوطي، من روائع القرآن ، ص 177

- الفصل الخامس: التباين القرائي بين الإجاز

التشريفي و الإجاز المقاصفي.

- الإجاز التشريفي: لحيقته ، أساره.

” الوضوء نموذجًا .”

- الإجاز التشريفي الطبعي لحيقته ، أساره.

” الخبيض نموذجًا .”

- الإجاز المقاصفي لحيقته ، قوامه،

” حفظ الدين و العرض و العقل نموذجًا .”

- التنوير القرآني بين الإجاز التشريعي والإجاز المقاصدي

- الشريعة لغة واصطلاحاً

- الشريعة لغة

الشين والراء والعين أصل واحد 1505 من الشريعة أي المواضع التي ينحدر الماء منها ، 1506 و الشريعة بالكسر الدين و مورد الناس للاستقاء ، وسميت بذلك لوضوحها وظهورها ، وجمعها شرائع 1507 قال تعالى: " ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ " 1508 أي منهاج واضح ، 1509 قال القرطبي: " أي على منهاج واضح من أمر الدين يشرع بك إلى الحق " 1510 ، و قال سبحانه: " لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا " 1511 ، أي شريعة وهي الأحكام والحدود واللوازم " 1512 ، وفي التتزيل: " شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ " 1513 ، أي فتح لكم وعرفكم طريقه 1514 ، فالشريعة في أصل الاستعمال اللغوي مورد الماء الذي يقصد للشرب ، ثم استعملها العرب في الطريقة المستقيمة ، وذلك باعتبار أن مورد الماء سبيل الحياة والسلامة للأبدان ، وكذلك الشأن من الطريقة المستقيمة التي تهدي الناس إلى الخير ، ففيها حياة نفوسهم. " 1515

1505 - المقاييس في اللغة ، ابن فارس مادة "شَرَعَ" 3، 262 .

1506 - لسان العرب ، ابن منظور ، ط 1988 م ، دار الجيل، بيروت ، 3 ، 299 .

1507 - المصباح المنير، كتاب الشين ، مادة شرع ، 3-421 ، والقاموس المحيط، باب العين ، فصل الشين، 3-62 .

1508 - سورة الجاثية، الآية 19 .

1509 - تفسير غريب القرآن ، أبو حفص سراج الدين عمر بن أبي الحسن علي بن أحمد المعروف بابن الملقن ، تحقيق سمير طه المنجدوب ، عالم الكتب ، بيروت ، ص 375 .

1510 - الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، بيروت ، 8-163 .

1511 - المائدة، آية 48 .

1512 - تفسير غريب القرآن ، لابن الملقن ، ص 121 .

1513 - الشورى ، الآية 13 .

1514 - غريب القرآن ، لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني ، دار الرائد العربي، ص 119 .

1515 - التشريع والفقهاء في الإسلام ، مناع القطان ، ط 3، 1989 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 13 .

- الشريعة اصطلاحاً:

إذا أطلق لفظ التشريع فالمقصود به التشريع الإسلامي إذ يرجع مصدره إلى الله تعالى ، فهو الذي ابتدأه ، وهو الذي سنّه وشرّعه للناس إلى يوم القيامة 1516 ، ولقد توسّعت المذاهب الإسلامية في تعريف التشريع اصطلاحاً على أقوال منها:

❖ - " الطريقة الظاهرة في الدين. " 1517

❖ - الشريعة هي الأصول الكلية ، و الأحكام الجزئية المهذّبة للمكلفين في المعاش و المعاد. 1518

❖ - " كل ما شرّعه الله من العقائد و الأعمال. " 1519

❖ - " الطريقة الطاهرة التي يتوصّل بها إلى النجاة. " 1520

❖ - الأصول و النظم التشريعية التي شرّعها الله تعالى للمكلفين تنظيماً للعلاقة مع ربّهم، و فيما بينهم و

بين غيرهم بيان الرسول الله صلى الله عليه و سلم. 1521

❖ - " الأصول الكبرى لحياة المسلمين القانونية. " 1522

❖ - " ما شرّعه الله لعباده من أحكام اعتقادية أو عملية أو خلقية. " 1523

و يتّضح من مجموع التعريفات أنّ التشريع الإسلامي يقوم على:

❖ - الأصول الكلية و الأحكام الجزئية العقائدية منها ، و العملية ، و الخلقية...

❖ - مصادر التشريع الربّانية التي منها القرآن الكريم ، و السنة النبوية ، و الإجماع ، و القياس

1516 - عمر سليمان الأشقر، خصائص الشريعة الإسلامية، ص12 ، و الإعجاز التشريعي للقرآن في كل من نظام الميراث والزكاة،

سيف الدين البلعاوي، م1، ص301 ، و ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، الجزائر، دار الثقافة، ط1، 1990، 2 ، 368

1517 - انظر المغرب في ترتيب المغرب ، لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي المطرزي ، تحقيق محمود فاخوري وعبد الحميد مختار

، ط1، 1979 ، مكتبة أسامة بن زيد ، حلب، 439/1

1518 - انظر: الكليات ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، ط 1419هـ-1998م ،

مؤسسة الرسالة؛ بيروت، ص524.

1519 - مجموع الفتاوى، ابن تيمية ، 19 ، 306

1520 - الجامع ، القرطبي ، 6 ، 211

1521 - الإسلام عقيدة وشريعة ، محمود شلتوت ، ص10

1522 - من فلسفة التشريع الإسلامي ، فتحي رضوان، دار الكتب اللبناني ، بيروت ، ص8

1523 - التشريع الإسلامي مصادره و أطواره ، شعبان محمد إسماعيل ، ط 1 ، 1977 ، ص7

- تعريف الإعجاز التشريعي:

القرآن الكريم مصدر الهداية الربانية ، و منبع الشريعة الإلهية ، تحققت مقاصده بإعجازين:

✽ - إعجاز بياني استمال القلوب نحو خالقها لتحقق كمال العبودية له وحده تعالى.

✽ - إعجاز تشريعي قاد النفوس نحو كمال الطاعة ليحقق لها صلاح المعاش في الدنيا ، و صلاح المعاد في الآخرة.

و لقد عرف بعض الباحثين الإعجاز التشريعي فقالوا هو:

✽ - " سموّ التشريعات القرآنية وشموها وكمالها إلى الحدّ الذي تعجز عنه كل القوانين البشرية مهما بلغت. " 1525

✽ - " عجز المشرّعين محاكاة التشريع القرآني ، و إدراكهم كلّ ما فيه من أسرار تشريعية. " 1526
و من هذه التعاريف تتلخّص قيود المصطلح في الحدود التالية:

✽ - سموّ أحكام التشريع الإسلامي إلى حدّ ينقطع معه النظر قال سيد قطب: " إنّ الإنسان ليقف في عجب و إعجاب أمام التشريع القرآني ، حيث تتجلّى الدقّة العجيبة في التعبير التشريعي، و يربط التشريع بالوجدان الديني ربطاً لطيف المدخل عجيب الإيحاء دون الإخلال بترابط النص ، فلا ينتقل من لفظة إلى أخرى إلا و قد استوفى النقطة التشريعية بحيث لا يعود إليها إلا حيث يقع ارتباط بينها وبين نقطة جديدة يقتضي الإشارة إلى الرابطة بينهما... إنّ القرآن الكريم دستور تشريعي كامل سيظلّ إعجازه التشريعي يقيم الحياة الإنسانية على أفضل صورة و أرقى مثال. " 1527

✽ - شمول أحكام التشريع الإسلامي الزمان و المكان و الإنسان ليحصل معه كمال الهداية بصلاح الدنيا و الآخرة ، قال الشنقيطي عند قوله تعالى: " إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم " 1528 ، و هذه الآية الكريمة

1524 - الإعجاز التشريعي في علاج مشكلة الفقر من منظور قرآني ، محمود عنبر ، ماجستير في التفسير ، جامعة غزة ، فلسطين ، ص 6.

1525 - الإعجاز التشريعي في علاج مشكلة الفقر من منظور قرآني ، محمود عنبر ، ص 6

1526 - الإعجاز التشريعي مفهومه و مزاياه ، بحث مقدم لمؤتمر بجامعة الأقصى بغزة ، بونس الأسطل ، ص 1

1527 - في ظلال القرآن ، سيّد قطب ، دار الشروق ، ط 10 ، 1982 ، ج 1 ، ص 334 .

1528 - سورة الإسراء الآية 9

أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدتها وأصوبها ، فلو تتبّعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم، لشمولها جميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا والآخرة ، و لكننا إن شاء الله تعالى سنذكر جملاً وافرة في جهات مختلفة كثيرة من هدى القرآن للطريق التي هي أقوم بيانا لبعض ما أشارت إليه هذه الآية الكريمة ، تبيينها ببعضه على كلاً من المسائل العظام ، والمسائل التي أنكرها الملحدون من الكفار ، وطعنوا بسببها في دين الإسلام لقصور إدراكهم عن معرفة حكمها البالغة."1529

❦ - العلم بحقائق الوحي بعد إدراك الفرق الجلي بالموازنة بين مطلق الكمال في التشريع الرباني ، و كمال النقصان في التقنين البشري قال أبو زهرة: " من أراد أن يتعرف على الإعجاز التشريعي ، وأنّه في درجة فوق مستوى العقل البشري ، فليوازن بين التشريعات القرآنية وبين ذلك القانون الروماني الذي استوى على سوقه ، والذي يعتبر عند الغرب صفوة القوانين السابقة واللاحقة له ، وفيه علاج لعيوبها وسدّ لخللها من يوم أن أنشئت روما سنة 744 ق.م إلى 533 م بمعنى أنّه ثمرة تجارب قانونية لنحو ثلاثة عشر قرناً ، كما أنّ الرومان استعانوا لدعم قوانينهم بالمناهج الفلسفية التي فكّر فيها الفلاسفة اليونان لبيان أمثل الطرق التي يقوم عليها المجتمع الفاضل "1530 ، و منه فالإعجاز وصف يثبت من خلال إدراك فارق الكمال بين التشريع الإسلامي الذي يشمل النواحي الأخلاقية والاجتماعية ، والأحوال الشخصية و المدنية ، و العقوبات الجنائية ، والأحكام الدستورية و الدولية 1531 ، و بين الشرائع الوضعية القاصرة عن إدراك مصالح الإنسان القائمة على قاعدة الحكمة و العدل و الإسلام هو التشريع الوحيد " الذي يحدّد علاقة الفرد بغيره على أساس من العدل و الإنصاف."1532

❦ - عجز عن تحديّ كمال التشريع الإسلامي ، يدلّ عليه القعود عن محاكاة أحكامه قال رشيد رضا: " إنّ الإعجاز التشريعي لا شك أنّه من أظهر وجوه الإعجاز، فإنّ علوم العقائد الإلهية ، و الغيبية ، و الآداب و التشريع الديني و المدني ، و السياسي هي أعلى العلوم ، و قلما ينبغ فيها من الذين ينقطعون لدراستها السنين

1529 - الشنقيطي ، أضواء البيان ، 304/3

1530 - المعجزة الكبرى ، محمد أبو زهرة ، ط 1970 ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ص 385

1531 - دلائل التوحيد انطلاقا من القرآن و الكون ، عبد الله التليدي ، ط 1999 ، دار ابن حزم ، بيروت ، ص 21

1532 - الإسلام يتحدّى لوحد الدين خان ، ط 1984 ، المختار الإسلامي ، القاهرة ، ص 135

الطوال ، فكيف يستطيع رجل أمي لم يقرأ ولم يكتب ولا نشأ في بلد علم و تشريع أن يأتي بمثل ما في القرآن الكريم من نظم وشرائع إلا أن يكون ذلك وحياً من الله سبحانه و تعالى " 1533 ، و قال سيد قطب: " الذين يدرسون النظم الاجتماعية ، و الأصول التشريعية ، و يدرسون النظام الذي جاء به هذا القرآن يدركون أن النظرة فيه إلى تنظيم الجماعة الإنسانية ومقتضيات حياتها من جميع جوانبها ، والفرص المدخرة فيه لمواجهة الأطوار و التقلبات في يسر ومرونة... كل أولئك أكبر من أن يحيط به عقل بشري واحد ، أو مجموعة العقول في جيل واحد ، أو في جميع الأجيال. " 1534

- أسرار الإجاز التشريعي و مناقته

لقد أجمع علماء الاجتماع و خبراء القانون على أن نهضة المجتمعات الإنسانية و تقدّم الشعوب البشرية هو نتيجة تكامل الجهود العلمية و المعارف الإنسانية في سياسة الأمم نحو الخير ، وترجع حقيقة التكامل التشريعي ، و تمام البناء القانوني إلى حسن سياسة الشعوب بسنّ القوانين الفاعلة عندما تتعقد العلاقات وتتشابك ، و تضيق المعاملات و تتعسر ، فترقى التشريعات القانونية عندئذ لترفع عن الإنسان الحرج ، وتدفع عنه المفسدة ، فتتكامل القوانين بقدر ما اجتهد أصحابها في دفع ما قامت له من المقاصد و الغايات 1535 ، و توضع التشريعات ابتداء لإرادة الخير و دفع الشرّ في الحال أو المآل ، و الأصل في هذا العمل القاعدة العمرية الشهيرة: " تُحدّث للناس أفضية بقدر ما أحدثوا من الفجور" 1536 ، فقد علّق عليها الشاطبي فقال: " كما

1533 - تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، ج1، ص206

1534 - في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج1، ص334 .

1535 - البوطي ، من روائع القرآن ، ص 155

1536 - انظر الرسالة ، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي القيرواني المالكي، دار الفكر، بيروت ، ص 132، و المقدمات الممهّدات ، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ، ط 1، 1408 هـ، 1988م، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 2، 309 ، والفروق، أنوار البروق في أنواء الفروق ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي القرافي ، عالم الكتب ، بيروت ، 4، 179، و الاعتصام ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي ، تحقيق سليم بن عيد الهلالي ، ط 1، 1412 هـ - 1992م ، دار ابن عفان ، السعودية ، ص 55 ، و البحر الحيط في أصول الفقه ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، ط 1، 1414 هـ - 1994م ، دار الكندي، 1، 220، و تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام ، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون اليعمري ، ط 1، 1406 هـ، 1986م ، مكتبة الكليات الأزهرية ، 2، 153، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ، محمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي ، ط 1 ، 1416 هـ ، 1995م، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1، 72، والذخيرة للقرافي 12، 122، وشرح الزرقاني على الموطأ 4، 44 ، والتاج والإكليل لابن المواق 6، 217 ، والشرح الكبير للدرديري 4، 174، و أبي الأصغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي الجبائي ، ديوان الأحكام الكبرى ، الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكّام ، تحقيق يحيى

تحدث للناس أفضية بقدر ما أحدثوا من الفجور ، فكذلك تحدث لهم مرغبات في الخير بقدر ما حدث لهم من الفتور"1537 ، و زادها بيانا فأفاد وأجاد فقال: " كل ما كان من المحدثات له وجه صحيح فليس بمذموم بل هو محمود ، وصاحبه الذي سنّه ممدوح فأين ذمّها بإطلاق أو على العموم؟"1538 ، و نبّه مصطفى الزرقا على أصل تعلّقها فقال: " قد يكون - تغيير الزمان - الموجب لتبديل الأحكام الفقهية الاجتهادية ناشئاً عن فساد الأخلاق ، وفقدان الورع ، وضعف الوازع ، كما يسمّونه " فساد الزمان" ، وقد يكون ناشئاً عن حدوث أوضاع تنظيمية ، و وسائل مرفقية جديدة من أوامر قانونية مصلحية ، وترتيبات إدارية ، وأساليب اقتصادية ونحو ذلك "1539 ، و عليه فإنّ فساد الزمان ، أو إصلاحه علّة تشريعية قويّة في إثراء قواعد القانون ، و تكامل أحكامه ، و هذا معنى الحضارة قال تعالى مبيناً موقف الملائكة من خلق الخليفة: " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ"1540، قال الزركشي مبينا حقيقة الحضارة التي أشارت إليها الملائكة: " قابل الإفساد بالتسييح و الحمد و سفك الدماء بالتقديس فالتسييح بالحمد ينفي الفساد ، و التقديس ينفي سفك الدماء ، و التسييح شريعة للإصلاح ، و التقديس شريعة لحقن الدماء ، و شريعة التقديس أشرف من شريعة التسييح.."1541 ، و منه استنبط العلماء من مجموع النصوص الشرعية التي تتناول أمور الحكم وقواعد سياسة الخلق قاعدة جامعة في شأن الحكم و هي أنّ التصرف على الرعيّة منوط بالمصلحة ، و تتلخّص القاعدة في أنّ لكل حاكم أن يتصرّف في أمور الدولة وسياسة الحكم بما يحقّق مصلحة الأمة باستحداث النظم المناسبة و الأدوات الملائمة لتحقيق المصالح ودرء المفاسد.

إنّ أعجب حقيقة في الإعجاز التشريعي أنّه أنزل - و هو يحمل مظاهر الكمال كلّه فشمّل مناحي الحياة الإنسانية كلّها- في بيئة يحكمها التفكير القبلي الصرف ، و تسودها الأميّة الصرفة ، و يغلب عليها الصراع

مراد ، ط 1428، دارالحديث ، القاهرة، ص168، و الإحكام في شرح تحفة الأحكام المعروف بشرح ميارة ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الفاسي ميارة ، دار المعرفة 2، 234. و نسبها ابن قيم الجوزية لملك في الطرق الحكمية ، مكتبة دار البيان ، ص 176.

1537 - الشاطبي إبراهيم بن موسى الغرناطي ، الاعتصام، تحقيق حسن مشهور آل سلمان ، دار ابن عفان ، السعودية. 49، 1.

1538 - الشاطبي؛ الاعتصام ، 1، 301-303.

1539 - مصطفى الزرقا ، المدخل الفقهي العام، دار القلم ، دمشق، 2 / 941.

1540 - البقرة الآية 30

1541 - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، 3، 517

و التفرّق فظهر الإعجاز من جواب عن تساؤل مضمونه: هل يرقى المجتمع بهذه الأوصاف إلى وضع تشريع كامل أم أنّ مقام الحال دلّ على صدق الوحي الربّاني؟

- خصائص التشريع الإسلامي:

لقد أظهر التساؤل السابق حقيقتين عظيمتين:

- الأولى: ربّانية التشريع الإسلامي.

لقد استشكل الكفار و استبعدوا رقي مجتمعات البداوة و بيئات القبلية و أنّ يتفوّق تشريع نزل بأرضها تشريعات شعوب الحضارة و المدنية و أمم تكاملت قوانينها الوضعية ، فعجزوا عن إدراك حقيقة التشريع المتّزل ، فأنبأ عجزهم عن إعجاز التشريع القرآني الذي يشير ببناؤه إلى عصمة الوحي و ربّانية مصدره ، و أشار إلى قصور الشعوب العاجزة عن الجمع بين مطلق كمال التشريع و كمال نقصان البيئة فأحدثوا ضلالتين:

❦ - إنكار ربّانية الشريعة الإسلامية المتجلّية في هذا المشهد الواقعي ، و مظهر الإنكار صورة من صور الكفر التي حارب المشركون بها فريضة التوحيد فقالوا: "أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ" ﴿1542﴾

❦ - إنكار استقلالية الشريعة الإسلامية و تميّزها ، فلفّق المستشرقون و أتباعهم للتشريع الإسلامي فرية التآثر بشرائع أهل الكتاب و الاستمداد منها ، و قهمة الاقتباس من القوانين الوضعية.

- الثانية: شمولية التشريع الإسلامي:

من خصائص التشريع الإسلامي شموله جوانب الحياة الإنسانية كلها ، فما من حادثة أو نازلة إلاّ و حكمها في التشريع الإسلامي ، و قد تجلّى الشمول في المظاهر التالية:

❦ - الأخلاق الفاضلة و القيم العادلة:

الأخلاق أساس الحضارات ، و دواء أسقام المجتمعات ، و عصمة الشعوب من معضلات الآفات الأخلاقية ، و كيان قيام المدنيات ، دلّ على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية:

- دلالة القرآن على عظيم الأخلاق و جميل الخلال و أثرها في بناء المجتمعات القوية قال تعالى: "الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ". ﴿1543﴾

- مدح القرآن نبي الإسلام بعظيم الأخلاق ، فقال سبحانه: "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ". 1544
- الدعوة النبوية للأخلاق الإسلامية ، و غرسها بأدوات الترغيب و التهذيب، قال صلى الله عليه و سلم: "إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً" 1545 ، و قوله كذلك: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً" 1546 ، و سئل صلى الله عليه و سلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: "تقوى الله و حسن الخلق". 1547
- ﴿ - الأسرة المؤمنة:

الأسرة المؤمنة أساس بناء المجتمعات الفاضلة ، و نجاح الشعوب و رقي الحضارات، و لا تجد تشريعاً استوفى الأسرة بالأحكام و التشريعات كشرعية الإسلام فقد بين فأتقن ، و أجاد فأفاد ، و لقد شملت أحكام التشريع الإسلامي مراحل الإنسان كلها ، فقد كلفه مسؤولية إصلاح الأسرة قال الله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" 1548 ، و فرض عليه الإحسان إلى الوالدين فقال تعالى: " وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا". 1549

﴿ - المجتمع المسلم:

لا يرقى مجتمع إلى علياء الحضارة و المدنية إلا إذا وطّدت الفضائل علاقات أفرادها ، و أزهدت من واقعه الرذائل لهذا رغب التشريع الإسلامي و رهّب و شرّع كلّ حافظ لمقصد ، و حدّد العقوبة و هدّد ، فحرّم الخمر و ما في معناه حفاظاً على العقل فقال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" 1550 ، و حرّم الزنا و مقدّماته حفاظاً على

1543 - سورة آل عمران ، 134

1544 - سورة القلم 4

1545 - صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، 1305/3.

1546 - المستدرک ، الحاكم ، كتاب الإيمان ، 43/1.

1547 - سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في حسن الخلق ، 363/4.

1548 - سورة التحريم 6

1549 - سورة الاسراء 23

1550 - سورة المائدة 90

النسل والعرض فقال تعالى: "وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوْجَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا" 1551 ، و حرّم الاعتداء على الأموال فقال تعالى: " وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ " 1552 ، و حرّم إزهاق النفس المعصومة فقال تعالى: " وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ " 1553 ، وفرض القصاص في قتل العمد فقال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُم وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ " 1554 ، و شرّع عقوبة السرقة فقال تعالى: " وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " 1555 ، و أقام العلاقات المالية على العدل و الإنصاف فقال سبحانه: " وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ " 1556 ، و بيّن واجبات و حقوق الراعي والرعية القائمة على مبدأ العدل فقال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا " 1557 ، وقال صلّى الله عليه وسلم: " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.. " 1558 ، و صدر بالإمام العادل لبيان خطورة مسؤولية الحكم في سياسة الرعية ، و لقد تجلّت مظاهر الشمولية في مرونة التشريع الإسلامي – بمراعاته وصف المناسبة بين دواعي التشريع و مقاصده و واقع المكلفين و أحوالهم – من خلال الصور التالية:

✎ - مراعاة الأحكام التشريعية لواقع البشرية:

لقد جاء الإسلام ليرفع عن البشرية مفاصد الضلال في الاعتقاد والسلوك والأخلاق ، فيخرجها من الغي إلى الرشاد ، و من الكفر إلى الإيمان من خلال منهج قويم عاصم يقوم على أصل الحكمة الربانية ، ويهدي إلى الصراط المستقيم من خلال رحمة الدعوة الإسلامية و مرحلية الإصلاح بالتربية ، و تدرّج التغيير بالتشريع ،

1551 - سورة الاسراء 32

1552 - سورة البقرة 188

1553 - سورة الاسراء 33

1554 - سورة البقرة 178

1555 - سورة المائدة 38

1556 - سورة البقرة 188

1557 - سورة النساء 58

1558 - صحيح ابن حبان ، كتاب السير ، باب في الخلافة والإمارة ، 338/10 ،

ومن أظهر الأمثلة على ذلك أن الله تعالى لم يحرم الخمر و الربا إلا بعد الهجرة النبوية 1559 ، وهذا التدرج في التشريع تغيير لحياة الجاهلية مع اعتبار قاعدة مراعاة واقع المكلفين و أحوالهم. 1560.

﴿ - تعلق الأحكام بتغيير الأحوال.

تعتبر هذه المسألة أصل عظيم في فهم حقيقة خصائص التشريع الإسلامي و مقاصده ، فقد فرق الإسلام بين حالي القوة و الاستضعاف، و بين مقامي الدعوة و الدولة ، فلم يلزم المسلمين بفريضة الجهاد في العهد المكي ، بل أمرهم بالعفو الحسن و الصفح الجميل 1561 ، فقال الله تعالى: " فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ " 1562 ، وقال سبحانه: " اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " 1563 ، و قال عزّ و جلّ أيضا: " وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا. " 1564

﴿ - اعتبار الثابت و المتغير في الأحكام التشريعية.

لقد جاءت الشريعة الإسلامية لرعاية مصالح العباد في الدنيا و الآخرة ، فأوجبت على الخلق تكاليف شرعية ثابتة كالإيجاب الصلاة و الصوم و تحريم الربا و القتل ابتداء و عزيمة 1565 ، و أخرى أحكام تيسير و رخص عند ورود العوارض على المكلف فتعتري أحواله ، واستثناءات تتلبس بظروفه كالمرض و السفر 1566 ، و لا يستوعب حقائق هذا المنهج التشريعي إلا من أدرك قضايا وقته ، وفهم مشكلات عصره ، و أحاط بأحكام شرعه 1567 ، كما وصف أبو زهرة أبا حنيفة النعمان- في دقة قياسه و عمق استحسانه عند الفتوى - بقوله: " وما ذاك إلا لإدراكه لدقيق المسائل ، وصلتها بالتأس و معاملاتهم وأغراضهم ، فإن استحسن فإثما يأخذ مادته من دراسته لأحوالهم مع دراسات أصول الشرع الشريف ومصادره. " 1568

1559 - انظر ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، 353،7.

1560 - المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي ، مصطفى شلبي ، ص 75 .

1561 - انظر الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي 2،347 ، و تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، 1،525

1562 - سورة المائدة، الآية 13

1563 - سورة المؤمنون الآية 96

1564 - سورة المزمل الآية 10

1565 - انظر المستصفي ، الغزالي ، 78/1 ، و الموافقات ، الشاطبي ، 300/1.

1566 - انظر أصول البزدوي ، 136/1 ، و الموافقات ، الشاطبي 301/1 ، و المستصفي، الغزالي 78/1.

1567 - انظر فقه الدعوة ملامح وآفاق ، عمر عبيد حسنة ، 188/2 ، و قواعد الفقه ، 578/1.

1568 - تاريخ المذاهب الإسلامية ، محمد أبو زهرة ، ص 75

- التنابير القرائية و تنوع الإجاز التشريعية

- الإجاز التشريعية في المباحثات:

قال تعالى: "يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُنِزِمَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" 1569

- التوثيق القرائي: 1570

لفظ: " وَ أَرْجُلَكُمْ "

✽ - قرأ ابن عامر و حفص عن عاصم ، و نافع و الكسائي بالنصب .

✽ - قرأ ابن كثير و أبو بكر عن عاصم و حمزة و أبو عمرو بن العلاء بالخفض .

✽ - قرأ الحسن بالرفع .

- التوجيه القرائي:

لقد أفاد التغير بين القراءتين ثبوت إعجاز تشريعي في باب العبادات تدلّ عليه وجوه التوجيه التالية:

✽ - قراءة النصب هي من باب عطف المغسول على المغسول لأنّ المعطوف يأخذ حكم المعطوف عليه ، و عليه فإنّ قوله تعالى: " و امسحوا برؤوسكم " جملة معترضة بين متعاطفين ، " وفي القرآن الكريم من هذا التقديم و التأخير كثير " قال الله تعالى: " اليوم أحلّ لكم الطيبات و طعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم " 1571 ، ثم قال: " و المحصنات من المؤمنات " ، فعطف بـ " المحصنات " على " الطيبات " ، و قوله سبحانه: " ولولا كلمة سبقت من ربّك لكان لزاما " 1572 ، ثم قال: " و أجل مسمى " ، فعطف " الأجل " على " الكلمة " ، و

1569 - سورة المائدة الآية 6 .

1570 - انظر النشر ، 254/2 ، و إتحاف فضلاء البشر 531/1 ، و معجم القراءات القرآنية 195/2 ، و السبعة في القراءات 242 ، و الكشف 406/1 ، و المختصر ، لابن خالويه 31 ، و الكشف 611/1 .

1571 - سورة المائدة ، 5

1572 - سورة طه ، 129

بينهما كلام ، فكذلك في قوله: " و أرجلكم " عطف بها على الوجوه و الأيدي على قاعدة التقديم والتأخير.1573

✽ - قراءة الخفض هي من باب عطف المسوح على المسوح و عليه تعري صورة العطف تفسيران:

- الأول : عطف من حيث المعنى و اللفظ.

- الثاني : عطف من حيث اللفظ دون المعنى.

و بناء على هذا التغير القرائي المتواتر وقع الخلاف الفقهي بين العلماء حول حكم طهارة الرجلين في الوضوء 1574 ، فذهب أصحاب قراءة النصب إلى أن قوله: " و امسحوا برؤوسكم " جملة معترضة جيء بها بين المغسولات لبيان حكم الترتيب بين أعضاء الوضوء لكون مسح الرأس سيق قبل غسل الرجلين وعليه فالتقدير: فاغسلوا وجوهكم و أيديكم إلى المرافق و أرجلكم إلى الكعبين و امسحوا برؤوسكم ، و بناء على هذا التقدير يكون عطف الرجلين على الرؤوس عطفاً معنوياً 1575 ، و يشهد لهذا المعنى وجهان شرعي و لغوي:

1 - الوجه الأول: دلالة التوجيه الشرعي على بيان التغير القرائي.

1573 - ابن زنجلة ، حجة القراءات ، 221

1574 - في المسألة المذاهب التالية: الأول: وجوب غسل القدمين ، ولا يجب المسح ولا يجزيء ، وبه قال جمهور السلف والخلف ، وإليه ذهب الأئمة الأربعة. انظر تفسير القرطبي ج6/91، عارضة الأحوذى ج1/52، شرح صحيح مسلم للنووي ج3/109، 130، الحاوي الكبير ج1/123، المجموع للنووي، ج1/476، نيل الأوطار ج1/167، الفقه الإسلامي وأدلته ، الزحيلي، ج1/374. المذهب الثاني: وجوب المسح ، وبه قالت الإمامية ، وهو مروى عن أنس بن مالك وعكرمة وعامر الشعبي وقتادة ، ورواية عن علي بن أبي طالب ، وابن عباس قال ابن حجر: " ثبت عنهما الرجوع عن ذلك" ، و قال الآمدي: " و من أبعد التأويلات ما يقوله القائلون بوجوب غسل الرجلين في الوضوء... و هو في غاية البعد لما فيه من ترك العمل لما اقتضاه ظاهر العطف من التشريك بين الرؤوس و الأرجل في المسح من غير ضرورة." انظر تفسير الطبري ج6/128-130، و فتح الباري ج1/353، 356 ، و المغني ، ابن قدامة ، ط1992، دار الفكر ، بيروت ، ج1/150-151 ، و الخلى ، ابن حزم ، ج1/301، و مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام ، زين الدين بن علي العاملي، تحقيق مؤسسة المعارف الإسلامية ، ط1، 1413هـ، قم، إيران، ج1ص38، ومنهاج الصالحين، أبو القاسم الموسوي الخوئي، ط28، 1410هـ ، قم، إيران ، ج1ص24، و الآمدي، الإحكام، ج3، 62، المذهب الثالث: التخيير بين الغسل والمسح ، وبه قال ابن جرير الطبري و الجبائي المعتزلي و الحسن البصري، وهو رواية عن داود الظاهري. انظر تفسير الطبري ج6/130، و تفسير القرطبي، ج6/91، و عارضة الأحوذى ج1/52، و شرح صحيح مسلم للنووي ج3/130، و فتح الباري ج1/353، ومواهب الجليل ج1/212، و المجموع ج1/476، و بداية الجتهد ص32، و نيل الأوطار ج1/167.

1575 - انظر بدائع الصنائع، ج1-6 ، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج1-89 ، و بلغة السالك لأقرب المسالك، أحمد الصاوي ، طبعة عيسى البايي الحلبي، ج1-88 ، و الأم للشافعي، ج1-65، و مغني المحتاج للشربيني، ج1-53، وكشاف القناع ، للبهوتي ، ج1-101، و المغني لابن قدامة ، ج1-54 ، و المنتقى على الموطأ، الباجي ، ج1-39 ، دار الكتاب العربي ، بيروت.

و تتلخص صورة الإعجاز التشريعي في تواطؤ الأدلة التشريعية و تعاضدها على تمام البيان التشريعي ، و على كمال الأحكام الشرعية و شمولها الأحوال و الأعيان و المكان و الزمان ، و قد وردت مبرزة ملامح الإعجازي التشريعي كالتالي:

❦ - دلالة البيان النبوي: 1576

لم يَرِدْ عن النبي صلى الله عليه و سلم المسح إلا على الخفّ أو الجورب ، فإنّ حكم الوجوب في قراءة الجرّ ثابت إذا كانت الرجلان مستورتين بالخف 1577 قال ابن العربي: " وجاء الخفض ليبيّن أنّ الرجلين يمسحان حال الاختيار على حائل ، وهما الخفّان بخلاف سائر الأعضاء ، فعطف بالنصب مغسولاً على مغسول ، وعطف بالخفض ممسوحاً على ممسوح ، وصحّ المعنى فيه " 1578 ، و بما أنّ اللفظ يحتمل كلا المعنيين صار في حكم الجمل المفتقر إلى بيان الرسول صلى الله عليه و سلم 1579 ، و يعدّ البيان في هذا الباب بالسنة الفعلية من أعظم المسالك إذ " الفعل بالغ من جهة بيان الكيفيات المعنية المخصوصة التي لا يبلغها البيان القولي " 1580 ، و عليه فقد تعصّدت بهذا المسلك البياني حالة النصب على حالة الخفض ، و الأحاديث في الباب كثيرة منها ما رواه :

- عبد الله بن عمرو قال: تخلف عَنَّا النبي صلى الله عليه و سلم في سفرة سافرناها ، فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ ، فجعلنا نمسح على أرجلنا ، فنادى بأعلى صوته: "ويل للأعقاب من النار" مرتين أو ثلاثاً 1581 ، وفي لفظ مسلم: " و أعقابهم تلوح لم يمسه الماء فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " ويل للأعقاب من النار أسبغوا الوضوء." 1582

1576 - و ذهب بعض أهل العلم إلى أنّ السنة النبوية بيّنت قراءة الغسل ونسخت قراءة الخفض. انظر مشكل إعراب القرآن، مكي بن

أبي طالب القيسي، تحقيق ياسين محمد السوّاس، دار المأمون للتراث، دمشق، ج1 ص 221

1577 - انظر تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، 385 .

1578 - أحكام القرآن، 2/ 578 .

1579 - أحكام القرآن ، للخصاص 2/ 446، وفتح الباري 1/ 353، و مشكل القرآن الكريم، عبد الله بن حمد المنصور، ط1، 1426

هـ ، دار ابن الجوزي، جدّة، السعودية ، ص159

1580 - الشاطبي، الموافقات، ج3، ص 231.

1581 - صحيح البخاري، كتاب العلم باب من رفع صوته بالعلم حديث رقم 60، 48/1 و حديث رقم 96، 72/1 كتاب الوضوء ،

باب غسل الرجلين ولا يمسح القدمين حديث رقم 161.

1582 - صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب وجوب غسل الرجلين بكاملهما ، حديث رقم 241 ، 214/1

– عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي أنه سمع النبي صلى الله عليه و سلم يقول: "ويل للأعقاب و بطون الأقدام من النار" 1583 ، و هذا وعيد على ترك فرض الغسل ، فلو كان المسح يجزئ لما ترتب الوعيد عليه ، و لما كان الاستيعاب وصفا للغسل دون المسح قدم الاستيعاب بالفرض و آخر الآخر. 1584

– عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً توضع ظفر على قدمه فأبصره النبي صلى الله عليه و سلم فقال: " ارجع فأحسن وضوءك ، فرجع ثم صلى" 1585 ، و عليه فلا مانع من حمل قراءة الخفض على أن " الأرجل " معطوفة على الرؤوس المسوحة للمجاورة ما دام قد ثبت بيان المسح بالغسل بالسنة النبوية. 1586

– الدلالة التفسيرية للقراءة الشاذة:

لقد دلت قراءة الرفع على الابتداء ، و الخبر محذوف تقديره " مغسولة " 1587 ، أو " اغسلوها إلى الكعبين " 1588 ، و يكون الكلام بعد تقدير الخبر: " وأرجلكم مغسولة " ، أو " وأرجلكم اغسلوها إلى الكعبين " قال ابن جني: " ينبغي أن يكون رفعه بالابتداء ، و الخبر محذوف يدل عليه ما تقدمه من قوله تعالى: " إذا قُمتُمْ إلى الصَّلَاةِ فاغسلوا وُجوهَكُمْ " أي: وأرجلكم واجبٌ غسلها ، أو مفروض غسلها ، أو مغسولة كغيرها.. و ذلك لأنه يستأنف فيرفعه على الابتداء ، فيصير صاحب الجملة ، وإذا نصب أو جرَّ عطفه على ما قبله فصار لِحَقًّا وتبعاً فاعرفه. " 1589

1583 – سنن الترمذي 59/1 أبواب الطهارة باب ما جاء ويل للأعقاب من النار حديث رقم 41، و المستدرک علی الصحیحین للحاکم کتاب الطهارة حديث رقم 580 وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجوا ذكر بطون الأقدام ، 267/1، و مسند الإمام أحمد ، 191/1 ، و صحیح ابن خزيمة ، حديث رقم 163، 84/1 ، و مجمع الزوائد للهيثمي ، 240/1 و قال: رجال أحمد و الطبراني ثقاة ، و صححه الألباني في صحیح الجامع الصغير رقم 7133.

1584 – انظر أحكام القرآن للجصاص 246/2، و أحكام القرآن لابن العربي ، 72/2، و تفسير القرطبي ، 95/6، و فتح الباري 353/1، و شرح مسلم للنووي 3/130 ، و النوادر و الزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات ، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي زيد القيرواني ، تحقيق محمد الأمين بوخيزة ، دار الغرب الإسلامي، 1، 31

1585 – صحیح مسلم کتاب الطهارة باب وجوب استيعاب جميع أجزاء محل الطهارة حديث رقم 243 ، 215/1

1586 – صحیح البخاري 47-48، عن ابن عباس رضي الله عنه: " أنه توضع فغسل وجهه ، ثم أخذ غرفة من ماء فرش على رجله اليمنى حتى غسلها ثم أخذ غرفة أخرى فغسل بها رجله ، يعني اليسرى ، ثم قال: " هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ. "

1587 – انظر إملاء ما من به الرحمن ، 209/1

1588 – البحر الحيط ، 438/3 .

1589 – المختص ، 208/1 .

❦ - التنبيه على مقصد شرعي:

و المقاصد المنبّه عليها متنوّعة منها:

- الاقتصاد و عدم الاسراف.

لقد وجّه بعض أهل العلم قراءة الجر أنّ الوجه يغسل عادة باليد ، وتغسل الرجلان عادة بصبّ الماء عليهما ، وفي هذا إسراف منهي عنه ، فعطّفت الرجلان على الرأس المسوح لا للمسح بل للتنبيه على وجوب الاقتصاد و عدم الإسراف في صبّ الماء 1590 قال الزمخشري: "الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصبّ الماء عليها ، فكانت مظنة للإسراف المذموم المنهي عنه ، فعطفت على الثالث المسوح لا لتمسح ولكن لينبّه على وجوب الاقتصاد في صبّ الماء عليها." 1591

- بيان كمال حكمة الحكم التشريعي.

قد يكون وجه المقصد الشرعي تحقيق كمال الطهارة من خلال الجمع بين المسح بمعنى الدلك - للوصف الجامع بينهما و هو إمرار اليدين على الرجلين - و الغسل خاصة و أنّ علة الجمع بينهما متحققة الوقوع و هي أنّ الرجلين أقرب أعضاء الإنسان إلى ملابس الأقدار، فكان الجمع بين فعلي القراءتين أكمل ليكون التطهّر أبلغ 1592 ، و قد يحمل قول بعض أهل الظاهر على ما ذكرنا. 1593

- بيان قوة التعلّق بين سلامة البدن و صحة الحكم.

لقد دلّ البحث العلمي أنّ في غسل الأرجل منافع طبية كثيرة منها الوقاية من مرض القدم الرياضي 1594 ، و الالتهاب و الإكزيما الفطرية و التينا و الروائح المنتنة كما يساعد الغسل على تنشيط حركة الدورة الدموية في الأطراف السفلية 1595 ، و يحصل كمال الوقاية من خلال الجمع بين الغسل و المسح فلا يتصوّر الغسل دون صبّ الماء و لا المسح دون الدلك بإمرار اليد.

1590 - انظر الكشاف، 610/1، و تفسير النسفي ، 273/1 .

1591 - الكشّاف ، 610/2.

1592 - انظر الشنقيطي ، أضواء البيان ، 2-14 ، و تفسير المنار، رشيد رضا ، 6-230

1593 - عارضة الأحوذى 52/1، و شرح مسلم للنووي 130/3، و فتح الباري 353/1، و المجموع للنووي 476/1 ، و نيل الأوطار ، 167/1.

1594 - الموسوعة الطبية ، ج 10 ، 1758

1595 - انظر الإسلام و الوقاية من الأمراض ، فراج ص 9 ، و الصلاة رياضة النفس و الجسد، سالم، ص 67

❧ - دلالة الحمل على المناسبة الشرعية.

إنَّ الحكمة من تخلف التعاقب بين المغسولات ظاهرة ، وهي إفادة حكم الترتيب بين أفعال الوضوء ، فقد ذكر سبحانه سائر المغسولات والمسوحات في الوجه واليدين والرأس ، ثمَّ بيّن الواجب في الرجلين ، ومن المعلوم أنَّ عامّة الفقهاء جعلوا الترتيب مطلوباً في الوضوء ، فاعتبره الشافعية والحنابلة فرضاً ، و اعتبره الحنفية والمالكية سنة مؤكّدة. 1596

❧ - دلالة النقل المتواتر على بيان التغيرات القرآني.

و بما يوجه دلالة الاختلاف الفقهي في التغيرات القرآني تواتر النقل القولي و الفعلي في حمل قراءة المسح على الخفين و ما في معناهما ، فقد ثبت المسح على الخفين عن أكثر من ثمانين صحابياً 1597 ، فعن عُرْوَةَ بِنِ الْمُغْبِرَةِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَأَهْوَيْتُ لِأَنْزِعَ خُفِّيهِ فَقَالَ دَعُهُمَا فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا 1598 ، و قد دلت القرينة الزمنية المصاحبة لدليل البيان أن قراءة النصب تُحمل على غسل الرجلين أما قراءة الخفض فتُحمل على مسح الخفين 1599 ، فقد روى الأعمش عن إبراهيم عن هَمَّامٍ قَالَ: بَالَ جَرِيرٌ ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى خُفِّيهِ فَقِيلَ تَفْعَلُ هَذَا فَقَالَ نَعَمْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَالَ ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى خُفِّيهِ ، قَالَ الْأَعْمَشُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ كَانَ يُعْجِبُهُمْ هَذَا الْحَدِيثُ لِأَنَّ إِسْلَامَ جَرِيرٍ كَانَ بَعْدَ نُزُولِ الْمَائِدَةِ 1600 ، و عَنْ نَافِعٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ بَالَ فِي السُّوقِ ثُمَّ تَوَضَّأَ فَعَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَمَسَحَ رَأْسَهُ ثُمَّ دُعِيَ لِجَنَازَةٍ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهَا حِينَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَمَسَحَ عَلَى خُفِّيهِ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا. 1601

❧ - دلالة المقاصد على الإعجاز التشريعي.

لقد دلّ التغيرات القرآني على وجوب الجمع بين الحكمين - المسح و الغسل - بمسلك المقاصد الشرعية إذ أنّ صورة الجمع بين مدلول القراءتين تفضي إلى كمال تحقيق المصالح و هل جاءت الشريعة الإسلامية إلّا لتحقيق المصالح و تكميلها و درء المفاسد و تقلييلها ؟ و عليه " فالغسل أشدّ مناسبة للقدمين من المسح كما

1596 - الفقه الإسلامي وأدلته ، الزحيلي ، ج1 ص 238

1597 - اختلاف المفسرين أسبابه و آثاره ، سعود بن عبد الله الفيضان ، ط 1 ، 1997 ، دار إيشيليا ، الرياض ، ص 95

1598 - البخاري 1 - 346 رقم 199

1599 - الخرخشي على خليل ، 1 - 126

1600 - مسلم 2 - 97 رقم 401

1601 - الموطأ 1 - 96 رقم 66

أنّ المسح أشدّ مناسبة للرأس من الغسل إذ كانت القدمان لا ينقى دنسهما غالباً إلاّ بالغسل ، و ينقى دنس الرأس بالمسح ، و ذلك أيضاً غالب و المصالح المعقولة لا يمتنع أن تكون أسباباً للعبادات المفروضة حتى يكون الشرع لاحظ فيهما معنيين: معنى مصلحياً ، و معنى عبادياً ، و أعني بالمصلي ما رجع إلى الأمور المحسوسة ، و العبادي ما رجع إلى زكاة النفس "1602 ، و لقد فطن الطبري لحكمة حقيقة التغيرات القرائي في بنية التعاطف في قوله تعالى: " وأرجلكم " على لزوم الأخذ بمدلول القراءتين معا - بالجمع بين الغسل و المسح الذي يفيد الدلّك - عند حكم الوضوء للتبنيه على وجوب الاعتناء بتطهير الرجلين و المبالغة في ذلك لا لعلّة الإسراف بل لمظنّة غلبة الدرن على الرجلين و يترجّح بأمرين:

أولهما: المعنى المصلي و يؤكده توارد النصوص النبوية التي تحثّ على إسباغ الوضوء و استيعاب أعضائه بالتطهير .

ثانيهما: المعنى التعبدي و تؤكده دلالة حديث " ويل للأعقاب من النار " ، فقد قال ابن رشد: " هذا الأثر و إن كانت العادة قد جرت بالاحتجاج به في منع المسح ، فهو أدلّ على جوازه منه على منعه ، لأنّ الوعيد إنّما تعلّق فيه بترك التعميم لا بنوع الطهارة ، بل سكت عن نوعها ، و ذلك دليل على جوازها. " 1603

2 - الوجه الثاني: دلالة التوجيه النحويّ على بيان التغيرات القرائي .

إنّ العلاقة بين الشريعة الإسلامية واللسان العربي وثيقة وثاقّة العروة الوثقى لا انفصام لها ، و تعتبر قواعد النحو العربي الركن الأساس في بيان قوّة هذه العلاقة التركيبية لأنّه يدخل في بناء صرح الفقه الإسلامي 1604 ، و عليه فإنّ " الكلام في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنيّاً على علم الإعراب " 1605 ، لهذا اشترطه العلماء في باب الاجتهاد 1606 ، و أكّدوا على كمال التعمّق في مسائله ، وشدّة التدقيق في مباحثه لقوّة صلة القرابة بينهما خاصّة في باب معاني الحروف 1607 ، و من أدوات التوجيه النحوي ما يلي:

أ - دلالة الاشتراك اللغوي:

1602 - بداية المجتهد ، ابن رشد ، ط 6 ، 1982 ، دار المعرفة ، بيروت ، 1-16

1603 - بداية المجتهد ، 1-16 .

1604 - أصول الفقه ، للخضري ، 257 .

1605 - المفصل ، ابن يعيش ، 4

1606 - ينظر أصول الفقه ، الخضري ، 456 .

1607 - ينظر أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية 39 .

إنّ المسح في الرجلين هو الغسل ، لأنّ المسح في اللغة مشترك بين المسح والغسل ، 1608 فقد روي عن أبي زيد الأنصاري أنّ المسح في كلام العرب يكون غسلاً و يكون مسحاً ، و المسح خفيف الغسل ، ومنه يقال: تمسّحتُ للصلاة أي: توضّأت ، 1609 قال القرطبي: " وذهب قوم ممن يقرأ بالكسر إلى أنّ المسح في الرجلين هو الغسل وهو الصحيح ؛ فإنّ لفظ المسح مشترك بين خفيف الغسل أي المسح يقال: تمسّحتُ للصلاة أي: توضّأت " 1610 ، و يطلق المسح كذلك على الضرب قال تعالى: " زُذُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٦١﴾ " 1611 ، وللمفسرين في الآية تفسيران : 1612

✽ - كشف عن عراقيب الخيل و ضرب أعناقها ، وقال: لا تشغلني عن عبادة الله مرّة أخرى. 1613

✽ - مسح أعراف الخيل و عراقيبها حباً لها. 1614

ب - دلالة العطف بالمجاورة. 1615

قراءة الخفض معطوفة على قوله: " برؤوسكم " بالمجاورة 1616 ، وعليه فقد جرّت الأرجل لمجاورتها الرؤوس في اللفظ 1617 ، والتقدير: و امسحوا برؤوسكم و امسحوا بأرجلكم ، وقد ورد عن العرب في خطابها إعطاء الشيء حكم الشيء إذا جاوره ، كقوله تعالى: " يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق

1608 - انظر المصباح المنير ، الفيومي ، مادة مسح ، 2- 694 ، و مشكل إعراب القرآن ، مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق ياسين محمد السوّاس ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ج 1 ص 221

1609 - انظر الكشف 406/1 .

1610 - انظر الجامع لأحكام القرآن 6، 92 ، و الكشف 1، 406 .

1611 - سورة ص الآية 33

1612 - تفسير القرآن العظيم ، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني ، تحقيق عاطف بن كامل بن صالح بخاري ، رسالة ماجستير ، سنة 1430 هـ ، جامعة أمّ القرى ، مكة المكرمة ، ص 248

1613 - انظر الماردي في النكت ، 5- 93 ، و ابن الجوزي في الزاد ، 7- 24 ، و ابن كثير في تفسيره ، 4- 65

1614 - انظر الشوكاني ، فتح القدير ، 4- 569 ، و القرطبي في الجامع ، 18 - 160

1615 - و قال بحكم المجاورة الأخفش و أبو عبيدة و العكبري و ابن هشام. انظر مجاز القرآن 1/ 155 ، و إعراب القرآن ، للنحاس 2/ 9 ، و التبيان في إعراب القرآن 422 ، و مغني اللبيب 2/ 192 .

1616 - انظر إعراب القرآن ، 1، 485 ، و إملاء ما منّ به الرحمن ، 1، 209 ، و الجامع لأحكام القرآن ، 6، 93 ، و تفسير النسفي ، 1، 273 ، و مشكل إعراب القرآن ، مكي بن أبي طالب القيسي ، ج 1 ص 221 ، و أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي ، بحر العلوم ، تحقيق

محمود مطرجي ، دار الفكر ، بيروت ، 1، 379 ، و الأنباري ، الزاهر في معاني كلمات الناس ، 1 ، 280

1617 - النحاس أبو جعفر أحمد محمد إسماعيل ، إعراب القرآن ، تحقيق زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1، 485

وكأس من معين... وحوور عين "1618 ، فقد قرئت "حور" بالجرّ لفظاً مجاورتها " كأس" مع أنّها معطوفة في المعنى على " ولدان " ، لأنّ المعنى: أنّ الحور يظن على أهل الجنة الخاصين بمنّ ، وليس معناها أنّ الولدان يطوفون بمنّ 1619 إلا أنّ بعض العلماء استبعد حمل القرآن بالخفض على الجوار لأسباب منها:

✽ - أنّه مسلك الشعر و الأمثال عند الاضطرار ، و القرآن متّره عن ضرورة الشعر والأمثال 1620 قال ابن خالويه: " لا وجه لمن ادّعى أنّ الأرجل مخفوضة بالجوار لأنّ ذلك مستعمل في نظم الشعر للاضطرار وفي الأمثال ، و القرآن لا يُحمل على الضرورة و ألفاظ الأمثال"1621 ، و جعل أبو جعفر النحاس هذا المسلك من الغلط العظيم " لأنّ الجوار لا يجوز في الكلام أن يقاس عليه."1622

✽ - أنّ الكسر بالجوار يكون دون حرف العطف.1623

✽ - أنّ الكسر إنّما يصار إليه إذا حصل الأمن من الالتباس ، و في الآية الأمن من الالتباس غير حاصل.1624

ت - الحمل على دلالة التقديم و التأخير:

إنّ قوله تعالى: " أرجلكم " منصوب عطفاً على " وجوهكم " ، فتدخل في حكم الغسل، فقد نقل الفراء بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّه قرأ: " وأرجلكم "مقدّم ومؤخر"1625 كقوله تعالى: "يَمْرِمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِبِينَ ﴿١٦٦﴾"1626 ، و التقدير: اركعي واسجدي لأنّ الركوع قبل السجود

1618 - سورة الواقعة الآية 18

1619 - الأنصاري ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، مطبعة عيسى الحلبي، دار الفكر، 192،2

1620 - الحجة في القراءات السبع، 129 ، وانظر التوجيه اللغوي والنحوي للقراءات القرآنية عند ابن خالويه ، 200 .

1621 - الحجة في القراءات السبع 129 .

1622 - إعراب القرآن 1،485 .

1623 - التفسير الكبير، الرازي ، 161/11 ؛ و روح المعاني 2،258 ؛ والتوجيه اللغوي والنحوي عند ابن خالويه :200 .

1624 - انظر البحر المحيط 3 ،438 ؛ و روح المعاني 2 ،258 ؛ والتوجيه اللغوي والنحوي عند ابن خالويه ، 200 .

1625 - معاني القرآن للفراء 302/1.

1626 - سورة آل عمران، 43

، و روى بسنده عن علي رضي الله عنه قوله: " نزل الكتاب بالمسح ، والسنة الغسل " ، و روى عن الشعبي قوله: " نزل جبريل عليه السلام بالمسح على محمد صلى الله عليه و سلم وعلى جميع الأنبياء. "1627

ث - دلالة حمل النظير على النظير:

وجها القراءتين جائز في العربية ، لكنّ الغسل واجب في الأرجل لكونها معطوفة بالنصب على الأيدي ، قال الزجاج: " المسح على هذا التحديد في القرآن كالغسل لأنّ قوله تعالى: " فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق " ، فذكر الحدّ في الغسل للأيدي إلى المرافق ، و اليد من أطراف الأصابع إلى الكتف ففرض علينا أن نغسل بعض اليد من أطراف الأصابع إلى المرفق ، فالمرفق منقطع ممّا لا يغسل و داخل فيما يغسل ، وقد قال بعض أهل اللغة:1628 معناه مع المرافق ، و اليد المرفق داخل فيها ، فلو كان اغسلوا أيديكم مع المرافق لم تكن في المرافق فائدة ، وكانت اليد كلّها يجب أن تغسل ، ولكنّه لما قيل: إلى المرافق اقتطعت في الغسل من حدّ المرفق ، والمرفق هو المكان الذي يرتفق به ، أي: يتكأ عليه على المرفقة وغيرها ، فالمرافق حدّ ما ينتهي إليه في الغسل منها ، وليس يحتاج إلى تأويل مع ، و لما حدّ في الرّجل إلى الكعيبين ، و الرجل من أصل الفخذ إلى القدم علم أنّ الغسل من أطراف الأصابع إلى الكعيبين ، والكعبان هما العظامان الناتان في آخر الساق مع القدم ، وكل مفصل من العظام فهو كعب إلا أنّ هذين الكعيبين ظاهران عن يمينه فوق القدم ويسرته ، فلذلك لم يحتاج إلى أن يقال: الكعبان اللذان صفتها كذا وكذا ، فالدليل على أنّ الغسل هو الواجب في الرجل ، والدليل على أنّ المسح على الرجل لا يجوز هو تحديد إلى الكعيبين كما جاء في تحديد اليد إلى المرافق ، ولم يجيء في شيء في المسح تحديد، قال تعالى: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾" 1629 بغير تحديد في القرآن، وكذلك قوله تعالى: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ

1627- معاني القرآن ، للفراء 302/1.

1628 - من ذهب إلى أنّ "إلى" بمعنى "مع" الفراء وابن قتيبة ، و لقد استحسّن الفراء في تفسير قوله تعالى: " آل عمران، الآية 52 أن تكون " إلى" بمعنى "مع" فقال: "المفسرون يقولون: من أنصاري مع الله ، وهو وجه حسن"، وقال ابن قتيبة : " أي: مع الله"، وتابعهما ابن يعيش فحمل " إلى " في آية الوضوء في سورة المائدة على الآية المذكورة آنفاً من سورة آل عمران. انظر معاني القرآن، الفراء 218/1 ، وتأويل مشكل القرآن 571، وشرح المفصل، ابن يعيش 15/8.

1629 - سورة النساء 43

وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَايِبِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٦٣٠﴾¹⁶³⁰، و عليه فإن الواو هنا لا تكون بمعنى "مع" لأنها حينئذ تدلّ على المعية ، و إذا كانت للمعية فإن ما بعدها يكون مفعولاً معه ، و المفعول معه ما فعل معه الفعل ، والأرجل هنا لا يفعل معها الفعل إنما يقع عليها. 1631

ج - دلالة الحمل بالعطف على معنى الانفراد دون التشريك.

قد تعطف العرب الشيء على الشيء بفعل ينفرد به أحدهما ، فتقول: أكلت الخبز واللبن ، أي وشربت اللبن ؛ ومنه قول الشاعر: علفتها تبناً وماءً بارداً 1632 أي: علفتها تبناً وسقيتها ماء ، و عليه يجوز " وأرجلكم " بالجر على معنى: واغسلوا 1633 كما قال الشاعر: 1634

يا ليتَ زوجكِ قد غدا
متقلداً سيفاً ورمحاً

أي: متقلدا سيفاً وحاملاً رمحاً 1635

- الإيجاز التشبيهي في العلاقات الزوجية.

- بلاغة البديع في استنباط إيجاز التشبيهي:

1630 - سورة المائدة 6. و انظر معاني القرآن و إعرابه 152/2

1631 - السعدي عبد القادر عبد الرحمن ، أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية، ط 2000 ، دار عمار، عمان، الأردن ، ص 161

1632 - شرح ابن عقيل 207/2 .

1633 - ذهب بعض أهل النحو إلى اختصاص " الواو " بالعطف عند اجتماع فعلين متغايرين في المعنى ، وكان لكل فعل منهما معمول جاز حذف أحد الفعلين وعطف معمول هذا المحذوف على معمول الفعل المذكور قال ابن مالك: " وتنفرد الواو - أيضاً - بعطف معمول عامله محذوف على معمول عامل مذكور. " انظر البهجة المرضية في شرح الألفية 137، وحاشية الصبان على الأشموني ، 3/119.

1634 - انظر معاني القرآن، للفراء 1/121، 473 ، وتأويل مشكل إعراب القرآن 214 ، و إعراب القرآن، للنحاس 2/26، والخصائص 2/433 .

1635 - انظر أحكام القرآن 2/578 ، و الجامع لأحكام القرآن 6/94 وجعل بعض النحويين مثل هذا العطف خاصاً بـ " الواو " عند اجتماع فعلين متغايرين في المعنى، وكان لكل فعل منهما معمول، جاز حذف أحد الفعلين وعطف معمول هذا المحذوف على معمول الفعل المذكور قال ابن مالك: " وتنفرد الواو - أيضاً - بعطف معمول عامله محذوف على معمول عامل مذكور. " انظر البهجة المرضية في شرح الألفية 137، وحاشية الصبان على الأشموني 3/119، و معاني القرآن وإعرابه 2/152-154.

و مثلت له بقوله تعالى: "وَسَعَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَنُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ" 1636

- التوثيق الإصنافي والتوجيه الصلحي للقراءتين: 1637

قوله تعالى: " وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ "

✽ - قرأ حمزة و الكسائي وشعبة عن عاصم و خلف العاشر " يَطْهَرْنَ " بتشديد الطاء ، و الهاء للمطابقة بين اللفظين 1638 ، و التطهر يكون بالماء ، و أدغمت التاء في الطاء فشددت 1639 لتفيد صيغة التشديد قطعاً البالغة في طهر النساء من الحيض 1640 ، و هذا قدر زائد على لفظ الطهر الذي يفيد معنى النقاء من دم الحيض ، وبهذا فوطء المرأة موقوف بإباحته على وجوب الغسل ، والغسل موقوف صحته على انقطاع دم الحيض .

✽ - قرأ الجمهور: " يَطْهَرْنَ " بتخفيف الطاء و إسكان الراء على معنى حتى ينقطع الدم 1641 ، لأن ذلك ليس من فعلهن 1642 ، فالعرب في معهود خطابها قولها: طهرت المرأة من الحيض فهي طاهر 1643 ، وعلى هذا فقراءة التخفيف تفيد مطلق النقاء من الحيض ، ولا تفيد المبالغة في الطهارة بحال.

1636 - البقرة 222

1637 - انظر معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب ، دار سعد الدين ، 80/2 ، و ابن الفحام ، التجريد ، 197 ، و ابن البادش ، الإقناع ، 2 / 605 .

1638 - ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبع ، 96 .

1639 - انظر أبو منصور الأزهري معاني القراءات ، 1 / 202 ، و البستان في علوم القرآن ، لأبي القاسم هبة الله بن عبد الرحيم البارزي ، تحقيق يحيى بن عبد ربه الزهراني ، رسالة ماجستير، 2007 ، جامعة أمّ القرى، مكة ، ص 234

1640 - تيسير الكريم الرحمن ، ص 82

1641 - انظر أبي حيان أثير الدين الأندلسي، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، ط 1926 ، مطبعة الإخلاص، حماة ، سوريا، ص 77

1642 - قال البخاري: بَابُ كَيْفَ كَانَ بَدَأَ الْحَيْضِ وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا شَيْءٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ

كَانَ أَوَّلُ مَا أُرْسِلَ الْحَيْضُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَحَدِيثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرُ، ثُمَّ رَوَى عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَذْكُرُ إِلَّا الْحَجَّ فَلَمَّا جِئْنَا سَرَفَ طَمِئْتُ فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي فَقَالَ مَا يُبْكِيكَ قُلْتُ لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنِّي لَمْ أَحِجَّ الْعَامَ قَالَ لَعَلَّكَ نَفْسَتْ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَإِنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ فَأَفْعَلِي

مَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّىٰ تَطْهَرِي. انظر الجامع الصحيح رقم الحديث 294

1643 - ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبع 96.

- التوجيه الفقهي للقراءة:

إنّ البيان يقتضي منّا الوقوف على دلالة لفظ الطهر بقراءته بما يأتي:

✽ - إن حمل لفظ الطهر في قراءة التخفيف على معنى الحقيقة اللغوية- النقاء من دم الحيض - فلا بدّ من حمل لفظ التطهّر في قراءة التشديد على معنى الحقيقة الشرعية ليحصل من الغاية و الشرط اجتماع القراءتين على كمال الحكم ، و يشهد لهذا الكمال الدلالي الاستعمال القرآني في قوله تعالى: " وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم." 1644

✽ - إن حمل لفظ الطهر في الموضوعين على قراءة التشديد تعيّن إنزال المعنى الشرعي على مفهوم الغاية والشرط المؤكّد له، فيحصل تأسيس و تأكيد باشتراط الغسل و توكيده مع اشتراط النقاء عادة إذ لا فائدة في الغسل قبل ذلك. 1645

✽ - إن حمل لفظ الطهر في القراءتين على معنى قراءة التخفيف- الحقيقة اللغوية - أفاد تقديم التأكيد على التأسيس و هذا ترجيح للغة على الشرع دون دليل معتبر ، ومن المعلوم أنّ اللفظ إذا كان مشتركاً بين معنيين وكان حملة على أحدهما يوجب محذوراً ، وعلى الآخر لا يوجب ذلك المحذور ، فإنّ حمل اللفظ على المعنى الذي لا يُوجبُ المحذورَ أولى 1646 ، و انطلاقاً من تأصيل حقيقة اللفظ اختلف الفقهاء في تحرير مسألة الطهارة قبل الوطء على مذهبين:

✽ - مذهب الحنفية جعلوا قراءة التخفيف في حكم المحكم المجمع عليه ، وقراءة التضعيف في حكم المشابهة المختلف فيه ، فردّوا حكم الثاني إلى الأول 1647 ، فجوّزوا الوطء عند انقطاع الدم وتمام العادة بعشرة أيام 1648 ، فإذا قلت العادة عن التمام حلّ الوطء بعد الغسل أو مضي وقت الصلاة عليها 1649 ، واستعملوا المشدّد بمعنى المخفّف. 1650

1644 - النساء 6

1645 - انظر التحرير والتنوير ج 2 ص 368 ، و ابن جزري ومنهجه في التفسير، علي محمد الزبيري، دار القلم، دمشق، ط 1، 1987، ج 1 ص 392 ، و شافي العليل شرح الخمسمائة آية من التزويل ، فخر الدين عبد الله بن محمد بن قاسم النجري ، تحقيق محمد بن صالح العتيق ، رسالة دكتوراه 1406 هـ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ج 1 ص 121

1646 - انظر تفسير ابن عادل ، ج 3 ص 63 - 64

1647 - انظر الجصاص، أحكام القرآن، 1 - 476 .

1648 - الفقه الإسلامي وأدلته ، الزحيلي ، ج 1، ص : 473.

✽ - مذهب الشافعية والمالكية والحنابلة أنّ قراءة التخفيف لا يصح حملها على غسل محلّ الحيض حال السيّان فوجب حمل إباحة الوطء على تحقّق غائتين الأولى نقاء المحلّ بالانقطاع ، و الثانية الاغتسال ، 1651 و بما أنّ قراءة التخفيف لفظ مشترك المعنى بين النقاء و الغسل فقد افتقر لبيان قراءة التضعيف التي تنفيذ الاغتسال قطعاً 1652 ، و بهذا فإنّ الوطء لا يصحّ إلاّ بمجموع القيدين في القراءتين أصل الطهر بالنقاء من الحيض ، و المبالغة فيه بالاغتسال 1653 قال الشوكاني: " إنّ الله سبحانه جعل للحلّ غائتين كما تقتضيه القراءتان: إحداهما: انقطاع الدم ، والأخرى: التطهّر منه ، والغاية الأخرى مشتملة على زيادة على الغاية الأولى فيجب المصير إليها ، وقد دلّ أنّ الغاية الأخرى هي المعتبرة بقوله تعالى بعد ذلك: " فَإِذَا تَطَهَّرْنَ " ، فإنّ ذلك يفيد أنّ المعتبر التطهّر لا مجرد انقطاع الدم ، وقد تقرّر أنّ القراءتين بمزلة الآيتين ، فكما أنّه يجب الجمع بين الآيتين المشتملة إحداهما على زيادة بالعمل بتلك الزيادة ، كذلك يجب الجمع بين القراءتين. " 1654

و يترجّح مذهب الجمهور بمنهج السبر و التقسيم ، و عليه فإنّ قوله تعالى " فَإِذَا تَطَهَّرْنَ " يحتمل أمرين إمّا التطهّر اللغوي أو الشرعي فحملة على الشرعي أولى و أرجح من ستة أوجه:

✽ - أنّ الحقيقة الشرعية مقدّمة على الحقيقة اللغوية فيحمل التطهّر على غسل الصلاة.

1649 - انظر البحر الرائق لابن نجيم ، دار المعرفة ، بيروت ، 1 - 213

1650 - محمد علي الصابوني ، تفسير آيات الأحكام من القرآن ، دار القلم العربي ، حلب ، سوريا ، ج 1 ص 302

1651 - و على هذا التفسير الماوردي في النكت و العيون ، تحقيق السيد بن عبد المقصود ، ط 1 ، 1992 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1 - 283 ، و البغوي في معالم التنزيل ، تحقيق خالد عبد الرحمن العك ، و مروان سوار ، ط 1 ، 1986 ، دار المعرفة ، بيروت 1 - 197 ، و ابن الجوزي في زاد المسير 1 - 248 ، و البيان في غريب إعراب القرآن ، أبو البركات ابن الأنباري ، تحقيق طه عبد الحميد ، ط 1980 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1 ، 155 ، و التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء العكبري ، تحقيق علي محمد الجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، 1 ، 178

1652 - و قد نقل هذا الجمع بين القراءتين البارزي في بستانه. انظر البستان في علوم القرآن ، لأبي القاسم هبة الله بن عبد الرحيم البارزي ، تحقيق يحيى بن عبد ربه الزهراني ، ص 233

1653 - انظر بداية الجتهد و نهاية المقتصد ، ابن رشد ، 1 - 50 ، و التفسير الكبير ، الرازي ، 6 - 349 ، و المبدع شرح المقنع ، ابن مفلح ، 1 - 262 ، و الألوسي ، روح المعاني ، 2 - 122 ، و القاسمي ، محاسن التأويل ، 3 - 562 ، و قد نقل الإجماع في ذلك الطبري في تفسيره و ابن حزم الظاهري و انظر ابن حزم ، مراتب الإجماع في العبادات و المعاملات و الاعتقادات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص 24 ، و فتحي بن الطيب الحماسي ، الأحرف السبعة و ارتباطها بالقراءات ، ط 1 ، 1995 ، دار المعرفة ، دمشق ، ص 89

1654 - انظر السيوطي ، الإكليل في استنباط التنزيل ، مراجعة أبي الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري ، ص 36

✽ - أن الأعمال مقدّم على الإهمال ، والقراءتان إذا ظهر تعارضهما في الآية الواحدة كان لهما حكم الآيتين 1655، و يتعيّن التوفيق عندئذ بالعمل بالمعنيين ، ويتزلّ التعارض منزلة التضمين 1656 في معهود الخطاب العربي ، أو منزلة التورية 1657 و التوجيه 1658 في علم البديع ، أو منزلة مستتبعات التراكيب في علم المعاني 1659 ، و من هذا التأصيل وجب حمل القراءتين في آية الحيض على معنى الطهارة اللغوية و الشرعية.

✽ - أن الميزان التصريفي لقراءة التخفيف قد وردت صيغة الفعل فيها على وزن - فَعَلَ يَفْعُلُ - لتدلّ على الصفة اللازمة غير المتكلفة 1660 فتحمل على معنى النقاء من الحيض ، أمّا قراءة التشديد فقد وردت صيغة الفعل فيها على وزن تَفَعَّلَ ليفيد نية القصد و فعل التكلف ، 1661 و عليه فإنّ التطهّر لا يستعمل إلاّ في الفعل المكتسب الذي فيه معنى الكلفة و هو الغسل الشرعي ، و بهذا فإنّ للحلّ غايتان:

- الأولى: انقطاع الدم بالنقاء.

- الثانية: التطهّر منه و الغاية الثانية مشتملة على زيادة ليست في الأولى فوجب المصير إليها. 1662.

1655 - انظر الإتقان ، 84/1 ، و معترك الأقران ، 127/1 ، و أضواء البيان - 7/2، وحاشية محي الدين زاده على البيضاوي، دار التراث العربي ، القاهرة ، 35/1.

1656 - التضمين: إعطاء الشيء معنى الشيء ، ويكون في الأسماء و الأفعال، و مثاله في الأسماء قوله تعالى: "حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق" الأعراف، 105 حيث ضمّن لفظ "حقيق" معنى حريص ، أمّا في الأفعال فقوله تعالى: "عينا يشرب بها عباد الله" الإنسان ، 6 حيث ضمن فعل يشرب معنى يروى لتعديته بالباء دون "من".

1657 - التورية : ذكر لفظ له معنيان أحدهما قريب متروك يورى به ، و الثاني بعيد مقصود الموارى عنه.

1658 - التوجيه: ما احتمال معنيين لفظنة المخاطب مثاله قوله تعالى: "هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون" القصص 12 فإن الضمير " له " يصلح أن يكون لموسى عليه السلام كما يصلح أن يكون لفرعون.

1659 - هي المعاني المستبطة من التراكيب بدلالة القرائن كالسياق مثلاً. أنظر التحرير والتنوير، 48/1 .

1660 - فصيغة فَعَلَ تدل على لزوم الصفة كالطبائع مثل حُسْن و قُبْح فاتصف الفعل باللزوم كاتصاف الإنسان بالطبيعة التي لا تتعدى إلى غيره. انظر شرح الشافية للرضي 84، 1 ، و ظواهر لغوية في القراءات القرآنية ، غانم قدوري الحمد ، ط 1 ، 2006 ، دار عمّار، عمّان ، الأردن، ص 75

1661 - و ذهب سيبويه إلى أنّ صيغة تَفَعَّلَ تأتي بمعنى تكلف الأمر فقال: " إذا أراد الرجل أن يدخل نفسه في أمر حتى يضاف عليه ، ويكون من أهله ، فإنّك تقول : تَفَعَّلَ ، وذلك تشجّع ، وتحمّل... " واستدل عليه بقول حاتم : تَحَلَّمْ عَنِ الْأَدْنَيْنِ وَاسْتَبِقْ وَدَّهْم - وَكُنْ تَسْتَطِيعَ الْحَلْمَ حَتَّى تَحَلَّمَ. انظر الكتاب ، سيبويه ، 71/4

1662 - ترجيحات أبي جعفر النحاس في التفسير ، زيد بن علي بن مهدي مهارش، رسالة دكتوراه، 1426 هـ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ، 1، 410

❖ - إفادة السياق القرآني معنى التطهر الشرعي بدلالة ختام الفاصلة القرآنية: " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ " فتحمل على المتطهرين للصلاة قال الطبري: " وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلَ مَنْ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ مِنَ الذُّنُوبِ ، وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ بِالْمَاءِ لِلصَّلَاةِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْأَغْلَبُ مِنْ ظَاهِرِ مَعَانِيهِ " ، و يؤكد المعنى الظاهر الغالب اجتماع مفسري الصدر الأول على ذلك فعن عطاء قال: " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ " التَّوَّابِينَ مِنَ الذُّنُوبِ و " يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ " الْمُتَطَهِّرِينَ بِالْمَاءِ لِلصَّلَاةِ. "1663

❖ - إجماع العلماء على حرمة وطء الحائض سواء عند فورة الحيض أو فترته و لا فرق بين الحائض بعد انقطاع الدم و قبل الغسل فقد روى أبو داود عن ابن عباس عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الَّذِي يَأْتِي امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ قَالَ يَتَصَدَّقُ بِدِينَارٍ أَوْ نِصْفِ دِينَارٍ " ، و في رواية عنه: " عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِذَا أَصَابَهَا فِي أَوَّلِ الدَّمِ فِدِينَارٌ وَإِذَا أَصَابَهَا فِي انْقِطَاعِ الدَّمِ فَنِصْفُ دِينَارٍ "1664 ، فدلّ الفرق و كفارة الإتيان على ثبوت الغسل الشرعي الذي به تطهر المرأة.

❖ - إذا تردّد اللفظ بين التطهر اللغوي و التطهر الشرعي فالأخذ بالأحوط أولى ، و الاحتياط يقتضي التطهر الشرعي.

❖ - الاستعمال القرآني بقوله تعالى: " وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا "1665 ، و قوله جلّ و علا: " وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا "1666 ، فجعل القرآن التطهر بمعنى الاغتسال الذي تصحّ به الصلاة.1667

- بلاغة المنهج البديع في استنباط الإيجاز التشريعي:

وجاء أهل البلاغة فاستنبطوا ببراعة منهج علم البديع إعجازاً من آيات التشريع وفق الخطوات التالية:
أ - الإعجاز ببلاغة الإيجاز - الحذف بالاحتباك - 1668 ، فقد حذف من أول طرف الآية الفعل المشدّد - يَتَطَهَّرُونَ - لدلالة الثاني عليه ، وحذف من ثاني طرف الآية الفعل المخفّف - طَهَّرُونَ - لدلالة الأول عليه ، و

1663 - تفسير الطبري ج3 ص742

1664 - سنن أبي داود رقم 230 ، و أحمد في المسند رقم 2015 ، و ابن أبي شيبة في المصنف، رقم 35 ، ج3 ص 488

1665 - المائدة 6

1666 - النساء 43

1667 - ترجيحات أبي جعفر النحاس في التفسير ، زيد بن علي بن مهدي مهارش، 1، 411

1668- انظر البرهان 129/3 ، و السيوطي ، التحبير في علم التفسير، ط1 ، 1996 ، دار الفكر ، بيروت، ص 114

على هذا فالمقدّر المحذوف هو: ولا تقربوهنّ حتى يطهّرنّ ويتطهّرنّ فإذا طهّرنّ وتطهّرنّ ، و بهذا فإنّ حمل الآية على الاحتباك يوضّح دلالتها ويبيّن حكمها بتعيّن حكم التطهّر - الاغتسال - بعد الطهر - انقطاع دم الحيض - ، و مما يرجح ذلك دلالة السياق على ثبوت المحذوف ، و بهذا ارتفع الخلاف في الحكم بين الفقهاء ببلاغة إيجاز الإعجاز عند البلغاء.

ب - الإعجاز بين الذكر التقابلي و الفاصلة القرآنية:

قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ تُحِبُّ التَّوْبِينَ وَتُحِبُّ الْمَتَّطَهِّرِينَ " فالتوبة في الآية طهارة القلب بهجر الذنب ، و هذه تركية روحية ، 1669 و التطهّر نظافة الجسم من النجاسة و الأقدار ، وهذه طهارة حسية 1670 ، و بهذا فقد تقابل لفظا الفاصلة القرآنية مع وجهي القراءتين - المذكوران المتقابلان بعد الاحتباك - تقابلا تمّ به كمال بيان أحكام العلاقة الأسرية ، و حسنّ به جمال خلال العشرة الزوجية.

ت - الإعجاز بين بديع التمكين و بلاغة الفاصلة القرآنية:

و أقصد بالتمكين الدلالي تعلق معنى الفاصلة القرآنية بموضوع الآية القرآنية تعلقا يتأسّس معه مراد المتكلم و يتأصّل ، ثمّ بالتأكيد يتقرّر فيتمكّن 1671 ، فقولته تعالى: " إِنَّ اللَّهَ تُحِبُّ التَّوْبِينَ وَتُحِبُّ الْمَتَّطَهِّرِينَ " فيه إشارة إلى طهارتين:

- الأولى: قلبية باطنية ، و حقيقتها تركية النفس بهجر محارم الله تعالى ، و من لوازم التوبة ترك إتيان الزوجة في الحيض ، أو الدبر و دلالة السياق اللفظي يعضّد ذلك " نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَشَرِّ الْمُؤْمِنِينَ " 1672.

- الثانية: حسية ظاهرية ، و حقيقتها التمكّن من الغسل بعد النقاء من النجاسة العينية ، و بهذا فقد مكّنت الفاصلة القرآنية ببلاغة لفظيها لمذهب الجمع بين القراءتين - الطهر و التطهّر - بمسلكين:

1669 - تفسير الطبري ج 3 ص 742

1670 - تفسير ابن كثير ج 1 ص 293

1671 - انظر السيوطي، معترك الأقران، 1، 31، والزركشي، البرهان، 1، 78، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد

الهاشمي، المكتبة العصرية، بيروت، ص 304

1672 - البقرة 123

- أحدهما: مراعاة قاعدة النظير بين لفظي الفاصلة - التوابين و المتطهرين - على الترتيب 1673 من خلال ملاحظة الجملة المقدرة من الحذف التقابلي - حتى يطهرن و يتطهرن فإذا طهرن و تطهرن فأتوهن - فناسبت كلمة التوبة نظيرتها الطهر " بترك إتيان النساء في الحيض " ، و ناسبت كلمة الطهارة نظيرتها الاغتسال ، و قدّم التوّابين على المُتَطَهِّرِينَ لتقدّم الطهر " النقاء " على التطهر - الغسل - فدلّ الترتيب في المباني على ترتيب المعاني ، و دلّ لفظ التوّابين دلالة ظاهرة على تعلّقه بقراءة الطهر كما دلّ لفظ المُتَطَهِّرِينَ دلالة ظاهرة على تعلّقه بقراءة التطهر ، ليدلّ اجتماع القراءتين بالترتيب المقصود على شرطي الطهر و التطهر في إباحة الجماع. 1674

- ثانيهما: دلالة صيغة التفعّل في اسم الفاعل " المتطهرين " على:

☞ - ثبوت قصد الفعل للدلالة على المبالغة في حصول الطهارة .

☞ - الإشارة إلى حمل النفس على مشقة الطهارة.

ث - الإعجاز و بلاغة المناسبة القرآنية: 1675

و تتجلى المناسبة في العناصر التالية.

✽ - المناسبة بين الإعجاز و مقاصد السياق القرآني:

1673 - و أقصد بالترتيب في الفاصلة القرآنية التقديم و التأخير بين مفرداتها و دلالة ذلك على معنى النص القرآني .

1674 - انظر تفسير القرطبي 3 - 78 ، و عماد الدين بن محمد الطبري الكياهراسي ، أحكام القرآن ، ط 2 - 1985 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1 - 134

1675 - المناسبة في اللغة: المقاربة و المشاكلة، يقال: بين الشيئين مناسبة و تناسب أي مشاكلة و تشاكل و قال ابن فارس: النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء" و في اصطلاح المفسرين: وجه الارتباط بين كلمات الآية الواحدة و بين كل آية بما قبلها و ما بعدها، و السورة بما قبلها و ما بعدها، و عرفها البقاعي بقوله: " علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن. " و بهذا فإن المناسبة هي الوقوف على مقاصد علل الترتيب بين التركيب. أما فائدة المناسبة فهي: - فهم مقاصد النظم القرآني بفهم علل ترتيب أجزائه. - الوقوف على أسرار البلاغة القرآنية. - بيان وجوه الائتلاف عند توهم الاختلاف بين الآيات المختلفة في الموضوع و النزول. - دفع الإيهام بالبيان عند غلبة الإجمال و ترجيح إحدى الدلالات عند تساوي الاحتمالات و رفع الالتباس عن مقاصد الآيات.

- بيان صور الإعجاز القرآني في تناسب المعاني مع المباني. انظر عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، و الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مصطفى ديب البغا ، ط 2 ، 1993 ، دار ابن كثير، بيروت، ج 2، ص 977 ، و محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي شيري ، ط 1 ، 1994 ، دار الفكر، بيروت، ج 2، ص 430 ، و أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل، بيروت، ج 5 ، ص 32 ، و برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور ، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي ، ط 1 ، 1995 ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 1، ص 5

إنَّ ورود آية الحيض بين آية النهي عن نكاح المشركين وآية الحرث في سياق العطف دون الاستئناف أنسب في الدلالة على وجوب الطهارة كمبدأ أساسي تقوم عليه الحياة الفردية و الزوجية و الجماعية في الإسلام ، و انطلاقاً من أنَّ الطهارة قاعدة الشرع المطردة في أحكامه ، فإنَّ آية الحيض تبين صورة فقهية عملية تعالج من خلاله مظهراً من مظاهر العلاقة الزوجية السليمة التي حفظ القرآن الكريم مقاصدها بدءاً بنشأتها على أصل طهارة الإيمان إذ قال تعالى: "وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ ۚ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا أَعَجَبْتُمْ ۗ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا أُعْجَبُكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۗ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۗ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٦٧٦﴾" ، ومناسبة التحريم تؤذن بمقصد مخالفة أهل الجحيم بالنتزّه عن أحوالهم أجمعين 1677 ، وبدوامها على أصل الزرع النقي الطاهر لأنَّ الحرث بذر لطلب النسل ، و لا يكون النسل إلا في القبل 1678 قال تعالى: "نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۗ" واستمرارها على ذلك إلى غاية تحقيق البشارة بالجنان الطاهرة قال تعالى: "وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلتَقُونَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٧٩﴾"

❁ - المناسبة بين الإعجاز و موضوع السياق القرآني:

لقد جاءت سورة البقرة لتفصّل قضايا الأسرة بناء على ما سبق نزوله من قواعد التأسيس الأسري في السور القرآنية الأخرى 1680 و التي أجمعت مواضيعها على ضرورة فهم المرأة فهما يتجاوب مع مقاصد

1676 - البقرة 121

1677 - قال الطاهر بن عاشور: " كان المشركون لا يقربون نساءهم إذا كُنَّ حَيْضاً وكانوا يفرطون في الابتعاد منهن مدة الحيض فناسب تحديد ما يكثر وقوعه وهو من الأحوال التي يخالف فيها المشركون غيرهم ، ويتساءل المسلمون عن أحق المناهج في شأنها. " انظر التحرير و التنوير ج 2 ص 364

1678 - المصايح في تفسير القرآن العظيم، الوزير الحسين بن علي المغربي ، تحقيق عبد الكريم بن صالح الزهراني ، رسالة دكتوراه ، كلية اللغة ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ، ج1 ص 231

1679 - البقرة 123

1680 - محمد الغزالي ، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ط 4 ، 2000 ، دار الشروق، القاهرة، ص 20 و من الآيات القرآنية التي أسست قواعد الأسرة ما يأتي: قوله تعالى: " وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ وَرَزَقَكُمْ مِنْ أَلطَّيْبَاتِ ؕ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ النحل - 72 و " مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۗ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ النحل - 97 و " وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

النكاح في التشريع الإسلامي ، ولعلّ الحكمة من تعديد موضوع الطهارة بين الزوجين في مواضع متتالية - في أصل تكوين الزواج باشتراط قيد الإيمان و في تنظيم العلاقة الجنسية في ذاتها و مقصدها - بيان علاج النوازل التي تعصف بالنكاح و مقاصده كالإيلاء و الطلاق و الخلع ، و تنظيم المسؤوليات الأسرية كالنفقة و الرضاع و غيرها ، فوقع البيان على ضرورة أدب التروّي القائم على طهارة التقوى التي تخلّلت موضوع هذه النوازل لتجتمع الأحكام الأسرية المذكورة في سورة البقرة على وفاق واحد ، و لتحقق مقصدا واحدا.

✽ - المناسبة بين الإعجاز و مقاصد الوجوه و النظائر القرآنية: 1681

لقد دلّ الاستقراء التام للفظ الطهر في القرآن الكريم على دورانه بين معنى طهارة الجسم و طهارة النفس فحملت عليهما عامّة الآيات القرآنية 1682 التي تنوّعت مواضعها و اختلفت أسباب نزولها ليرد لفظ الطهر على وجوه المعاني التالية: 1683

✽ - انقطاع الدّم ، قال تعالى: " وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ " 1684 أي: حتى ينقطع الدّم.

✽ - الاستنجاء بالماء ؛ قال تعالى: " فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا " 1685 ، أي: يستنجون بالماء.

✽ - الاغتسال ، قال تعالى: " فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ " أي: اغتسلن.

✽ - السلامة من سائر المستقدرات ، قال تعالى: " وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ " 1686 ، و قوله تعالى: " وَأَزْوَاجٌ

مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ " 1687

يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٩﴾ الروم - 29 و " مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ

حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ غافر 40

1681 - سلوى محمد العوا ، الوجوه و النظائر في القرآن، ط 1، 1998 ، دار الشروق، القاهرة ، ص 44

1682 - المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ص 308

1683 - انظر تفسير ابن عادل ج 3 ص 70 ، و أبو عبد الله هارون بن موسى العتكي ، الوجوه و النظائر في القرآن، تحقيق حاتم صالح

الضامن ، ط 1988 ، وزارة الثقافة و الإعلام، بغداد ، العراق ، ص 85 ، أبو الفرج عبد الوهمن بن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم

الوجوه و النظائر ، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي ، ط 1، 1984 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص 421

1684 - البقرة: 222

1685 - التوبة: 108

1686 - البقرة: 25

1687 - آل عمران 15

﴿ - التَّطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ ؛ قَالَ تَعَالَى: " لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ " 1688 ، و قوله سبحانه: " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ.. " 1689

﴿ - التَّطَهِيرُ مِنَ الشَّرِكِ ، قَالَ تَعَالَى: " وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ " 1690 ، أَي: طَهَّرَهُ مِنَ الشَّرِكِ.

﴿ - طَهَارَةُ الْقَلْبِ مِنَ الرِّيْبَةِ قَالَ تَعَالَى: " ذَالِكُمْ أَطَهَّرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبَهُنَّ " 1691

﴿ - الْحَلَالِ ، قَالَ تَعَالَى: " هُوَ لَاءَ بَنَاتِي هُنَّ أَطَهَّرُ لَكُمْ " 1692 أَي: أَحَلَّ.

﴿ - التَّطَهَّرَ مِنَ الرَّجْسِ ، قَالَ تَعَالَى: " وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً " 1693 أَي: مِنَ الْآثَامِ وَالرَّجْسِ.

﴿ - الطَّهَارَةُ مِنَ الْفَاحِشَةِ قَالَ تَعَالَى: " يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ " 1694

﴿ - تَقْصِيرُ الشِّيَابِ قَالَ تَعَالَى: " وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ " 1695

﴿ - النَّزْهَةُ عَنِ إِيْتَانِ الرِّجَالِ قَالَ تَعَالَى: " أَخْرِجُوا أَعْيُنَ الرِّجَالِ مِنَ قُرْبَيْكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ " 1696 ، و لقد

أكدت الشريعة الإسلامية المعنى المستقر من الوجوه و النظائر فجاءت أحكامها لتطهير الأنفس بالتركيبية ، و تنظيف الأجساد بالنظافة ، و من هذا التأسيس توطأ تمام الاستقراء وكمال التشريع مع بيان الوجوه و النظائر مع دلالاتي القراءتين الواردتين في سياق موضوع الطهارة النفسية في بناء مقاصد العلاقة الزوجية و الطهارة الحسية و الصحة الإنسانية.

ج - الإعجاز بين الفاصلة الصوتية - الوقف - و الفاصلة القرآنية:

إِنَّ الْوَقْفَ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: " إِنَّ اللَّهَ سَجِبُ التَّوْبِينَ وَنَحِبُ الْمُتَطَهِّرِينَ " تام 1697 فدلّ على تعلق معنى الفاصلة بمعنى آية المحيض دون ما بعدها ، و دلّ التعلق على تمام الغاية بكمال الطهارين.

1688 - الواقعة: 79

1689 - التوبة: 103.

1690 - الحج: 26

1691 - الأحزاب: 53

1692 - هود: 78

1693 - الأحزاب: 33

1694 - آل عمران: 42

1695 - المدثر: 4

1696 - النمل: 56

1697 - المتكفي في الوقف و الإبتدا ، لأبي عمرو الداني، ص 185

ح - الإعجاز بين الدلالة الصوتية و المقاصد الشرعية.

إنّ مِنْ قواعد البحث الصوتي عن معاني الأحكام الشرعية ورود ظاهرة الإبدال الصوتي عند تجاؤر حَرْفَيْنِ مُتَنَافِرَيْنِ فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ لِتَفَادِي عَوَارِ الثَّقَلِ عِنْدَ النُّطْقِ ؛ فَيَتَعَيَّنُ عِنْدَهُ إِبْدَالُ أَحَدِهِمَا لِأَنَّهُ مِنَ الْحَرْجِ الْبَيْنِ عَسْرَهُ " عَلَى اللِّسَانِ أَنْ يَنْطِقَ بِصَوْتَيْنِ مُتَجَاوِرَيْنِ ، وَهُمَا مِنْ طَبِيعَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ جَهْدٍ عَلَى أَعْضَاءِ النَّطْقِ " ¹⁶⁹⁸ مثاله كلمة " اَطَّهَّرُوا " فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا" ¹⁶⁹⁹ ؛ فقد وردت الكلمة مُشَدَّدَةً الطَّاءِ وَهَاءٍ لِتَشِيرَ إِلَى شِدَّةِ الْحَرَصِ عَلَى التَّطَهُّرِ وَ الْاهْتِمَامِ بِتَحْصِيلِهِ ، وَالمَبَالِغَةِ فِي الْحَثِّ عَلَى تَجَنُّبِ حَالِ الْجَنَابَةِ ، وَ الْأَصْلِ فِي لَفْظِ " اَطَّهَّرُوا " وَرُودِهَا عَلَى صِيغَةِ " تَطَهَّرُوا " ، ثُمَّ أُبْدِلَتِ التَّاءُ طَاءً ، ثُمَّ أُدْغِمَتِ بِالطَّاءِ وَشُدِّدَتْ ، ثُمَّ سَيِّقَتْ هَمْزَةً الْوَصْلِ لِتَسْهِيلِ النُّطْقِ بِالسَّاكِنِ ؛ وَ دَلَّ الْاسْتِعْلَاءُ وَ الْإِطْبَاقُ فِي الطَّاءِ عَلَى مَعْنَى التَّفْخِيمِ لِتَحَقُّقِ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ فَخَامَةِ اللَّفْظِ فِي قُوَّةِ حُرُوفِهِ وَ الْحُكْمِ فِي قُوَّةِ دَلَالَتِهِ عَلَى سُرْعَةِ الْإِمْتِثَالِ وَ كَمَالِ الْإِتْبَاعِ ، لِيُضِيفَ اللَّفْظُ بِطَبِيعَتِهِ الصَّوْتِيَّةِ بَعْدَ رُوحِيَا يَتَحَقَّقُ بِهِ مَقْصِدُ ضَرُورِي يَحْفَظُ بِهِ الدِّينَ ، وَ بَعْدَ شَرْعِيَا يَحَقِّقُ مَقْصِدَيْنِ:

- أولهما حاجي ذو صبغة شرعية يبرز ضرورة الطهارة في قاعدة التَّعَبُّدِ.

- ثانيهما تحسيني ذو مسحة جمالية يظهر وهو حرص الشريعة الإسلامية على الدعوة إلى النظافة.

- التناهي القرائني و الإعجاز الطبّي :

الطبّ الإسلامي وظيفته شرعية ، و ممارسة حضارية يقوم على أصل الحماية العامّة للحياة الإنسانية على مستوى الفرد و المجتمع و البيئة 1700 ، و انطلاقاً من تفسير الإسلام لرسالة الإنسان في الوجود فإنّ الحكمة الإلهية من إنزال تشريعه تقتضي بيان طريق الهداية ، و مقصد العبادة ، و بما أنّ قاعدة الإسلام تحقيق المصالح و محقّ المفاسد فإنّ المتمعّن في آيات الذكر الحكيم وفق المنهج التربوي القرآني يجد أنّ التركيز إنّما ينصبّ على

1698 - فِي النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ - قواعد و تطبيق ، 4 ، و ينظر ظاهرة التَّخْفِيفِ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ ، 142. و يسمّى هَذَا التَّجَاوُرَ بِالتَّمَاثُلِ الصَّوْتِيِّ أَوْ بِالْمُضَارَعَةِ عَلَى قَاعِدَةِ سَبِيوِيهِ أَوْ بِالتَّجْنِيسِ بِمَعْنَى الْمُنَاسَبَةِ عَلَى قَاعِدَةِ ابْنِ جَنِي. انظر الكتاب، سبويه ، 602/4 ، و المنصف ، ابن جني ، ص 541

1699 - المائدة ، 6

1700 - عدنان الشريف ، من علم الطب القرآني ، ط 1 - 1990 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ص 179 ، و السيد الجميلي ،

الإعجاز الطبي في القرآن ، ط 2 1990 ، دار الهلال ، بيروت ، ص 233

تقوية المناعة الشرعية في النفس البشرية لدرأ المفاصد المتوقّعة ، و جلب المصالح المتحقّقة 1701 ، و يتجلّى ذلك بوضوح في آية الخيض من خلال نوعين من البناء الصحيّ للفرد والمجتمع هما: 1702

1 - الطب الوقائي الإسلامي: 1703

و يقوم بمنع انتشار الأمراض والأوبئة وفق قاعدتين أساسيتين:

أ - العزل و أصل ثبوتها قوله صلى الله عليه وسلم: " لا يوردن ممرض على مصح. " 1704

ب - الحجر الصحي ، و أصل ثبوتها قوله صلى الله عليه وسلم: " إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها " 1705 ، وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطاعون فقال أسامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني إسرائيل أو على من كان قبلكم فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه. " 1706

2 - الطب العلاجي الإسلامي:

و يقيم الصحة الإنسانية على قاعدتين أساسيتين:

1701 - فتحي يكن ، التربية الوقائية في الإسلام ، ص 39

1702 - قواعد الإسلام في الأخذ بالوقاية في الحياة كثيرة منها: قاعدة الصحة البدنية ، وقاعدة الصحة العقلية و النفسية ، و قاعدة الصحة الجنسية ، وقاعدة الصحة في التغذية ، وقاعدة الصحة في الوقاية من الأمراض ، وقاعدة الصحة البيئية. انظر عبد الرحمن النقيب ، الإعداد التربوي و المهني للطبيب عند المسلمين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص 27

1703 - الوقاية هي حفظ الفطرة من الانحراف بالتدابير العملية و صيانة النفس بالاحتياطات التربوية والإجراءات الشرعية. انظر أحمد ضياء الدين حسين، أثر التربية الوقائية في صيانة المجتمع الإسلامي، ط 1 - 2005 ، دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، ص 28 ، وقال الطبيب النصراني (الحايك) في مستشفى الأمير كان في بيروت: "قد عرفت عظمة نبيكم بحديث واحد وهو" فر من الجذوم فرارك من الأسد " فقد أحضرنا ميكروب الجذام ووضعه تحت المنهج الطبي المكبر، فوجدنا صورته صورة الأسد ، فمن علم محمداً ذلك لا شك عظيم " انظر أحمد محيي الدين العجوز ، الطب والأطباء في الإسلام ؛ مقال مجلة الوعي الإسلامي ، عدد 250 ، ص 61 ، الكويت، شوال 1405 هـ ، يوليو 1985.

1704 - رواه الشيخان

1705 - رواه الشيخان

1706 - مالك في الموطأ رقم 1392 ، و البخاري في الجامع الصحيح رقم الحديث 3214 ،

أ - فتح آفاق العلم في البحث عن الحلول الطبية لمشاكل الصحة الإنسانية، 1707 فقد دعا الرسول صلى الله عليه و سلم المسلمين إلى ذلك بقوله: " ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء." 1708

ب - الدعوة الحثيثة إلى العلاج و التداوي ، و الأخذ بأسباب السلامة الصحية قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " إنَّ الله حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا." 1709

ولقد أشار التغيرات القرائي - في كيفية التعامل مع ظاهرة الحيض 1710- في قوله تعالى: "وَسْتَأْتُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلٌ هُوَ أَدْنَىٰ فَاغْتَرِلُوا الْبَسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ" 1711 إلى إعجاز طبي بوجهين:

أ - إعجاز طبي وقائي: 1712 و دل على حقيقة الوقاية بصورتين هما:

- 1707 - عبد الرحمن النقيب ، الإعداد التربوي و المهني للطبيب عند المسلمين ، ص 39
- 1708 - البخاري في الطب باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء رقم الحديث 5678 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
- 1709 - أحمد بن حنبل في المسند رقم الحديث 12580 من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
- 1710 - الحيض نزيف دموي طبيعي ضئيل يعتري المرأة البالغة عادة كل شهر مرة ، يختلف في مدة سيلانه وكميته من امرأة لأخرى ووفقاً منحنى التغيرات الجسدية والنفسية بين النساء، و يرجع سيلانه إلى التغيرات المتنوعة الطارئة- عدم تلقيح النطفة الذكورية لليبيضة الأنثوية - على الغشاء المطن للرحم فتتمزق عروقه الدموية، ثم يسقط الغشاء المخاطي للرحم مع صورة السيلان الدموي ، وتحدث الدورة الشهرية - الحيض- وفق المراحل التالية: أ- عند نضج البويضة في حويصلة جراف؛ تفرز الغدة النخامية هرموناً يسمى الهرمون المصفّر (LuteinisingHormone) ويرمز له بالرمز "LH"، ثم تنفجر حويصلة جراف عند سطح المبيض؛ فتطلق منها البويضة الناضجة إلى أذرع قناة المبيض ، وتسمى هذه العملية بالتبييض "Ovulation" و تحدث عادة في اليوم الرابع عشر للدورة.
- ب- تلتمس حويصلة جراف تحت تأثير هرمون "LH" ، وتنمو مكونة الجسم الأصفر "Gorpus luteum" الذي يفرز بعد ذلك هرمون البروجسترون وبعض الاستروجينات المؤثرة في بناء بطانة الرحم؛ لتصبح أكثر سمكاً ونعومة وذات قوام إسفنجي مما يجعل الرحم قادراً على احتضان البويضة في حالة الإخصاب.
- ج- تصل البويضة إلى الرحم للإخصاب، فإذا لم تخصّب انهارت فالتحت مع الجسم الأصفر، وتضاءلت نسبة الهرمونات المفرزة ليصل سمك بطانة الرحم ما بين 5 ملم و8 ملم.
- د- تبدأ بطانة الرحم بالانفصال عن جدار الرحم، ثم تبدأ بعض الشعيرات الدموية المغذية للبطانة بالتزيف وطرده الأنسجة المتمزقة مع الدم النازف خارج الجسم، ويبدأ بالتزول بعد اليوم 28 من الدورة لتقوم الغدة النخامية بإفراز الهرمون اخفر للحويصلات (FSH) ليبدأ في تأثيره على كيس المبيض - الموجود في أحد المبيضين الموجودين على جانب الرحم- لإنتاج حويصلة جراف جديدة.
- هـ - تستمر البيضة في النمو ويبدأ كيس المبيض في التحرك نحو بداية قناة المبيض ويفرز الكيس هرمون الاستروجين الذي يجعل بطانة الرحم تأخذ في السمك وعندما يصل سمكها إلى 1ملم ينتهي نزول الدم . انظر الرسول الطيب، حسام الراوي، مؤسسة الانتشار العربي ، ط 1 ، 1999 ، بيروت ، ص 85 ، و خلق الإنسان بين الطب والقرآن ، محمد علي البار، ط 4، 1983 ، الدار السعودية للنشر و التوزيع ، الرياض، ص72

– الأولى: نستنبط من قوله تعالى: " قل هُوَ أَذَى" حكم الإشعار بضرورة التنبه إلى مفاصد الأذى ومقاصد الوقاية ، إذ يشمل لفظ الأذى كل معنى دلّ على مستقذر نفرت منه النفس ، أو آل أمره إلى ضرر أتلّف مقاصد العلاقة الزوجية 1713 ، فظهر بدلالة عموم اللفظ عموم آثار الحيض على المرأة وهي: 1714

✻ – التأثيرات العضوية:

✻ – قابلية التعرّض للالتهابات التي تصيب المسالك البولية من جرّاء الميكروبات الناشئة عن الدم الفاسد.

✻ – تنوّع الأمراض و اتّساع دائرة آلامها الشديدة كأمراض المفاصل الوركية و عظام الحوض.

✻ – انخفاض تركيز حمرة الدم و تعداد الكريات الحمراء ثم التعرّض لمرض فقر الدم.

✻ – انخفاض درجة حرارة الجسم و ضعف مقاومته للأمراض.

✻ – انخفاض نبض القلب و ضغط الدم.

✻ – حدوث الاضطرابات في إفرازات الغدد.

✻ – التأثيرات النفسية:

✻ – الشعور بالفقر و الكسل.

✻ – انخفاض مستويات الرغبة الجنسية من خلال إفراز الجسم في فترة الحيض هرمونا مختلفا عن الفترة

العادية يجعل الحائض في حالات نفسية متوترة ، و في اضطرابات عصبية متفاوتة.

✻ – ارتفاع مستويات القلق النفسي و التوتر العصبي.

1712 – هو علم اخفاظة على صحة الإنسان و المجتمع من خلال مجموعة الارشادات الوقائية المانعة من عدوى الأمراض الهالكة. انظر الطب الوقائي في الإسلام ، أحمد شوقي الفنجري، ط 3 ، 1991 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص 11، و توافق قاعدة سد الذرائع مبدأ الوقاية فقد دلّ الاستنباط الأصولي على الاستنباط الطبي و يؤكد هذا المعنى ما ذكره ابن عطية في آية الخيض: " قوله تعالى حتى غاية لا غير و تقربوهن يريد بجماع و هذا من سد الذرائع." انظر احرر الوجيز ج2 ص 179 ، و الاستنباط عند الإمام ابن عطية الأندلسي في تفسيره احرر الوجيز، عواطف أمين يوسف البساطي كلية الدعوة و أصول الدين ، جامعة أم القرى مكة المكرمة ، رسالة دكتوراه ، 2008 ، ص 165

1713 – و القرينة الدالة على الإعجاز الطبي دوران لفظ الأذى بين معنى النجاسة و المرض و النساء في فترة الحيض أقرب إلى صفة المرض منه إلى صفة العافية و الصحة فدّل عموم اللفظ على التنبه لذرائع الوقاية من مفاصد المرض. انظر أبو الأعلى المودودي ، تفهيم القرآن ، تعريب أحمد إدريس ، ط 1 ، 1978 ، دار القلم ، الكويت ، ص 148

1714 – انظر الطب الوقائي في الإسلام ، أحمد شوقي الفنجري ، ط 3 ، 1991 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ص 206 و 207 ، و الرسول الطيب، حسام الراوي ، ص 86

❦ - ظهور ملامح الاكتئاب ، وأعراض الاضطراب والارتعاش.

❦ - تبدل المزاج النفسي ، و سرعة الاستثارة.

- الثانية: نستنبط من قوله تعالى: " فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ " حكم الأمر بضرورة تنفيذ إجراءات الوقاية على سبيل الجزم بدلالة الأمر باعتزال الجماع زمن الحيض ، و تأكيد الحرمة بدلالة منع الاقتراب من دواعيه 1715 ، و على هذا فإن فلاح الحياة الأسرية في وظائفها الحضارية يبدأ من الوفاق في فراش الزوجية ، فإذا انعدم هذا الوفاق انهار أساس الأسرة على أهله ، و سقط السقف على بانيه ، و لحفظ مقصد النكاح و بعث أصول قيامه نظم الشرع علاقة الفراش بين الزوجين فحرّمها في الحيض لأنّها ذريعة يقينية تؤول بالنكاح إلى الهلاك المحقق، فظهر بدلالة الأمر و النهي الصريحين مفاسد الجماع زمن الحيض وهي: 1716

❦ - المفاسد الجسدية

❦ - التهابات الجهاز التناسلي المؤدية إلى الأمراض الآتية:

❦ - زوال الخصوبة حيث يتأخر الإنجاب مع قيام العلاقة الزوجية السليمة.

❦ - ظهور مرض البروستات و الخصيتين والكلى.

❦ - ظهور العقم بانتقال الميكروب من البروستات إلى الحويصلات المنوية ، ثم الخصيتين فانسداد قناة المني.

❦ - زيادة التلوث الجرثومي.

❦ - سرطان عنق الرحم.

❦ - تعريض مقصد حفظ النسل للضياع من خلال تخلّق الجنين في وسط جرثومي.

❦ - المفاسد النفسية و تتجلّى في الأضرار الآتية:

1715 - انظر ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد و التعطيل في توجيه التشابه اللفظ من آي التزويل ، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي

، تحقيق سعيد الفلاح ، ط 2 ، 2007 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ج 1 ص 259

1716- انظر محمد علي البار ، الطيب أدبه و فقهه ، دار القلم ، دمشق ، ط 1 ، 1993 ، ص 335 ، و الطب الوقائي في الإسلام ، أحمد

شوقي الفنجرى ، ص 207 ، و محمد وصفي ، الإعجاز الطبي في القرآن الكريم ، دار الفضيلة ، القاهرة ، ص 66 ، و أحمد فائز ، دستور

الأسرة في ظلال القرآن ، ط 6 ، 1992 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص 141 ، و موقع:

www.balagh.com/mosoa/ejaz/ak0smf3m.htm

✎ - اختلال مقاصد الزواج الروحية من خلال إتيان الزوجة بعد النفور النفسي منه فتنهار مقاصد النكاح ، ولو كان الجماع غاية في ذاته لحرم فكيف و قد صادم قواعد الذوق السليم ، و خاصم خلال الفطرة القويمة ، وانتكس إلى الشذوذ و ارتكس فطمس الحدود ، بل هو وسيلة رقيقة لغاية طاهرة عميقة ، و لما كانت الغاية من الوجود توحيد الله تعالى و عبادته و هذه أزكى الغايات و أطهرها أوجبها على خلق طاهر النسل ، و لما كانت المباشرة وسيلة ذلك اشترطت الطهارة لها ، فجمعت للنسل الطاهر تحقيق اللذة الفطرية و إنجاز الغاية الشرعية.

✎ - تفكك الأسر بكثرة الطلاق الذي لا يراعى فيه تأثير التغيرات النفسية و العصبية و العضوية على الزوجة.

ب - إعجاز طبيّ علاجي: 1717 دلّ على حقيقة العلاج بصورتين:

- الأولى: دلالة طهارة الجسد على طهارة مقصد النكاح:

لقد دلّت هذه الصورة على درء مفاصد الجماع في الحيض لتحقيق مقاصد العلاقة الزوجية ، و لا يكون إلاّ بإيجاب طهارة الماء بعد طهارة النقاء من الحيض فظهرت بذلك مقاصد الغسل وهي: 1718

✎ - تنشيط الجسم بعد الكسل.

✎ - بعث الحيوية في الجسد بعد الخمول.

✎ - تنشيط القلب و الدورة الدموية بتنبيه النهايات العصبية للجسد.

✎ - تأمين سلامة وظائف الجلد لتنظيم حرارة الجسم ، وتنبيه الدماغ ، و تمديد الأوعية الدموية ، و امتصاص الأوكسجين ، و طرح حامض الفحم.

✎ - طرح الأدران العالقة ، و الوقاية من السموم.

1717 - و كما يؤكد وجه الإعجاز في علاج الإنسان بالطهارة، و وقايته من المهالك أن تفاصيل انتقال العدوى خلال حمل الجراثيم المعدية- عند الجماع في زمن الحيض- لا يكون إلا بمحضنة الميكروبات في مدة زمنية خاصة و هذه كلها دلالات يقينية وحجج قطعية على ثبوت الإعجاز القرآني الطبي. انظر صالح بن أحمد رضا، الإعجاز العلمي في السنة النبوية، ط 1 ، 2001 ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ج 1 ، ص 548

1718 - مع الطب في القرآن الكريم ، عبد الحميد أحمد و قرقوز، ط 1982 ، دار علوم القرآن ، دمشق ، ص 122 ، و عبد الحلیم سمير، الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني ، ط 1 ، 2000 ، مكتبة الأحباب ، دمشق ، ص 100

و انطلاقاً من هذه المقاصد المستقرّة فإنّ غسل المرأة لكامل جسدها قبل وطئها يتوافق مع الرأي الطّبي في صلاح الأبدان 1719 ، و يتناسب مع قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ" في بيان صلاح الإسلام من بين الأديان ، و يتواطئ مع إعجاز القرآن في الدلالة بفروق لفظي الطهارة و النظافة على قوة البيان ، و وجه المناسبة في ترتيب آية مقصد الحرث بعد آية طهارة موضعه من الفرث هو أنّ الإتيان الطاهر في الموضع الطاهر يشير إلى الاهتمام بنقل الغريزة الجنسية من نجاسة الرغبة البهيمية إلى طهارة الوظيفة المقاصدية للنكاح في بناء الأسرة الطاهرة بدلالة القرينة اللفظية السابقة في قوله تعالى: "وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ۚ وَلَآئِمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ ۚ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ ۚ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۗ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۗ وَبُيِّنَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" 1720 ، فقد أشارت مناسبة السياق - في تقدّم آية نهي المسلمين عن الزواج من المشركين على آية الحيض - إلى المآل الجامع للمفسدة المخالفة لمقصد عموم الهداية الربانية بقوله تعالى: " أولئك يدعون إلى النار، و الله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ، وبيّن آياته للناس لعلهم يتذكرون" ، ثمّ ختمت آية الحيض بالحكم المتعلّق بمقصد حفظ النسل و الأسرة لترقى العلاقة الزوجية من الوظيفة الذاتية إلى رسالة الطهارة الإسلامية قال تعالى: " نساءؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ،وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنّكم ملاقوه وبشّر المؤمنين " لتجانس الآيات المتناسبة في ترتيبها مع عموم طهارة المقصد من الوجود المؤكّد بالفاصلة القرآنية " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ " .

- الثانية: دلالة الطهارة من الحيض على كمال الطهارة الحسية:

تجسّدت هذه الحقيقة في صور النظافة الآتية:

❦ - تأسيس حكم الطهارة بوجوب الغسل - على الرأي الراجح - بعد النقاء من الحيض و دلّ على

ذلك قراءة التشديد سواء على معنى التأسيس أو التأكيد.

❦ - تأكيد حكم الطهارة بدلالة بيان السنة النبوية من وجهين:

1719 - أحمد مصطفى متولي ، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن و السنة النبوية ، ط 1، 2005 ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ص 976

، و عدنان الشريف ، من علم الطب النبوي ، ص 235

1720 - البقرة 221

- طريقة الاغتسال وكيفية التطيب بعد الحيض فعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسلها من المحيض فأمرها كيف تغتسل قال خذي فرصة من مسك فتطهري بها قالت كيف أتطهر قال تطهري بها قالت كيف قال سبحان الله تطهري فاجتذئها إلي فقلت تتبعي بها أثر الدم 1721 ، و عنها كذلك أن أسماء سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسل المحيض فقال تأخذ إحدان ماءها وسدرتها فتطهر فتحسن الطهور ثم تصب على رأسها فتدلكه دلًا شديدًا حتى تبلغ شؤون رأسها ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها فقالت أسماء وكيف تطهر بها فقال سبحان الله تطهري بها فقالت عائشة كأنها تخفي ذلك تتبعين أثر الدم وسألته عن غسل الجنابة فقال تأخذ ماء فتطهر فتحسن الطهور أو تبلغ الطهور ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى تبلغ شؤون رأسها ثم تفيض عليها الماء فقالت عائشة نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمتعهن الحياء أن يتفقهن في الدين. 1722

- طريقة الاغتسال وكيفية التطيب بعد الحيض في حالة الاستثناء - استعمال المعتدة عدّة الوفاة الطيب بعد النقاء من الحيض لحديث أم عطية رضي الله تعالى عنها قالت: كنا نتهي أن نحد على ميت فوق ثلاث، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً، ولا نكتحل ولا نتطيب ولا نلبس ثوباً مصبوغاً إلا ثوب عصب، وقد رخص لنا عند الطهر إذا اغتسلت إحدانا من محيضها في بُدّة من كست أظفار، وكنا نتهي عن إتباع الجنائز 1723 ، فجواز الطيب مع قيام المانع - عدّة الوفاة - يشير إلى أن رفع أذى الحيض متأكد حتى للحادة مع قيام المانع. 1724

✎ - ترتيب شرط الطهارة عموماً في صور متنوعة:

- الأولى : قبل الجماع استصحاباً لها لتعلقها بالمسلم حالة العبادة و العادة ، و أمثلتها كثيرة لا تحصى.

- الثانية: بعد الجماع لأن جسم الإنسان يفرز مادة الأدرينالين التي تفتح مسام الجلد و تنشط غدد العرق لوظيفة الإفراز فيظهر روح كربه عند الملامسة الجنسية ، فعن ابن عمر عن عمر أنه سأل النبي صلى

1721 - صحيح البخاري، رقم الحديث 303

1722 - صحيح مسلم، رقم الحديث 500

1723 - صحيح البخاري

1724 - فتح الباري ج 1 ص 492

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّامٌ أَحَدُنَا وَهُوَ جُنُبٌ قَالَ نَعَمْ إِذَا تَوَضَّأَ، 1725 فهذه الطهارة الصغرى المباشرة بعد الجماع ترفع الميكروبات عن الأجهزة التناسلية قبل تمكّنها من اختراق المسالك الجلدية و الأغشية المخاطية 1726 ، و لقد رتب النبي صلى الله عليه و سلم حكم التطهر بالماء عند حصول الأذى من الجماع فعن ابن عباس عن ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ غَيْرَ رِجْلَيْهِ وَغَسَلَ فَرْجَهُ وَمَا أَصَابَهُ مِنَ الْأَذَى ثُمَّ أَفَاضَ عَلَيْهِ الْمَاءَ ثُمَّ نَحَى رِجْلَيْهِ فَعَسَلَهُمَا هَذِهِ غُسْلُهُ مِنَ الْجَنَابَةِ " 1727 ، فإذا كانت الجنابة أذى مخفف وعلق رفعها على شرط الطهارة فأذى الحيض أولى لكونه مضعّف.

– الثالثة: عند المعاودة الجنسية فعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ بينهما وضوء ، فإنه أنشط في العود " ، 1729 فهذه الطهارة الصغرى تزيل شطط عرق المكابدة ، و ترغّب الجسم في نشاط الجنس للمعاودة ، وإن تمكّن من الغسل بين الجماعين فهو أحوط في الوقاية ، و أفضل في العبادة لحديث أبي رافع أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف ذات يوم على نسائه يغتسل عند هذه وعند هذه ، قال فقلت له: يا رسول الله ألا تجعله غسلا واحدا؟ قال: "هذا أزكى و أطيب و أظهر." 1730

1725 – سنن الترمذي باب ما جاء أن الماء من الماء رقم الحديث 111 و قال الترمذي وفي الباب عن عمارة وعائشة وجابر وأبي سعيد وأُم سلمة قال أبو عيسى حديثُ عمرَ أحسنُ شيءٍ في هذا الباب وأصحُّ وهو قولُ غيرِ واحدٍ من أصحابِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتابعين وبه يقولُ سُفيانُ الثوريُّ وابنُ المباركِ والشافعيُّ وأحمدُ وإسحقُ قالوا إذا أرادَ الجُنُبُ أن ينامَ تَوَضَّأَ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ.

1726 – انظر الطب الوقائي في الإسلام ، أحمد شوقي الفنجري ، ص 209

1727 البخاري ، الجامع الصحيح، كتاب الغسل ، باب الوضوء قبل الغسل، رقم الحديث 241 ،ومسلم في الحيض رقم الحديث 314 ، و صرح النسائي في سننه بلفظ الأذى في كتاب الغسل باب إزالة الجنب الأذى عنه قبل إفاضة الماء عليه، رقم الحديث 416

1728 – سنن الترمذي باب ما جاء في الجنب إذا أراد أن يعود توضحاً رقم الحديث 131، و قال الترمذي وفي الباب عن عمر قال أبو عيسى حديثُ أبي سعيدٍ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ وهو قولُ عمرَ بنِ الخطابِ و قال به غيرُ واحدٍ من أهلِ العلمِ قالوا إذا جامعَ الرَّجُلُ امرأتهُ ثمَّ أرادَ أن يَعودَ فليتوضأ قَبْلَ أن يَعودَ

1729 – رواه مسلم 1، 171

1730 – رواه أبو داود ، 1، 79 .

- التنوير القرائي و الإيجاز المقاصدي:

أساس الفهم في الإسلام معرفة مقاصد القرآن ، و قوّة النظر في تأصيل معاني الألفاظ و النصوص ، و كمال التزويل في واقع العمل ، 1731 لأنّ هدف الشارع "بيان تصاريف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدين و قد أودع ذلك في ألفاظ القرآن التي خاطبنا بها خطاباً بيّناً ، و تعبّدنا بمعرفة مراده و الاطلاع عليه فقال سبحانه: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ "1732

- المقاصد لغة و اصطلاحاً:

- المقاصد لغة:

المقاصد جمع مقصد ، و المقصد: مصدر ميمي¹⁷³³ مشتق من فعل قصد و يراد به إحدى المعاني التالية:

1734

☞ - الاستقامة ، ومنه قوله تعالى: " وَعَلَى اللَّهِ فَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ "1735

☞ - إرادة الشيء و التوجّه نحوه ، يقال: قصدته أي نحوت نحوه.

☞ - الكسر ، يقال انقصد السيف: أي انكسر ، و قصد الرمح: إذا كسره.¹⁷³⁶

☞ - الاكتناز و الامتلاء ، تقول العرب : ناقة قصيد ، أي مكتنزة اللحم ممتلئة ، والقصيد من الشعر ما تمّ

سبعة أبيات.

1731 - التحرير و التنوير ، 42/1 .

1732 - سورة ص 29 و انظر التحرير و التنوير ج1ص39.

1733 - المصدر الميمي هو كل فعل دلّ على حدث تجرّد عن الزمن وصيغ على وزن مفاعل، أنظر المعجم المفصل في النحو العربي، عزيزة فوال بابتي، الخزانة اللغوية، ط 1992م ، دار الكتب العلمية، بيروت ،ص998.

1734 - مختار الصحاح ، زين الدين الرازي، تحقيق حمزة فتح الله ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 1987م ،ص536، و الصحاح، تاج اللغة و صحاح العربية، إسماعيل الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 3، 1984 م ، ج2 ص 524 ، لسان العرب، ابن منظور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م ، ج3 ص 240، و القاموس المحيط ، مجد الدين الفيروز آبادي ، دار الفكر، بيروت، ط 1983م، ج 1 ص327، و المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مجمع اللغة العربية، مصر، ط2، 1972م، ج2ص150. و مقاييس اللغة لابن فارس، 95/5- 96 ، والمفردات للراغب الأصفهاني، ص 451

1735 - سورة النحل الآية: 9.

1736 - الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني، تعليق محمد خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ص 250.

❦ - الاعتدال ، و منه قوله تعالى: " وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ " ¹⁷³⁷ ، و قول جابر رضي الله عنه: " كنت أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا. " ¹⁷³⁸

- المقاصد اصطلاحية:

و نقتصر على التعاريف التالية :

❦ - " هي المعاني و الحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها في الكون بنوع خاص من أحكام الشريعة. " ¹⁷³⁹

❦ - " هي الأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها. " ¹⁷⁴⁰


❦ - " هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد. " ¹⁷⁴¹

- التباير القرآني و الإيجاز المقاصدي .

و لقد وقفت على ثلاثة نماذج و هي.

1- الإيجاز المقاصدي و لفظ مقصد القرآني:

لقد اجتمع الحدث القصصي مع التباير القرآني لبيان أعظم المقاصد العقدية و التي منها دفع مفسدة الشرك و مثلت لها بقوله تعالى: " وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا " ^ط " سُبْحٰنَهُ " ^ط بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قٰبِضُوْنَ

1742" 

1737 - سورة لقمان الآية : 19

1738 - صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، دار السلام، الرياض، دار الفيحاء، دمشق، ط1:

1419هـ- 1998م، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، ص347، رقم 41-866.

1739 - مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهر بن عاشور، تحقيق محمد الطاهر الميساوي ، ط2: 1421هـ-2001م، دار النفائس ،

الأردن، ص 251

1740 - مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها ، علال الفاسي ، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، المغرب ، ص3.

¹⁷⁴¹ - نظرية المقاصد عند الشاطبي ، الريسوني ، ص7، و انظر كذلك مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، اليوبي ، ط1،

1998م، دار الهجرة ، ص3 ، و قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية ، مصطفى بن كرامة الله مخدوم، ط 1999م ، دار إشبيلية،

السعودية ، ص34.

1742- البقرة 116

- التوثيق القرآني: 1743

✽ - قرأ الجمهور بالواو قبل فعل " و قالوا " ، و هذا ما عليه مصاحف المسلمين خلا الشام، وعليه تكون القراءة من باب عطف جملة خبرية على مثلها.

✽ - قرأ ابن عامر بغير واو قبل فعل " قالوا " ، و هذا ما عليه مصاحف الشام ، و عليه تكون القراءة على استثناء الكلام.

- التوجيه القرآني: 1744

لقد تنوع توجيه العلماء للقراءتين فكان كالتالي:

✽ - توجيه قراءة حذف الواو:

✽ - واو العطف قد تحذف إذا عرف موضعها ، بل قد يكون حذفها أحسن إذا سيقت في مقام الشاء و

التعظيم 1745 كقوله تعالى: " يدبر الأمر يفصل الآيات " 1746 ، و قوله سبحانه: "الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾

خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ " 1747

✽ - حرف العطف محذوف وهو مراد استغناء عنه بربط الضمير بما قبل هذه الجملة فقالوا: جملة " قالوا

اتخذ " ملابسة بما قبلها من قوله: " ومن أظلم " وعليه فالذين قالوا اتخذ.. " من جملة هؤلاء الذين تقدم

ذكرهم فيستغنى عن الواو لالتباس الجملة بما قبلها كما استغنى عنها في قوله تعالى: " وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

1743 - انظر النشر ج 2 ، ص 202 ، وكتاب المصاحف ، ص 44 ، و البحر المحيط ج 1 ، ص 362 ، و الكشاف ، ج 1 ، ص 235 ، و طلائع البشر في توجيه القراءات العشر، محمد الصادق قمحاوي ، ص 27 ، و الوجيز في شرح قراءات القرآنة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة ، لأبي علي الحسن الأهوازي ، ص 132 ، و الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، عبد الفتاح القاضي، ص 209 ، و النجوم الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية و الدررة ، محمد سالم محيسن ، ص 88 ، و المبسوط في القراءات العشر ، ابن مهران الأصهباني ، ص 134 ، و الإقناع في القراءات السبع ، ابن الباذش الأنصاري ، ج 2 ص 601 ، و الحجة لأبي علي الفارسي ، تحقيق بدر الدين القهوجي، ط 1984 ، دار المأمون للتراث ، 2 ، 202 ، و معاني القراءات لأبي منصور الأزهرى ، تحقيق أحمد المزيدي ، ط 1999 ، دار العلمية، بيروت ، ص 60 ، و الكشاف عن وجوه القراءات وعللها لمكي بن أبي طالب ، تحقيق محيي الدين رمضان ، ط 1987 ، مؤسسة الرسالة ، القاهرة ، ج 1 ص 260

1744 - الحجة لأبي علي الفارسي ، ج 2، ص 203 ، و الموضح ، ج 1 ص 296 ، و نظم الدرر ، ج 1 ص 228

1745 - إبراز المعاني من حرز الأمانى ، أبو شامة ، ص 338

1746 - الرعد، 2

1747 - الرحمن، 1، 4

أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧٤٨﴾ " 1748 ، و عليه فقد استغنى بقريئة الملابس عن العطف فأفاد " أن المخبر

عنه بهذا القول هو المخبر عنه بمنع ذكر الله في المساجد و السعي في خرابها. "1749

❧ - الآية وقعت موقع الاستئناف البياني ، فقد أخذ القرآن يعدد قبائحهم ، ثم استفهم للبيان من خلال سؤال تقديره: لقد أخبرتنا من قبائحهم ما تعجب منه النفس فهل انتهت مساوئهم أم لهم قبائح شنيعة أخرى ؟ فتأتي الآية لتجمع المساوي في نسق واحد متسلسل ، فتصور أحوالهم المتعددة في مشهد واحد ليتسع الجواب لبيان الفعل الفظيع و القول الشنيع و هو نسبة الولد لله سبحانه و تعالى ، و تبدأ لوحات مشهد بيان الفظاعة و الشناعة من قوله: "مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٧٥٠﴾" إلى قوله: " وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ سَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧٥١﴾" ، ثم جاءت الآية بين مذكور مرتين قصد إدخاله بعموم اللفظ فذكر أولا في قوله تعالى: " وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ سَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧٥٢﴾" ، ثم ذكر ثانيا في قوله تعالى: " وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ كَشَبَهتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٧٥٣﴾" ، و يكون هذا الوجه الخطابي من مواطن الفصل عند البلاغيين. 1754

❧ - توجيه قراءة إثبات الواو:

1748 - البقرة 39 و انظر الدر المصون للسمين الحلبي ، تحقيق أحمد الخراط ، دار القلم، دمشق ، ج1 ، ص 83 .

1749 - انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها ، مكي القيسي ، ج 1 ص 260 ، و الموضح في وجوه القراءات و عللها، لابن أبي مريم ، ج 1 ص 296

1750 - البقرة 105

1751 - البقرة 113

1752 - البقرة 113

1753 - البقرة 118

1754 - انظر نظم الدرر في تناسب الآيات و السور لبرهان الدين البقاعي، ط 1998 ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1 ص 228 ، و

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ج1 ص 150

❦ - حرف الواو للعطف يفيد الجمع و يتزلّ في تغيّرات الصفات منزلة تغيّرات الذوات ، وهو أبلغ في تصوير
شناعة الشرك ، و تقرير بشاعة الافتراء من خلال صور البيان التالية:

- الصورة الأولى: عطف جملة على جملة. 1755

و تواردت تفسيرات العلماء في هذا فتوّعت على النحو الآتي:

- أن المعطوف عليه قوله: "ومن أظلم" نوع بالمبنى و قرّر المعنى، و العطف و إن ثبت بين إنشاء و خبر فإنّ
الإنشاء حصل لفظا و المعنى خبرا على قاعدة حمل الاستفهام على معنى النفي ، و التقدير: لا أحد أظلم ممن
منع مساجد الله .." و يشهد له الاستعمال القرآني في مواضع متعددة 1756 ، و قد سمى البلاغيون هذا
التفسير التوسّط بين الكمالين.

- أن المعطوف عليه " منع مساجد.." فقدّروا المعنى فقالوا: عطفه على منع يقتضي أن يكون من قال ذلك
أظلم من كل أحد كمن منع فيكون التشنيع أبلغ. 1757

- الصورة الثانية: عطف قصّة على قصّة. 1758

إنّ الذين أخبر الله تعالى عنهم بمنع ذكر اسم الله تعالى في المساجد والسعي في خرابها هم الذين قالوا
اتخذ الله ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فوجب عطف آخر الكلام على أوّله لأنّه كلّه إخبار عن
النصارى، ولأنّه قصّة واحدة 1759 ، لكنّ الضمير لو حمل على كل من نسب لله تعالى الولد لكانت صورة
التشنيع أوضح ، و دلالة التقرّيع أعظم ، و ذلك لقوّة الشواهد القرآنية على ذلك منها قوله تعالى في فضح
بهتان أهل الكتاب: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرِيُّ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ
يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦٥﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ

1755 - انظر جامع البيان ، الطبري ، ج1 ص403

1756 - أنوار التنزيل ، البيضاوي ، ط 1388 هـ ، دار الحلبي ، ج1 ص187

1757 - الفتوحات الإلهية ، سليمان الجمل ، دار الحلبي ، ج1 ص98

1758 - حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج2 ص227

1759 - الكشف عن وجوه القراءات السبع ، ج1 ص260

اللَّهُ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٧٦٠﴾ ، و قوله في مشركي العرب: "وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحٰنَهُ ۗ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿١٧٦١﴾"

حرف الواو للاستئناف و يُرَجَّح لدلالته على:

الجمع و التوفيق بين معنى القراءتين.

سقوط التأويل و ما لا يحتاج إلى تأويل أولى مما احتاج إليه قال البقاعي: "ولما كان العطف على مقالات أهل الكتاب ربّما أوهم اختصاص الذمّ بهم حذفت واو العطف في قراءة ابن عامر على طريق الاستئناف في جواب من كآته قال: هل انقطع حبل افترائهم إشارة إلى ذمّ كلّ من قال بذلك ، و ذلك إشارة إلى شدة التباسها بما قبلها... لأنّ جميع المتحرّبين على أهل الإسلام مانعون لهم من إحياء المساجد بالذكر لشغلهم لهم بالعداوة عن لزومها ، والحاصل أنّه إن عطف كان انصباب الكلام إلى أهل الكتاب وأمّا غيرهم فتبع لهم للمساواة في المقالة ، وإذا حذفت الواو انصبّ إلى الكل انصبابا واحدا " 1762 ، ثمّ تأمل سرّ اتفاق القراء على قراءة قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٧٦١﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ الْغَنِيُّ ۗ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا ۗ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٧٦٢﴾ قُلْ إِنَّا الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١٧٦٣﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ۗ ثُمَّ نُنذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٧٦٤﴾" 1763 بغير واو عاطفة لأنّه ليس قبله ما يُنسق عليه ، فهو ابتداء كلام و استئناف خرج مخرج التعجّب من عظم بهتانهم و قبح فعالهم ، 1764 و لقد اجتمع الذكر و الحذف مع التغيرات القرائي على بيان شناعة الإفك و البهتان ، و بشاعة الشرك و الكفران ، فدلّ أنّ ترك نسبة الولد لله تعالى مقصود شرعا ، فإذا الخلق كلّهم عبيده مفتقرين إليه ، وهو غني عنهم ، فكيف يكون لله تعالى الولد منهم؟! ، و الولد لا بدّ أن يكون من جنس والده لأنّه جزء منه 1765 ، ولقد تواطأ

1760 - سورة التوبة ، 30 ، 31

1761 - النحل ، 57

1762 - نظم الدرر ، البقاعي ، ج1 ص228

1763 - يونس ، 67 إلى 70

1764 - انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ، ج 2 ص220.

1765 - تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، 1 - 46

العطف و الاستئناف على تأصيل هذه المعاني القرآنية بالتأسيس ، و تأكيدها بتنويع الأدوات البيانية البلاغية الدالة عليها ليجتمع مقام المقال و الحال و السياق و البلاغة على بيان القرآن، و الدلالة على إعجازه.

2- الإيجاز المقاصدي و لفظ مقصد العرض.

لقد تواردت مواضع التغير القرائي في سياقات موافقة لموضوع الكليات الشرعية حاملة دلالات مؤكدة لباعث الدين من التشريع مثاله قوله تعالى: "وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا أَحَدَهُمْ أَرْبَعًا شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤٣﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٤﴾ وَيَذَرُوا عَلَيْهَا أَلْعَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٥﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿٤٧﴾" ، فأشارت ألفاظ التغير إلى قاعدة الدين في الاحتياط بالتشديد في حفظ مقصد العرض بما يلي:

أ - دلالة التغير في لفظ المحصنات: 1767

✽ - قرأ ابن كثير و نافع و أبو عمرو و ابن عامر و عاصم و الكسائي و حمزة و أبو جعفر و يعقوب بفتح الصاد فأسند الإحصان إلى غيرهنّ ، فالله تعالى بالإسلام أو الولي بالتزويج أو الزوج بالنكاح 1768 ، و المراد به ذوات الأزواج اللواتي أعفهنّ أزواجهنّ.

✽ - قرأ طلحة بن مصرف و الحسن و علقمة بالكسر ، و قرأ الكسائي بالفتح في موضع النساء 1769 ، و بالكسر في سائر القرآن فأريد به أئهنّ أحصنّ أنفسهنّ بالعفاف و فروجهنّ بالحفظ 1770 ، و عليه فقد أفاد

1766 - سورة النور الآية من 4 إلى 10

1767 - انظر النشر ج 2 ص 249 ، والتذكرة في القراءات الثمان ، ص 305 ، و البحر المحيط ، ج 2 ص 214 ، و زاد المسير ، ج 2 ص 49 ، والإقناع في القراءات السبع ، أبو جعفر أحمد بن علي بن الباذش الأنصاري ، تحقيق عبد الخيد قطامش، ط 1، 1403 هـ ، دار الفكر ، دمشق ، ج 2 ص 629

1768 - طلائع البشر في توجيه القراءات العشر ص 53 ، و الموضح في وجوه القراءات و عللها، ابن أبي مريم ، ج 1 ص 411

1769 - النساء 24

1770 - طلائع البشر في توجيه القراءات العشر ، ص 53

التغاير القرائي شدة حرص الشريعة الإسلامية على حفظ العرض وصيانته ، سواء وقع الإحصان و عفته
 باتباع أحكام الدين و أخلاقه ، أو بوجاء التزويج فكّلها ذرائع شرعية دلّت عليها فروق التغاير القرائي لسدّ
 باب المفاسد المتوقّع حدوثها على الأعراض ، و لهذا حرّم الله القذف و شدّد في النهي عنه ، ثمّ أحاطه بشروط
 دقيقة واضحة و رتب عليه حدودا صارمة رادعة ، فقد " اتفق العلماء على أنّه إذا صرّح بالزنا كان قذفا و
 ذنبا موجبا للحد ، فإنّ عرّض ولم يصرح فقال مالك: هو قذف ، وقال الشافعي وأبو حنيفة: ليس بقذف ،
 ومالك أسدّ طريقة فيه ، لأنّ التعريض قول يفهم منه سامعه الحدّ ، فوجب أن يكون قذفا كالتصريح ، و
 المعوّل على الفهم ، وقد قال الله محبرا عن قوم شعيب: " إنّك لأنّك الحليم الرشيد " 1771 ، وقال في أبي جهل:
 " ذق إنّك أنت العزيز الكريم " 1772

وهذا ظاهر " 1773 ، و انطلاقا من كمال وجه المناسبة بين مقاصد التشريع الإسلامي و مصادر الاستنباط
 الفقهي و دلالات التغاير القرائي للفظ المحصنات فإنّ مذهب مالك رحمه الله تعالى في عدم التفريق بين
 التصريح و التعريض في القذف أولى بالترجيح من غيره ، و يظهر اعتبار المقصد الشرعي بقوة عند مالك بعد
 الترجيح في مسألة رمى رجل صبيّة " يمكن وطؤها قبل البلوغ بالزنا كان قذفا عند مالك ، وقال أبو حنيفة
 والشافعي: ليس بقذف لأنّه ليس بزنا إذ لا حدّ عليها...وعوّل مالك على أنّه تعبير تام بوطء كامل فكان
 قذفا " ، و من هذا فإنّ نظر مالك رحمه الله تعالى أقوى في الاعتبار لأنّه غلب " حماية عرض المقذوف ، وغيره
 راعى حماية طهر القاذف ، و حماية عرض المقذوف أولى لأنّ القاذف كشف ستره بطرف لسانه فلزمه
 الحد. " 1774

ب - دلالة التغاير في لفظ الشهادة و عددها: 1775

- قوله تعالى: " بأربعة شهداء "

1771 - سورة هود الآية 87

1772 - سورة الدخان الآية 46

1773 - أحكام القرآن 3 ، 342

1774 - - أحكام القرآن 3 ، 343

1775 - انظر الحجة لابن خالويه ، ص 260 ، و التبصرة ص 607 ، و الكشف عن وجوه القراءات ، ج 2 ص 134 ، الكشاف ، ج
 2 ص 377 ، و روح المعاني ، ج 18 ص 105 ، و كتاب الإشارة بلطيف العبارة ، أبو نصر منصور بن أحمد العراقي، تحقيق أحمد بن عبد
 الله بن عبد الحسن الفريح، رسالة دكتوراه، 2005 ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص 502

✽ - قرأ الجمهور على الإضافة.

✽ - قرأ أبو زرعة عمرو بن جرير و عبد الله بن مسلم بن يسار و الضحاك بالتنوين في الأول و بالنعث في

الثاني ، فدلّ مجموع القراءتين التأكيد على حفظ مقصد العرض بمسلكين:

- أحدهما: دلالة العدد و دلّت عليه قراءة الإضافة تصرّيحاً.

- ثانيهما: دلالة الوصف الشرعي في الشهود ، و أشارت إليه قراءة النعت ، و بهذا اجتمع مسلكا

التغاير القرائي على بيان دقة التشريع الإسلامي في تحديد أوصاف الشهود و عددهم حرصاً على حفظ

الأعراض و صيانة الدماء.

- قوله تعالى : " فشهادة أحدهم أربع شهادات "

✽ - قرأ حفص عن عاصم و حمزة و الكسائي و غيرهم بالرفع على خبر المبتدأ " فشهادة "

✽ - قرأ ابن كثير و نافع و أبو عمرو و ابن عامر و غيرهم بالنصب على المصدر ، و عليه فقوله: " فشهادة

" خبر مبتدأ محذوف تقديره: فالحكم الواجب ، فدلّ مجموع القراءتين التأكيد على حفظ مقصد العرض

بمسلكين:

- أحدهما: دلالة قراءة الرفع على البيان الشرعي بالخبر في استيفاء شهادة الزوج بشرط عددها.

- ثانيهما: دلالة قراءة النصب على وجوب بيان حكم القذف بالشهادة تحقيقاً لمقصد النسل بالحد

الشرعي ، أو حفظ مقصد العرض بإيجاب الشهادة ، فاجتمعت وجوه التغاير القرائي كلّها بمجموع دلالتهما

مع فنية التكرار في لفظ الشهادة على بيان حكمة التشريع الإسلامي من حفظ العرض من خلال " التعليل في

الفروج و الدماء على فاعلها لعله أن يكفّ عنها ، فيقع الستر في الفروج والحقن في الدم." 1776

3- الإيجاز المقاصدي و لفظ مقصد العقل.

إنّ المحافظة على سلامة العقل من المفسدات أمر متفق عليه في بدهة العقول ، و ما جاءت الشرائع

السماوية كلّها إلّا للمحافظة عليه¹⁷⁷⁷ ، و لقد صرّحت نصوص التشريع الإسلامي بوجوب تحقيق حكمة

الباري من خلق العقول و هي التفكير و الاعتبار ، فدلّ الوجوب الشرعي بإيجادها على وجوب دفع كل

1776 - أحكام القرآن ، 3 ، 353.

1777 - مقاصد الشريعة الإسلامية و علاقتها بالأدلة الشرعية ، محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي، ط1، 1998 ، دار الهجرة ،

الرياض ، ص 235

مفسدة أخلت بمقصد حفظ العقل كالخمر لتعذر اجتماع مناط العقل بين مصلحة التفكر و الاعتبار ، و مفسدة التخمر و الاندثار، و لقد تواطأت النصوص الشرعية من القرآن الكريم و السنة النبوية على توثيق هذا المقصد الشرعي، و منه كرم الله تعالى العقل الإنساني بنعمتين:

أ - ثبوت الإيمان بالقناعة العقلية ، و عليه فإن "كرم المرء دينه ، و مروءته عقله ، و حسبه خلقه" 1778 ، و ما جعل كمال المروءة في العقل إلا دليل تزكية أولي النهى و تقدير لهم ، 1779 لهذا أمر الله سبحانه الإنسان بالتدبر في الكون المنظور لتوحيده سبحانه ، قال تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٨٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٨١﴾" 1780 ، و أحاله إلى النظر في عواقب التقليد المذموم فقال تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانُوا ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٩﴾" 1781 ، و بهذا عصمه من الزلل بنور الفهم عنه سبحانه .

ب - تحريم مطلق الاعتداء على العقل ، فحرم الشرع الكفر و الكهانة ، و نهى عن البدعة و الخرافة ، و منع المسكر كله قليله و كثيره ، و من نماذج التغيرات القرآني الدال على الإعجاز المقاصدي في حفظ العقل قوله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ أَعِفُّ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٨﴾" 1782

- التوثيق القرائي: 1783

✽ - قرأ حمزة و الكسائي و ابن مسعود و الأعمش " إثم كثير " بالشاء.

✽ - قرأ الباقون " إثم كبير " بالباء.

1778 - فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ج4 ص550 .

1779 - مفهوم العقل و القلب في القرآن و السنة، محمد علي الجوزو ، ط2 ، 1983 ، دار العلم للملايين ، بيروت، ص146

1780 - آل عمران 190 - 191

1781 - البقرة 170

1782 - البقرة 219

1783 - الحجة ، الفارسي ، ج2 ص222 ، والكشف عن وجوه القراءات، ج1، ص291

- التوجيه القرائي:

و تتجلى دلالة الإعجاز المقاصدي في الصور التالية.

✽ - العدول البديعي بالأسلوب الحكيم.

إنّ السؤال نوعان: جدلي و تعليمي ، و الأصل في الجدلي مطابقة الجواب له من غير زيادة ولا نقصان ، أمّا التعليمي فالأصل فيه أن يتحرّى المجيب الأصوب و الأحوط كالطبيب الرفيق يتوخى ما فيه شفاء العليل طلبه أم لم يطلبه 1784 ، وقد يعدل الجيب في جوابه تنبيها على أنّه كان حقّ السؤال أن يكون كذلك ، 1785 وهذا العدول في الجواب يسمّيه البلاغيون بالأسلوب الحكيم. 1786

✽ - دلالة الاجتهاد الفقهي على الإعجاز المقاصدي.

و ظهر الإعجاز المقاصدي من خلال وجوه البيان الاجتهادي التالية:

❧ - بيان مفسد الفعل الحرم و عقوباته المغلظة.

لقد دلّ اجتماع دقة اللفظ القرآني و اتساع دلالاتي التغيرات القرائي على كمال البيان الشرعي في الوقوف على حقيقة حرمة الخمر و علل التحريم ، و عليه فقد استوفى التغيرات القرائي بوجهيه - كبير و كثير - تمام الدلالة على كمال إعجاز المقاصد القرآنية بمسلكين:

- الأول: بيان مفسد الخمر الظاهرة و الباطنة ، و التصريح بكلّ قبائحها الحاضرة و الغائبة ، و يظهر ذلك من خلال تضييع الطاعات و تسريع السيئات قال الله تعالى: " إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ " 1787 قال ابن القيم: " حرم الله السكر لشيئين اثنين ذكرهما في كتابه و هما إيقاع العداوة ، و البغضاء بين المسلمين ، و الصد عن ذكر الله و عن الصلاة ، و ذلك يتضمّن حصول المفسدة الناشئة من النفوس بواسطة زوال العقل ، و انتفاء المصلحة التي لا تتمّ إلاّ بالعقل. " 1788

1784 - التبيان في البيان ، 243.

1785 - البرهان في علوم القرآن 4 ، 42.

1786 - ينظر، مفتاح العلوم ، 553 ، والتبيان في البيان ، 241.

1787 - المائدة ، 91

1788 - مدارج السالكين ، ابن القيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط 1991 ، دار الفكر ، بيروت، ج3 ص306

- الثاني: بيان العقوبات الدنيوية و الأخروية المرتبة على الخمر و هي:

❦ - نزع الإيمان ، قال صلى الله عليه و سلم: " لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن." 1789

❦ - إطلاق وصف الكفر على شارب الخمر ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " لما نزل تحريم الخمر مشى أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم بعضهم إلى بعض فقالوا: حرّمت الخمر وجعلت عدلاً للشرك." 1790

❦ - التشبيه بعابد الوثن ، قال صلى الله عليه و سلم: " مدمن الخمر إن مات لقي الله كعابد وثن." 1791

❦ - منع قبول الصلاة و التوبة ، قال صلى الله عليه و سلم: " من شرب الخمر وسكر لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً ، فإن مات دخل النار ، و إن تاب تاب الله عليه." 1792

❦ - توقع الهلاك بالقتل ، و اختلف العلماء في قتل شارب الخمر بعد الرابعة. 1793

❦ - المسخ و الخسف ، قال صلى الله عليه و سلم: " ليشربنّ أناس من أمّتي الخمر ، و يضرب على رؤوسهم بالمعازف ، يخسف الله بهم الأرض و يجعل منهم قردة و خنازير." 1794

❦ - تشويه الخلقة و تقبيح الهيئة يوم القيامة ، فعن عبد الله بن عمرو قال: " لا تسلّموا على شربة الخمر ، و لا تعودوا مرضاهم ، و لا تشهدوا جنازتهم إنّ شارب الخمر يأتي يوم القيامة مائل شقّه ، مُزركة عيناه ، يندلع لسانه على صدره ، يسيل لعابه على بطنه ، يتقدّره كل من رآه." 1795

1789 - رواه البخاري 5256 و مسلم 57، و قال ابن بطال: " هذا أشد ما ورد في شرب الخمر، و به تعلّق الخوارج فكفروا مرتكب

الكبيرة عامداً عالماً بالتحريم، و حمل أهل السنة الإيمان على الكامل.. " انظر الفتح، ابن حجر، ج 10 ص 34

1790 - أخرجه الطبراني و رجاله رجال الصحيح و ابن مردويه و صححه الحاكم. انظر الفتح ، 10، 91.

1791 - رواه أحمد في المسند ، 1، 272 ، و عبد الرزاق في المصنف، رقم 17070 ، و البيهقي في الشعب 5596 ، أوردته الألباني في

السلسلة الصحيحة ، 677.

1792 - رواه أحمد ، 2، 35 ، و الترمذي ، 1862 ، و ابن ماجه ، 3420.

1793 - انظر الفتاوى ، ابن تيمية ، 34، 219.

1794 - رواه ابن ماجه ، 4020 ، و ابن حبان ، 6758 ، و أبو داود ، 3688 .

1795 - أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً ، و قال ابن حجر: وهذا الأثر وصله البخاري في الأدب المفرد عن عبد الله بن عمرو بن

العاص بلفظ : " لا تسلّموا على شراب الخمر و قال: " لا تعودوا شرّاب الخمر إذا مرضوا " الفتح ، 11، 40.

❦ - تجرّع صديد أهل الجحيم ، فعن جَابِرٍ عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: " كلّ مسكر حرام ، إنّ على الله عهداً لمن يشرب الخمر أن يسقيه من طينة الخبال. قالوا: يا رسول الله : وما طينة الخبال ؟ قال: عرق أهل النار ، أو عصارة أهل النار." 1796

❦ - الحرمان من خمر الآخرة ، فعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: " من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة " 1797 ، و لو لم يرد في الشرع نص بتحريم الخمر لكان العقل يقتضي تقييده ، لما فيه من إزالة العقل - الذي به شرف الآدمي على الحيوانات - فيصير مشاركاً لبقية البهائم ، أو أسوأ حالاً منها.

❦ - إعمال قاعدة القياس بالنظر في المآلات.

و من كثير الإثم و كبيره قول علي رضي الله عنه في عقوبة شارب الخمر أنّه إذا شرب هذى ، و إذا هذى افترى فيجب أن يحدّ حدّ القذف ، فيستنبط من قوله منهج النظر إلى المآل بإعمال قاعدة سد الذريعة ، 1798 و من حسن الفهم أن يُستعمل القياس في الموازنة بين مفاصد المعصيتين للدلالة على إلحاق العقوبة المغلظة تبعاً لغلبة الآثام و كثرة المفاصد ، لتكون بعد القياس كبيرة تستوجب الحد الشرعي ، و هذا من محاسن كمال التشريع الإسلامي فهو لا ينشئ عقوبة إلا بدليل يجرّم الفعل ، أو يبيّن كثرة مفاصده و مهالكه ، " و الحجّة التي يأخذهم بها إمّا منهم و هي الإقرار ، أو ما يقوم مقامه من إقرار الحال و هو أبلغ و أصدق من إقرار اللسان ، فإنّ من قامت عليه شواهد الحال بالجناية كرائحة الخمر و قيئها و حبل من لا زوج لها و لا سيد و وجود المسروق في دار السارق و تحت ثيابه أولى بالعقوبة ممن قامت عليه شهادة إخباره عن نفسه التي تحتمل الصدق و الكذب." 1799

❦ - إعمال أصل النظر في المصالح و المفاصد و الموازنة بينهما.

قال الشاطبي: " المفهوم من وضع الشارع أنّ الطاعة أو المعصية تعظم بحسب عظم المصلحة أو المفسدة الناشئة عنها ، و قد علم من الشريعة أنّ أعظم المصالح جريان الأمور الضرورية الخمسة المعتمدة في كل ملة ،

1796 - النسائي في المجتبى ، 5709.

1797 - صحيح البخاري 5253 ، و صحيح مسلم 2003.

1798 - مجلة الحياة ، عدد 7 ص 87 ، المطبعة العربية ، غرداية، دورية فكرية يصدرها معهد القرارة بغرداية ، الجزائر

1799 - أسرار الشريعة من أعلام الموقعين ، مساعد بن عبد الله السلطان ، ط 1 ، 1998 ، دار المسير، الرياض ، ص 117

و أن أعظم المفاسد ما يكرّ بالإخلال عليها " 1800 ، و تظهر مقاصد الطاعة في الامتثال من خلال إدراك وجه المناسبة في الربط بين بيان مفاسد الخمر و صور الإنفاق ، و هو أن إنفاق المتيسّر من الأموال على المحاويج الذي سمّاه القرآن " العفو " غير مرتبط بارتكاب المآثم و المحرمات " لأنّ مقصد الشريعة من الإنفاق إقامة مصالح ضعفاء المسلمين ، ولا يحصل منه مقدار له بال إلا بتعميمه ودوامه ؛ لتستمر منه مقادير متماثلة في سائر الأوقات ، وإثما يحصل التعميم والدوام بالإنفاق من الفاضل عن حاجات المنفقين، فحينئذ لا يشقّ عليهم فلا يتركه واحد منهم ولا يخلون به في وقت من أوقاتهم ، وهذه حكمة بالغة وأصل اقتصادي عمراي... و لا شكّ أنّ إتيان الخمر فيه ذهاب المال فإن ضاع أكثره ضاع أصل قيام الاقتصاد و العمران و لهذا تعيّن التحريم القطعي و إن ضاع أقلّه - و هو العفو - ضاع أصل دوام العمران و عموم الاقتصاد ، ولهذا تعيّن الوجوب القطعي بإنفاق العفو ، و على هذا فإنّ مفاسد الخمر عددها كثير فعموم وجودها قد يزيل أصل مصالح الوجود الإنساني ، و قوة آثار الخمر كبيرة فإنّ عدد مفاسدّها و إن قلّ فإنّه يفوّت استقرار المصالح الشرعية و دوام آثارها. " 1801

✽ - إعمال قاعدة النظر في حكمة المشرّع من تشريع الأحكام.

قال العزّ بن عبد السلام : " و أمّا حدّ الخمر فزاجر عن شرب كثيره المفسد العقل الذي هو من أشرف المخلوقات ، و الله لا يحب الفساد في شيء حقير فما الظنّ بإفساد العقل الذي هو أخطر من كل خطير " 1802 ، و لقد أكّد اجتماع دلالاتي التغيير القرآني على رجحان مفاسد الخمر على مصالحه " وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا " ، فدلّ ذلك على غلظة العقوبة و عظمة الحكمة الشرعية ، و قد أشارت الآية إلى مقصد التحريم بطريق التعليل من خلال أداة " لعلّ " في قوله : " كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ " ، فدلّ النصّ بالتصريح أنّ مقصد بيان الآيات التفكير و التدبّر في أسرار شرعه سبحانه لتعرفوا أنّ مصالح الدنيا و الآخرة في اتّباع أوامره ، و اجتناب نواهيه. 1803

✽ - الوقوف على علل التشريع و أسبابه.

1800 - الموافقات ، الشاطبي ، ج2 ص298

1801 - التحرير و التنوير ، 2 - 351

1802 - قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، العز بن عبد السلام ، ط1 ، 2003 ، دار ابن حزم ، بيروت ، ص 200

1803 - تيسير الكريم الرحمن 1 - 98

إنّ كثرة مفاسد الفعل المحرّم علّة في تغليظ العقوبة ، فقد اختير لفظ الإثم للدلالة على أنه يعود على متعاطي شرهما بالعقوبة في الدنيا و الآخرة 1804 ، و من هذا فإنّ لفظ الإثم دلّ بالوصف المناسب على حكم الحرمة ، و دلّ لفظ الوصف الثاني " كثير " على تعدّد المفاسد المفضية إلى تأكّد التحريم و تقريره ، و دلّ لفظ الوصف الثالث " كبير " على حكم العقوبة المغلّظة لثبوت وصف الكبيرة عند ثبوت علته و هي كثرة المفاسد و منها الإسكار ، و المسكر في اللغة من أسكر ، و السكر و هو خلاف الصحو 1805 ، و السكر وصف يعتري عقل الإنسان و أكثر استعماله في الشراب 1806 ، و السّكر بفتح السين و الكاف الخمر ذاتها أو المسكر مطلقاً 1807 قال تعالى: "وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" 1808 ، و الخمر ما خامر العقل فغطّاه و ستره و منه الخمار للمرأة. 1809

أما السكر شرعاً فهو غيبة العقل عند شرب الخمر أو ما يشبهه 1810 ، و المسكرات درجات و أنواع: 1811

☞ - المرقدات ، و هي ما غاب معه العقل و الحواس .

☞ - المسكرات ، و هي ما غاب معه العقل دون الحواس مع نشوة و سرور كالخمر .

☞ - المفسدات ، و هي ما حضرت معه الحواس و شوّش على العقل و انتفت النشوة .

✱ - إعمال القواعد الفقهية المستقرّة من النصوص الشرعية .

و بما يشهد لاجتماع دلالاتي القراءتين القاعدة الشرعية و هي أنّه " إذا ورد النهي عن شيئين مقترنين ثمّ نصّ على حكم النهي عن أحدهما من حرمة أو غيرها أعطى الآخر ذلك الحكم بدليل اقترانهما في الذكر و

1804 - التحرير و التنوير، ابن عاشور ، ج2 ص343

- 1805

- 1806

- 1807

1808 - النحل ، 67

1809 - شرح الزرقاني على موطأ مالك ، ط 1936 ، دار الفكر، بيروت ، ج4 ص169

1810 - التشريع الجنائي الإسلامي، عبد القادر عودة ، ط 2003 ، دار الثرات، القاهرة، ج1 ص499

1811 - أنوار البروق في أنواء الفروق ، أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي ، ضبط و تصحيح خليل المنصور، ط1، 1998 ،

دار الكتب العلمية، بيروت، ج1 ص374 ، و انظر الخلاف بينه و بين إدراج الشروق على أنواء الفروق لابن الشاط ، ج1 ص374 ، و

تذييب الفروق ، محمد علي بن حسين المكي ، ج1 ص374 كلاهما على حاشية الأنوار .

النهي" 1812 ، و من هذا فإنّ القرآن قد جمع في الذكر بين الخمر و الميسر للدلالة على اجتماعهما في الغالب ، و دلّ على كثرة مفاسدتهما و أضرارهما قرينة الاقتران بوجهين:

- أحدهما الجمع بين لفظي المحرّم.

- ثانيهما الجمع بين دلالتي التغيير القرائي.

✽ - توصيف علل الحكم.

لقد اجتمع وجهها التغيير القرائي على بيان الحكم و علته ، و هذا من أعظم الدلائل الشرعية ، فقد بيّنت القراءة الأولى " كبير " حكم الخمر و الميسر فجعلتهما كبيرة من الكبائر المهلكات ، لأنّ لفظ الكبيرة لا يستعمل في مسمّى الذنب إلا إذا كان موبقا 1813 ، و دلّ عليه قوله تعالى: "الَّذِينَ سَجَّتَبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى" 1814 ، و أشارت القراءة الثانية " كثير " إلى أنّ الخمر و الميسر آثامهما كثيرة و أضرارهما متعددة ، فقد ذكرها القرآن بلفظ المفرد و عدل عن لفظ الجمع ، و يشهد لذلك المطابقة بينه و بين لفظ المنافع في قوله: " و منافع للناس " ، و الفعل إذا تعددت مفاسده و ظهرت علته عظم حكمه و غلظ عقابه ، و عليه فإنّ الخمر و الميسر لما كثرت مفاسدتهما و تعددت أضرارهما وصفا بآثامهما من كبائر الموبقات المهلكات قال تعالى: "إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ" 1815 ، و قال صلى الله عليه و سلم: " اجتنبوا السبع الموبقات... " 1816 ، و الخمر " من قبائحها و فضائحتها أنها تذهب الغيرة ، و تورث الخزي و الفضيحة و الندامة ، و تلحق شاربها بأحقر نوع الإنسان و هم المجانين ، و تسلبه أحسن السمات و الصفات ، و تسهّل قتل النفس و مؤاخاة الشياطين ، و هتك الأستار و إظهار السرار ، و تدلّ على العورات و قهون ارتكاب القبائح و الجرائم ، و كم أهاجت

1812 - إدرار الشروق على أنواء الفروق، أبو القاسم قاسم بن عبد الله بن الشاط ، ضبط و تصحيح خليل المنصور، ط1، 1998 ،

دار الكتب العلمية، بيروت، ج1 ص 376

1813 - حجة القراءات ن ابن زنجلة ، ص132

1814 - النجم 32

1815 - المائة 91

1816 - صحيح البخاري.

من حرب و أفقرت من غني و أذلت من عزيز و وضعت من شريف ، و سلبت من نعمة و جلبت من نقمة ،
و قرقت لبن رجل و زوجة ... و كم أورثت من حسرة و أجرت من عبرة و أوقعت من بلية ... و آفاتها لا
تحصى و فضائحها لا تستقصى." 1817

الفصل السادس: التنافس القرائي بين الإجاز النفسي

و الإجاز التربوي.

- الإجاز النفسي لحياتك و تاريخك.
- ” الإستخبار الفرعوني نموذجا. ”
- الإجاز التربوي لحياتك و مقاصدك.
- ” القلب المتكبر نموذجا. ”

التنوير القرائي و الإجاز النفسي.

- الروح في اللغة و الاصطلاح.

- الروح في اللغة:

مشتق من الريح والروح نسيم الريح، ويقال: أراح الإنسان إذا تنفس، والروح جبريل عليه

السلام. 1818

- الروح في الاصطلاح:

قال القشيري: الروح لطيفة مودعة في القلب. 1819

و تطلق الروح على معينين: 1820

- أحدهما: الجسم اللطيف المنتشر في سائر أجزاء الجسم.

- ثانيهما: اللطيفة العاملة المدركة قال القشيري: "الأرواح مختلف فيها عند أهل التحقيق من أهل السنة منهم من يقول إنها الحياة، ومنهم من يقول أعيان مودعة في هذه القوالب، ولطيفة أجرى الله العادة بخلق الحياة في القالب ما دامت الأرواح في الأبدان، فالإنسان حي بالحياة ولكن الأرواح مودعة في القوالب ولها ترق في حال النوم، ومفارقة البدن ثم الرجوع إليه، وإن الإنسان هو الروح والجسد، ومن قال بقدمها فهو يخطئ خطأ عظيماً، والاختيار يدل على أنها أعيان لطيفة" 1821، و لقد أطلق أبو حامد الغزالي الروح على معينين:

- الأول: الجسم اللطيف مصدره تجويف القلب الجسماني فينشر بواسطة العروق الضاربة في سائر أجزاء الجسم.

- الثاني: هو اللطيفة العاملة المدركة من الإنسان، وهو المراد من قوله تعالى: "ويسألونك عن الروح". 1822

1818 - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، 2، 454، مادة روح.

1819 - الرسالة القشيرية، أبو القاسم عبد الكريم ابن هوازن القشيري، تحقيق عبد الكريم العطاء، مكتبة أبي حنيفة، 76.

1820 - تصفية القلوب من أدران الأوزار و الذنوب، يحيى بن حمزة اليماني الذمار، تحقيق حسن محمد مقبولي الأهدل، ط3، ط 1995

، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ص 22

1821 - الرسالة القشيرية، أبو القاسم القشيري، 77، و انظر التعرف لمذهب أهل التصوف، أبو بكر محمد الكلاباذي، تحقيق محمود أمين

الفواوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، ط2، 1980.

1822 - الإسراء، 85، و انظر إحياء علوم الدين، الغزالي، 3، 4.

- النفس في اللغة و الاصطلاح:

- النفس في اللغة:

نَفْسَ عَنْهُ تَنْفِيسًا ، وَنَفْسًا أَي: فَرَّجَ عَنْهُ 1823 ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا ، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ " 1824 ، وَ أَنْفَسَهُ الشَّيْءُ: أَعْجَبَهُ وَصَارَ عِنْدَهُ نَفِيسًا ، وَالتَّنْفُسُ: الرُّوحُ ، وَالتَّنْفُسُ: العَيْنُ ، يُقَالُ: خَرَجَتْ نَفْسُهُ ، أَي: رُوْحُهُ 1825 ، وَيُقَالُ: أَصَابَتْهُ نَفْسٌ ، أَي: عَيْنٌ ، وَيُرَادُ بِالتَّنْفُسِ الشَّخْصَ ، وَالإنْسَانُ بِجَمَلَتِهِ ، وَالتَّنْفُسُ أَيضًا: العِنْدُ 1826 قَالَ تَعَالَى: "وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۗ قَالَ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ۗ إِن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۗ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٧٣﴾ " 1827 ، أَي: عِنْدِي وَمَا عِنْدَكَ 1828 ، وَتَعْنِي النَّفْسُ كَذَلِكَ الْعِظْمَةُ وَ الْكَبِيرُ ، وَالهَمَّةُ وَ الْعِزَّةُ ، وَعَيْنُ الشَّيْءِ وَ كُنْهَهُ. 1829

- النفس في الاصطلاح:

للنفس تعاريف كثيرة منها:

- 1823 - النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي ، ط 1399هـ-1979 ، المكتبة العلمية ، بيروت، 5، 203.
- 1824 - صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم الحديث 2699 ، 2074،4.
- 1825 - انظر الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهر الأزهر الهروي ، تحقيق محمد جبر الألفي ، ط 1399هـ ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت ، ص 228 ، ولسان العرب ، مادة نفس، 6، 233 ، والقاموس الخيط ، الفيروز آبادي ، 1، 745 ، وَالتَّنْفُسُ تَوْنُثُ إِنْ أُرِيدَ بِهَا الرُّوحُ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: " خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا.. " الزمر ، 6 ، وَتَذَكَّرْ إِنْ أُرِيدَ بِهَا الشَّخْصُ تَقُولُ: عِنْدِي حَمْسَةٌ عَشَرَ نَفْسًا . انظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المكتبة العلمية ، بيروت، 2، 617.
- 1826 - الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، ص 359 ، وَ الْمُطَّلَعُ عَلَى أَبْوَابِ الْفِقْهِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْفَتْحِ الْبَعْلي الْخَبْلِي، تَحْقِيقُ مُحَمَّدُ بَشِيرُ الْأَدْلِي ، ط 1401هـ-1981 ، المَكْتَبُ الْإِسْلَامِي، بِيْرُوت، ص 338.
- 1827 - المائدة ، 116.
- 1828 - القاموس الخيط ، 1/ 745.
- 1829 - لسان العرب، مادة نفس ، 6/ 233

✽ - هي " الجوهر البخاري اللطيف الحاصل لقوة الحياة ، والحسّ ، و الحركة الإرادية، وسميت بالروح الحيواني." 1830

✽ - هي " الجوهر المتعلق بالبدن تعلق التدبير و التصريف أو الجسم النوراني الخفيف الحي المتحرك النافذ في الأعضاء الساري فيها سريان ماء الورد في الورد." 1831

✽ - هي " جوهر قائم بنفسه متعلقة بالجسم تعلق التدبير و التصريف." 1832

✽ - هي " الكمال الأوّل لجسم طبيعي آلي من جهة ما يفعل الأفاعيل بالاختيار العقلي و الاستنباط بالرأي ، ومن جهة ما يدرك الأمور الكلية." 1833

✽ - هي " جسم طويل عريض عميق ذات مكان ، عاقلة مميّزة مصرفة للجسد." 1834

- أسرار مصطلح مفرطة النفس في القرآن الكريم.

✽ - النفس البشرية عوالم آفاق واسعة فهي مناط الهداية و علة التغيير لهذا خصّها الله بالآيات الكثيرة.

✽ - النَّفْس الإنسانية مناط التكليف رتب الشرع على صلاحها وعد الثواب و على فسادها وعيد العقاب.

✽ - لما كانت أبعاد النفس البشرية متنوّعة ومراتبها مختلفة ، لزم تفصيل الحديث عنها لبيان حقائقها و الوقوف على مدلولاتها ، ثمّ بيان أحكام صلاحها و نجاحها في المعاش و المعاد.

1830 - التعريفات ، الجرجاني ، 132.

1831 - روح المعاني، للألوسي ، 46 / 17.

1832 - توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم ، أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، تحقيق زهير الشاويش، ط3 ،

1406هـ، المكتب الإسلامي، بيروت ، 75/1، و الصفدية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم ، ط2 ،

1406هـ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 24/1، فلو وجدت ولا تعلق لها بالجسم لم تكن نفساً بل كانت عقلاً ، إذ أنّ وجود النفس مستلزم

لوجود الجسم. انظر توضيح المقاصد وتصحيح القواعد ، 75/1.

1833 - معارج القدس في مدارج معرفة النفس ، أبو حامد الغزالي ، ط2 ، 1975 ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 21/1، و إحياء

علوم الدين لأبي حامد الغزالي ، دار إحياء الكتب العربية ، 5/3 ، و انظر موسوعة علم النفس والعلاج النفسي من منظور إسلامي ، سعد

رياض ، ط2008 ، دار ابن الجوزي، القاهرة ، ص115.

1834 - الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لأبي محمد بن حزم ، شركة مكتبات عكاظ ، جدة ، السعودية، 202/5، و انظر فتح الباري

ن لابن حجر ، 305،8 ، و شرح مسلم، للنووي ، 31 ، 33،

✽ - نصوص الآيات الواردة في النفس البشرية هي سبيل الفهم السديد لحقائقها ، والدليل الصحيح للتغيير المنشود.

✽ - الآيات الواردة في النفس البشرية هي المسلك الوحيد في فهم الدوافع و تحليل المواقف و تشخيص الآفات و تحديد مفاتيح العلاج.

✽ - إن كثرة الآيات الواردة في النفس البشرية يوحي بحقيقة الغاية الكبرى من خلق الوجود، فما من آية إلا و تحمل روح الهداية الربانية التي أساسها التركيز على حقيقة العقيدة الإسلامية.

✽ - النفس أنواع متفاوتة أحوالها متعددة حدّدها القرآن الكريم ، وهي:

أ - النفس المطمئنة قال تعالى: " يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ " 1835 المطمئنة إلى خالقها ، المطمئنة إلى صراط ربها ، المطمئنة إلى قدر الله بها و قضائه ،

ب - النفس اللوامة قال تعالى: " وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ " 1836 ، وفي تفسير النفس اللوامة ثلاثة أقوال: 1837

✽ - المذمومة ، قاله ابن عباس و عليه فهي التي تلوم نفسها حين لا ينفعها اللوم.

✽ - النفس المؤمنة ، قاله الحسن قال: لا يرى المؤمن إلا يلوم نفسه على كل حال. 1838

✽ - جميع النفوس ، قال الفراء: ليس من نفس برّة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها إن كانت عملت خيراً قال هلا زدت ، وإن كانت عملت سوءاً قالت ليتني لم أفعل 1839 و قول الحسن البصري أرجح و أظهر ، لأنها الصورة المقابلة للنفس الفاجرة الطاغية.

ج - النفس الأمامة بالسوء قال تعالى: " وَمَا أُبْرئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ " 1840 ، فهي نفس بشرية همّها الوسوسة بالسوء ، و تزيين الشهوات.

1835 - الفجر ، 27

1836 - القيامة ، 2

1837 - أضواء البيان ، الشنقيطي ، 8 ، 635 .

1838 - و الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي ، 15 ، 96

1839 - اللباب في علوم الكتاب ، أبي حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود و محمد المتولي الدسوقي

حرب ، ط 1 ، 1997 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 19 ، 545

1840 - يوسف ، 53

- معاني النفس في القرآن الكريم .

لقد تعددت مفردة النفس في القرآن الكريم لتشير إلى دلالات منها:

✽ - أن لفظة النفس في القرآن جاءت بمعنى الإنسان الكائن الحي المكلف في الدنيا المجازي في الآخرة قال تعالى: " وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٨٤١﴾ " 1841 ، و قال جلّ و علا: " وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ^ع وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٨٤٢﴾ " 1842

✽ - النفس بمعنى الروح المقابل لمعنى الموت ، 1843 قال تعالى: " وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ^ط الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٨٤٤﴾ " 1844

✽ - النفس بمعنى أصل البشرية 1845 ، قال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ^ع وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ^ع إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١٨٤٦﴾ " 1846

✽ - النفس بمعنى الذات الإلهية 1847 ، قال تعالى: " لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ^ط وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً ^ط وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ^ط وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨٤٨﴾ " 1848

1841 - البقرة ، 48

1842 - المائدة ، 45

1843 - دليل الأنفس بين القرآن الكريم و العلم الحديث ، توفيق محمد عز الدين ، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة ، ص5 ، و علم النفس التربوي ، شادية أحمد التل ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ص 29

1844 - الأنعام ، 93

1845 - التفسير الكبير، الرازي ، 9 ، 158

1846 - النساء ، 1

1847 - فتح القدير، الشوكاني ، 1 ، 494

1848 - آل عمران ، 28

✽ - النفس بمعنى الشخص بعينه و ذاته ، 1849 قال تعالى : "فَلَعَلَّكَ بَخِيعُ نَفْسِكَ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا

الْحَدِيثِ أَسْفًا" ﴿٦٦﴾ 1850

✽ - النفس بمعنى نية الإنسان و مقصد عمله ، 1851 قال تعالى : " مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ

سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا" ﴿٦٦﴾ 1852 ، و قال جل و علا : "رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي

نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا" ﴿٦٦﴾ 1853

✽ - النفس بمعنى الجنس 1854 ، قال تعالى : "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ" ﴿٦٦﴾ 1855 و قال سبحانه : "وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا

لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" ﴿٦٦﴾ 1856

✽ - النفس بصيغة الجمع للدلالة على أهمية الجماعة في حفظ الأحكام و مقاصد تشريعها ، قال

تعالى : "وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا

قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأْتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" ﴿٦٦﴾ 1857 و قال

سبحانه : " لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ

بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

عَمَلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ أَيْمَانُهُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ

1849 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، 3 ، 156

1850 - الكهف ، 6

1851 - المصدر السابق ، 3 ، 102

1852 - النساء ، 79

1853 - الإسراء ، 25

1854 - المصدر السابق ، 3 ، 682

1855 - التوبة ، 128

1856 - الروم ، 21

1857 - البقرة ، 25

تَأْكُلُوا جَمِيعًا وَأَوْشَتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَاسْلِمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٦﴾ 1858

✽ - بمعنى العقل و القلب و الفؤاد بما يوافق معهود الخطاب عند العرب ، قال تعالى: "وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةٍ

إِزَاهِمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٦٦﴾ 1859

✽ - بمعنى أفعال القلوب من المشاعر و الأحاسيس و الرغبات ، 1860 قال تعالى: "أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ

فَرَأَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ

﴿٦٧﴾ 1861، و قال سبحانه: " وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي

نَفْسٍ يَعْقُبُونَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ 1862

- مفهوم الإعجاز النفسي و حقيقته.

اختلف العلماء في تحديد مفهوم إعجاز القرآن في حديثه عن المشاعر الإنسانية هل هو من باب الإعجاز

النفسي أم من باب الإعجاز الروحي ؟ على أقوال متعددة أهمها:

✽ - القول الأول: 1863

حديث القرآن عن المشاعر الإنسانية و الأحاسيس البشرية هو من الإعجاز النفسي ، و قُيِّدَت حقيقته

بوصفين:

✽ - أولهما: حديث القرآن الكريم عن النفس الإنسانية مطلقا.

1858 - النور ، 61

1859 - البقرة ، 130

1860 - انظر السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر ، عبد المجيد سيد أحمد منصور ، و زكريا أحمد الشربيني ،

و إسماعيل محمد الفقي ، ط 2002 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص 54 ، و علم نفس الدعوة ، محمد زين الهادي ، الدار المصرية اللبنانية ، ص

26

1861 - فاطر ، 8

1862 - يوسف ، 68

1863 - البيان في إعجاز القرآن ن صلاح عبد الفتاح الخالدي ، ط 3 1992م ، دار عمار ، عمان ، الأردن ، 334

❧ - ثانيهما: تأثير القرآن الكريم في النفس الإنسانية مطلقا ، و انتقد هذا القول بأن حديث القرآن الكريم عن طبيعة النفس الإنسانية و استعداداتها و مواقفها هو من باب البيان و التصوير ، و لا علاقة له بالإعجاز النفسي ، فمثله كمثل توصيف طيب. 1864

❧ - القول الثاني: 1865

حديث القرآن عن المشاعر و الأحاسيس نوعان:

❧ - أولهما: الإعجاز الروحي و يراد به تأثير القرآن الكريم في النفس الإنسانية.

❧ - ثانيهما: الإعجاز النفسي و يراد به حديث القرآن الكريم عن أصناف النفس الإنسانية في مكونات مشاعرها ، و خفايا أحاسيسها ، و مقدمات دوافعها ، و نتائج سلوكها.

❧ - القول الثالث: 1866

حديث القرآن عن المشاعر و الأحاسيس حديثان:

❧ - أولهما: الإعجاز النفسي ، و هو ما ينحته القرآن الكريم بآياته المسطورة من آثار منظورة على النفس المفطورة كتزول الطمأنينة و السكينة قال تعالى: "الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ" 1867 ، و غشيان الأمن و الرحمة قال تعالى: " : اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ سَخَشُونَهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَمَن يُضَلِّلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ۗ" 1868 ، و ذهاب القلق و الفزع قال تعالى: " وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۗ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا" 1869

1864 - إعجاز القرآن الكريم ، فضل حسن عباس ، ط 7 ، 2009 ، دار النفائس ، عمان ، الأردن 331

1865 - انظر دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدي ، 7 ، 675 .

1866 - الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم البستي ، بيان إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول ، ط 2 ، 1387هـ ، دار المعارف ، القاهرة ، ص 27

1867 - الرعد ، 28

1868 - الزمر ، 23

1869 - الإسراء ، 82 ، و اختلف العلماء في كونه شفاء على قولين: أحدهما: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وإزالة الريب ، و ثانيهما: شفاء الأمراض الظاهرة ، و القول الظاهر أن القرآن يجمع خير الدنيا و الآخرة قال تعالى: " و لو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته... " فصلت ، 44 . انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ط 1985م ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 10 ، 316 .

❦ - ثانيهما: الإعجاز الروحي ، و هو إعجاب النفس الإنسانية بالقرآن الكريم و استسلامها له عند سماعه ، و شرط ثبوته إدراك حقائق الخطاب العربي و رقائقه ، و وجوه الكلام عند العرب و طرائقه.

❦ - القول الرابع: 1870

حديث القرآن عن المشاعر و الأحاسيس هو الإعجاز النفسي المتمثل في عجيب ما يفعله القرآن الكريم من تمزيق حواجز غيب المشاعر النفسية ، و ردّ هذا القول على أنه إخبار عن غيب فيدخل في مسمى الإعجاز الغيبي. 1871

❦ - القول الخامس: 1872

حديث القرآن عن المشاعر و الأحاسيس هو الإعجاز النفسي الذي انضبط بوجهين:

❦ - الأول: حديث القرآن الكريم عن النفس الإنسانية توصيفا و تصويرا و تشخيصا.

❦ - الثاني: حديث القرآن الكريم عن النفس الإنسانية نتيجة و ثمرة و عطاء.

❦ - تنقيح و ترجيح.

يفهم الحديث القرآني عن النفس الإنسانية في إطار سياقين:

❦ - الأول: أن يجتمع الإعجاز النفسي و الإعجاز الروحي على دلالة لغوية واحدة ، وعندئذ فحقيقتهما

الاصطلاحية واحدة قال ابن منظور: "الروح: النفس، يُذكَرُ وَيُؤنَّثُ، والجمع الأرواح" 1873 ، و إذا أضيف

لهما آثار القرآن على الأجسام كما أخبر الله تعالى فقال: "اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ

جُلُودُ الَّذِينَ سَخَشُونَهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَمَن يُضَلِّلِ اللَّهُ

فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿١٧٤﴾" 1874 ، و كما روى عبد الله بن عروة بن الزبير قال: " قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر:

كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمعوا القرآن ؟ قالت: تدمع أعينهم ، وتقشعر

1870 - المعجزة القرآنية ، محمد متولي الشعراوي ، 1 ، 108

1871 - إعجاز القرآن الكريم ، فضل حسن عباس، ص 329

1872 - انظر البيان في إعجاز القرآن ، صلاح الخالدي، ص 334 ، و إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عباس ، ص 343 ، و بحوث في

الإعجاز و التفسير في رسائل النور ، أحمد خالد شكري ، ط1 ، 2004 ، شركة سوزلر للنشر ، القاهرة، ص 109

1873 - لسان العرب، ابن منظور ، مادة " روح " .

1874 - الزمر ، 23

جلودهم كما نعتهم الله" 1875، فقد اجتمعت المسميات الثلاث على معنى واحد ، ويكون عندئذ مسمّى الإعجاز التأثري هو المصطلح الأرجح و الله تعالى أعلم.

❦ - الثاني : أن يختلف معنى الإعجاز النفسي عن الإعجاز الروحي ، وعندئذ تتباين حقيقتهما الاصطلاحية في صورتين:

- الأولى : الإعجاز النفسي هو حديث القرآن عن النفس الإنسانية مطلقا من حيث توصيف مشاعرها ، و تشخيص علل أدوائها ، و تحديد دواء شفائها.

- الثانية : الإعجاز الروحي هو حديث القرآن الكريم عن تأثيره في النفس الإنسانية ، و يتجلى في مشهدين:

- الأول: تأثيره في النفس الإنسانية مطلقا.

- الثاني: تأثيره في النفس الإنسانية انطلاقا من بلاغة نظمه و بديع تركيبه ، و عليه فإنّ السمة البيانية هي أصل الإعجاز الروحي. 1876.

- مسيرة الإعجاز النفسي التأثري.

لقد بحث في هذا الوجه من الإعجاز ثلّة من العلماء الأولين و الآخرين لكنّ عبارات بيانهم له اختلفت و تباينت تبعا لاختلافهم في مسمّى الإعجاز ، فكانت مسيرة أبحاثهم و جهودهم على الوجه التالي:

أ - الإعجاز النفسي التأثري عند أبي سليمان الخطابي.

يعتبر الخطابي أوّل من أشار إلى هذا الوجه الإعجازي فقال: " في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس ، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذّ من آحادهم ، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس ، فإنّك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوما ولا منشورا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه ، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور ، حتى إذا أخذت حظّها منه عادت إليه مرتاعة قد عراها الوجيب و القلق وتغشّأها الخوف والفرق ، تقشعر منه الجلود ، وتزعج له القلوب ، يحول بين النفس ومضمراها وعقائدها الراسخة فيها ، فكم من عدوّ للرسول صلى الله عليه و

1875 - البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين ، شعب الإيمان ، فصل في البكاء عند قراءة القرآن ، تحقيق محمد السعيد زغلول ، ط 1 ، 1410هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت، رقم 2062 ، 2، 365 .

1876 - انظر إعجاز القرآن الكريم ، فضل حسن عباس و سناء فضل عباس ، ص 335

سلم من رجال العرب وقتآكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحوّلوا عن رأيهم الأوّل ، وأن يركنوا إلى مسالته ، ويدخلوا في دينه ، وصارت عدواً لهم موالاة ، وكفرهم إيماناً " 1877 ، و قد جعل الخطابي أثر القرآن الكريم أبلغ في النفوس إذا أدركت بلاغة خطابه وفصاحة نظمه ، لأنّ " القرآن إنّما صار معجزاً لأنّه جاء بأفصح الألفاظ ، في أحسن نظوم التّأليف مضمناً أصحّ المعاني. " 1878

ب - الإعجاز النفسي التّأثيري عند القاضي عياض .

لقد علّق القاضي عياض على تأثير القرآن الكريم في النفس الإنسانيّة عامّة فقال: " ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه ، والهيئة التي تعتربهم عند تلاوته لقوّة حاله وإنافة خطره ، وهي على المكذّبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ، ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ، ويودّون انقطاعه لكراهتهم له... و أمّا المؤمن فلا تزال روعته به وهيئته إيّاه مع تلاوته توليه انجذابا ، وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه به. " 1879

ت - الإعجاز النفسي التّأثيري عند عبد القاهر الجرجاني .

لقد أقام الجرجاني لقاعدة الذوق الأدبي منزلة عظيمة في فهم نظرية النظم القرآني ، و لا أحد يدرك حقائق البلاغة القرآنيّة إلا إذا كان من " أهل الذوق والمعرفة ، وحتى يكون ثمن تحدّثه نفسه بأنّ لما يومئذ إليه من الحسن و اللطف أصلا وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام ، فيجد الأريحية تارة ويعرى منها أخرى ، وحتى إذا عجبته عجب واذ تبهته لموضع المزية انتبه ، فأما من كانت الحالان و الوجهان عنده أبدا على سواء وكان لا يفقه من أمر النظم إلا الصّحّة المطلقة وإلا إعرابا ظاهرا فما أقلّ ما يجدي الكلام معه ، فليكن من هذه صفته عندك بمنزلة من عدم الإحساس بوزن الشعر و الذوق الذي يقيمه به والطبع الذي يميز صحّحه من مكسوره " 1880 ، و لقد وقف الجرجاني عند مشاهد الإعجاز التّأثيري على النفس و الروح من خلال مناقشاته العلميّة و النقديّة للمباحث البلاغيّة ، من ذلك وقفته عند قوله تعالى: " وجعلوا لله شركاء الجن... "

1877 - الخطابي ، بيان إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، 70

1878 - الخطابي ، بيان إعجاز القرآن ، ص 27

1879 - القاضي عياض ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، 231،230/1

1880 - دلائل الإعجاز، الجرجاني ، ص 196

قال: " ليس بخاف أن لتقديم الشركاء حسنا وروعة ومأخذا من القلوب ، أنت لا تجد شيئا منه إن أنك أحرّت فقلت: وجعلوا الجنّ شركاء لله ، وأنت ترى حالك حال من نقل عن الصورة المبهجة والمنظر الرائق والحسن الباهر إلى الشيء الغفل الذي لا تحلى منه بكثير طائل ولا تصير النفس به إلى حاصل.. "1881 ، و عند وقفته العلمية الذوقية مع قوله تعالى في حق اليهود: " و لتجدنهم أحرص الناس على حياة " قال: " ومن كرم الموقع في النفس ما تجده له الآن الناس على حياة إذا أنت راجعت نفسك وأذكيت حسك وجدت لهذا التنكير وأن قيل على حياة و لم يقل على الحياة حسنا وروعة ولطف موقع لا يقادر قدره ، وتجدك تعدم ذلك مع التعريف وتخرج عن الأريحية والأنس إلى خلافهما "1882 ، و لقد جعل الجرجاني المزية الأولى للنظم القرآني في ظهور الإعجاز التأثري على النفس الإنسانية - خاصة العرب - فقال: " من هذا الذي يرضى من نفسه أن يزعم أن البرهان الذي بان لهم والأمر الذي بهرهم والهيبه التي ملأت صدورهم والروعة التي دخلت عليهم فأزعجتهم حتى قالوا: " إن له لحلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة ، وإنّ أعلاه لمثمر " إنّما كان لشيء راعهم من موقع حركاته ، ومن ترتيبه وبيان سكناته ، أو الفواصل في أواخر آياته ؟ من أين تليق هذه الصفة و هذا التشبيه بذلك ؟ أم ترى أن ابن مسعود حين قال في صفة القرآن: " إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دمثات أتأثّق فيهنّ " ، قال ذلك من أجل أوزان الكلمات ، ومن أجل الفواصل في أخريات الآيات."1883

ث - الإعجاز النفسي التأثري عند ابن القيم الجوزية.

لقد أوتي القرآن " العجب العجاب ، و القول الفصل اللباب ، و البلاغة الناصعة التي تحير الألباب و تغلق دونهما الأبواب "1884 ، و عليه فمن أحاط بفنون البلاغة و البيان ، و نظر في شعر و نثر عرب عدنان و قحطان ثم تأمل القرآن و تدبّره كلّ عقله عن تصوّره و خرس لسانه عن الإتيان بمثله ، و عجز عن معارضته و مجاراته فيذعن العقل لحقيقته ، و تسلو الروح برقيقته ، و تفرح النفس برفقته ، فلا شيء أنفع للقلب من

1881 - المصدر نفسه ، ص 198

1882 - المصدر نفسه ، ص 201

1883 - المصدر نفسه ، ص 204

1884 - الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ابن القيم الجوزية أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ، ط2، 1988م ، دار الكتب العلمية، بيروت، ص7

قراءة القرآن بالتدبر و التفكير 1885 ، و لما كان القرآن أصل صلاح القلوب من الله تعالى بجلاوة تلاوته على عباده فكتب في " سماعه من الروعة ما يملأ القلوب هيبة ، والنفوس خشية ، وتستلذ الأسماع ، وتميل إليه بالحنين الطباع سواء كانت فاهمة لمعانيه أو غير فاهمة ، عالمة بما يحتويه أو غير عالمة ، كافرة بما جاء به أو مؤمنة. " 1886

و لقد صور ابن القيم مسألة تأثير القرآن على سامعه وقارئه فقال: " إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه ، و ألق سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه ، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ، قال تعالى: " إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد " ، وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفاً على مؤثر مقتض ومحل قابل وشرط لحصول الأثر وانتفاء المانع الذي يمنع منه تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ و أبينه ، وأدله على المراد ، فقوله: " إن في ذلك لذكرى " إشارة إلى ما تقدم من أول السورة إلى هاهنا ، وهذا هو المؤثر ، وقوله: " من كان له قلب " ، فهذا هو المحل القابل ، و المراد به القلب الحي الذي يعقل عن الله كما قال تعالى: " إن هو إلا ذكر وقرآن مبين لتندر من كان حياً " أي حي القلب ، وقوله تعالى: " أو ألقى السمع وهو شهيد " أي وجه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له ، و هذا شرط التأثير بالكلام ، وقوله: " وهو شهيد " أي شاهد القلب حاضراً غير غائب... ، فإذا حصل المؤثر ، وهو القرآن ، والمحل القابل وهو القلب الحي ، و وجد الشرط وهو الإصغاء ، وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر حصل الأثر ، وهو الانتفاع بالذكر " 1887 ، و جعل ابن القيم تأثير القرآن لعموم الخلق أجمعين ، " فيقع في النفوس عند تلاوته وسماعه من الروعة ، ما يملأ القلوب هيبة ، والنفوس خشية ، وتستلذ الأسماع ، وتميل إليه بالحنين الطباع ، سواء كانت فاهمة لمعانيه أو غير فاهمة ، عالمة بما يحتويه أو غير عالمة ، كافرة بما جاء به أو مؤمنة. " 1888

ج - الإعجاز النفسي التأثيري عند عبد الكريم الخطيب.

1885 - انظر مفتاح دار السعادة و منشور ولاية أهل العلم والإرادة ، ابن القيم الجوزية ، تحقيق علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي

ط1 ، 1996 ، دار ابن عفان ، الخبر ، السعودية ، 1 ، 554

1886 - الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ابن القيم الجوزية ، ص 8.

1887 - ق ، 37

1888 - الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ابن القيم الجوزية ، ص 9.

إن الإعجاز عند الخطيب ما جادت به البلاغة القرآنية من آثار على النفس الإنسانية فما " الإعجاز الذي رآه الناس إلا روعة تملكهم ، وإلا جلالاً يحيط بهم ، وما كان لكلام أن يصور حقيقة الروعة ، أو يمسك مواقع الجلال ، إنها معان تدرك وتستشعر ولا توصف ، ولهذا فإن الناس مع القرآن على منازل ودرجات وحظوظ " 1889 ، و هذا الوجه من الإعجاز هو " المعجزة القائمة في القرآن أبداً ، الحاضرة في كل حين ، وهي التي تسع الناس جميعاً ، عالمهم وجاهلهم ، عربهم وأعجميهم ، إنسهم وجنهم " قل أوحى إليّ أنّ الله استمع نفر من الجنّ فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجبا " 1890

إنّ المعجزات الحسية السابقة و إن ساقط الخلق بالتأثير إلى الإيمان بالله تعالى و التصديق برسالات أنبيائه فإنّ أمر القرآن الكريم و حقيقته على خلاف ما سبق ؛ فهو كلمات ربّانية و تراكيب قدسية ألف ألفاظها المخاطبون لأنّها من معهود كلامهم و مما يجري على لسانهم قال الله تعالى: " نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٧٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٧٧﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٧٨﴾ " 1891

وقال جل جلاله: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧٦﴾ " 1892 ، وقال تعالى: " وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١٧٧﴾ " 1893 ، وقال سبحانه: " قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٧٨﴾ " 1894 ، فكان هذه الكلمات الإلهية نفحات نورانية من التأثير على النفوس و كان لها من الأثر ما كان لكلمة عيسى عليه السلام من الشفاء و الإحياء و أكثر 1895 قال تعالى: " إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ط وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ط وَإِذْ خَلَقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفَخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ط وَتَبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ط وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ط وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ "

1889 - الإعجاز في دراسات السابقين، عبد الكريم الخطيب ، ط 2 ، 1975م ، دار المعرفة ، بيروت ، 145

1890 - الجنّ ، 1

1891 - الشعراء ، 193-195

1892 - يوسف ، 2

1893 - طه ، 113

1894 - الزمر ، 28

1895 - الإعجاز في دراسات السابقين، عبد الكريم الخطيب ، ص 146

مُبينٌ ﴿١١٦﴾ 1896 ، و كان لها ما كان لعصا موسى عليه السلام من التغيير و التدافع و أكثر قال تعالى: " قَالَ أُولُو جُنُودِكَ بَشَىءٍ مُّبِينٍ ﴿١١٧﴾ قَالَ فَآتِ بِهِءَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴿١١٨﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١١٩﴾ " 1897 إنَّ القرآن الكريم ليس معجزة ذهبت حجتها بفنائها و موت أصحابها ، أو درس أثرها بذهاب زمانها ، بل هو آيات في صدور أهل الإيمان ، و أحكام ظاهرة على سلوك أهل الإسلام ، و سور تتلى آناء الليل و أطراف النهار إلى قيام الساعة آيات تتلى حقّ تلاوتها بالتدبّر الدقيق قال تعالى: "كِتٰبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايٰتِيَهٗ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٢٠﴾ " 1898 ليجول العقل بعد سماع القرآن المسطور في رحاب الكون المنظور ، فيجتمع بصره و بصيرته على رؤية مشاهد الإعجاز الرباني على صفحات الأنفس و لوحات الآفاق، قال تعالى: " قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِءَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٢١﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايٰتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٢٢﴾ " 1899 إنها آيات القرآن الكريم أبكت العيون عبرات حين أبصرت كمال خالقها في جلال إعجازه و أوجلت القلوب خشية حين استحضرت عظمة ربها قال تعالى: " أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِءَ ۗ فَوَيْلٌ لِّلْقٰسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۗ أُولٰٓئِكَ فِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٢٣﴾ 1900 اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتٰبًا مُّتَشٰبِهًا مَّثَانِي تَفْشَعُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۗ ذٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِءَ مَن يَشَآءُ ۗ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿١٢٤﴾ " 1900

ح - الإعجاز النفسي التأثري عند محمد الغزالي.

لقد ركز محمد الغزالي في بحثه القرآني على الجانب التأثري للقرآن الكريم فوقف على أن الإعجاز النفسي حقيقة قرآنية مكررة " تظهر في ألف ثوب ، وتتوزع تحت عناوين شتى ، كما تذوق السكر في عشرات الطعوم والفواكه ، وهذا التكرار مقصود ، وإن لم ترد به الحقيقة العلمية في مفهومها ذلك أن الغرض ليس تقرير الحقيقة فقط ، بل بناء الأفكار والمشاعر ، و التقاط مؤلفه آخر ما تحتلقه اللجاجة من شبهات و تعلات ، ثم الكرر عليها بالحجج الدامغة ، حتى تبقى النفس وليس أمامها مفر من الخضوع لمفهومها للحق و

1896 - المائدة ، 110

1897 - الشعراء ، 30 - 32

1898 - ص ، 29

1899 - فصلت ، 52 - 53

1900 - الزمر ، 22 ، 23

الاستكانة لله ، وعندى أنّ قدراً من إعجاز القرآن الكريم يرجع إلى هذا " 1901 ، ثم وضع الغزالي يده على ما يقهر النفوس و يملك القلوب ، إته سلطان القرآن الذي " يملك على الإنسان نفسه بالوسيلة الوحيدة التي تقهر تفوّقه في الجدل ، أي بتقديم الدليل المفحم لكل شبهة ، وتسليط البرهان القاهر على كل حجة " 1902 " إنّ طبيعة هذا القرآن لا تلبث أن تقهر برودة الإلف ، وطول المعرفة ، فتتعري أمامه النفوس ، وتنسلخ من تكلفها وتصنعها ، وتزعج من ذهولها و ركودها ، وتجد نفسها أمام الله جل شأنه يحيطها ويناقشها ، ويعلمها ويؤدّبها ، فما تستطيع أمام صوت الحقّ المستعلن العميق إلا أن تخشع وتصيخ. " 1903

إنّ التأثير النفسي الذي أشار إليه الغزالي هو من أعظم الخصائص القرآنية التي تظهر عند سماع القرآن ، و من أبرز سمات الوحي الربّاني التي تأخذ بالنفوس إلى الإيمان ، " والشعور بالرغبة والرغبة ، والرقّة تعمرك وأنت تستمع إلى قصص الأولين والآخريين تروى بلسان الحق ، ثمّ يتبعها فيض من المواعظ والحكم والمغازي والعبر ، تقشعر منه الجلود " 1904 ، ذاك لأنّ المتكلّم يعلم ما تكنّ صدورهم و ما يعلنون ، و كلامه " القرآن الكريم بأسلوبه الفريد يردّ الصواب إلى أولئك جميعا ، وكأته يعرف ضائقة كل ذي ضيق ، وزلّة كل ذي زلل ، ثمّ تكفل بإزاحتها كلّها ، كما يعرف الراعي أين تاهت خرافه ، فهو يجمعها من هنا وهناك ، لا يغيب عن بصره ولا عن عطفه واحد منها " 1905 ، و انطلاقاً من هذا الأصل الركين " ما أظنّ امرأ سليم الفكر و الضمير يتلو القرآن أو يستمع إليه ثمّ لا يزعم أنّه لم يتأثر به ، قد نقول: فلم يتأثر به ؟ و الجواب أنّه ما من هاجس يعرض للنفس الإنسانية من ناحية الحقائق الدينية إلاّ ويعرض القرآن له بالهداية وسداد التوجيه. "

- التأثير القرآني و الإعجاز النفسي .

و لقد تعدّدت صور التأثير فأخذت أشكالاً متنوعة منها:

- التأثير القرآني في النفوس المؤمنة .

1901 - نظرات في القرآن ، محمد الغزالي ، ص 120

1902 - المرجع نفسه ، 121

1903 - المرجع نفسه ، 122

1904 - المرجع نفسه ، 123

1905 - نظرات في القرآن ، محمد الغزالي ، 127، 128

القرآن الكريم طريق طمأنينة النفس وأمنها ، يدفع خوفها و يبدد قلقها قال تعالى: " اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ " 1906 ، و قال صلى الله عليه وسلم " ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله و يتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة.. " 1907 ، و عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم: " اقرأ عليّ القرآن " ، قال: فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال: " إني أشتهي أن أسمع من غيري " ، وفي لفظ للبخاري: " فَإِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَسْمَعَ مِنْ غَيْرِي " ، فقرأت عليه النساء حتى إذا بلغت: " فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا " 1908 ، وفي لفظ للبخاري: " فقال حسبك الآن " ، فرفعت رأسي ، أو غمزني رجلٌ فرفعت رأسي ، فرأيت دموعه تسيل " ، وفي لفظ للبخاري: " فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان " 1909

1906 – الزمر ، 23

1907 – مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ط2/1392هـ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، 4، 2074 ، و قال النووي: " قيل: المراد بالسكينة هنا الرحمة.. وهو ضعيف لعطف الرحمة عليه ، وقيل: الطمأنينة والوقار ، وهو أحسن. " انظر شرح النووي على صحيح مسلم ، 17 ، 21 ، و قد أشارت الأحاديث الكثيرة إلى أثر القرآن في النفس فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: " كنا في مسير لنا فترلنا، فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحي سليم ، وإن نفرننا غيَّب، فهل منكم راقٍ؟ فقام معها رجل ما كنا نأبئه برقية، فرقاه، فبرأ، فأمر له بثلاثين شاة، وسقانا لبنا، فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية، أو كنت ترقي؟ قال: لا، ما رقيتُ إلا بأم الكتاب، قلنا: لا تحدثوا شيئاً ، حتى نأتي ونسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: وما كان يديره أنها رقية، اقسما واضربوا لي بسهم " انظر البخاري ، الجامع الصحيح ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل فاتحة الكتاب، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط1/1987، دار الريان للتراث، القاهرة، رقم 5006 ، 671/8 و اللفظ له ، ومسلم، الجامع الصحيح ، كتاب السلام ، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار، 4/1727 رقم 2201 ، و عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها " ، و لقد أجاز بعض العلماء علاج المريض بالماء المقروء عليه. انظر صحيح البخاري ومعه فتح الباري ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل المعوذات رقم 5016 ، 679/8 ، و النووي ، التبيان في آداب حملة القرآن ، ص98.

1908 – النساء ، 41

1909 – متفق عليه ، البخاري ، كتاب التفسير ، باب " فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا " ، برقم 4582 ، وكتاب فضائل القرآن ، باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره، برقم 5049 ، وباب قول المقرئ للقارئ حسبك، برقم 5050 ، وباب البكاء عند قراءة القرآن ، برقم 5055 ، ورقم 5056 ، مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل استماع القرآن ، وطلب القراءة من حافظه للاستماع ، والبكاء عند القراءة والتدبر ، رقم 800.

- مظاهر التأثير القرآني على النفوس المؤمنة. 1910.

لقد أثر القرآن الكريم في نفوس أهله تأثيراً عظيماً فتجلت مظاهر التأثير في:

- الأول: التنافس في حفظه و قراءته ، حتى طاب لهم هجر لذيذ دنياهم بمناجاة ربهم.

- الثاني: العمل بتعاليمه و الأخذ بأحكامه في شؤون الحياة كلها حتى أخرجهم للعالم خلقاً صحيح العقيدة ، مستقيم العبادة ، كريم الخلق.

- الثالث: الاستبسال في الدعوة إلى هدايته والدفاع عن رسالته ، فقد ضرب الصحابة أعظم المثل في الجهاد و التضحية ، فقد أجاز عليه الصلاة والسلام يوم أحد سمرة بن جندب ، ورافع بن خديج ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان قد ردّهما ، ف قيل له: يا رسول الله إن رافعاً رامٍ ، فأجازه ، فلما أجاز رافعاً قيل له: يا رسول الله فإن سمرة يصرعُ رافعاً فأجازه ، وردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد ، وعبد الله ابن عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، والبراء بن عازب وغيرهم ، ثم أجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمس عشرة سنة 1911، و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: والذي نفسي بيده لولا أن رجلاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحلهم عليه ، ما تخلفت عن سرية تغدو في سبيل الله ، و الذي نفسي بيده لو ددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيأ ، ثم أقتل ثم أحيأ ، ثم أقتل ثم أحيأ ، ثم أقتل ثم أحيأ ، ثم أقتل. " 1912.

- الرابع : النجاح الباهر للقرآن الكريم في هداية البشرية والنهضة بها نحو معالي العقيدة و الأخلاق في سياسة مجالات الدنيا - في العادات والمعاملات ، وفي السياسة والإدارة -، وفي كافة نواحي الإصلاح الإنساني.

- الخامس: زيادة الإيمان عند سماع القرآن الكريم 1913 دلّ على ذلك قوله تعالى: " وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ زَادَ اللَّهُ إِيمَانًا فَآمَنَّا فَالَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ " 1914 ، و قوله جلّ و

1910 - انظر الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط1، 1988، دار الكتب العلمية، بيروت، 439/2 .

1911 - انظر ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، ط1/1415هـ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، 74/3 .

1912 - انظر البخاري، ومعه فتح الباري، كتاب الجهاد والسير، باب تمنّي الشهادة، رقم 2797 ، 20/6 .

1913 - انظر الرازي أحمد بن محمد بن أحمد بن المظفر ، حجج القرآن ، تحقيق أحمد عمر الخمصاني، ط2 ، 1982 ، دار الرائد ، بيروت،

72 ، و القرآن و علم النفس، محمد عثمان نجاتي، ط7 ، 2001 ، دار الشروق ، القاهرة، 270.

1914 - التوبة ، 124.

علا: " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. " 1915

1- السادس: تأثير القرآن على القلوب إذ يورثها الخوف من الله والخشية منه قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا " 1916 ، و عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لأبي بن كعب: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ "

، قال: الله سَمَّيَ لكَ ؟ قال: " الله سَمَّكَ لِي " ، قال فجعل أبي يبكي ، وفي رواية: " إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: " لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا " 1917 قال: وسَمَّيَ لكَ ؟ قال: " نعم " قال: فبكي. 1918

- التائيب القرآن في نفوس أهل الكتاب:

قال تعالى: " لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا " وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّكَ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَزُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٧﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ " 1919 قال أبو حيان الأندلسي: " هذا وصف برقة القلوب والتأثر بسماع القرآن " 1920 ، و قال أبو السعود: " هو بيان لبرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ، ومسارعتهم إلى قبول الحق " 1921 ، وهذا من أثر علمهم بالنبي صلى الله عليه

1915 - الأنفال ، 2

1916 - الإسراء ، 107-109

1917 - البينة ، 1

1918 - صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحدائق فيه وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه ، برقم 245-799 و 246-799 .

1919 - المائدة ، 82-83

1920 - البحر الحيط ، 4 ، 498

1921 - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، 2 - 282

وسلم قال تعالى: " قُلْ ءَامِنُوا بِمِةٍ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدَ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٩﴾ " 1922

- التآثير القرآني في النفوس المشركه:

و يتجلى التأثير القرآني في النفوس المشركه من خلال المظاهر التالية. 1923

✽ - أثر القرآن الكريم في أعدائه فقد سلب عقولهم مع إعراضهم ، و أخذ أسماعهم مع قيام عداوتهم ، فقد كانوا يخرجون في الليل يستمعون إليه مختلسين النظر متلبسين الظلام.

✽ - اجتهاد الكافرين في الصّدّ عن القرآن خاصّة عند المسجد الحرام ، و عند مجامع العرب و أسواقها خوفاً من تأثيره و ردّاً لهدايته.

✽ - الذعر من قوة تأثيره و سرعة ولوجه النفوس فأجمعوا على صدّ الخلق عنه قال تعالى: " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ " 1924 ، وكان أبو جهل يقول لقومه: إذا قرأ محمد فصيحوا في وجهه حتى لا يدري ما يقول ، وعن مجاهد أنهم كانوا يصفّرون و يصفقون عند سماع القرآن الكريم للتخليط عليه. 1925

✽ - سلب إرادتهم ، و غير مواقفهم من الشرّ إلى الخير ، فكان الواحد يخرج من بيته شاهراً سيفه يبتغي القتل ، و معلناً غدره يبتغي الإضرار ، فما يلبث أن تدركه نفحة قرآنية ، فيستمع وينصت و إذا به يخشع إلى الحق و يخضع له ، وفي قصّة إسلام عمر بن الخطاب و الطفيل بن عمرو الدوسي شاهد قوي ، و لقد المشركون مع القرآن موقفين:

أ - النفوس المشركه بين التأثير القرآني و الإيمان.

و تظهر ثمرات التأثير القرآني من خلال النماذج التالية:

1922 - الإسراء ، 107-109

1923 - الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، 437/2.

1924 - فصلت ، 26

1925 - انظر الطبري، جامع البيان ، 111/24، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، 356/15.

✽ - روى ابن إسحاق: " أن عمر بن الخطاب خرج يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطاً من أصحابه ، ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، فلقية نعيم بن عبد الله ، فقال له: أين تريد يا عمر ؟ فقال: أريد محمداً هذا الصابي الذي فرّق أمر قريش ، وسفّه أحلامها ، وعاب دينها ، وسبّ آهنتها فأقتله ، فقال نعيم: والله لقد غرّتك نفسك من نفسك يا عمر ، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض ، وقد قتلت محمداً ، أفلا ترجع إلى أهل بيتك ، فتقيم أمرهم ؟ قال: وأي أهل بيتي ؟ قال: خنتك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو ، وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما ، وتابعا محمداً على دينه ، فعليك بهما ؛ فرجع عامداً إلى أخته وخنته ، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها " طه " يقرئها إياها ، فلما سمعوا حسّ عمر ، تعيّب خباب في مخدع لهم ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال: ما هذه الهينة الذي سمعتُ ؟ قالوا: ما سمعت شيئاً ، قال: بلى والله ، لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه ، وبطش بخته سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها ، فضرّ بها فشجّها ؛ فلما فعل ذلك قالت له أخته وخنته: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدا لك ، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى ، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون آنفاً أنظر ما هذا الذي جاء به محمد ، وكان عمر كاتباً ، فلما قال ذلك ، قالت له أخته: إنا نخشاك عليها ، قال: لا تخافي ، وحلف لها بأهته ليردّها إذا قرأها إليها ، فلما قال ذلك ، طمعت في إسلامه ، فقالت له: يا أخي ، إنك نجس ، على شركك وإنه لا يمسه إلا الطاهر ، فقام عمر فاغتسل ، فأعطته الصحيفة وفيها " طه " فقرأها ، فلما قرأ منها صدراً قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ، فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال له: يا عمر ، والله إنني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ، فأني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام ، أو بعمر ابن الخطاب ، فالله الله يا عمر ، فقال له عند ذلك: فدلي يا خباب على محمد حتى آتية فأسلم.. " 1926

✽ - روى ابن إسحاق عن الطفيل بن عمرو الدوسي أنه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، فمشى إليه رجال من قريش ، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيياً ، فقالوا له: يا طفيل إنك قدمت بلادنا ،

1926 - انظر ابن هشام، السيرة النبوية ، 381/1-383 ، و الألباني محمد ناصر الدين ، صحيح السيرة النبوية ، المكتبة الإسلامية ،

وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعْضَل بنا ، وقد فرَّق جماعتنا وشَتَّت أمرنا ، وإِثْمًا قوله كالسَّاحِر يفرِّق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، وإِثْمًا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمه ولا تسمعنَّ منه شيئاً قال: فو الله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه ، حتى حشوتُ في أذني حين غدوتُ إلى المسجد كُرسُفاً فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعهُ. قال: فغدوتُ إلى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة ، فقمت منه قريباً فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله ، قال: فسمعتُ كلاماً حسناً. قلت في نفسي: واثكلُ أمي ، والله إني رجل لبيب شاعر ما يخفى عليَّ الحُسن من القبيح ، فما يعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته ، وإن كان قبيحاً تركته ، قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه ، فقلت: يا محمد، إن قومك قالوا لي كذا وكذا ، للذي قالوا فو الله ما برحوا يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك فسمعتهُ قولاً حسناً ، فأعرض عليَّ أمرك ، قال: فعرض عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام وتلا عليَّ القرآن ، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه ، قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق. 1927

✽ - يروى أن أسعد بن زرارة خرج مع مصعب بن عمير يوماً يريد دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر، فدخلوا في حائط من حوائط بني ظفر ، وجلسا على بئر يقال لها بئر مرق، واجتمع إليهما رجال من المسلمين - وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدي قومهما من بني عبد الأشهل يومئذ على الشرك - فلما سمعا بذلك قال سعد لأسيد: اذهب إلى هذين اللذين قد أتيا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما ، وانهما عن أن يأتيا دارينا ، فإن أسعد بن زرارة ابن خالتي ، ولولا ذلك لكفيتك هذا ، فأخذ أسيد حربته وأقبل إليهما ، فلما رآه أسعد قال لمصعب: هذا سيّد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه ، قال مصعب إن يجلس أكلمه ، وجاء أسيد فوقف عليهما متشئماً ، وقال: ما جاء بكما إلينا ؟ تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كفّ عنك ما تكره ، فقال: أنصفت ، ثم ركز حربته و جلس ، فكلمه مصعب بالإسلام ، وتلا عليه القرآن. قال: فو الله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل

1927 - ابن هشام، السيرة النبوية ، 420/1 ، و المباركفوري صفى الرحمن، الرحيق المختوم ، ط2/1991 ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت ، ص 162

أن يتكلم في إشراقه و تهلله ، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله ؟ كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالوا له: تغتسل وتطهر ثوبك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين ، فقام واغتسل وطهر ثوبه وتشهد وصلى ركعتين ، ثم قال: إن ورائي رجلاً إن تبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه ، وسأرشده إليكما الآن - سعد بن معاذ - ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد في قومه ، وهم جلوس في ناديهم. قال سعد: احلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف أسيد على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ فقال: كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا ، وقد فهيتهما فقالوا: نفعل ما أحببت ، وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه - وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك - ليخفروك ، فقام سعد مغضبا للذي ذكر له ، فأخذ حربته ، وخرج إليهما ، فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدا إنما أراد منه أن يسمع منهما ، فوقف عليهما متشئما ، ثم قال لأسعد بن زرارة: والله يا أبا أمامة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، تغشانا في دارنا بما نكره ؟ وقد كان أسعد قال لمصعب: جاءك والله سيد من ورائه قومه ، إن يتبعك لم يتخلف عنك منهم أحد ، فقال مصعب لسعد بن معاذ: أو تقعد فتسمع ؟ فإن رضيت أمرا قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ، قال: قد أنصفت ، ثم ركز حربته فجلس ، فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، قال: فعرنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، في إشراقه و تهلله ، ثم قال: كيف تصنعون إذا أسلمتم ؟ قالوا: تغتسل ، وتطهر ثوبك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين ، ففعل ذلك. 1928.

✽ - عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه قال: " سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقرأ في المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآية : " أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ " ¹⁹²⁹ كاد قلبي أن يطير و في رواية " وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي. " 1930.

1928 - الطبري محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك ، ط1/1407 هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 560/1 ، وابن كثير ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، 3/152 ، والكلاعي أبو الربيع سليمان بن موسى، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ومغازي الثلاثة الخلفاء ، تحقيق محمد كمال الدين علي ، ط1/1997 ، عالم الكتب، بيروت ، 317/1

1929 - الطور، 35-37.

1930 - متفق عليه البخاري ، كتاب التفسير، سورة الطور، رقم 4854، و 4023 ، و مسلم، بنحوه، كتاب الصلاة باب القراءة في الصبح، رقم 463.

ب - النفوس المشركية بين التأثير القرآني و الاستكبار.

و دلّ على هذا الاستكبار مواقف كثيرة منها:

❖ - أنّ أبا جهل وأبا سفيان و الأحنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو يصلي بالليل في بيته ، وأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا أصبحوا أو طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض: لا تعودن ، لو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقالوا: لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا ، فلما أصبح الأحنس بن شريق أخذ عصاً ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته ، فقال: حدثني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ، فقال يا أبا ثعلبة: و الله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وأشياء ما أعرف معناها ولا ما يراد بها ، فقال الأحنس: وأنا والذي حلفت له به ، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته ، فقال: يا أبا الحكم: ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال: ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: متنا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى تدرك هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً ، ولا نصدقه ، فقام عنه الأحنس بن شريق ، 1931 و شاهد الاختلاف فيما بينهم في أمر القرآن و نبيه ما ذكره ابن كثير في البداية و النهاية بعنوان: "مجادلة المشركين رسول الله، وإقامة الحجّة الدامغة عليهم واعترافهم في أنفسهم بالحق ، وإن أظهروا المخالفة عناداً وحسداً وبعياً وجحوداً" 1932

❖ - صدق شهادات المشركين للقرآن الكريم و أعلاها منهم ما جاء عن الوليد بن المغيرة بعد أن قرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فرق له ، وبلغ ذلك قومه فجاءه أبو جهل طالباً منه أن يقول في القرآن قولاً يبلغ قومه أنه منكر له ، قال: فما أقول فيه ، فو الله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم

1931 - ابن إسحاق محمد بن إسحاق بن يسار، سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث، تحقيق محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث 168/4-169، و ابن هشام، السيرة النبوية 352/1، والكلاعي، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ومغازي الثلاثة الخلفاء، 1/235، والسيوطي، كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، ط1/1985، دار الكتب العلمية، بيروت، 1/192
1932 - ابن كثير، البداية والنهاية ، 3/60.

برجزه ولا بقصيده مني ، ولا بأشعار الجنّ ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إنّ لقوله لحلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة 1933 ، وإنّه لمثمر أعلاه مغدق أسفله ، وإنّه ليعلو وما يعلى ، وإنّه ليحطم ما تحته. قال أبو جهل: "والله لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال: فدعوني أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر .. فترلت " ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا " 1934 قال تعالى: " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ " 1935 " كلمة كان يوصي بها الكبراء من قريش أنفسهم ، ويغرون بها الجماهير ، وقد عجزوا عن مغالبة أثر القرآن في أنفسهم ، وفي نفوس الجماهير " 1936 إنّه التواصي المقيت الذي "يدلّ على الذعر الذي كان يضطرب في نفوسهم من تأثير هذا القرآن فيهم ، وفي أتباعهم ، وهم يرون هؤلاء الأتباع يسحرون بين عشية وضحاها من تأثير الآية والآيتين ، والسورة و السورتين يتلوها محمد عليه الصلاة والسلام ، أو أحد أتباعه السابقين ، فتنقاد إليهم النفوس ، و تهوي إليهم الأفئدة ، ويهرع إليهم المتقون ، و لم يقل رؤساء قريش لأتباعهم وأشياعهم هذه المقالة وهم في نجوة من سحر القرآن ، فلولا أنهم أحسّوا في أعماقهم هزّة روّعتهم ، ما أمروا أتباعهم هذا الأمر ، وما أشاعوا في قومهم بهذا التحذير الذي هو أدلّ من كل قول على عمق التأثير. " 1937

✽ - عتبة بن ربيعة أحد سادات المشركين وكبرائهم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم للمساومة بالمال والملك ، فردّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم ، قال: فاسمع مني ، قال: فافعل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم: " حَمَّ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا.. " فمضى رسول الله يقرؤها عليه ، فلما سمعها عتبة أنصت و ألقى يديه خلف ظهره حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجد فيها ، ثمّ قال: قد سمعت ، يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك ، فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه

1933 - أي رونقاً وحُسناً ، وجمالاً. انظر لسان العرب مادة " طلي " ، 14/15.

1934 - المدثر ، 11 و انظر الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، 156/29 ، والحاكم ، المستدرک علی الصحیحین ، کتاب التفسیر ، سورة المدثر ، ، وقال: على شرط البخاري ولم يخرجاه ، 507/2 ، و أورده الألباني ، في صحيح السيرة النبوية ، ص 158 رقم 157 ، و سيرة ابن إسحاق 132/2 ، وابن هشام ، السيرة النبوية ، 306/1 .

1935 - فصلت ، 26

1936 - قطب سيد ، في ظلال القرآن ، ط 1971/7 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 238/7.

1937 - سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ط 17-2004 ، دار الشروق ، القاهرة ، ص 14

الذي ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد: قال: ورأيتني أتيت الله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا الكهانة. يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي :خلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، واعتزلوه ، فوالله ليكون لقوله الذي سمعت نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه.1938

- التائير القرآن في الجماد و النبات و الحيوان .

لقد أخبر الله تعالى في القرآن عن إفهام الجماد والنبات والحيوان ، و أظهر الحكمة من ذلك في مواضع متعدّدة كما أخبر عن النحل فقال تعالى: " وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ " 1939 ، و يوم الحديبية حين بركت ناقته عليه الصلاة والسلام فزجروها ، وقالوا: خلأت القصواء ، فقال عليه الصلاة والسلام: "ما خلأت القصواء ، وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل" 1940 ، و لقد أخبر الله عن تأثر الجماد بسماع القرآن الكريم فقال تعالى: " تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا " 1941 ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ النبي صلى الله عليه وسلم سمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما ، فدعا بجريدة ، فكسرها كسرتين ، فوضع على كل قبر منهما كسرةً ، فقيل له: يا رسول الله لم فعلت هذا ؟ قال:

1938 - انظر ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، 4/188 ، والحلي علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ، ط 1400هـ، دار المعرفة، بيروت، 1/487 ، و السيوطي ، كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب ، 1/190 ، و الباقلاني، إعجاز القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف ، القاهرة ، 28 .

1939 - النحل ، 68

1940 - صحيح البخاري ومعه فتح الباري ، كتاب الشروط ، باب: الشروط في الجهاد رقم 2731 ، 5/388 .

1941 - الإسراء ، 44، روى اليعقوبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: " وإن من شيء حي إلا يسبح بحمده " ، معالم التنزيل، تحقيق خالد العك، ومروان سوار ، ط2، 1407 هـ، دار المعرفة، بيروت، 5، 96 ، و روى الطبري عن قتادة قوله: " كل شيء فيه الروح يسبح من شجر أو شيء فيه الروح. " انظر جامع البيان ، 15، 93 .

"لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا أو إلى أن ييبسا" 1942 ، وعن جابر بن سمرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن." 1943 ، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "كنا نسمع تسييح الطعام وهو يؤكل." 1944

- الذوق والجذابي و إحصاء الإجازات النفسية .

قال الجرجاني: " و اعلم أنّه لا يصادف القول في هذا الباب - فصل في الذوق و المعرفة- موقعا من السامع ولا يجد لديه قبولا حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة ، وحتى يكون ممن تحدّثه نفسه بأن لما يومئ إليه من الحسن واللفظ أصلا ، وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام فيجد الأريحية تارة ويعرى منها أخرى ، وحتى إذا أعجبتة عجب ، وإذ نبهته لموضع المزية انتبه ، فأما من كانت الحلالان والوجهان عنده أبدا على سواء وكان لا يفقه من أمر النظم إلا الصحة المطلقة وإلا إعرابا ظاهرا فما أقل ما يجدي الكلام معه ، فليكن من هذه صفته عندك بمثلة من عدم الإحساس بوزن الشعر والذوق الذي يقيمه به والطبع الذي يميّز صحيحه من مكسوره... و لا تتكلف تعريفه لعلك أنه قد عدم الأداة التي معها يعرف والحاسة التي بها يجد." 1945

1942 - صحيح البخاري مع فتح الباري ، كتاب الوضوء ، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله رقم 216، 1، 369، وروى الطبري عن الحسن البصري أنه قدّم له طعام على خوان، ثم قيل له: "يا أبا سعيد يسبح هذا الخوان؟ فقال: كان يسبح مرة." انظر، جامع البيان ، 92، 9.

1943 - صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم و تسليم الحجر عليه قبل النبوة، رقم 2277 ، و انظر حديث موسى مع الحجر في صحيح البخاري ومعه فتح الباري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب 28، رقم 3404، 6، 502، وصحيح مسلم ، كتاب الحيض، باب جواز الاغتسال عريانا في الخلوة رقم 339 ، 1، 267 و حديث حين الجذع البخاري، صحيح البخاري ومعه فتح الباري، كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام رقم 3584 ، 6/696 ، و انظر الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الصحيح أبواب الصلاة، باب ما جاء في الخطبة على المنبر ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية، بيروت، رقم الحديث 505 ، 379/2

1944 - صحيح البخاري ومعه فتح الباري كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم 6، 3579، 6، 679 قال النووي: "فيه معجزة له صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات ، وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة: " وَإِنَّ مِنْهَا لَمَنْ يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ" - البقرة 73 - وقوله تعالى: " وَإِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ" الإسراء 44 - وفي هذه الآية خلاف مشهور، والصحيح أنه يسبح حقيقة ، ويجعل الله تعالى فيه تمييزا بحسبه." انظر شرح النووي على صحيح مسلم 36، 15، وعلق ابن كثير على خشية الجبل فقال: " فإذا كان الجبل في غلظته ، وقساوته لو فهم القرآن، فتدبر ما فيه خشع وتصدع من خوف الله عز وجل ، فكيف يليق بكم أيها البشر أن لا تلين قلوبكم، وتخضع، وتتصدع من خشية الله وقد فهمتم عن الله أمره، وتدبرتم كتابه..". انظر ابن كثير إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم ، ط1969، دار المعرفة، بيروت، 4، 343

1945 - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، 195

- وجوه الإعجاز النفسي القرآني -

القرآن المعجزة الكبرى و الشريعة العظمى للعالمين تحدى الله تعالى به الكافرين فأعجزهم ، و هدى به المؤمنين فأعزهم ، فغدا القرآن بإعجازه حقيقة قاطعة لا ريب فيها ، وبديهة مقررّة لا مرأى حولها ، و لقد تحدّث القرآن كثيرا عن أحوال النفس الإنسانية.

- الإعجاز النفسي و تحليل نفس الاستظهار -

لقد لاحظ كثير من دارسي القرآن خاصية تأثير القرآن الكريم في القلوب البشرية ، و أثره في النفوس الإنسانية ، فوقفوا على عجز النفس أمام سماع القرآن و أحوالها في ذلك فاستنبطوا صورة الإعجاز النفسي للقرآن الكريم 1946، و تتلخّص صورته في وجهين: 1947

- أولهما: براعة القرآن الكريم في حديثه عن أحوال النفس الإنسانية و أعماقها.

- ثانيهما: روعة التأثير القرآني على النفس الإنسانية بإعجازه العظيم في مشاهد متفاوتة، و بمسالك متنوعة تظهر من خلال النموذج التالي:

- قال تعالى: " فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ أَلْمَأُومِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٨٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٨١﴾ يَا تُولَك بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٌ ﴿٨٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٨٤﴾ قَالُوا يَمْؤُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿٨٦﴾ * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٨٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ فَغَلَبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَبِيرِينَ ﴿٨٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٩٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُ بِمِمْ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنهَا أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ۖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ

1946 - دراسات في النفس الإنسانية، ص 5

1947 - انظر البيان في إعجاز القرآن علوم القرآن وأصول التفسير، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، عمان، الأردن، ص 350 .

أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نَنفَعُ مِنَّا إِلَّا أَلْأَبْ ءَامَنَّا بِغَايَتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ 1948

قال تعالى: " ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِغَايَتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٢٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٢٨﴾ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿١٢٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا خُنَّا لَكُمْ مِمْؤْمِنِينَ ﴿١٣٠﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿١٣١﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّلقُونَ ﴿١٣٢﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُّوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٣٣﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ " 1949

- التوسيق القصائي :

لقد أجمع القراء على القراءة بصيغة المبالغة " فعّال " في لفظ سحّار في قوله تعالى: " يَا تُولَك بِكُلِّ سَحّارٍ عَلِيمٍ " 1950 ، وأجمعوا على صيغة اسم الفاعل " ساحر " في مواضع متعددة 1951 ، و وقع التغاير بالوجهين في سورة الأعراف الآية 112 ، وفي سورة يونس الآية 79 .

- التوجيه القصائي :

1- قراءة " سَجِر " على وزن فاعل 1952 ، و يشهد لهذا المعنى ما يلي :

أ - قوله تعالى: " سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ " 1953 ، و اسم الفاعل من سَحَر فهو ساحر ، ولتقدمه قوله: " إِنَّ هَذَا لَسَجِرٌ عَلِيمٌ " 1954 ، فصرّح باسم الفاعل في نفس السياق. 1955.

1948 - الأعراف، 107- 126

1949 - يونس، 76 - 81

1950 - الشعراء، 37

1951 - الأعراف، 109 و قوله تعالى: " قَالَ أَلْمَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَجِرٌ عَلِيمٌ "، وسورة الشعراء، 34 قوله تعالى: " قَالَ لِلْمَلِكِ حَوْلَهُ: إِنَّ هَذَا لَسَجِرٌ عَلِيمٌ "، سورة طه، 69 ، قوله تعالى: " وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْفَظٌ مَّا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَجِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ "، وسورة ص، 4 قوله تعالى: " وَيَعْجَبُونَ أَنْ جَاءَهُمْ مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سَجِرٌ كَذّٰبٌ "

1952 - قراءة ابن كثير و ابن عامر و أبي عمرو و نافع و عاصم و يعقوب و أبي جعفر. انظر الكشف ، 1 ، 471 ، و النشر ، 2 ،

- ب - الاتفاق على جمع لفظ ساحر و شاهده قوله تعالى: " وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ " 1956 ، وفي قوله: " فَأُلْقِيَ السَّحْرَةُ سُجَّدًا " 1957 ، وقوله: " فَجُمِعَ السَّحْرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ " 1958 ، والسحرة جمع ساحر لا سحّار. 1959
- ت - دلالة لفظ الساحر على معنى السحّار ، فهو على وزن الفاعل الذي يدلّ على الجنس ، و التكثير ؛ لأنّه مأخوذ من المصدر الذي هو جنس الفاعل وغيره. 1960
- 2- قراءة " سَحَّرَ " 1961 على وزن فَعَّال 1962 و يشهد لهذا المعنى ما يلي:

أ - القراءة لتكرير الفعل والمبالغة فيه. 1963

- ب - إنهم وُصِفُوا في الآيات التي تليها بقوله تعالى: " سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ " 1964 ، فناسب قوة الإرهاب ، وعظّمة السحر استعمال صيغة المبالغة. 1965
- ت - إنّ الساحر وصف بأنّه عليم ؛ وعليم و سحّار كلاهما للمبالغة ، فعليم تدلّ على التناهي في العلم ، فناسبه لفظ التناهي في السحر. 1966

1953 - الأعراف ، 116

1954 - الأعراف ، 119

1955 - البحر المحيط ، 360،4

1956 - الأعراف ، 120

1957 - طه ، 70

1958 - الشعراء ، 38

1959 الكشف ، 472،1

1960 - الحجة ، ابن خالويه ، 87 .

1961 - قراءة حمزة و الكسائي و خلف انظر الكشف ، 1 ، 471 ، و النشر ، 2 ، 270

1962 - تدل صيغة " فَعَّال " في باب المبالغة على تكثير الفعل وتكريره، ويذهب أهل اللغة في أصل صيغة " فَعَّال " مذهبيّن: الأول: إنّ " فَعَّال " أصل في المبالغة ، ومعدول عنه في الصنعة والحرفة ، و الثاني: إنّ " فَعَّال " أصل في الصنعة ، وإنما عدل عنها للمبالغة. انظر المقتضب ، المبرد ، 3 / 161 ، وشرح المفصل ، 6 / 13

1963 - علل القراءات ، 1،225 ، الكشف ، 1،471 ، الموضح ، 2،546

1964 - الأعراف ، 116

1965 - الموضح ، 2،546

1966 - الحجة للفارسي ، 2،258 ، الكشف ، 1،472 ، البحر المحيط ، 4،360

ث - ردّ حكم المختلف فيه إلى المتفق عليه ، و قد وقع الإجماع من القراء على وجه صيغة المبالغة "سَحَّار" في موضع الشعراء. 1967

ج - دلالة الرسم على المعنى: إِنَّ الْمُتَأَمِّلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: " وَأَرْسَلْنَا فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ" 1968 ، وقوله سبحانه: " وَأَبْعَثْنَا فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ" 1969 يرى اتفاق الآيتين في المعنى ، و اختلافهما في مبنى كلمة السحر - على صيغة اسم الفاعل أو المبالغة - ، فاختلفا في الأعراف ، و اتفقوا في الشعراء ، فهل يرجع الاختلاف لاحتمال الرسم في الأعراف دون الشعراء ؟ لقد وافق رسم لفظ " سحر " في سورة الأعراف ما ورد من قراءات متواترة ؛ فاحتمل القراءتين " سَحَّرَ " و"سَحَّرَ" ، وأمّا موضع الشعراء فلم يرد الرسم بما يحتمل التغير لتعيين صيغته على وجه واحد هو لفظ "سَحَّار" ، فالرواية أصل الرسم ، و هو تابع لها ، و ردّ سبب الاتفاق في موضع الشعراء ، والاختلاف في موضع الأعراف إلى أن لفظ " سَحَّرَ " في سورة الشعراء جواب لقول فرعون عند استشارة القوم في أمر موسى عليه السلام " قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ " الشعراء 34 ، فناسب أن يكون جوابهم بما هو أبلغ من قوله ؛ رعاية لمراده 1970 ، و تطميناً لفؤاده ، وأمّا في الأعراف فجوابهم ورد بعد قولهم: " قَالَ أَلْمَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ " الأعراف 109 ؛ فلم يضطّروا لصيغة المبالغة إظهاراً لصدق كلامهم.

ح- دلالة أسلوب العدول بالتغير القرائي على ملامح الإعجاز النفسي:

لقد حقق تكرار القصّة القرآنية في مواضع متعددة بنظم مختلف و أحداث متكاملة مقصدين:

✽ - الأول: مقصد فني معجز تجلّى في تجدد فتيات الأسلوب القرآني ، وتفنّن أدوات العرض القصصي.

✽ - الثاني: مقصد تربوي نفسي تجلّى في تقرير المقاصد الإيمانية بتكرير مشاهد الحقائق القصصية 1971 ، فظهرت بأسلوب التكرار صورة الإعجاز بالإحكام، فقد تجسّدت مظاهره في قصّة موسى عليه السلام مع

1967 - الكشف ، 472/1

1968 - الأعراف ، 111-112

1969 - الشعراء ، 36-37

1970 - دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، عزيمة ، 4/22

1971 - سيكولوجية القصّة في القرآن ، 116 .

فرعون من خلال عناصر القصة القرآنية وهي الشخصية ، والحوار ، والصراع ، والمفاجأة ، والعبارة ، أو النهاية ، 1972 و لقد أشار العدول من صيغة ساحر إلى صيغة المبالغة سحّار إلى استجلاء حيلة نفسية فرعونية عجيبة تقوم على ممارسة فنية الاستبطان النفسي من خلال سبر أعماق المشاعر النفسية للبطانة الملكية للوقوف على عمق الموافق ، و مدى الاعتماد عليها في المواجهة المقبلة بعد ظهور قوة حجة موسى عليه السلام الخارقة ، وعمق تأثيرها في الأنفس ، و قد وظّف في تحقيق ذلك تقنيتين:

أ- اتّهام فرعون موسى عليه السلام بالسحر ابتداءً ، ثمّ تسيهه البطانة و الرعية إلى خطورة التهمة من خلال الوصف "قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ" 1973

ب- الإيهام بالهلاك القادم من خلال الربط بين تأثير السحر و مفسدة الإخراج من الأوطان "يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ" 1974 ، و لقد استقرأت البطانة الفاسدة الإيحاء الفرعوني ، و استجلت ملامحه النفسية الضعيفة ، فأظهرت بفتنة الإيحاء بالإيهام نفسية القوي أمام الطاغية فوظفت المسالك التالية:

☞ - دلالة فعل الأمر " أرجه " على تفادي الإسراع في أمر موسى و عدم الاكتراث به مما يوحي بدلالة الاستهانة بحجته وقوته ، و قد يكون موقف الحاشية من جنس المقابلة فعاملوه بمثل ما عاملهم فوظفوا الاستبطان النفسي لإذهاب الخوف عن أنفسهم بإيهامه بقوتهم.

☞ - دلالة العدول في صيغة المبالغة "سحّار" على الموافقة للطاغية للإيحاء بالغلبة للدلالة السياق على استعراض القوة بكثرة العدد و التفوق في الصنعة " قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٤﴾ يَأْتُواكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ" 1975 ، فيوحي الإيحاء بالإيهام سقوط وصف التكافؤ بين الفريقين ليزيد النفس شعورا بالقوة ، و يبثّ الطمأنينة في نفس الطاغية.

☞ - دلالة لفظ العموم " كل " يدلّ على الإحاطة و الشمول ، فيفيد إحضار كل سحّار أحاط بصنعة السحر و برع فيها ، ثمّ لوّنوا الخطاب فعدلوا عن لفظ الساحر إلى لفظ السحّار للدلالة على منتهى التفوق

1972 - التعبير الفني في القرآن ، بكرى شيخ أمين، ط4، 1980 ، دار الشروق، القاهرة ، 221-227 .

1973 - الشعراء ، 34

1974 - الشعراء ، 35

1975 - الشعراء ، 36-37

بصيغة المبالغة " فعّال " ، ثمّ لمّحوا بالقوة الباطشة ، و الغلبة القاهرة من خلال الصفة الدالة على المبالغة " فعيل " عليهم- ليرفعوا قلق الطاغية و يسكّنوا من روعه 1976 ، فأسفر الخطاب القرآني عن وجه دلالتين نفسيتين :

الأولى: بيان مشهد حرب الهزيمة النفسية على موسى عليه السلام من خلال بث الخوف في روعه ، و بعث القلق في نفسه لثنيه عن دعوته ، و تنكيس حجّته.

الثانية: بيان إرادة رفع مشاهد الاستضعاف النفسي الباطني - لضغوط وقائع المساجلة- فقد أراد إظهار الاستهانة بموسى عليه السلام ، و الاستهزاء به " قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ " 1977 لكن أسفرت فلتات لسانه عن استعظام سحره من خلال وصفه بالعلم " ساحر عليم " ، و أخرج تغيير صفحات وجهه باطن خلجات جنانه ، و لقد صنعت الشخصية الفرعونية من هذه الأكذوبة دعوى الألوهية لتثبيت الباطل في نفوس الرعية ، فطلبت مسلك المكر 1978 كمنهج نفسي في التعامل مع الغير لتحقيق المناسبة بالمطابقة بين الغاية الفاسدة و الوسيلة القبيحة فأظهر القرآن إعجازه في بيان استبطان نفسية المكر والخديعة من خلال ما يلي:

﴿ قَالَ تَعَالَى: "إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ " 1979 ، فقسّم الطاغية المجتمع إلى طبقات متنافرة تحمل لواء البغضاء ، و متناحرة تتسربل بلباس العداوة ، ثمّ استضعف طبقة فأذلّها ، و استقوى بأخرى فأعزّها ، و سخر أخرى لمآربه فشقّ عليها ، و أنعم على أخرى لولائه فأعقد عليها. 1980

1976 - الزمخشري ، الكشاف ، 1- 311

1977 - الشعراء ، 27

1978 - المكر تدبير خديعة في خفية بصرف الغير عن المقصود بحيلة لجلبه إلى مضرة. انظر لسان العرب، مادة مكر ، 5- 183 ، و مختار

الصحاح ، مادة مكر، ص 263 ، والقاموس الخيط ، مادة مكر، 1- 614

1979 - القصص ، 4

1980 - انظر تفسير الواحدي ، 2- 812 ، و تفسير الصنعاني، 3- 87 ، و تفسير زاد المسير، 6- 201

﴿ قَالَ تَعَالَى: "وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ
أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ" 1981 ، ففرَّق الأمة طرائق قددا لتسهل عليه السيطرة عليها من
خلال توظيف الفئة المنتفعة - بعد شراء ذمها - في الدفاع عن نظام الباطل.

﴿ قَالَ تَعَالَى: "وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ
الْفَسَادَ" 1982 ، و في الآية تصوير لمشاهد الاضطراب النفسي عند فرعون من خلال ما يلي:

- ادعائه اعتراض الرعية له قتل موسى عليه السلام.

- الإيحاء النفسي الكاذب باعتراض الرعية هو " تمويه لقومه و إيها ما أتهم هم الذين يكفونه ، وما كان
يكفه إلا ما في نفسه من هول الفرع." 1983

- تقمص نفسية الملك العادل الذي يتزل لرأي الرعية " ذروني " ليواري بها سوء الاستعلاء و الاستكبار
، ثم أظهر الانفعال 1984 باستنهاض حمية الجاهلية في الرعية من خلال استثارة التدين المغشوش ، و الوطنية
الباطلة ، و فرية تحري الإصلاح و محاربة الفساد فاستعار بمكره وصف الإظهار لتصوير خطورة فشو الفساد
وانتشاره 1985، و مقصد خطابه الماكر قلب الحقائق الثابتة إلى أوهام باطلة في نفوس الرعية الغافلة بمسلك
فنية الاحتيال النفسي الخفي ، كما يوحي توالي العبارات الفرعونية بتتابع متتاليات الخوف و القلق على نفسه
متضمنة الشعور اليقيني بقرب الهزيمة ، و حقيقة الإقرار بقوة موسى عليه السلام ، و صدق الرسالة الربانية

1981 - الزخرف ، 51 - 52

1982 - غافر ، 26

1983 - الكشاف ، 423/3 .

1984 - الانفعال حالة نفسية ناتجة يضطرب لها الإنسان جسماً ونفساً، أو حالة وجدانية قوية طارئة مفاجئة وتظهر آثارها في السلوك
الخارجي. انظر أصول علم النفس، أحمد عزت راجح ، دار القلم، بيروت ، ص153، وأسس علم النفس، سماح رافع محمد ، ط 1972
، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ص54، و دراسات في علم النفس الأدبي، حامد عبد القادر، ط 1949 ، المطبعة النموذجية،
لجنة البيان العربي، القاهرة، ص53.

1985 - التحرير والتنوير ، 125/24 .

1986 ، و لقد أسفر القرآن بمسلك الحوار استبطان أعماق الشخصية الفرعونية و بطانته الفاسدة لبيان انفعالاتها النفسية و أزماها الوجدانية.1987

﴿- قال تعالى: " قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ "1988، فامتزجت نفسية الضعيف المضطرب في صورة الخائف البئس - من زوال الملك - بنفسية الحريص - على وحدة الأمة في تراها - الكذب في صورة المكر الخفي الذي وظف فنية الإيحاء النفسي للأمة بخطورة الموقف من خلال التهويل بالإعلام الكاذب " قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ " ليحقق ما يلي:

- ستر عورة الاضطراب و سوءة الخوف ، "ليموه و يحاور و يداور ، كي لا يواجه الحق جهرة ، ولا يعترف بدعوة الوجدانية التي تهمز عرشه ، وتهدد الأساطير التي قام عليها ملكه."1989

- إيهام جماعات الفساد بتزول الهلاك من خلال إغرائهم ، و إيغال صدورهم بفرية الإخراج القسري من الأوطان ليجمعوا على نصره الملك و إبقاء مصالحهم 1990 ، و مما يؤكد هذه الحقيقة تعظيم مشاهد التهويل من قبل إعلام السحرة الباطل ، و يرحجه ورود لفظ السحر بوجهي التغاير القرآني من خلال صيغة - فعيل- و صيغة المبالغة - فعال-

- نفسية التحايل باقتراح الحوار مع الأمة و التزول للتشاور معها في القضايا المصرية الكبرى " قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ " من خلال إشعار النفوس بالخطر لتوهم الهلاك ، ثم التظاهر أمامها بحفظ مصالحها و

1986 - فتح البيان في مقاصد القرآن ، صديق خان ، 12/180 .

1987 - انظر النقد التطبيقي التحليلي، عدنان خالد عبد الله، ط1، 1986، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص72، و الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته السردية ، فاتح عبد السلام ، ط1، 1999 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص29، والتعبير الفني في القرآن ، بكري ، ص 223 ، و القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ، عبد الكريم الخطيب ، مطبعة المدني ، دار الفكر العربي، بيروت ، ص121، و سيكولوجية القصة في القرآن ، التهامي نفرة ، ط 1971 ، الشركة التونسية للتوزيع ، ص411

1988 - الأعراف ، 107 - 110

1989 - سيد قطب، في ظلال القرآن ، 7- 183

1990 - و بهذا المكر النفسي حملت جماعات الفساد رؤية فرعون و انتصرت لها كما صور ذلك القرآن في مواضع منها قوله تعالى: " قَالَ أَلَمْأَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ " الأعراف، 110 و قوله تعالى: " قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَ بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى " طه، 63 ، 64 ، و قوله تعالى: " قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا غَمًّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ " يونس، 78.

الحرص على أمنها و استقرارها " يُرِيدُ أَنْ تُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ " ليستنطق النفوس فيستقرئ إيجاءاتها فيحكم من خلالها على درجات ولائها و مصادر موافقها و قراراتها " قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَا تُولَك بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ " فرسم التغيرات القرائي مشاعر الخوف في شخصية فرعون المتصنّع بمشاعر الحرص على الرعيّة و مصالحتها و صورّ كذلك مشاهد الإلتباع الأعمى في نفوس الرعيّة.

- التنوير القرائي و الإيجاز التربوي - الأجزاء -

- التربية لغة و اصطلاحاً -

- التربية لغة:

يطلق لفظ التربية و يراد به إحدى المعاني الآتية: 1991

أ- النماء و الزيادة:

التربية مصدر "ربّى" بالتشديد والألف المقصورة، أي التنمية، و"ربا" المخففة معناها زاد و نما 1992، قال تعالى: " وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فِإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْبِتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ " 1993، وربا، يربو، ربواً، أي نما وزاد، و أربيته: إذا نميته 1994، و "ربّ الولد" أي رباه ، ومنه الربيب أي الصبي الذي ربيته ، والربيبة الصبية ، يقال: "الرابّة" امرأة الأب غير الأم تربي الولد وإن لم تكن أمه ، و" الرّاب " زوج الأمّ 1995 قال تعالى: " وَرَبَّيْبُكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ " 1996

1991 - ينظر: مدخل إلى التربية ، عبد الرحمن الباني ، ط 2، 1983م، المكتب الإسلامي بيروت ، ص 7-12 ، وأصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، عبد الرحمن النحلاوي، ط 1، 1979م، دار الفكر ، دمشق ، ص 12-13.

1992 - ينظر لسان العرب لابن منظور، مادة : ربا ، 14 / 304.

1993 - الحج : 5

1994 - لسان العرب ، ابن منظور ، 14/304 - 306 ، " مادة ربا "

1995 - ينظر القاموس المحيط ل محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مادة: ريب ص 135

1996 - النساء ، 23

ب- النشأة و الترعرع.

التربية مصدر "ربي" بكسرة الباء وفتح الياء من باب خفي يخفى ، و معناها نشأ وترعرع 1997 قال تعالى: " قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ " 1998 قال ابن كثير رحمه الله: " أي أما أنت الذي ربيناه فينا ، وفي بيتنا ، وعلى فرشنا ، وأنعمنا عليه مدة السنين." 1999

ت- التعليم.

الرباني من الرب بمعنى التربية ، وهو العالم المعلم الذي يغذي الناس بصغار العلوم قبل كبارها ، و الرباني الراسخ في العلم ، الذي يطلب بعلمه وجه الله تعالى 2000 ، والمصلح والقائم. 2001

ث- سياسة الأمر و إصلاحه.

التربية مصدر " ربّ " بتشديد الباء على وزن مدّ يمدّ إذا أصلحه وقام عليه ورعاه ، أمره و ، و ربّ الأمر إذا تولاه ، و ساسه ، و أصلحته ومنتنه وطيبه 2002 ، و ربّاه: إذا أحسن القيام عليه ، وفي الحديث الشريف: " هل لك عليه من نعمة تربها.. " 2003 أي تقوم بأسباب دوامها و إصلاحها 2004 ، وقال حسّان بن ثابت رضي الله عنه:

ولأنت أحسن إذ برزت لنا يوم الخروج بساحة القصر
من درة بيضاء صافية مما ترب حائر البحر

والربية واحدة الربائب من الغنم التي يربّيها الناس في البيوت لألبانها. 2005

1997 - لسان العرب ، ابن منظور، 307/14 ، مادة ربا، والقاموس المحيط، الفيروز آبادي ، تحقيق العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5 ، 1406هـ ، ص 1659 ، مادة ربا.

1998 - الشعراء ، 18

1999 - تفسير ابن كثير، 3 / 344 .

2000 - لسان العرب ، ابن منظور، مادة : رب 403/1

2001 - معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس، 282-381/2 ، " مادة : رب " .

2002 - كتاب العين، الخليل الفراهيدي ، تحقيق المخزومي والسامرائي، مكتبة الهلال ، بيروت ، 257/8 ، " باب: رب "

2003 - مسلم النيسابوري، الجامع الصحيح ، كتاب البر والصلة ، باب فضل الحب في الله ، رقم الحديث 2567 .

2004 - غريب الحديث، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، ط1 ، 1985م، دار الكتب العلمية، بيروت ، 371/1 .

2005 - ينظر لسان العرب ، ابن منظور، 304/14

ج- التملك:

قال تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" 2006 قال ابن كثير رحمه الله: "أي والرب هو المالك المتصرف ، و يطلق في اللغة على السيد ، وعلى المتصرف للإصلاح ، وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى". 2007

- التربية اصطلاحاً

للتربية في الاصطلاح تعاريف متعددة منها:

أ - تلقين الناشئة أصول الأخلاق و الفضائل ، ومبادئ الصلاح و العمارة. 2008

ب - بناء الشخصية الإنسانية وفق قواعد الأخلاق الفاضلة في القرآن الكريم ، و السنة النبوية. 2009

ت - تعهد الشخصية الإنسانية بالتأديب والتعليم بتنمية مكوناتها العقلية و الجسدية والروحية و النفسية و الخلقية. 2010

ث - حسن توجيه الفطرة الإنسانية بالأسلوب الأمثل نحو المقصد الأحسن. 2011

ج - تشكيل الشخصية السوية المتكاملة في جميع جوانبها روحيا وعقليا ووجدانيا و خلقيا

واجتماعيا وجسميا والقادرة على التكيف مع البيئة الاجتماعية والطبيعية التي تعيش فيها. 2012

ح - تنشئة الإنسان تدريجيا في جميع جوانبه ابتغاء سعادة الدارين وفق المنهج الإسلامي. 2013

إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حدّ التمام. 2014

خ - تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا . 2015

2006 - الفاتحة ، 2

2007 - تفسير ابن كثير ، 1 / 131

2008 - انظر التربية الحديثة ، محمد كرما ، ص33 .

2009 - انظر التربية الإسلامية في ، علي عبد الحليم محمود ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، 486 .

2010 - انظر التربية الإسلامية في المجتمع ، علي عبد الحليم محمود ، 224 .

2011 - انظر وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، عبد الحليم محمود، ط 1 ، 1997 ، دار التوزيع والنشر الإسلامي، القاهرة ، ص13.

2012 - انظر أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية ، عبد الحميد الصيد الزنتاني ، ص25

2013 - انظر أصول التربية الإسلامية ، خالد بن حامد الحازمي ، ص19

2014 - انظر مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، 1 / 375

د - المداومة وعدم الانقطاع المتضمن للنماء و الزيادة ، مع الحفظ والرعاية وذلك في كل ما يتعلق بالإنسان من جوانبه المتعددة كالروح والقلب والعقل والجسد.2016

و من حدود هذه التعاريف يتلخص مفهوم التربية في الآتي:

التربية تنشئة الطفل بالتدرّج ، وتكوينه تكويناً متكاملًا و منسجمًا يستوعب نواحي حياته العقلية والروحية و النفسية و الجسمية 2017 وفق عملية توجيه مستمرة وتهذيب واعية ، بحيث تصل بالفرد إلى الكمال الإنساني ، وترشده إلى شروط الخلافة الهادفة إلى صلاح المعاش في الدنيا ، و سعادة المعاد في الآخرة.2018

- التربية في القرآن الكريم:

لقد ورد لفظ التربية في القرآن الكريم في موضعين:

- أولهما قوله تعالى: " وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا "2019، و تدلّ التربية في هذه الآية على

مسؤولية الوالدين في الإعداد الأسري ، والرعاية الكاملة للطفولة.2020

- ثانيهما قوله سبحانه: " قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِيمَا وَلَدًا وَلَبِثْتَ فِيمَا مِّنْ عَمْرِكَ سِنِينَ "2021 ، و أشار لفظ التربية إلى امتنان فرعون على موسى عليه السلام بنعمة الرعاية مدة تربيته له 2022 ، و لقد أضاف القرآن الكريم معاني أخرى منها:

- التركيز الروحية: 2023 قال تعالى: " هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ "2024 ، تركية تقوم على تطهير العقول من الشبهات ،

والقلوب من الشهوات ، و العمل من مفسداته و السلوك من معوقاته ، و تطهير للأسرة و المجتمع.2025

2015 - انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، البيضاوي ، 1 / 4

2016 - انظر نحو تربية إسلامية الراشدة من الطفولة حتى البلوغ ، خلد شاكر الشريف ، 13

2017 - انظر أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، النحلاوي ، 1/28.

2018 - انظر الفكر التربوي وتطبيقاته ، أحمد ربيع عبد الحميد خلف الله ، ط1 ، 1984م ، كتبة وهبة ، القاهرة ، 131.

2019 - الإسرائ 24

2020 - ينظر التحرير و التنوير ، ابن عاشور ، 11 / 123

2021 - الشعراء ، 18

2022 - ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، 3 / 344.

– التعليم و الهداية:2026 قال تعالى: " وَلَكِنْ كُوْنُوْا رٰسِيْنَ عِن بَمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُوْنَ اَلِكِتٰبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرُسُوْنَ ﴿٣٧﴾ "2027

، و الرباني المعلم و المرشد و المزكي 2028 قال تعالى: " وَجَعَلْنٰهُمْ اٰيْمَةً يَّهْدُوْنَ بِاَمْرِنَا"2029

- التربية في السنة النبوية:

لقد أشار لفظ التربية في السنة النبوية إلى دلالات متعددة منها:

أ– التأديب: و منه حديث أبي بردة رضي الله عنه أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال: " ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين الرجل تكون له الأمة فيعلمها فيحسن تعليمها ويؤدبها فيحسن أدبها ، ثم يعتقها فيتزوجها فله أجران."2030

ب – الرعاية و الصيانة: و منه حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: " كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته " 2031 ، و " الراعي هو الحافظ المؤمن الملتزم صلاح ما قام عليه، و ما هو تحت نظره ، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه ، و القيام بمصالحه في دينه و دنياه و متعلقاته."2032

- مقاصد التربية في الإسلام:

التربية في الإسلام وظيفة شرعية ، و رسالة حضارية ، و عملية تهدف إلى تكوين النفس الإنسانية لتحقيق الأهداف التالية:

– إصلاح مناحي المعاش في الدنيا و حقائق معاد في الآخرة.2033

2023 – التفسير الوسيط ، سيد طنطاوي ن 4195/1

2024 – الجمعة ، 2

2025 – في ظلال القرآن ، سيد قطب ، 202 / 7

2026 – ينظر المحرر الوجيز ، ابن عطية الأندلسي ، 65/1

2027 – آل عمران ، 79

2028 – انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير 1 / 385، و التحرير و التنوير لابن عاشور 9 / 261

2029 – الأنبياء 73

2030 – صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب من أسلم من أهل الكتابين ، رقم الحديث: 2789 ، 10 / 202

2031 – صحيح البخاري ، كتاب العتق ، باب العبد راع في مال سيده ، رقم الحديث 844 ، 3 / 414

2032 – شرح النووي على صحيح مسلم ، باب فضيلة الإمام العادل و عقوبة الجائر ، 6 / 300

2033 – وسائل التربية عند الإخوان المسلمين ، عبد الحلیم محمود ، ص 2

– الارتقاء بالنفس البشرية نحو مناحي الكمال البشري. 2034

– تحقيق التكامل الذاتي بين عناصر الشخصية الإنسانية من خلال تنشئة الفرد نشأة متكامل فيها الخصائص الخلقية والروحية والنفسية والاجتماعية والفكرية والبدنية بصورة شاملة. 2035

– إعداد الإنسان الصالح الذي يحمل رسالة الدعوة ، و أعباء الخلافة ، و تكاليف العمارة. 2036

– آثار التربية الإسلامية:

أ– آثار التربية الإسلامية على الفرد:

تحقق التربية الإسلامية في حياة الفرد راحة وطمأنينة للنفس ، و تغرس في الفرد آثارا حميدة منها:

✽ – الأمن العقدي:

قال تعالى: " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ " 2037 قال القرطبي: " و لما يتعبّد الإنسان به مجاهدته لنفسه على طاعة الله تبارك تعالى ، فيرببها على الانقياد لأوامر الله ، وإلزامها ترك ما نهى عنه الشرع ، وهذه المجاهدة التربوية النفسية من أعظم أنواع المجاهدة حتى قيل إنها الجهاد الأكبر. " 2038

✽ – الأمن النفسي:

فالتربية الإسلامية القائمة على أساس التوحيد الصحيح تغرس في الروح الإنسانية الطمأنينة النفسية و الاستقرار و السكينة. 2039

ب– آثار التربية الإسلامية على الأسرة:

✽ – الأمن العقدي للأسرة:

من خلال استشعار حقائق المسؤولية الشرعية و تبعاتها العظيمة في الدنيا و الآخرة قال تعالى : " يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ

2034 – أسس ومهارات الدعوة الفردية ، إبراهيم الديب ، ص33

2035 – أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، عبد الحميد الصيد الزنتاني ، ص38

2036 – التربية ودورها في تشكيل السلوك ، مصطفى الطحان، ص35

2037 – الذاريات ، 56

2038 – تفسير القرطبي ، 17 / 38

2039 – ينظر إغاثة اللهفان من مصابد الشيطان ، ابن القيم الجوزية ، 37/1

وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ " 2040 قال ابن كثير: أي علموهم وأدّبوهم 2041 ، و قال صلى الله عليه وسلم: " كلّمكم راع وكلّمكم مسئول عن رعيّته. " 2042

✽ - الأمن الاجتماعي الأسري:

من خلال حسن العلاقات بين الوالدين و الأولاد القائمة على البرّ و الإحسان قال تعالى: " وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَهَرَّهْمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا " 2043 ، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فاستأذنه في الجهاد فقال: أحبي والداك؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد. 2044

ت- آثار التربية الإسلامية على المجتمع:

صلاح الفرد لبنة في صرح صلاح الأسرة و صلاح الأسرة لبنة في صرح صلاح المجتمع الذي يتحقّق به ما يلي:

✽ - الأمن الاجتماعي:

إنّ أعظم أمانة تدلّ على العلاقة الوطيدة بين تحقّق الأمن الاجتماعي و تأصّل شرط الصلاح في أفراد المجتمع هو مبدأ بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ " 2045 الذي يحفظ الحقوق المتبادلة فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه " 2046 ، و يصون الحريات العامّة ، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " 2047 ، و بهذا يتحقّق التماسك الاجتماعي القوي بين الأفراد في كل مناحي الحياة 2048 قال تعالى: "

2040 - التحريم ، 6

2041 - ينظر تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير 4 / 417

2042 - صحيح البخاري ، كتاب العتق ، باب العبد راع في مال سيده ، رقم الحديث 844 ، 3 / 414

2043 - الإسراء ، 23 - 24

2044 - صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب الجهاد بإذن الأبوين ، رقم الحديث 2782 ، 2 / 359 .

2045 - آل عمران ، 110

2046 - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان تحريم إيذاء الجار ، رقم الحديث 181 ، 1 / 49

2047 - صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، رقم الحديث 9 ، 1 / 15

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ
أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ" 2049

- الإخلاق لغة واصطلاحاً:

- الإخلاق لغة:

جمع خلق ، و الخلق اسم لسجية الإنسان و طبيعته التي خلق عليها ، وهو مأخوذ من مادة " خ ل ق " التي تدل على تقدير الشيء.

- قال ابن فارس: " الخلق: هو السجية لأنَّ صاحبه قد قُدِّرَ عليه يقال: فلان خليق بكذا: أي قادر عليه وجدير به ، وأُخلق بكذا أي ما أخلقه ، و المعنى هو ممن يقدر فيه ذلك ، والخلق: النصيب لأنَّه قد قدر لكل أحد نصيبه." 2050

- قال ابن منظور: الخُلُق: بضم الخاء وسكونها الدين والطبع و السجية ، وحقيقته أنَّه صورة الإنسان الباطنة ، وهي نفسه ، و أوصافها ومعانيها المختصة بها بمتزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة." 2051

- قال الراغب الأصفهاني: " الخُلُقُ والخُلُقُ في الأصل واحد لكن خصَّ الخُلُقُ بالهيئات و الأشكال ، والصور المدركة بالبصر ، وخصَّ الخُلُقُ بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة ، والخلق: ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه قال تعالى: " مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ" ، و الخلاق النصيب ، وقيل: الدين ، وقيل: القوام ، وقيل الخلاص ، وقيل القدر." 2052

2048 - ينظر التربية الاسلامية الأصول والتطبيقات ، محمد عبد السلام العجمي، ص16

2049 - الحشر ، 9

2050 - مقاييس اللغة ، أحمد ابن فارس ، 214/2

2051 - لسان العرب ، ابن منظور ، 244/2

2052 - المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ص164 ، و انظر البحر المحيط ، ابن حيان ، 503/1 و الآية 102 من سورة البقرة .

- قال الماوردي عند تفسير قوله تعالى: " و إِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ " في الخلق العظيم ثلاثة أوجه: أحدها: أدب القرآن ، والثاني: دين الإسلام ، والثالث: الطبع الكريم وهو الظاهر، وحقيقة الخلق ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب ، سمي بذلك لأنه يصير كالحلقة فيه. "2053

- الإخلاق اصطلاحاً:

- قال الجرجاني: " الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سُميت الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سُميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقاً سيئاً ، وإنما قلنا إنه هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على الدور بحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه. "2054

- قال الجاحظ: " الخلق هو حال النفس بما يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار ، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً ، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد ، كالسخاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا تعمل ، وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق الحمودة. "2055

- قال الماوردي: " غرائز كامنة تظهر بالاختيار ، وتقهر بالاضطرار. "2056

- خصائص التربية الإسلامية:

التربية الإسلامية ثمرة الشريعة و الشريعة الإسلامية " عقيدة تخاطب العقل ، وعبادة تزكي النفس ، وأخلاقاً تجانس الفطرة ، وأحكاماً تحقق التوازن و العدل ، وتطارد المفاصد وتجلب المصالح وتعطي كل ذي حق حقه ، لا طغيان لفرد على مجتمع كما هي فلسفة الرأسمالية ، ولا مجتمع على فرد كما هي فلسفة الماركسية ، بل توازن وتكامل بلا طغيان ولا إفساد في الميزان " 2057 ، و للتربية الإسلامية خصائص عدة وسمات كثيرة منها:

2053 - النكت والعيون، أبو الحسن الماوردي، ، 61/6-62

2054 - التعريفات ، الجرجاني ، ص104

2055 - تمذيب الأخلاق ، للجاحظ ، ط1 1410 هـ / 1989 م ، دار الصحابة للتراث ، القاهرة ، ص12

2056 - تسهيل النظر وتعجيل الظفر، الماوردي ، تحقيق رضوان السيد ، ط1 1987 م ، دار العلوم العربية للنشر، القاهرة ، 5

2057 - القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص 80

أ- الربانية.

و المقصود بوصف الربانية أنها مستمدة من كتاب الله تعالى و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم الكريم لتكون منهجاً في غرس العقيدة الصادقة و العبادة الكاملة والأخلاق الفاضلة و المعاملات الصحيحة قال تعالى: " تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾" 2058 ، فمصدر التربية الأخلاقية الكمال قال تعالى: " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ " 2059 ، و لقد حرص النبي صلى الله عليه و سلم على ترسيخ التربية الإسلامية من خلال غرس المعاني الإيمانية لتثبيت العقيدة الإسلامية في قلوب المؤمنين فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه و سلم يوماً فقال لي: " يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، و لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف " 2060 ، و عن معاذ بن جبل قال: قلت يا رسول الله ، أوصني قال: " اعبد الله كأنك تراه ، واعدد نفسك في الموتى ، واذكر الله عند كل حجر وشجر ، وإذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة ، السرّ بالسرّ و العلانية بالعلانية " ، 2061 و بهذا يتحقق كمال التلقي و الاتباع قال تعالى: " قُلْ إِن صَّلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " 2062 ، و قال سبحانه: " إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا " 2063 ، والربانية في التربية الإسلامية تربط المسلم بخالقه فتجعل لوجود الفرد المسلم مقصد منشود ، و لعمارتة الكونية هدف له مردود ، حيث تسمو الأخلاق ، و تتركو الأنفس لتقوي

2058 - فصلت ، 2 ، 3

2059 - الحجر ، 9

2060 - سنن الترمذي ، ج 4 ص 285

2061 - البيهقي، السنن الكبرى، ج 1 ص 405

2062 - الأنعام ، 162

2063 - الإسراء ، 9

المعاني التربوية بصلة التفاعل مع ظواهر الكون المفتوح ، و مجالات الحياة المتعددة بمختلف المعارف

العلمية. 2064

ب - الشمولية و الإستيعاب.

لقد تميّزت التربية الإسلامية عن غيرها من الأديان و الفلسفات الوضعية بخاصية الشمول لتستوعب حركة الزمن و سعة المكان من البعثة إلى قيام الساعة ، و مجالات الحياة كلّها الفردية و الجماعية ، و كيان الإنسان كلّه فهي تهتمّ بشخصية الفرد في أبعادها المتعددة و جوانبها المختلفة الجسمية ، و العقلية ، و الروحية ، و النفسية ، و الاجتماعية 2065 ، و تتسم التربية الإسلامية بالشمول في نظرهما لوحدة الإنسانية باعتبار البشرية كلّها خلقها الله عز و جل للتعارف على الخير و الاجتماع عليه قال تعالى: " يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " 2066

ت - الوسطية و الاعتدال.

تمتاز التربية الإسلامية بالوسطية فجعلها وصفا ثابتا للمصدر و الفعل و المتبع قال تعالى: " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا " 2067 ، و هذه " قاعدة عظيمة تجعل الإسلام وسطاً قائماً على التوسط والاعتدال لا إفراط و لا تفريط ، والذين لا يتقيّدون بهذه القاعدة ولا يعملون على تحقيق التوازن بين اهتماماتهم و يغالون في أكثر الأحيان يفقدون عنصر الاستقرار في حياتهم ، ولا يملكون القدرة على الاستمرار" 2068 ، و الأصل في ذلك ما رواه أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " يسرّوا و لا تعسّروا و بشرّوا و لا تنفّروا. " 2069

2064- التربية الإسلامية الأصول و التطبيقات ، محمد عبد السلام ، 46

2065 - القرظاوي، الخصائص العامة للإسلام ، ص98

2066 - الحجرات ، 13

2067 - البقرة ، 143

2068 - فتحي يكن ، أبعاديات التصور الحركي للعمل الإسلامي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص 56

2069 - البخاري

ث - الواقعية.

المقصود بالواقعية مراعاة واقع الإنسان من حيث هو مخلوق مزدوج الطبيعة ، فهو نفخة من روح الله في غلاف من الطين 2070 ، و تعتبر التربية الإسلامية حقيقة يقينية تتعامل مع الحقائق الموضوعية ذات الوجود الحقيقي المستيقن ، والأثر الواقعي الإيجابي ، لا مع تصوّرات عقلية مجردة ، ولا مع مثاليات لا مقابل لها في عالم الواقع ، أو لا وجود لها في عالم الواقع 2071، و لقد بيّنت التربية النبوية طبيعة الواقعية من خلال التفسير العملي كما في قصة حنظلة رضي الله عنه قال لَقِينِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ قُلْتُ نَافِقٌ حَنْظَلَةُ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ قَالَ: قُلْتُ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا قَالَ أَبُو بَكْرٍ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا فَاِنطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ نَافِقٌ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا ذَاكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُوْمُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرْشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. 2072 واقعية تنطلق من واقع مقاصد التشريع الإسلامي الذي يؤسس لليسر و المرونة قال تعالى: " لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا " 2073، و قال سبحانه: " يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ " 2074 ، و قال جلا و علا: " لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ " 2075 ، و قاعدة الضرورات التي تتوافق مع قدرات الإنسان العقلية و النفسية و الجسدية.

2070 - القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام ، ص 149

2071 - سيد قطب، خصائص النصور الإسلامي، دار الشروق ، القاهرة ، ص 192

2072 - صحيح مسلم ، ج 4 ص 94

2073 - البقرة ، 286

2074 - البقرة ، 185

2075 - النور ، 61

٢ - التصوّب والمركبة.

التدرّج من أهم أدوات التغيير الاجتماعي ، و من أنجح أساليب إصلاح النفس البشرية ، و لما كانت النفس مجبولة على حبّ الدنيا متعوّدة على ملذاتها شقت عليها المفارقة، و صعب إصلاحها فهي تحتاج إلى جهد كبير موصول مع تدرّج دقيق معقول وفق قاعدة الموازنات و فقه الأولويات ، فلا " يحصل كل شيء دفعةً واحدةً ، لا في الأخلاق ولا في العلم ، لذلك لا بدّ من التدرّج الدقيق في التطبيق ، خطوة خطوة حتّى يتمّ الوصول ، أمّا إذا كان الدفع نحو الكمال سريعاً شديداً فقد يحدث ذلك فترة ثمّ يؤدي إلى انقطاع." 2076

ويتّضح ذلك من توجيهه صلى الله عليه و سلم لمعاذ رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن ، وقد حدّد له وظيفة التغيير و الدعوة و التربية فعن ابن عباس رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه و سلم بعث معاذاً إلى اليمن فقال ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأتّي رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أنّ الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أنّ الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وتردّ على فقرائهم." 2077

٢ - الإيجابية:

تنبثق صفة الإيجابية في التربية الإسلامية من خلال " شعور الإنسان بكرامته ومكانته في هذه الحياة وفي هذا الكون ، وإن الله استعمره في الأرض فطلب منه أن يعمرّ الأرض بالحق والعدل والحضارة " 2078 ، وتتجلّى مظاهر الإيجابية في التربية الإسلامية في تبصير المسلم بمسؤوليته الشرعية في الحياة و بوظيفته الحركية إلى قيام الساعة فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فليغرسها " 2079 ، و تتكامل الإيجابية عند تواطؤ الطاقات الإنسانية كلّها وارتباطها ببعضها البعض ، ليتحوّل الكائن البشري إلى طاقة إيجابية عاملة في الوجود هادفة في الحياة ، إيجابية سويّة موجّهة نحو الحقّ. 2080

2076 - سعيد حوى ، المستخلص في تزكية الأنفس ، دار الأرقم ، عمان ، ص 112

2077 - صحيح البخاري ، ج 1 ص 104

2078 - النحلوي ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، دار الفكر، دمشق ص 1

2079 - أحمد بن حنبل، المسند ج 20 ص 251

2080 - سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج 1 ص 30

- التنوير القرائي و الإيجاز التربوي. "القلب المتكبر نموذجاً"

و لقد مثلنا لعلاقة التنوير القرائي بالإعجاز التربوي الأخلاقي بقوله تعالى: "الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبُورٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطَّبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارًا" 2081

- التوثيق القرائي :

- لفظ قلب: 2082

- قرأ بالتونين أبو عمرو و ابن ذكوان و الأعرج بخلاف عنه و ابن عامر بخلاف عنه.
- قرأ بالإضافة ابن كثير و نافع و الكسائي و حمزة و حفص عن عاصم.

- حقيقة القلب

تظهر أهمية القلب في الشريعة الإسلامية من خلال ما يلي:

- أ - الحقيقة المادية: القلب عضلة صنوبرية تعلقت بها الحياة البشرية.
- ب - الحقيقة اللغوية: القلب مركز الشيء و لبه ، و اللب أصل و الأصل محتاج إليه.
- ت - الحقيقة الشرعية: القلب مناط تكليف فهو محل التدبر و الفهم ، و سلطان الجسد التابع و عليه فإته سبب الهداية و الضلال قال صلى الله عليه و سلم: " .. ألا و إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كُله ، و إذا فسدت فسد الجسد كُله ألا وهي القلب." 2083

- القلب لغة و اصطلاحاً:

- القلب لغة:

قال ابن فارس: قلب القاف و اللام و الباء أصلان صحيحان : أحدهما يدلّ على خالص شيء و شريفه ، و الآخر يدلّ على ردّ شيء من جهة إلى أخرى ، فالأول القلب: قلب الإنسان و غيره لأثته أخلص شيء فيه

2081 - غافر ، 35

2082 - إرشاد المرید إلى مقصود القصید في القراءات السبع ، علي محمد الضباع ، ط 2006 ، دار الصحابة للتراث، طنطا ، مصر، ص351 ، التذكرة في القراءات الثمان ، ج2 ص 534

2083 - البخاري ، الجامع الصحيح ، رقم 52 ، و مسلم ، الجامع الصحيح ، رقم 1599 .

و أرفعه ، و خالص كل شيء و أشرفه قلبه 2084 ، و سمي قلب الإنسان قلباً لكثرة تقلبه، ويعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به من الروح والعلم و الشجاعة وغير ذلك 2085 قال الأزهري: " و رأيت من العرب من يسمي لحمة القلب بشحمها وحجاها قلباً ، ورأيت بعضهم يسمونه فؤاداً ، ولا أنكر أن يكون القلب هي العلقة السوداء في جوفه و الله أعلم ، لأن قلب كل شيء لله و خالصه " 2086 ، و قد يرد القلب أخص من الفؤاد في الاستعمال يشهد له قوله صلى الله عليه و سلم: " أتاكم أهل اليمن ، هم أرق قلوباً وألين أفئدة.. " 2087 ، فوصف القلب بالرقّة ، والفؤاد باللين ، لأنه أخص من الفؤاد 2088 ، والقلب لطيفة ربانية أودعها الله تعالى الإنسان فهي الحقيقة الإنسانية و النفس الناطقة و الروح الباطنة و مصدر الإدراك و المخاطب بالترزيل ، 2089 و قد يعبر بالقلب عن العقل قال تعالى: " إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٢٧﴾ " 2090

- القلب اصطلاحاً:

اختلف العلماء في التعريف الاصطلاحي للقلب على ما يأتي:

أ – القلب باعتباره عضواً و مادة: فهو " عبارة عن مضخة عضلية في حجم قبضة اليد ، وهو يضخ الدم بسرعة خلال الجهاز الوعائي ، والقلب يقع في التجويف الصدري ، وينبض باستمرار حوالي 70 إلى 80 نبضة كل دقيقة ، وينظم هذا المعدل تبعاً لظروف الجسم المتغيرة، ويضخ القلب الدم في الأوعية الدموية التي تتفرع لأصغر فأصغر، حتى تصبح كل خلية من خلايا الجسم تقريباً قريبة من شعيرة دموية ، مما يسمح

2084 – أحمد بن فارس الرازي ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق إبراهيم شمس، ط 1، 1420 هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص366

2085 – انظر معجم مفردات اللغة الراغب الأصفهاني ، ص 426 ، و لسان العرب ابن منظور ، ج 1 ص 685

2086 – تمذيب اللغة ، أبو منصور الأزهري ، ج9 ص17

2087 – مسند أحمد بن حنبل ج 13 ص 156 رقم الحديث 7723 .

2088 – انظر تاج العروس ، الزبيدي ، ج 4 ص7

2089 – الجرجاني ، التعريفات ، وضع حواشيه ، محمد باسل العود ، ط 2 ، 1424 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 179

2090 – سورة ق الآية 37

بتبادل العناصر الغذائية والأكسجين " 2091 ، و قيل: " القلب هو عضو عضلي أجوف هرمي الشكل تقريباً ، موضوع في تجويف الصدر إلى اليسار من الرئتين. " 2092

ب - القلب باعتباره نفساً و وجدانا: فهو عبارة عن " لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق ، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان ، ويسمّيها الحكيم النفس الناطقة ، والروح الباطنة ، والنفس الحيوانية مركبة ، وهي المدرك ، و العالم من الإنسان ، والمخاطب ، والمطالب ، والمعاتب.." 2093 ، و قال أبو حامد الغزالي: " القلب يطلق لمعنيين: أحدهما: اللحم المعروف الذي يضح الدم ، و الثاني: هو لطيفة ربانية روحانية لها تعلق بهذا القلب الجسماني ، وهذه اللطيفة هي حقيقة الإنسان ، والمدرك العام العارف منه ، والمخاطب بالتكليف ، والمجازي عليه.." 2094 ، و يقول سعيد حوى: " إنّ هناك قلباً محسوساً لكل الناس يشترك فيه الإنسان مع كثير من المخلوقات هو القلب الدموي ، هذا القلب الذي له وظيفة المضخة الدموية هو مركز لقلب آخر هو مركز الأحاسيس الوجدانية ، من حب و بغض وحق وسماحة و خوف و أمن ، وهذه القضايا كذلك محسوسة لكل الناس ، إذ كل الناس يحسون بشيء من هذه المعاني في قلوبهم هذا القلب الثاني هو محل الإيمان الذوقي ، وهو محل الكفر والنفاق كذلك ، وههنا نجد أموراً محسوسة عند بعض الناس وغير محسوسة عند آخرين ، فأهل الإيمان يحسون بمعانٍ كثيرة في قلوبهم ، هذه المعاني لا يحس بها الكافرون ، لأنّ هذا الجانب في قلوبهم ميت ، هذا القلب المرتبط بالقلب الدموي ليس هو عين القلب الدموي ، بدليل أنّ الذين أجريت لهم عمليات استئصال لقلوبهم ، وأعطوا قلباً آخر ، لم تتغير أحاسيسهم..، هذا القلب في المصطلح الشرعي يمرض ويصحّ ويعمى ويصمّ..، هذا القلب في المصطلح الشرعي مقره الصدر لا كما توهم بعضهم أنّ مقره الدماغ ، قوله تعالى: "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَأِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿١٠١﴾" 2095، فحدّد

2091 - علم حياة الإنسان ، مدحت حسين ، ص 3

2092 - المبادئ الأولية في بيان جسم الإنسان ووظائف الأعضاء ، شفيق عبد المالك ، ص 131

2093 - التعريفات، الجرجاني ، ج 1 ص 5

2094 - أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين، ط 2، 1425 هـ ، دار الواعي ، ج 2 ص 4 ، و انظر التبيان في أقسام القرآن ، ابن القيم

الجوزية ، ط 1، 2004 ، دار الأفكار الدولية ، بيروت، ص 330

2095 - الحج ، 46

مكاتها في الصدور" 2096 ، و " التركيز على قضية القلب من أهم ملامح التربية القرآنية والنبوية ، وقد أهمل الناس هذا إلا القليل ، والقليل عنده دخن كثير إلا أقل القليل ، ولأن الجزء الأكبر من التكاليف الربانية منوط بالقلب ، فإن على الإنسان أن يتنبه لذلك .. " 2097

– الإلفاظ الصالحة ملة القلب

أ – الفؤاد: و ورد في القرآن متعلقاً بأمرين:

– تعلقه بالحساب كقوله تعالى: "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" ﴿٢٠١﴾ 2098

– تعلقه بالشكر كقوله تعالى: "وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" ﴿٢٠٢﴾ 2099

ب – الروح: و هو خلد الإنسان و باله 2100 ، و منه قوله صلى الله عليه و سلم: " إنَّ روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها و تستوعب رزقها. " 2101

ت – الصدر:

دليل ذلك قول الله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " 2102 " أي: إرادة التقدم والرياسة ، و ألا يكون أحد فوقهم ، فلهذا عادوك و دفعوا آياتك ، خيفة أن تتقدمهم ، و يكونوا تحت أمرك و هميك ؛ لأن النبوة تحتها كل ملك ورياسة ، أو إرادة أن تكون لهم النبوة دونك ، حسداً و بغيًا ، أو إرادة دفع الآيات بالجدل " 2103 ، و " الكبر

2096 – سعيد حوى ، الأساس في التفسير ج 1 ص 8

2097 – المرجع نفسه ، ج 1 ص 8

2098 – الإسراء ، 36

2099 – النحل ، 78

2100 – محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ط 1424 هـ ، دار الحديث ، القاهرة، ص 153

2101 – الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق ناصر الدين الألباني، ط 3 ، 1405 هـ ، المكتب الإسلامي، بيروت، رقم الحديث

5300

2102 – غافر ، 56

2103 – الأساس في التفسير، سعيد حوى ، ج 9 ص 49

من الانفعالات النفسية وهو إدراك الإنسان خواطر تشعره بأنه أعظم من غيره والمعنى: ما يحملهم على المجادلة في آيات الله إلا الكبر على الذي جاءهم بها ، وليست مجادلتهم لدليل لاح لهم ، وقد أثبت لهم الكبر الباعث على المجادلة بطرق القصر ، لينفي أن يكون داعيهم إلى المجادلة شيء آخر غير الكبر على وجه مؤكد ، فإن القصر تأكيد على تأكيد لما يتضمنه من إثبات الشيء بوجه مخصوص مؤكد. "2104

- وظائف القلب:

القلب محلّ التعقل: "العقل غريزة قد وهبها الله سبحانه وتعالى لمخلوقه الإنسان ، لتمييز بها عن غيره من المخلوقات في إدراك عالمه الذي يحيط به "2105 ، و ذكر العقل في القرآن بتصاريح متعددة منها:

أ - عَقْلُوهُ: وردت في موضع واحد من القرآن ، في قوله تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ تُحَرَّفُونَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ 2106

ب - تَعْقِلُونَ: وردت في أربعة وعشرين موضعاً من القرآن ، منها قوله: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ 2107

ت - نَعْقِلُ: وردت في موضع واحد من القرآن قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ 2108

ث - يَعْقِلُهَا: وردت في موضع واحد من القرآن ، في قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ 2109

ج- يعقلون: وردت في اثنين وعشرين موضعاً من القرآن ، منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانِ ءِآبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ 2110، و " الآيات

2104 - التحرير والتنوي ، ابن عاشور ، ج 28 ص 10

2105 - نقض أصول العقلانيين ، سليمان بن صالح الخراشي ، ج 1 ، ص 2

2106 - البقرة ، 75

2107 - البقرة ، 44

2108 - الملك ، 10

2109 - العنكبوت ، 43

2110 - البقرة ، 170

القرآنية التي يفهم منها كون العقل في القلب ، فذلك من قبيل الإطلاق العرفي السائد في الكلام ، و الذي يراد به العقل ، فيقال: لا قلب عنده ، أي: لا عقل له أما القيم الأدبية أو الأخلاقية فمحلها القلب باعتباره المعبر عن النفس الإنسانية التي لا حياة لها إلا بالقلب" 2111 ، و يطلق لفظ العقل على وظيفة القلب الأساسية و هي الجهد التفكيري و العمل التأملي قال ابن تيمية: " صلاح القلب وحقه ، والذي خُلق من أجله هو أن يعقل الأشياء ، لا أقول يعلمها فقط ، فقد يعلم الشيء من لا يكون عاقلاً له ، بل غافلاً عنه ملغياً له ، و الذي يعقل الشيء هو الذي يقيد و يضبطه و يعيه و يبثه في قلبه ، فيكون وقت الحاجة إليه غنياً ، فيطابق عمله قوله ، و ظاهره باطنه ، و ذلك هو الذي أوتي الحكمة " 2112 ، و هذه الوظيفة - التي هي القدرة على التعقل - موجودة لدى سائر العقلاء من الناس ، لكن منهم من استفاد منها - بإذن الله - و منهم من عطّلها ، أو استخدمها في غير ما ينبغي لها ، لذلك لام الله الكفار على عدم التعقل ، و قد بين القرآن الكريم أن القلب محلاً للتعقل ، و جاءت نصوص قرآنية كثيرة تدل على ذلك منها:

- قوله تعالى: "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿١٦﴾" 2113 ، فالعقل من خصائص القلوب فهو الإرادة المدركة و القوة القادرة على ردّ الأهواء و الشهوات 2114 قال الرازي: " قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا " دلالة على أنّ القلب آلة لهذا التعقل ، فوجب جعل القلب محلاً للتعقل. " 2115

- قوله تعالى: " وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٧﴾" 2116 ، فقوله تعالى: " صُمُّ بِكُمْ عَمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ " شاهد على أنّ الذين " كفروا في قلة فهمهم عن الله و عن رسوله كمثل المنعوق به من البهائم الذي لا يفقه من الأمر و النهي غير الصوت الذي يسمعه... فكذا ذلك

2111 - التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج ، وهبة الزحيلي ، ج 9 ص 1

2112 - ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج 9 ، ص 309

2113 - الحج ، 46

2114 - الأخلاق الإسلامية و أسسها ، عبد الرحمن الميداني ، ج 1 ، ص 281

2115 - الرازي ، التفسير الكبير ، ج 23 ص 45

2116 - البقرة ، 171

الكافر ، مثله في قلة فهمه لما يؤمر به ، و ينهى عنه بسوء تدبره إياه ، وقلّة نظره وفكره فيه ، مثل هذا المنعوق به فيما أمر به ونهى عنه." 2117

- الاستظهار لغة و اصطلاحاً:

- الاستظهار لغة:

هو إظهار العظمة و التجبر والتعاضم ، ومنه قوله تعالى: "سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَنَفِلِينَ ﴿٢١١٨﴾" 2118 ، والمتكبرون " يرون أنّهم أفضل الخلق ، وأنّ لهم من الحقّ ما ليس لغيرهم ، وهذه الصفة لا تكون إلا خاصة لأنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي له القدرة و الفضل الذي ليس لأحد مثله ، وذلك الذي يستحق أن يقال له المتكبر ، وليس لأحد أن يتكبر لأنّ الناس في الحقوق سواء ، فليس لأحد ما ليس لغيره." 2119

- الاستظهار اصطلاحاً:

الكبر من أخطر الأمراض الخلقية على النفوس البشرية ، و تكمن حقيقته في شعور يظهر به الإنسان إعجابه بنفسه في صورة استعلاء لازمه احتقار الغير، و التعاضم عليهم بالقول أو الفعل ، و النيل منهم ، و ردّ الحقّ الصادر عنهم 2120 قال الراغب الأصفهاني: "الكبر هو ظنّ الإنسان بنفسه أنّه أكبر من غيره ، والتكبر إظهار لذلك " 2121 قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَتِيكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا ﴿٢١٢٢﴾ " 2122 في الآية تفسيران:

✽ - أحدهما: تكبروا في أنفسهم لما قلّ في أعينهم من إرسال محمد صلى الله عليه و سلّم نبياً إليهم.

2117 - جامع البيان ، الطبري ج 2 ص 81

2118 - الأعراف ، 146

2119 - لسان العرب ، ج5 ، ص 15

2120 - انظر آفات على الطريق ، سيد نوح ، ج 1 ص 8 ، و التاصيل الإسلامي للدراسات النفسية ، محمد عز الدين توفيق ، ص374

2121 - الذريعة إلى مكارم الشريعة ، ص29

2122 - الفرقان ، 21

❖ - ثانيهما: استكبروا في أنفسهم بما اقترحوه من رؤية الله ونزول الملائكة عليهم. 2123.

و عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر "، فقال رجل: إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً، قال: إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس " 2124 ، و الحديث حجة دقيقة وافية لحقيقة لطيفة قلما يُتفطن لها و هي أنّ الكبر المذموم ليس في الشكل واللباس ، وإنما محله القلب و حقيقته بطر الحقّ و غمط الخلق .

- لطائف الأسماء من تطهير لفظ التكبر .

أ- الكبرياء رداء الله تبارك و تعالى .

الكبرياء صفة الله تعالى دلّت على جلاله و كماله و جماله سبحانه فمن نازع الله تعالى فيها عذبه لأنّها من نعوت ربوبيته و خصائص ألوهيته قال سبحانه: " وَ لَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ " 2125 ، و جاء في الحديث القدسي: " العزّ إزاري والكبرياء ردائي ، فمن ينزعني في واحد منهما عذبتّه " 2126 ، و لهذا سمّى الله تعالى نفسه بالمتكبر فقال جلا و علا: " هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٠﴾ " 2127 قال الرازي: " واعلم أنّ المتكبر في حق الخلق اسم ذم لأنّ المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر ، وذلك نقص في حق الخلق ؛ لأنّه ليس له كبر ولا علو ، بل ليس معه إلا الحقارة والذلّة والمسكنة ، فإذا أظهر العلو كان كاذباً ، فكان ذلك مذموماً في حقه ، أمّا الحق سبحانه فله جميع أنواع العلو و الكبرياء ، فإذا أظهره فقد أرشد العباد إلى تعريف جلاله وعلوه ، فكان ذلك في غاية المدح في حقه سبحانه ، ولهذا السبب لما ذكر هذا الاسم قال: " سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ " كأنه قيل: إنّ المخلوقين قد يتكبرون ، ويدعون مشاركة الله في هذا الوصف ، لكنّه سبحانه مترّه عن التكبر الذي هو حاصل للخلق ؛ لأنّهم ناقصون بحسب ذواتهم ، فادّعاؤهم الكبر يكون ضمّ نقصان

2123 - انظر النكت والعيون ، الماوردي ، ج 4 ، ص 140

2124 - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه ، حديث رقم 167 .

2125 - الجاثية ، 37

2126 - صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الكبر رقم الحديث 6846 ، ج 8 ص 35

2127 - الحشر ، 23

الكذب إلى النقصان الذاتي ، أما الحق سبحانه فله العلو والعزة ، فإذا أظهره كان ذلك ضم كمال إلى كمال. "2128

ب - الإيمان نقيض التكبر.

الإيمان تزيه لله تعالى في ذاته و صفاته و أسمائه عن كل نقصان وتعظيم مقامه سبحانه تعالى بالجنان و اللسان و الأركان قال تعالى: " إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حَمَزُوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢١٢٩﴾ "2129، فلازم التذكير بالله تعالى استحضار مقام عظمته ، و جلال منزلته ، و لازم ذلك ظهور مقام العبودية بذل السجود خشوعا و خضوعا ، و جيء في نفي التكبر عنهم بالمسند الفعلي لإفادة اختصاصهم بذلك ، أي دون المشركين الذين كان الكبر خلقهم ، و مانع الإيمان عندهم قال تعالى: " وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَتِيكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا ﴿٢١٣٠﴾ "2130

ت - إبليس قدوة المتكبرين.

قال تعالى: " قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٢١٣١﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٢١٣٢﴾ "2131 ، ولقد حددت الآية القرآنية علل الهلاك الواقع على الشيطان فقد جحد أمر ربه وكفر ، و استعلى بأصله و افتخر ، و ازدري آدم و له احتقر ، فقياس بلا دليل و لا خبر ، فبطل قياسه من عدة وجوه دل عليها النظر:

❖ - القياس الشيطاني ورد في مقابلة الأمر الإلهي له بالسجود ، و القياس إذا عارض النص بطل.

❖ - انتفاء البرهان عن دعواه " أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ " و نقضه له بإعجابه بنفسه وتكبره ، و هذا من جنس القول

على الله تعالى بغير علم قال تعالى: " قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ

تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ ﴿٢١٣٢﴾ "2132

2128 - مفاتيح الغيب ، الرازي ، ج 15 ص 315

2129 - السجدة ، 15

2130 - الفرقان ، 21

2131 - الأعراف ، 12

2132 - الأعراف ، 33

✽ - مفارقة الصواب و مجانبة الصدق حينما فضل النار على الطين ، فإن مادة الطين يحصل منها من المنافع ما لا يحصل من النار فالطين مادة السكون و الرزانة ، و محلّ بركات الأرض أما النار فأصلها خفة و طيش و ضررها الإحراق. 2133

ث - التكبر علة الحرمان و سلّم الخذلان.

قال تعالى: "سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿٢١٣٤﴾" ، و لقد خلق الله عز وجل الكون فهدها إلى النظام المحكم ، وجعل له قوانين ثابتة لا تتغير لأمر اقتضته حكمته ، وهذه القوانين تعمل بقضاء الله وقدره ، وهذه القوانين ذات مفاتيح من اهتدى إليها من ذوي الإرادات الحرة وجدها مسخرة له ، تطيعه وفق أنظمتها التي جعلها الله لها ، مع أنها لا تعمل إلا بقضاء الله وقدره ، ومن يتكبر في الأرض بغير الحق، بظلم الناس واستعبادهم والاستئثار بمتاع الدنيا وزينتها ، واستغلال سلطانه لشهوات نفسه وأهوائها ، انظمت أدوات الإدراك فيه عن إدراك آيات الله ، أو فقدت مراكز استجابته النفسية قدرتها على الاستجابة لما توجه له من آيات الله ضمن قوانين الله وأنظمتها القدرية العامة. 2135.

ج - في مصارع المتكبرين عبر و مواعظ.

لقد عرض القصص القرآني مشاهد هلاك المتكبرين و منها:

✽ - استكبار قوم نوح عليه السلام قال تعالى: "وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٢١٣٦﴾" 2136

✽ - استكبار قوم هود عليه السلام قال تعالى: "فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا مَجْحَدُونَ ﴿٢١٣٧﴾" 2137

2133 - انظر تيسير اللطيف المنان في تفسير كلام المنان ، السعدي ، ج 1 ، ص 284

2134 - الأعراف ، 146

2135 - انظر معارج التفكير ودقائق التدبر، عبد الرحمن الميداني ، ج 4 ص 555

2136 - نوح ، 7

2137 - فصلت ، 15

✽ - استكبار قوم صالح عليه السلام قال تعالى: " قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ

ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنْ صَالِحًا مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِءُ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ " 2138

✽ - استكبار قوم موسى عليه السلام قال تعالى: " وَقُرُونِ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ ط وَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ

فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٢١٣٩﴾ " 2139

- مسالك الإعجاز اللفظي في بيان أصناف القلوب.

يظهر الإعجاز التربوي الأخلاقي في كثرة النصوص القرآنية التي عاجت النفس الإنسانية حيث كثر

ذكر لفظ القلب بصورة عجيبة و الأعجب منها ذكر نظائره - كلفظ النفس و الصدر و الفؤاد والعقل

واللب والنهي- التي سيقت في مواضع دل موضوعها مع سياق السباق و اللحاق على أهمية القلب في

الدلالة على مقصد الوجود الإنساني في المعاش و عظمة مصيره في المعاد ، و لقد دلّ التباين القرآني مع ما

إشارات ألفاظ السياق السابق و اللاحق و موضوع سورة التباين إلى أنّ السمع و البصر و الفؤاد وسائل

الإدراك الأساسية ربّها الذكر القرآني للدلالة على أنّ السمع و البصر يتقدّمان الفؤاد المختصّ بالمعاني و

التصورات ليشير الترتيب إلى صورة إعجازية و هي أنّ نشأة المعارف العقلية يرجع إلى إدراك الحواس -

السمع و البصر - دلّ عليه أنّ القرآن إذا ضرب المثل في مثل معقول مدسوس مختلف فيه أحال بيانه على

الحسيات المتفق عليها 2140 ، و عليه فقد دلّ لفظ السلطان في قوله تعالى: " الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ

سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٢١٤١﴾ " 2141 ، و

كذلك قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ

بِالْغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " 2142 على الحجة العلمية التي تدرك بالحواس كما دلّ على ذلك

قوله تعالى: " وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ

2138 - الأعراف ، 75

2139 - العنكبوت ، 39

2140 - انظر تفسير الشعراوي ، ج 1 ص 1146

2141 - غافر ، 35

2142 - غافر ، 56

تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾²¹⁴³ و عليه لما عطلت الحواس عن حقيقة وظيفتها جهل القلب حقيقة العلوم فكان الجهل عماد جداله و خصومته فكان الجدل مع الجهالة من قرائن التكبر و التجبر. و لقد اجتمعت جملة من المسالك لدلالة على صورة الإعجاز التربوي الأخلاقي منها:

- دلالة التناير القرآني على أصل التنوير الإلهي.

فقد دلّ عموم الوصف المؤثر - الكبر - على عظيم مفسد لوازمه و هو الجدل أي الخصومة بالباطل²¹⁴⁴ ، و عليه فقد أشار عموم الوصف المؤثر - الكبر - إلى التمكّن من المحلّ - القلب - ثمّ دلّ اجتماع الوصف مع حكمه على شدة تعلّق الصلاح و الفساد بالقلب دلّ على ضرورة هذه العلاقة التربوية حديث أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إنّ الحلال بين ، وإنّ الحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهنّ كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإنّ لكل ملك حمى ، ألا وإنّ حمى الله محارمه ، ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّهُ ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب."²¹⁴⁵

- دلالة التصوير القرآني على الإعجاز الإلهي.

إنّ الباحث في أسلوب التناير القرآني يجده حافلاً بالصور المدهشة ، ناطقاً بلغة المشاهد و الرسوم المعبرة، حتى إنّك " تقرأ القطعة من القرآن فتجد في ألفاظها من الشفوف والملمسة والإحكام كأنك لا تسمع كلاماً ولغاتٍ ، بل ترى صوراً وحقائق ماثلة " ²¹⁴⁶ ، و كأنّ ألفاظ القرآن ينبوع يفيض بالصور الجميلة، والأحاسيس الحسنة، والألوان الأخاذة ، وليست المعاني في القرآن الكريم مجردات لا يدركها إلاّ العقل بالتدبّر ، وإتّما هي صور حية تمرّ بخيال القارئ والسامع، ويلمسها إحساسه المرهف، وتكاد تراها عينه يقينا.²¹⁴⁷

2143 - النحل ، 78

²¹⁴⁴ - انظر الوجوه و النظائر في القرآن الكريم ، هارون بن موسى ، ص 347

²¹⁴⁵ - البخاري ، الجامع الصحيح ، رقم 52 ، و مسلم ، الجامع الصحيح ، رقم 1599 .

²¹⁴⁶ - النبأ العظيم ، نظرات جديدة في القرآن ، محمد عبد الله دراز ، 117 .

²¹⁴⁷ - من روائع القرآن ، محمد سعيد رمضان البوطي ، 169 .

إنّ التصوير في أسلوب التغيرات القرآني ذو مسحة يانعة، ومساحة واسعة، وآفاق فسيحة، فهو " يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية " ²¹⁴⁸، وقد شغلت الصورة النفسية للقلب المتكبر المتجبر حيزاً واسعاً من التصوير القرآني في مواضع متعددة من سورة غافر، لتجلي مشاعر القلب الدفينة وحالاته الشعورية المدسوسة في عروض واقعية تاريخية تحكي قصص الأولين و أثر داء التكبر في مصارع الأقسام، ثم استمليت هذه القلوب إلى التأمل في حقائق القرآن المنظور من الكون المفتوح ثم التذكير بحقيقة الله تعالى من خلال صورة الحوار حول عناصر العلم و التربية أو صورة استحضر النعم الربانية، ثم استدرجت إلى مسلمّات الحساب و بديهيات الثواب و العقاب من خلال تصوير مشاهد النعيم و الجحيم

- دلالة التنكير مع التنوين على معنى التوبيخ و التلقين.

الخطاب بالتكبير لتصغير مقام المتكبر وتهيئته لبيان جرم فعله في ادعائه بالاختلاق مترلة العظيم - التي لا تليق إلا بالله تعالى - فأفاد التكبير مع قرينة التنوين معنى التحقير جزاء على جنس عمله القبيح، و يقوي هذه الدلالة القوية المستنبطة ورود اللفظ بين الحكم عليه و الوصف الكامن فيه ليشير إلى قوة التعلق و شدة الاختصاص.

- دلالة كمال التماثل بين مقام المقال و مقام الكلام.

فقد دلّ هذا المقام على بيان كمال استغراق القلب للوصف بالذم من خلال الجمع بين أدوات التعريف بالتنوين و الإضافة و أدوات التوصيف بالنع و الصفات و عليه فقد أفاد اجتماع التغيرات القرآني بأداتي التعريف - التنوين و الإضافة - مع دلالة مقام السياق المقترن بالذم - من خلال لفظ التكبر و التجبر - على تحقير القلب المتكبر و توبيخه حتى ما يساوي طلية جدي، و توعده بالعقاب و الطبع عليه بالضلال، و هذا إيجاز بليغ في إعجاز نفسي دلت عليه قاعدة العربية في أنّ الكلام البليغ المعجز هو مطابقة مقام المقال لمقتضى مقام الحال.

²¹⁴⁸ - التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، 32.

- دلالة المناسبة بين الإوصاف ملأ ملة مرض القلوب .

فقد ساق القرآن الكريم في نصّ التغيرات القرائي وصف الاستكبار مقترنا بالتجبر ليفيد التناسب اللفظي بين الصفات و موصوفها على معاني اللزوم و الثبوت بعدم الانفكاك ، و على استغراق الصفات موصوفها بالشمول و العموم دون انحسار ، وقد أضاف معنى الآية في موضعها و السورة في موضوعها - الجدل في الحقّ بالخصومة - مسحة جمالية ذات صبغة إعجازية أضفت على مشهد القلب المطبوع صورة غلبة المرض الخبيث على محله ليخرج القلب المتكبر المتجبر في صورة الأحمق المتق.

- دلالة الموضوع القرآني ملأ صورة الإجازة الإلهية .

فقد بدأت السورة القرآنية صدرها بموضوع مرض القلوب القاتل و هو التكبر و التجبر فذكرت سببه المشين و هو الخصومة في الحقّ بالجدال الباطل و جعلته نعتا للكافرين فقال تعالى: " ما يجادل في آيات الله إلاّ الذين كفروا... " ²¹⁴⁹ ، ثمّ بينت أنّ أعظم مآله الكفران و العصيان، فقال جلّ و علا: " و قال موسى إني عدت بربي و ربكم من كلّ متكبر لا يؤمن بيوم الحساب.. " ، ثمّ جعلته سبب التباب المحقق ، و العقاب المرتقب فقال سبحانه: " كذّبت قبلهم قوم نوح و الأحزاب من بعدهم و همّت كل أمة برسولهم ليأخذوه و جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ فأخذتهم فكيف كان عقاب.. " ، ثمّ أمرنا سبحانه بعلاج قلوبنا من هذا المرض الخبيث فأوجب علينا الالتجاء إليه و العياد به فقال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَنٍ أَتَنُهِمُ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَلِيغِيهِ فَاَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢١٥٠﴾ " ²¹⁵⁰ ، ثمّ صورت لنا مشاهد الهلاك ، و موارد العذاب ليزداد المسلم تنبها للسقم و العلل ، و إقداما على العلاج و التزكية فقال تعالى: " ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنّي يصرفون الذين كذبوا بالكتاب و بما أرسلنا به أرسلنا فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم و السلاسل يسحبون في الحميم ثمّ في النار يسجرون.... " ²¹⁵¹

2149 - غافر ، 3

2150 - غافر ، 56

2151 - غافر ، 69 ، 70 ، 71 ، 72

- دلالة التنابير القرائي ملأ أن المقل في القلب.

الكبر إذا ران القلب فقد أمرضه ، و إذا ملأ الصدر و غمره فقد أهلكه و أفسده قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ مُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" (2152) ، و الكبر إذا عم الصدر فقد دل على تجذره في القلب ذاك لأن الصدر وعاء القلب يشهد له قوله تعالى: " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ" (2153) ، فقد جعل الصدور محل القلوب ، و عليه فقد دل التنابير القرائي بمعنييه على أن الكبر قد عم القلب بقراءة التنوين و عم الصدر بقراءة الإضافة لأنه جزء من كلية الذات المتكبرة.

- دلالة الممانئ النكوية في النظر القرائي.

و أفاد التصريح بفاعل الطبع ما يلي:

✽ - الدلالة على شدة الغضب عليهم و تعدد الطبع عليهم ، فحرمهم النجاة من الطبع الأصلي ، وزادهم عليه غواية و ضلالا.

✽ - للدلالة على أن الطبع أشد تمكنا في القلب بصيغة ذكر الفاعل من صيغة المبني للمجهول ففي الأولى دلالة الشدة و القوة ، و المبالغة والتأكيد.

✽ - للدلالة على قوة العلة في حكم العقاب بالطبع ، فما وقع العقاب بالطبع بهذه الشدة و الغلظة إلا للدلالة على خطورة علة الكبر و عظيم مفسده ، و عموم النفس به بدلالة التنابير القرائي.

لقد دل النص القرائي على أن الكفار " جادلوا في آيات الله تعالى عن كبر في صدورهم ، وفي ذلك إشارة أن من أسباب وقوعهم في النار تكبرهم على الرسل ، وليكون لكل موصوف بالكبر حظ من استحقاق العقاب إذا لم يتب ، ولم تغلب حسناته على سيئاته إن كان من أهل الإيمان " (2154) ، و الطبع من جملة عذاب المتكبرين و من عذاب مطبوع القلب منعه من تأمل آيات الكون المنظور و صدّه عن تدبر آيات

2152 - غافر 56

2153 - الحج ، 46

2154 - التحرير و التنوير ، 24 ، 207

القرآن المسطور قال تعالى: " سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿٦٦﴾ " 2155

إنَّ الطبع على القلوب صورة استعارية حسية تؤكد عدم دخول الإيمان إلى هذه القلوب، و أنَّ اقتران حكم الطبع بسببه الذي هو الجدل فيه دلالة قوية على تعطيل الآذان عن الاستماع إلى الحقِّ و اللسان عن الصدع به ، فاجتمعت هذه القرائن كلها على بيان قوة الحركة في عقاب الطبع على القلوب لتوحي بجمود المطبوع وصلادته ، لتسد منافذه سدًّا فلا يدخله شيء ، و يحتم عليه فلا ينفعه شيء أبدا قال تعالى: " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ " 2156

الفصل السابع: التنزيه القضاة و الإجاز الملمة .

- التفسيم الملمة و الإجاز الملمة . اللقية ،

الضوابط و كوافه الإفتاء .

- الإجاز الملمة في ظلمة الديار .

- التنزيل القرآني و الإجاز الملمية:

- تعريف التفسير الملمية:

التفسير العلمي مصطلح مركب من كلمتين الأولى التفسير ، و الثانية العلم.

- تعريف التفسير لغة و اصطلاح:

- التفسير في اللغة:

هو " كشف المغطى و بيانه 2157 ، قال تعالى: " وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا " 2158 قال مجاهد: بيأناً. 2159

- التفسير في الاصطلاح:

لمصطلح التفسير تعريفات كثيرة منها:

✽ - تعريف ابن جزى الكلبي ت 741هـ: شرح القرآن و بيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته

أو نجواه. 2160

✽ - تعريف أبي حيان الأندلسي ت 745هـ 2161: علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن

ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حال التركيب وتتمت ذلك. 2162

✽ - تعريف بدر الدين الزركشي ت 794هـ: علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله

عليه و سلم، و بيان معانيه واستخراج حكمه وأحكامه. 2163

2157 - انظر تمذيب اللغة ، الأزهرى 406/2، و لسان العرب ، ابن منظور 55/5.

2158 - الفرقان ، 33

2159 - انظر جامع البيان للطبري 12/19.

2160 - انظر التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي 6/1

2161 - محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الإمام أثير الدين الأندلسي الغرناطي، التفري، نحوي عصره ولغويّه ومفسره، ولد

بمطخشارس، مدينة من حاضرة غرناطة سنة 654 هـ، من تصانيفه البحر المحيط في التفسير، وغيره، توفي سنة 745 هـ، انظر: معجم

الشيوخ، تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ، تخريج: شمس الدين أبي عبد الله ابن سعد الصالحي الحنبلي، تحقيق: الدكتور بشار عواد

و رائد يوسف العنكي و مصطفى إسماعيل الأعظمي، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، 2004م. ص472

2162 - انظر البحر المحيط لأبي حيان 26/1.

2163 - انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي 13/1 ، و 2 ، 148 .

✽ - تعريف ابن عرفة المالكي ت 803هـ: العلم بمدلول القرآن وخاصية كيفية دلالاته و أسباب التزول

والناسخ و المنسوخ. 2164

- تعريف العلم لغة و اصطلاحاً:

- العلم في اللغة:

مصدر مرادف للفهم و المعرفة و الجزم و الإدراك ، وهو ضد الجهل.

- العلم في اصطلاحاً:

هو مجموعة المسائل المنضبطة بجهة واحدة في موضوعها أو غايتها ، و تختلف تفاصيل التعريف تبعاً

لاختلاف نواحي التخصصات على النحو التالي: 2165

✽ - تعريف العلم عند الفلاسفة: هو صورة الشيء الحاصلة في الذهن.

✽ - تعريف العلم عند المتكلمين: هو صفة يتجلى بها الأمر لمن قامت به.

✽ - تعريف العلم عند علماء الشريعة: هو العلم بالله تعالى وآياته وأفعاله في خلقه وأوامره و نواهيه 2166

قال تعالى: " بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ " 2167 ، وكما قال سبحانه: " يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ " 2168

- تعريف التفسير العلمي:

لقد تعددت تعاريف مصطلح التفسير العلمي و تفاوتت في حدودها و قيودها على الوجه التالي:

أ - هو تفسير الآيات تفسيراً علمياً وفق قواعد العلم الحديث، و بيان المضامين العلمية للآيات وفق مقررات

وتحليلات العلم الحديث 2169 ، و يؤخذ على التعريف بما يلي:

2164 - انظر تفسير ابن عرفة ، 59/1.

2165 - انظر الزرقاني ، مناهل العرفان ، 5/1.

2166 - انظر الغزالي ، إحياء علوم الدين ، 39/1.

2167 - العنكبوت ، 49

2168 - المجادلة ، 11

- ✽ - أن النصوص الشرعية هي الأصل في البيان فلا تفسر وفق مقررات العلم الحديث و تحليلاته.
- ✽ - أن فهم التحليلات و المقررات العلمية البشرية يقع وفق قواعد تفسير النصوص الشرعية.
- ✽ - لا بدّ من إضافة قيد " التجريبي " لدرء مفسدة سوء الفهم في قصر وصف " العلمي " على هذا النوع من التفسير دون غيره من الأنواع الأخرى كالتفسير الفقهي مثلاً.
- ب - هو التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارة القرآن و يجتهد في استخراج مختلف العلوم و الآراء الفلسفية منها 2170 ، و يؤخذ على التعريف بما يلي:
- ✽ - أن النصّ الشرعي هو القاعدة المحكّمة في تفسير نتائج العلم التجريبي و ليس العكس.
- ✽ - أن القضايا الفلسفية و المباحث الكلامية لا علاقة لها بالعلم التجريبي فلا تدخل قطعاً ضمن التفسير العلمي التجريبي.
- ت - هو تحكيم مصطلحات العلوم في فهم الآية ، و الربط بين الآيات الكريمة و مكتشفات العلوم التجريبية و الفلكية و الفلسفية 2171 ، و يؤخذ على التعريف ما يلي:
- ✽ - أن النصّ الشرعي هو القاعدة المحكّمة في تفسير نتائج العلم التجريبي و ليس العكس.
- ث - هو تفسير الآيات الكونية الواردة في القرآن على ضوء معطيات العلم الحديث 2172 ، و يؤخذ على التعريف بما يلي:
- ✽ - أن التفسير العلمي يقع وفق قواعد تفسير النصوص الشرعية مع ضرورة اعتبار قيد التفريق بين الفرضيات و النظريات و الحقائق و القطعيات.
- ج - هو اجتهاد المفسّر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية و مكتشفات العلم التجريبي، على وجه يظهر به إعجاز للقرآن 2173 ، و يؤخذ على التعريف ما يلي:

2169 - انظر تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ، ص 566 ، و له تفسير آخر النظر في الآيات ذات المضامين العلمية من الزاوية العلمية ، و تفسيرها تفسيراً علمياً ، وذلك بالاستعانة بالعلوم و المعارف و المكتشفات الحديثة في توسيع مدلولها و تقدير معناها. انظر البيان في إعجاز القرآن ، ص 267.

2170 - انظر التفسير معالم حياته و منهجه اليوم ، ص 19

2171 - انظر لحات من علوم القرآن ، لحمد لطفي الصباغ ، ص 203

2172 - انظر التفسير العلمي للقرآن ، عبد الله الأهدل ، ص 15

2173 - انظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، فهد الرومي ، 549/2.

✽ - التفسير العلمي لا يقتصر على وظيفة بيان الصلة بل يرقى إلى وضوح بيان حقيقة كمال التناسق بين المنظور و المسطور ، و كمال الائتلاف بين العقل و النقل.

ح - هو التفسير الذي يحاول فيه المفسر فهم عبارات القرآن، في ضوء ما أثبتته العلم، والكشف عن سر من أسرار إعجازه 2174 ، و يؤخذ على التعريف ما يلي:

✽ - أن نتائج العلم التجريبي هي الأفقر إلى البيان القرآني و ليس العكس.

خ - هو الكشف عن معاني الآيات أو الحديث، في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية 2175 ، و يؤخذ على التعريف ما يلي:

✽ - شمول الإعجاز القرآن و السنة بينما التحدي وقع بالنص القرآني على الخصوص دون غيره.

✽ - ضرورة التفريق بين الفرضيات والنظريات و الحقائق و القطعيات كقيد في صياغة التعريف.

و انطلاقا من هذا الاستقراء نقف على تعريف المصطلح بما يلي: هو تفسير النصوص الشرعية بقطعيات العلم التجريبي مع بيان وجه الإعجاز منها.

- العلاقة بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.

لقد اختلطت أنظار بعض المتخصصين فلم تميز بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي مما تولد عن ذلك سوء فهم ظاهر أفسد التعامل مع النصوص الشرعية ، و قصور بين في تناول مدلولات الآيات القرآنية ، و من هذا وجب التفريق بين المصطلحين فنقول: هل كل آية قرآنية تتضمن إشارة علمية تحمل بالضرورة إعجازاً علمياً ؟

إنَّ الحرص على بيان العلاقة الدقيقة بين مصطلحي التفسير العلمي والإعجاز العلمي يساهم بحظ وافر في درء مفسدة سوء فهم القرآن و عوار التعامل معه ، و عليه فإنَّ بين التفسير العلمي و الإعجاز العلمي عموم و خصوص فكلَّ إعجاز علمي يدرك من خلال التفسير العلمي ، وليس كل تفسير علمي يحمل إعجازاً علمياً ، و يظهر الفرق جلياً بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي بأمرين:

2174 - انظر التفسير العلمي للقرآن في الميزان ، أحمد أبو حجر ، ص 72.

2175 - انظر تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، عبد المجيد الزنداني وآخرين ، ص 33

✽ - الأول : أن توظيف قطيعات العلم التجريبي في بيان دلالات الآيات القرآنية هو عين التفسير العلمي ، وأن توظيف التفسير العلمي في إثبات القرآن وصدق النبوة هو الإعجاز العلمي ، و منه فإن التفسير العلمي وسيلة لبيان حقائق الإعجاز العلمي المفضية إلى بيان حقائق الوحي القرآني و هداية البشرية إلى طريق السعادة في المعاش و المعاد.

✽ - الثاني : أن صدق الرسالة الحمّدية لا يثبت عند بعض الجاحدين إلا بعد دلالة قوة التواطؤ بين معاني الحقائق العلمية التجريبية و نصوص الآيات القرآنية من خلال صورة الإعجاز الظاهرة منهما.

- **دوافع الإهتمام بموضوع الإعجاز العلمي** 2176

من هذه الدوافع ما يلي:

✽ - وجوب تدبر القرآن إذ هو مناط الخير كله قال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢١٧٦﴾ " 2177

✽ - بيان قوة رسالة القرآن في الدعوة الإسلامية و خلودها و تعتبر بحوث الإعجاز العلمي من أهم المداخل المعرفية في إظهار المعجزة القرآنية.

✽ - استنهاض مجالات التفكير العقلي الجاد و إثارة الإبداع العلمي لخدمة القرآن و نشر الإسلام.

✽ - بناء منظومة معرفية إيمانية متكاملة لصناعة الحضارة و عمارة الكون.

✽ - تعميق الحقائق الإيمانية في النفس البشرية ببناء صرح التفكير العلمي المؤسس للنهضة الحضارية.

✽ - تصحيح مسارات العلم التجريبي و تقويم الكشوفات العلمية بما يوافق الحقائق الشرعية - حول الكون و الحياة و الإنسان - و يخدم الشريعة الإسلامية.

✽ - الدفاع عن القرآن و حقائقه الإيمانية.

2176 - انظر الضوابط الشرعية للاكتشافات العلمية الحديثة و دلالاتها في القرآن الكريم ، راشد سعيد شهوان ، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية ، مجلد 3 ، العدد 2 ، ص 119 ، 2007
2177 - ص ، 29

- ضوابط التعامل مع مباحث الإعجاز العلمي التجريبي²¹⁷⁸

- ✱ - قوة النظر إلى مقصد الهداية القرآنية عند التعامل مع مسائل العلم التجريبي.
- ✱ - مجانية الإفراط و التفريط في تفسير مسائل العلم التجريبي.
- ✱ - سعة الإحاطة بوجوه الخطاب عند العرب.
- ✱ - الاقتصار على بحث الحقائق العلمية دون الفرضيات و النظريات ، فلا تفسّر النصوص القرآنية إلا باليقينيات العلمية.
- ✱ - ترك الجزم في الظنيات و التأويل في القطعيات في دلالات النصوص الشرعية.
- ✱ - درء شبهة التعارض بين الحقائق العلمية و النصوص القطعية.
- ✱ - الحرص على اتباع المنهج القرآني في التعامل مع المسائل العلمية.
- ✱ - ضرورة التفريق عند التفسير بين المعجزات النبوية و الاكتشافات العلمية.

- الإعجاز العلمي في ظلاله الديالي.

قال تعالى : " وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ^ط حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ^ع كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾" ²¹⁷⁹

- التوثيق القرآني: 2180

- مفردة " نشرا " : على معنى التفريق:

أ - قرأ نافع و أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ، و ابن محيصن بضمّ النون والشين ، 2181 و قد دلّ تصريف المفردة على المعاني التالية: 2182

2178 - مباحث في إعجاز القرآن ، مصطفى مسلم، ط 2 ، 1996 ، دار المسلم ، الرياض، ص 176 ، و علوم القرآن و إعجازه و تاريخ توثيقه ، عدنان محمد زرزور ، ط 1 ، 2005 ، دار الإعلام ، عمان الأردن، ص 411 ، و نظرات في التفسير العلمي للقرآن ، يوسف القرضاوي، ص 23

2179 - الأعراف ، 57

2180 - انظر المكرر ص 43 ، و الحجة لابن خالويه ، ص 157 ، و المختصب لابن جنبي، ج 1 ص 255 ، و البحر المحيط ج 4 ص 316 ، و جامع القرطبي ج 7 ص 229 ، و مفاتيح الرازي ج 14 ص 39 ، و زاد المسير ج 3 ص 218 ، و روح المعاني ج 8 ص 144 ، والكشاف ج 1 ص 551 ، و الدر المصون ج 3 ص 285

✽ - الأول : نشرا جمع نُشُور مثل رُسُل و رَسُول على وزن فعول بمعنى مفعول أي المنشور مثل لفظ الرُكُوب بمعنى اسم المفعول المركوب ، و عليه فالرياح منشورة أي متفرقة في الجهات ، و منه فالنشر يطلق على معنى التفريق مطلقا.

✽ - الثاني: نشرا جمع نُشُور على وزن فعول مثل رُسُل و رَسُول بمعنى فاعل أي ناشرة تنشر السحاب أي يتكوّن بها و يتفرّق 2183 ، و دلالة الجمع في المفردة يدلّ على فعلها قال أبو عبيد: "الريح النشور هي التي هبّت من كل جانب و تجمع السحابة الممطرة." 2184

ب - قرأ ابن عامر و زرّ بن حبيش و ابن وثاب و الأعمش بالنون المضمومة مع سكون الشين ، و هو تخفيف من المثقل مثل رُسُل و رَسُل. 2185

- مفردة " نشرا " : على معنى الإحياء.

أ - قرأ حمزة و الكسائي و خلف و الأعمش و مسروق بن الأجدع بفتح النون و سكون الشين 2186 ، و قد دلّ تصريف المفردة على المعاني التالية:

✽ - الأول: خلاف الطّيّ و لعلّه وصف للرياح 2187 ، و قد يكون النشر مصدرا يدلّ على الفاعل بمعنى إرسال الرياح ناشرة للسحاب من انتشار الغنم بالليل للرعي فشبه انتشار السحاب و شموله بانتشار الغنم ، 2188 و يؤكد هذا المعنى قراءة أبي رجاء العطاردي و إبراهيم النخعي بفتح النون و الشين. 2189

2181 - انظر السبعة ص 283 ، و الحجة لابن خالويه ، ص 157 ، و المختص لابن جني، ج 1 ص 255، و البحر الخيط ج 4 ص 316 ، و غرائب القرآن ج 8 ص 127، و مفاتيح الرازي ج 14 ص 39 ، و زاد المسير ج 3 ص 218، و روح المعاني ج 8 ص 144 ، و معاني الأخفش ج 2 ص 301.

2182 - انظر معاني القرآن للفراء ج 1 ص 381 ، و التحرير و التنوير، ابن عاشور ، ج 8 ص 179

2183 - انظر مكّي، الكشف ج 1 ص 465 ، و النحاس ، معاني القرآن ، ج 3 ، ص 44

2184 - جامع القرطبي ج 7 ص 229

2185 - انظر السبعة في القراءات، ابن مجاهد ص 283، و المكرر ص 43، و الحجة لابن خالويه ، ص 157 ، و المختص لابن جني، ج 1 ص 255، و البحر الخيط ج 4 ص 316، و جامع القرطبي ج 7 ص 229، و غرائب القرآن ج 8 ص 127، و مفاتيح الرازي ج 14 ص 39 ، و زاد المسير ج 3 ص 218، و روح المعاني ج 8 ص 144 .

2186 - ينظر الحجة في القراءات ، أبو زرعة ص 285 ، و النشر في القراءات العشر ج 2 ص 270.

2187 - انظر الحجة ج 4 ص 38

2188 - الحجة لابن زنجلة ص 285 ، و الدر المصون ج 5 ص 348

✽ - الثاني:2190 الرياح النافعة ، فالتشر يطلق على الرياح الطيبة اللينة التي تنشئ السحاب.

- مفردة " بشرا " بمعنى البشارة بالخير و البركة.2191

أ - قرأ عاصم وحده بضمّ الباء الموحدة و سكون الشين جمع بشير " لأنها تنتشر قبل المطر مباشرة به " 2192 ، وأصلها الضمّ و خفف بالتسكين ، وقرأ حسين المروزي عن حفص عن عاصم بضمّ الباء.

ب - قرأ السلمي و المازني عن عاصم بفتح الباء و إسكان الشين ، و هو مصدر بَشَرَ بالتخفيف.

ت - قرأ ابن السميع بشرى بضمّ الباء و إسكان الشين و ألف مقصورة 2193 مصدر على معنى

البشارة.2194

2189 - انظر السبعة ص 283 ، و الحجة لابن خالويه، ص 157 ، و الختسب لابن جني، ج1 ص 255، و البحر اخط ج4 ص 316، و جامع القرطبي ج7 ص229، و غرائب القرآن ج8 ص127، و مفاتيح الرازي ج 14 ص 39 ، و زاد المسير ج3 ص 218، و روح المعاني ج8 ص 144، والكشاف ج1 ص 551، و معاني الأخفش ج2 ص 301.

2190 - الفراء ، معاني القرآن، ج1 ص 381

2191 - انظر إرشاد العقل السليم ج3 ص 234 ، و التفسير الوجيز، وهبة الزحيلي ، ط2، 1996، دار الفكر ، دمشق، ص 158.

2192 - أضواء البيان ج2 ص 380 و يشهد لذلك قوله تعالى: " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْأَنْفُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣١﴾ " الروم 46 و المطر رحمته يشهد لذلك قوله تعالى: " و هو الذي يزل الغيث من بعد ما قنطوا و ينشر رحمته."

2193 - انظر السبعة ص 283 ، و المكرر ص43، و الحجة لابن خالويه ، ص 157 ، و الختسب لابن جني، ج1 ص 255 و كذلك قرأها عبد الله اليماني على معنى مبشّرات. انظر السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، تحقيق عبد الله بن عبد الحسن التركي، ط1، 2003، مركز هجر للبحوث و الدراسات العربية و الإسلامية، القاهرة، ج6 ص 331

2194 - انظر البحر اخط ج4 ص 316، و جامع القرطبي ج7 ص229، و غرائب القرآن ج8 ص127، و مفاتيح الرازي ج 14 ص 39 ، و الدر المصون ج3 ص 285

الرياح حركة الهواء و انتقاله بفعل اختلاف الضغوط الجوية على سطح الأرض ، 2196 و هي أمارات المطر تبخر الماء من البحار و المحيطات من خلال درجات حرارة الشمس متفاوتة ، فيتحصّل الفرق في الضغط الجوي ، و بهذا تهبّ الرياح و تحمل معها بخار الماء إلى الطبقات الجوية العليا الباردة فيتكوّن السحاب الذي يسوق ماء المطر وفق ظروف معينة. 2197

إنّ الأصل في تكوين السحب المختلفة الرياح ، و عليه فإنّ السحب إمّا أن تكون طبقة ناشئة أفقياً يكون الهواء الذي يحملها صاعداً إلى الأعلى ببطء ، أو ركامية عمودية تحملها الرياح صاعدة إلى الأعلى بسرعة 2198 قال تعالى: " اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَابِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٥١﴾ " 2199

2195 - و تدلّ وجوه لفظ الرياح في القرآن على المعاني التالية: 1 - الشدة قال تعالى: " يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِقَةً فَاتَّبِعُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتزَعَّزُوا فَنفَشِلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ - الأنفال، 45 - 2 - الريح بعينها إذا لم يكن بها عذاب قال تعالى: "هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتِ بِكُمْ بَرِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرَحْتُمْ بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُجِيتْنَا مِنْ هُنْدٍ لَآتِيَنَا مِنْ هُنْدٍ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٥٢﴾ فَلَمَّا أُجِيتُهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْبِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ - يونس، 22 - 3 - العذاب قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٣﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرَّتِ فَوَرَّطَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكْتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ - آل عمران، 116 - 4 - الرائحة قال تعالى: "وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعَيْرُ قَالَ أَبُوهُمَ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَعِّدُونِ" - يوسف، 94 - انظر إصلاح الوجوه و النظائر في القرآن، الدامغاني ، ص 214 ، 215 ، و معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية ، ط 2 ، 1988 ، ج 1 ص 519

2196 - انظر الجغرافية القرآنية برهان خارق على عظمة الخالق، فوزي حميد ، ط 1 ، 1993 ، دار الصفدي ، دمشق، ص 192

2197 - الكون و الإعجاز العلمي للقرآن 190.

2198 - مباحث في إعجاز القرآن ، مصطفى مسلم، ص 210

2199 - الروم ، 48

للرياح آثار متعددة بحسب أنواعها المتفاوتة :

أ - حدوث تغيرات متعددة للطقس يتجلى في حجب ضوء الشمس ، أو تلبّد السماء بكثرة السحب كما

ينتج عن حركة الرياح تنوع السحب وفق الشكل التالي: 2201

✽ - السحاب الركامي: يتكوّن من تراكم السحب بعضها فوق بعض بطبقات متعددة وكبيرة في اتجاه

رأسي ، و يتشكّل هذا النوع من السحاب في الأماكن المرتفعة من السماء التي تمتد إلى علو 20 كلم ، و

يظهر باللون الأسود و هو الوحيد الذي يتزل منه البرد 2202 يشهد له قوله تعالى: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ

يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ تَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ

وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٦﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ

﴿٤٦﴾ " 2203

✽ - السحاب الطبقي: و يتشكّل من اجتماع السحب بعضها مع بعض مشكلة طبقة أو طبقات مرتفعة في

جوّ السماء دون مرتبة السحاب الركامي ، و يظهر هذا النوع من السحاب باللون الأبيض الداكن قال

تعالى: " اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ تَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۗ

فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٧﴾ " 2204 ، و الاستبشار المذكور هنا يدلّ على عدم نزول

البرد من هذا النوع من السحاب.

✽ - السحاب الإعصاري: و يتكوّن نتيجة توضع كتلة هوائية - منخفض جوي - تحوي السحب المجتمعة

وسط كتل هوائية ذات ضغط جوي مرتفع حصل تيار هوائي من المحيط إلى المركز بفعل الجذب المتكوّن من

2200 - انظر الإعجاز العلمي في القرآن ، السيد الجميلي، ط 2 ، 1992 ، دار الهلال ، بيروت ، ص 47

2201 - انظر آيات طبيعية في القرآن ، كمال المويل ، ط 1 ، 1995 ، دار الكتب العربية، ص 37 ، و وجوه من الإعجاز القرآني،

مصطفى الدباغ، ط 1 ، 1982 ، الزرقاء، الأردن، ص 96

2202 - مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص 211

2203 - النور 43 ، 44

2204 - الروم ، 48

التباين بين المرتفعات و المنخفضات فيرفع هذا التيار السحاب إلى الأعلى فيتكثف بالبرودة ليترل مطرا كأنه يُعصر من السحاب قال تعالى: " و أنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا " 2205

ب - حدوث الأمطار المسببة للفيضانات أو الجفاف يشير إليه قوله تعالى : " وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٢٠٦﴾ " 2206

ت - حدوث الأمواج - فوق البحار و المحيطات - المؤدية إلى الهلاك قال تعالى: "هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَكُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحْتُمْ بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٠٧﴾ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأَيُّمُ النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْرِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٠٨﴾ " 2207 ، و لقد قسّمت الآية القرآنية الرياح إلى ثلاثة: 2208

✱ - الريح الطيبة و شاهدها قوله تعالى: " وَجَرِينَكُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ "

✱ - الريح العاصفة و شاهدها قوله تعالى: " جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ "

✱ - الريح القاصفة المدمرة و شاهدها قوله تعالى: " وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۗ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٢٠٩﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ تَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَاكِيلًا ﴿٢١٠﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ۗ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٢١١﴾ " 2209

2205 - النبأ ، الآية

2206 - الكهف ، 45

2207 - يونس ، 22 ، 23

2208 - الإعجاز في تقسيم الرياح البحرية ، صالح بن عبد الباقي السنباني، بحوث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن و السنة ، 2011، ص 147

2209 - الإسراء 67 إلى 69

ث - التأثير في حركة الغطاء النباتي سلبا بالهلاك و إيجابا بالتلقيح يشهد له قوله تعالى: " وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢١﴾ " 2210 ، و تعتبر الرياح من أهم آيات التلقيح و أدوات الإخصاب من خلال البيان التالي: 2211

✽ - تفسير ظاهر عام دلّ عليه المعنى المتبادر من ظاهر اللفظ ، و هو أنّ الرياح تنقل حبوب الطلع من المآبر إلى المياسم ليحصل التلقيح فيثمر الشجر ، و تقوم بهذه الوظيفة كذلك الحشرات.

✽ - تفسير علمي دلّت عليه حقائق العلم التجريبي بوجهين:

☞ - الوجه الأول: و هو أنّ السحاب نوعان أحدهما إيجابي التكهرب ، و الثاني سلبي التكهرب و يعتبر الرعد و البرق ناتج اجتماع الموجب و السلب الذي يؤدي إلى نزول المطر، و على هذا فإنّ الرياح هي أداة الاجتماع في كونها تسوق السحاب الموجب إلى السحاب السالب أو العكس ، لتتولد أمانة نزول المطر و هي البرق و الرعد.

☞ - الوجه الثاني: و هو أنّ تصطدم كتلة هوائية باردة بالسحب ليتكثف بخار الماء فيها فيترل مطرا ، أو أنّ تصطدم السحب بكتلة باردة من اليابسة كالجبال ليتكثف بخار الماء في السحب فيترل مطرا.

✽ - تفسير مجازي و هو أنّ الرياح ركن في التلقيح السحاب و عليه فهي أحد الوصفين اللذين تقوم عليها ظاهرة التلقيح.

ج - تعلق حركة الوجود الإنساني بحركة الوجود النباتي عند القدرة على اختزان الماء يشهد له قوله تعالى: "

وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢١﴾ " 2212 ، فيؤثر تنوع حركة

الوجود السكاني في منحى توزيع الحضارات الإنسانية نشأة و سقوطا ، وقوة و ضعفا يشير إليه قوله تعالى:

وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الْنُشُورُ ﴿٢١﴾ " 2213

2210 - الحجر ، 22

2211 - انظر آيات طبيعية في القرآن ، كمال المويل، ص 45

2212 - الحجر ، 22

2213 - فاطر ، 9

- فروق التنغيم القرآني في لفظ الريح:

لقد وقع التنغيم القرآني في لفظ الريح بين وجه الجمع والإفراد في أحد عشر موضعاً من القرآن الكريم

مبيناً في الجدول التالي:

الموضع	الآية	السورة، ورقم الآية	من قرأ بالإفراد
1	﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ﴾	البقرة 164	همزة والكسائي
2	﴿ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ ﴾	الأعراف 57	همزة والكسائي وابن كثير
3	﴿ أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيْحُ ﴾	إبراهيم 18	ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكوفيون
4	﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيْحَ لَوَاقِحَ ﴾	الحجر 22	همزة
5	﴿ تَذَرُوهُ الرِّيْحُ ﴾	الكهف 45	همزة والكسائي
6	﴿ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيْحَ ﴾	الفرقان 25	ابن كثير
7	﴿ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ ﴾	النمل 63	همزة والكسائي وابن كثير
8	﴿ يُرْسِلُ الرِّيْحَ فَتُثِيرُ ﴾	الروم 30	همزة والكسائي وابن كثير
9	﴿ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيْحَ ﴾	فاطر 9	همزة والكسائي وابن كثير
10	﴿ يُسْكِنِ الرِّيْحَ ﴾	الشورى 33	ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكوفيون
11	﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ﴾	الجاثية 5	همزة والكسائي

- توجيه التنغيم القرآني للفظ الريح جماً وإفصاحاً.

لقد اختلف العلماء في توجيه التنغيم القرآني للفظ الريح على ثلاثة أقوال:

❖ - القول الأول:

ذهب أصحابه إلى أن الريح إذا أفردت كانت للعذاب و إذا جمعت صرفت للرحمة ، 2214 و استدلوا بما روي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه كان إذا هاجت الريح قال: " اللهم اجعلها رياحاً ، ولا تجعلها ريحاً اللهم اجعلها رحمة ، ولا تجعلها عذاباً " ، أما قوله تعالى: " هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَحَرَبَ بِكُمْ بَرِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرَحْتُمْ بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُجِيتْنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢١٥﴾ " 2215 فتوجه بالتعليل التالي:

✎ - أفردت الريح موصوفة بالطيبة ففارقت بهذا الوصف صفة ريح العذاب و باينته بهذا القيد ، فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب. 2216.

✎ - أفردت الريح لاقتراها بلفظ الفلك ؛ لأن ريح إجراء السفن ذات اتجاه واحد ، و لا يقع المقصد من ركوبها إذا تعدد وجوه هبوبها.

✎ - أفردت الريح في المبنى و جمعت في المعنى للدلالة على معنى الجنس 2217 قال أبو علي الفارسي: " الأبين في قوله: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢١٨﴾ " 2218

بالجمع ، وذلك أن كل واحدة من هذه الرياح مثل الأخرى في دلالتها على الوحدانية ، وتسخيرها لينتفع الناس بها وتصريفها ، و إذا كان كذلك فالوجه أن يجمع لمساواة كل واحدة منها الأخرى فيما ذكرنا ، وقد يجوز في قول من وحد أن يريد به الجنس كما قالوا: أهلك الناس الدينار والدرهم. " 2219

✎ - القول الثاني:

2214 - حجة القراءات ، 119

2215 - يونس ، 22

2216 - المحرر الوجيز 233/1

2217 - البحر المحيط 641/1

2218 - البقرة ، 164

2219 - الحجة ، لأبي علي الفارسي ، 401/1

ذهب أصحابه إلى أن كلمة الريح لفظ عام يراد به الجنس فيطلق على معنى الرحمة أو العذاب ، ولما جاز أن تكون للجنس جاز أن ترد على الجمع مستغرقة له ، و أن يرد اسم الجمع على البعض و استدلوا بما يلي:

﴿ - قوله تعالى: " وَإِنَّكُمْ لَتَمُوتُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٧٧﴾ وَبِالْيَلِّ أَفْلا تَعْقُلُونَ ﴿١٧٨﴾ " 2220 ، فذكر

الليل مفردا و أراد جنس الليل. 2221.

﴿ - حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: " إنَّ الريح تخرج من روح الله تحيء بالرحمة و العذاب " ، فدلّ الحديث على أن الريح المفردة تعبّر عن الجنس المستغرق للرحمة والعذاب.

✽ - القول الثالث:

ذهب أصحابه إلى أن كلمة الرّيح إذا جمعت أفادت الرحمة اختصاصا ، و لهذا خصّت بالجمع في صيغة الدعاء ، و إذا أفردت أفادت الاشتراك بين معني الرحمة و العذاب 2222 ، و الأغلب في الإفراد للعذاب إلا ما استثنى بقراءة نافع في قوله تعالى: " مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أََعْمَلُهُمْ كَرَمًا إِشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٧٨﴾ " 2223

- الدلالة في المفهوم القرآني: 2224

لقد دلّ ورود لفظ الرياح في مجموع مواضعه القرآنية و بجميع مشتقاته على معنيين أحدهما الرحمة و ثانيهما العذاب، و المتدبّر للفروق الدلالية بين وجهي التباين القرآني يدرك اجتماع أنواع الرياح على وجه التدرّج الذي أشار إليه القرآن الكريم على النحو التالي: 2225

✽ - الرياح اللينة اللطيفة الحاملة للغيث ، و دلّ عليه لفظ النشر بمعنى الرياح الطيبة اللينة النافعة التي تنشئ السحاب 2226 ، و المقترنة عادة في سياق ورودها بألفاظ الإرسال لتشير إلى الدلالات التالية:

2220 - الصافات ، 137-138

2221 - الحجة ، لأبي علي الفارسي ، 402/1

2222 - الدر المصون ، 207/2

2223 - إبراهيم ، 18

2224 - انظر الجغرافية القرآنية برهان خارق على عظمة الخالق ، فوزي حميد، ص من 197 إلى 206

2225 - انظر الرياح و السحب و المياه و البحار، خالد فائق العبيدي ، ط 1 ، 2005 ، دار الكتب العلمية، بيروت، ص من 18 إلى

30 بتصرف، و الجغرافية القرآنية برهان خارق على عظمة الخالق، فوزي حميد، ص 197

﴿٢٢٧﴾ - تسخير المنافع قال تعالى: " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٢٧﴾ " 2227

﴿٢٢٨﴾ - البشارة بالخير و الامتنان به قال تعالى: " وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ^ط حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ^ع كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٢٨﴾ " ، و قال تعالى كذلك: " وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ^ع وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٢٢٨﴾ " 2228 ، و قال تعالى كذلك: " وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ^ع وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٢٢٨﴾ " 2229

﴿٢٢٩﴾ - التذكير بنعمة التوحيد قال تعالى: " أَمِّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ^ط أَلَيْسَ اللَّهُ بِتَعَالَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٢٩﴾ " 2230

﴿٢٣٠﴾ - الاعتبار بالمنظور ، و النظر بالمعقول قال تعالى: " إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ﴿٢٣٠﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ءآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ءآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٣٠﴾ " 2231

﴿٢٣١﴾ - بيان العلاقة بين وظائف الوجود الإنساني قال تعالى: " وَمِنْ ءآيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيْحَ مُبَشِّرَاتٍ لِّبُذْيِكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٣١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ^ط وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ فَتُثِيرُ

2226 - الفراء ، معاني القرآن ، ج 1 ص 381

2227 - البقرة ، 164

2228 - الأعراف ، 57

2229 - الفرقان ، 48

2230 - النمل ، 63

2231 - الجاثية ، 5

سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَيَرَى الْوَدْقَ سَخِرُجٌ مِّنْ جِلْبَلِهِ^ط فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٢٣٣﴾ " 2232، و وجه الحكمة من الجمع بين الإرسالين أن حياة الحضارة تقوم على أصليين:

– الأوّل ديني و هو حياة رسالة الوحي الرباني و لا يكون إلا بوسيلة الرسل.

– الثاني مادي و هو حياة الماء المسخر و لا يكون إلا بوسيلة الرياح.

✽ – الرياح المتوسطة: و هي أنواع:

﴿٢٣٣﴾ – رياح تسوق أسباب الخير قال تعالى: "وَالَّذَرِيَّتِ دَرُورًا ﴿٢٣٣﴾" أي الرياح التي تذرو قطرات المطر و حبات الرمل.

﴿٢٣٤﴾ – رياح تحمل منفعة محددة قال تعالى: "وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٣٤﴾" 2234

﴿٢٣٥﴾ – رياح تحمل مضرة معينة قال تعالى: "وَأَضْرَبَ لَهُم مِّثْلَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ^ط وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٢٣٥﴾" 2235

✽ – الرياح القوية: و هي التي تتضمن قوة تحمل بها الخير قال تعالى: "فَالْحَمَلَاتِ وَقَرًا ﴿٢٣٦﴾" أي التي تحمل السحب الثقيلة المحملة بالبركات و تلقيح الثمرات قال تعالى: "وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٣٧﴾" 2237 ، أو هلاك محقق قال تعالى: "مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ^ط وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٢٣٨﴾" 2238

✽ – الرياح العواصف: و هي الرياح القوية الهالكة ، و هي درجات متفاوتة:

2232 – الروم ، 48

2233 – الذاريات 1 ، 2233

2234 – الحجر ، 22

2235 – الكهف ، 45

2236 – الذاريات ، 2

2237 – الحجر ، 22

2238 – آل عمران ، 117

﴿٢٣٩﴾ - الرِّيحُ العاصِفُ: قال تعالى: "مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ ﴿٢٣٩﴾" ، و قال تعالى: "هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ المَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُجِيتْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٤٠﴾ فَلَمَّا أَجْتَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْتَغُونَ فِي الأَرْضِ بَغْيَ الحَقِّ يَتَأَيُّهُمُ النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيِكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٤٠﴾" 2240

﴿٢٤١﴾ - الرِّيحُ الحاصِبُ قال تعالى: "أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ البَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٢٤١﴾" ، و قال تعالى: "أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمَلُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿٢٤٢﴾" 2242

✽ - الرِّيحُ الأَعاصيرُ: و هي الرِّيحُ القويَّةُ الشديدة المدمرة ، و هي درجات متفاوتة:

﴿٢٤٣﴾ - الرِّيحُ القاصِفُ: قال تعالى: "أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٢٤٣﴾" 2243

﴿٢٤٤﴾ - الرِّيحُ العَقِيمُ: قال تعالى: "وَفِي عادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ ﴿٢٤٤﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرِّيمِ ﴿٢٤٤﴾" 2244

﴿٢٤٥﴾ - الإِعصارُ الناريُّ: قال تعالى: "أَبْودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الكِبْرُ وَهُوَ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤٥﴾" 2245

2239 - إبراهيم ، 18

2240 - يونس ، 22 ، 23

2241 - الإسراء ، 98

2242 - الملك ، 17

2243 - الإسراء ، 69

2244 - الذاريات ، 41 ، 42

2245 - البقرة ، 266

﴿ - الريح الصرصر: قال تعالى: " فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۗ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿٢٢٤٦﴾ " ، و قال تعالى: " إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿٢٢٤٧﴾ " 2247

- أنواع الرياح في علم الجغرافيا: 2248

الرياح أنواع كثيرة منها:

❖ - الرياح الدائمة: هي التي تهب بانتظام معظم العام متأثرة بالضغط الجوي الموزعة على الأرض حيث توجد عند الاستواء منطقة ساخنة من الهواء الصاعد يسمى بالمنخفض الجوي الاستوائي ، و عندما تتجه الرياح نحو القطبين تبرد و تنزل في مناطق العرض المدارية بين 15 - 35 درجة عرض فتشكل الضغط المرتفع المداري ، و تهب منها الرياح نحو المنطقة الاستوائية تسمى بالرياح التجارية أو الشرقية مسخرة لدفع السفن التجارية باتجاه الغرب و تتميز بانتظامها و دوامها.

❖ - الرياح العكسية " الغربية " التي تهب من المرتفع المداري باتجاه الدائرتين القطبيتين حيث يتمركز منخفض جوي ما بين 45 - 60 درجة عرض ، و تتميز بعدم استقرارها.

❖ - الرياح الشرقية: هي الرياح القادمة من القطبين حيث يتمركز المرتفع القطبي باتجاه الدائرتين القطبيتين ، و تتميز بشدة البرودة و الجفاف.

❖ - الرياح اليومية: " النسيم " تحدث بانتظام بسبب اختلاف الضغوط الجوية بين منطقتين متجاورتين غير متجانستين تنشأ أثناء النهار عند تسخين الهواء فوق اليابسة بسرعة أكبر مما هي عليه عند البحر فيختلف الضغط بين البر و البحر ، و تنتقل الرياح الخفيفة من البحر إلى اليابسة و تسمى نسيم البحر ، و تنعكس الظاهرة في الليل لتهب من اليابسة لأنها تبرد بسرعة أكبر من البحر فتنتقل الرياح من البر إلى البحر فتسمى نسيم البر.

2246 - فصلت ، 16

2247 - القمر ، 19

2248 - انظر الجغرافية القرآنية برهان خارق على عظمة الخالق ، فوزي حميد ، ص 193 ، 194 ، و انظر آيات طبيعية في القرآن

، كمال المويل ، ص 41

✽ - الرياح الدورية: " الموسمية " تنتج عن تجاور مساحات واسعة من المياه مع أخرى من اليابسة ، فيحدث اختلاف في توزيع الحرارة ليقع الاختلاف في الضغوط الجوية لتؤثر في حركة الرياح على أشكال منها أن تهب في النصف من البحر إلى اليابسة حاملة معها الرطوبة مسببة هطول الأمطار الغزيرة خلال موسم الشتاء الجاف .

- صورة الإعجاز اللغوي في الديال:

لقد تجلّت دلالة التغير القرائي بصورة الإعجاز في الرياح من خلال ما يلي:

أ- قراءة " نشرا " بمعنى التفريق على معاني متعددة منها:

✽ - التفريق للفاعل و يقع بصورتين:

☞ - الأولى: أن تكون الرياح سببا في تفريق السحاب على مواضع الأرض ، و منه فإنّ النشور بمعنى التفريق وصف للسحاب ، و شاهده قوله تعالى: "حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ" ليدل شاهد القرينة اللفظية مع الوجه الثاني للتغير القرائي " بشرا " و دليل الترابط قوله تعالى: " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤١﴾ " 2249 مبشرات قبل المطر لتقدمها عنه. 2250

☞ - الثانية: أن تكون الرياح بهبوبها سببا في جمع السحاب المتفرق ، فلفظ النشور بمعنى الرياح الطيبة اللينة النافعة التي تنشئ السحاب 2251 ، و هي التي تهب من كل ناحية. 2252

✽ - التفريق للمفعول و عليه فإنّ التفريق يقع على الرياح فيصبح وصفا لها ، و قد يجمع بين المعنيين فنقول إنّ التفريق وقع على الرياح بأمر الله تعالى ، ثم جعلها الله سبحانه مفرقة للسحاب .

2249 - الروم ، 46

2250 - ينظر جامع البيان ، 52/21-53 ، و زاد المسير 307/6 .

2251 - الفراء ، معاني القرآن ، ج 1 ص 381

2252 - تحقيق سورة الأنعام و الأعراف و الأنفال من تفسير أبي المظفر السمعاني ، طلال بن مصطفى عرقسوس ، رسالة دكتوراه ،

1986 ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ج 2 ص 280

ب - قراءة " بشرا " بمعنى البشارة و تشير إلى أنواع الرياح النافعة - بإذن الله تعالى - و إلى كمال صورة الرحمة الربانية بما يلي:

✽ - لفظ الإرسال و قد دلّ على المعاني التالية:

☞ - الإطلاق مع الإمهال " أرسل الشيء أطلقه و أمهله. "2253

☞ - الانبعاث بقيد الأناة و التؤدة.

☞ - التابع مع الاستمرار ، و جاؤوا إرسالا أي متتابعين ، و الرسل اللبن الكثير المتتابع 2254 ، و قد اجتمعت هذه المعاني على الإشارة بالبنان إلى تصوير سعة رحمة الله تعالى بعباده ، و شمولها لهم في مشاهد تعدد النعم ، و تنوعها و دوامها عليهم بالاستمرار.

✽ - دلالة التفشّي 2255 - في صوت حرف الشين في وجهي القراءتين " نشرا " و " بشرا " - على كمال

عموم الإرسال في الرياح ، و انتشار الإنزال ، و شمول الإخراج على وجه يفيد معنى التابع و الاستمرار

بوصف الثبات و اللزوم ، ليعت حرف الشين بتفشّي صوته المتتابع امتدادا قويا في المعاني ، و تصويرا موحيا

في رسم المشاهد الطبيعية مستوحى من عموم الرسالة الربانية يدلّ عليه لفظ السياق السابق و اللاحق من

الاستعمال القرآني في الجمع بين تسخير منافع تصريف الآيات المنظورة ، و مقاصد الهداية من تصريف الآيات

المسطورة قال تعالى: " وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ^ط حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ

فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ^ع كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ

نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ^ط وَالَّذِي حَبِثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا ^ع كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٢٨﴾ " و قال تعالى: "

وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ^ع وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٢٩﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُشْفِيَهُ ^د

2253 - لسان العرب ، 285/11.

2254 - المصدر نفسه ، 285/11.

2255 - و التفشي من من فشا يَفْشُو فُشُوًا وَفُشِيًا، فيقال: فشا خبْرُه أي: انتشر وذاع، و تَفَشَّى بِم المرض إذا عَمَّهم، والفواشي كل

شيء مُنْتَشِر. انظر لسان العرب: مادة " فشا " 15/155 ، و قال مكّي عن تفشي الشين: "سميت بذلك؛ لأنها تفتشت في مخرجها عند النطق

بها... ومعنى التفشي: هو كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق بها." انظر الرعاية لتجويد القراءة

وتحقيق لفظ التلاوة ، أبو محمد مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق أحمد حسن فرحات، ط 4 ، 2001م ، دار عمار، عمان ، ص 134. و

انظر كذلك الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري الحمد ، ط 3 ، 2009 ، دار عمار، عمان ، الأردن ، ص 272.

2256 - الأعراف ، 56 - 57

مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِيًّا كَثِيرًا ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥٣﴾ فَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٤﴾ " 2257 ، و قال تعالى: "أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٦﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْأَبْرَارِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٧﴾ أَمَّنْ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلَّ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٨﴾ " 2258 ، و يتأكد معنى الإرسال بالقرائن اللفظية التالية:

﴿٥٨﴾ - دلالة قراءة " بشرا " على معنى الخيرات و البركات ، فالبشارة إذا أطلقت أفادت الخير و إدخال السرور مطلقا ، والمبشرات الرياح التي تهبّ بالسحاب تبشر بالغيث ، 2259 و قد ثبت صريحا في القرآن بقوله تعالى: " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْأَنْهَارُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ " 2260 ليدلّ على بديع قدرته سبحانه ، و كمال صفاته و أسمائه ، و جميل آلائه و نعماءه ، فجعل في هبوب الرياح قرائن تشير إلى رحمته قبل نزولها على عباده تبشرهم . 2261.

﴿٥٨﴾ - دلالة لفظ " بين يديه " على تنابع الخير و عدم انقطاعه .

﴿٥٨﴾ - دلالة الالتفات على كمال الخير و ثباته و استمراره ، فقد التفت القرآن من المفرد إلى الجمع الدال على الشأن و العظمة لإبراز كمال رحمته سبحانه بالعباد ، و اختصاص ذلك به دون غيره من خلال العناية بالإنزال بعد ذكر الإرسال ، أي أنزلنا بعظمتنا بما رتبنا من إرسال الرياح من جهة الفوق ماء يقع به عموم الخير . 2262.

﴿٥٨﴾ - دلالة ورود التغيرات القرائني في سياق المثل القرآني على أنواع الرياح النافعة دون غيرها ، فقد ذكر الله تعالى في الآية إحياءين " أحدهما معتبر بالآخر مقيس عليه ، ثم ذكر قياسا آخر أنّ من الأرض ما يكون

2257 - الفرقان ، 48 إلى 52

2258 - النمل ، 63 إلى 64

2259 - انظر مقاييس اللغة " بشر " 252/1 ، و الصحاح " بشر " 590/2 ، و لسان العرب " بشر " 61/4-63.

2260 - الروم ، 46

2261 - ينظر جامع البيان 52/21-53 ، و الجامع لأحكام القرآن 229/7 ، و في ظلال القرآن 2774/5

2262 - انظر تفسير أبي السعود ، ج 6 ص 224 ، و روح المعاني ، ج 19 ص 30 .

أرضاً طيبة فإذا أنزلنا عليها الماء أخرجت نباتها ياذن ربها ، و منها ما يكون أرضاً خبيثة لا يخرج نباتها إلاّ
نكداً أي قليلاً غير منتفع به ، فهذه إذا أنزل عليها الماء لم تخرج ما أخرجت الأرض الطيبة " 2263 ، و عليه
فالقلب لا يحيا إلا بحياة الوحي كما أنّ الأرض لا تحيا إلا بالماء النافع.

❦ - دلالة المعنى المشترك بين وجهي التغاير القرآني فالله تعالى أرسل " الرياح لينا هبوا طيباً نسيما أمام
غيثه الذي يسوقه بها إلى خلقه فينشئ بها سحباً ثقلاً لإحياء بلد ميت قد تعفّت مزارعه ، و درست مشاربه ،
و أجذب أهله ، فأنزل به المطر و أخرج به من كل الثمرات. " 2264

2263 - التفسير القيم، ابن القيم الجوزية ، جمع محمد أويس الندوي ، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ص 278

2264 - جامع الطبري ، ج 12 ص 492

المقدمة

الخاتمة.

الحمد له تعالى كما ينبغي لجلال وجهه و عظيم سلطانه ، و الشاء عليه سبحانه على عظيم فضله و جميل ستره ، و الشكر له على ما يسّر لنا من تدبر آيات كتابه ، و البحث في أسرار تغاير قراءات قرآنه .
لقد شرف الله تعالى اللسان العربي فجعله لغة وحيه فحتم بالقرآن الكريم الكتب المتزلة ، ولغة الرسول صلى الله عليه و سلم فحتم به الأنبياء و المرسلين ، و من هذا أحسب أنّ البحث قد شرف - إن شاء الله تعالى - باللسان العربي على العموم ، و بلغة القرآن الكريم على الخصوص .

لقد عشت في رحاب البحث و الدراسة أعواما عرفت فيها أوقاتا طيبة كان العطاء فيها يافعا مثمرا ، و هذه نعمة ربّانية لا أحصي الشاء عليها ، فكم تأملت آيات التغاير القرائي فتدبّرت معانيها فيحير عقلي في كماله و جلاله سبحانه ، و في جمال كلامه جلّ جلاله ، فما أجد إلا عبرتي و قد ذرفت ، أو قشعريرة بجسمي قد ألمت ، أو بشعور يستحي معه العبد على معصيته ، فهذا حديث عن نعمه فله الفضل و المنّة وحده " و أمّا بنعمة ربّك فحدّث ."

البحث دراسة علمية من باين اثنين أولهما للقسم النظري و فيه أربعة فصول دققنا فيه المسائل العلمية المتعلقة بموضوع القراءات القرآنية و الأحرف السبعة و مباحث الإعجاز من حيث مسائله و ضوابطه و مقاصده و ردّ ضلالات القوم عنه ، أمّا ثانيهما فقد خصّصناه للقسم التطبيقي فوقفنا على صور الإعجاز القرآني و أنواعه مؤّظفين مختلف العلوم النقلية و العقلية حسب القدرة البشرية ففي محور:

أ - المسائل الكبرى .

إنّ المقصد من البحث الإعجازي في باب التغاير القرائي :

✽ - بيان عظمة القرآن العظيم و قراءاته القرآنية ، و الأعظم فيه أنّ تعدّد وجوه قراءاته و اختلافها دون تعارض أو تناقض هو من أبين الأدلّة و أوضحها على آتّه وحي الله تعالى المعصوم ، و طريقه المستقيم المعلوم ، و من جلال عظمته دلالة كلّ وجه من وجوه التغاير القرائي فيه تواتر أو شدّ على معجزة في نفسه ، و آية باهرة في غيره تدلّ على إعجاز القرآن الكريم .

✽ - إذا كان نقد آيات الكون المنظور فوق متناول العقول مع أنه لم يقيم بها التحدي، و لا كانت معجزة دالة على صحّة الرسالة الربّانية ، فإنّ نقد آيات القرآن المسطور فوق مدارك العقول و تصوراتها لأنّها المعجزة العظمى الوحيدة التي تحدّى الله تعالى بها الثقلين لتدلّ على نور الهداية الربّانية ، و صدق الدعوة الحمّدية ، و صحّة الرسالة الإلهية ، و عصمة الشريعة الإسلامية.

✽ - مثلاً التغيرات القرائي في القرآن الكريم مع مقاصد الهداية الربّانية كمثل ثمر أينعت أشجاره ، و كثرت أنواعه ، و تعدّدت أحجامه ، و تباينت ألوانه ، و اختلفت أذواقه ، لكنه سقي بماء واحد فراتا " .. و في الأرض قطع متجاورات و جنات من أعناب و زرع و نخيل صنوان و غير صنوان تسقى بماء واحد و نفضل بعضها على بعض في الأكل إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون " ²²⁶⁵ ، فالقرآن و إن تعدّدت وجوه قراءاته و تغيّرت فإنّها تشير ببنان إعجازها إلى عصمة الكلام الإلهي ، و عظمة الشرع الربّاني ، و علو منزلة الرسول صلى الله عليه و سلّم ، و رقي الوظيفة الإنسانية في أكناف الكون المفتوح قال الله تعالى: " أفلا يتدبّرون القرآن و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا. " ²²⁶⁶

✽ - القراءات القرآنية ثروة لغوية عظيمة ، تعتبر على الراجح من الأقوال بعد التحقيق أصل التقييد النحوي ، و أساس الاحتجاج اللغوي ، و مسلك الاستنباط الفقهي ، و وعاء الأداء الصوتي للقبائل العربية ، و على هذا لا يجوز إهمالها بحال ، أو إسقاط ما دلّت عليه من معنى ، أو تقديم - ما لم يدلّ عليه القطع من النقل - عليها بدعوى مخالفة الأفصح أو الأشهر أو الغالب المستعمل ، فكلّ هذه المسوغات ساقطة عند قدم القاعدة المحكّمة: " القراءة سنّة متّبعة. "

✽ - على الباحث في باب دلالات وجوه التغيرات القرائي أن يتفقّد مفردات التغيرات في سياق الكلام ليثبت ما هو أحقّ بالتوجيه و التعليل ، و ما أشكل من المعاني و أغلق من المباني ، و من ثمّ يتنبّه إلى أنّ وضع الألفاظ في غير مواضعها ، أو استبدالها بغيرها ثمّ يذهب رونق الفصاحة ، و يفسد طلاوة البلاغة ، و يقبّح المعاني و الدلالات.

2265 - الرعد ، 4

2266 - النساء ، 82

✽ - اختلاف القراءات القرآنية مصدر أصيل في تفسير القرآن بالقرآن لأن التعدد في القراءات يتزلّ منزلة تعدد الآيات ، و قد يزيد التعدد بالتغاير التفسير اتساعا في اللطائف العلمية و الأسرار المعرفية من خلال الوقوف على المعاني الإضافية ، و مستتبعات التراكيب اللغوية.

✽ - توجيه التغاير القرآني وظيفة علمية عظمى ، و الوقوف على علله منزلة اجتهادية كبرى ، اجتمعت لتحقيقه علوم الغاية و الآلة ، و معارف الرواية و الدراية لتكون دلائل على المعاني القرآنية ، و المقاصد الربانية ، و الأحكام الشرعية ، و عليه فكلّ من لم يتبين له معنى المفردات القرآنية فقد أغلق عليه باب التدبّر ، و أشكل عليه فهم الكلام ، و خفي عنه نظم الآيات و السور ، و اوصدت دونه أبواب العلم بالتفسير ، و اجتثت منه أذواق الوقوف على إعجاز القرآن الكريم و كان كلامه في معاني القرآن إفرادا و نظما و تغايرا بغير علم و لا كتاب منير أخ الشرك الشنيع ، و منكرا من القول و زورا قال الله تعالى: " قل إنّما حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها و ما بطن و الإثمّ و البغي بغير الحقّ و أن تشركوا بالله ما لم يتزلّ به سلطانا و أن تقولوا على الله ما لا تعلمون.." ²²⁶⁷

✽ - البحث الإعجازي باب من أبواب التفسير و عليه فأعظم النقول على الله تعالى أن يُحمّل كلامه سبحانه و تعالى على مقرّرات عقلية سابقة ، أو أن يُحاكّم إلى تجارب بشرية ناقصة ، أو أن يُفسّر بأذواق روحية منكّرة فهذا و ذاك من أشنع الإلحاد في كتابه سبحانه و تعالى: " إنّ الذين يُلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة .." ²²⁶⁸ ، و الإلحاد وضع الكلام على غير موضعه كما قال ابن عباس رضي الله عنهما. ²²⁶⁹

✽ - اختلاف القراءات القرآنية ضرورة شرعية ترتّب عنها تشريع رخصة الأحرف السبعة، و عليه فإنّ كلّ القراءات وحي من الله تعالى استوت في التزول ، فما ثبت له وصف القرآنية فالواجب فيه حكما و أدبا الإعمال ، و حرمة التفاضل بين أفرادها بالإهمال ، أمّا ما انتفى عنه وصف القرآنية فكان من الشاذ فيستدلّ به عند الاستنباط الفقهي ، و الاحتجاج اللغوي على الصحيح من مذاهب العلماء توسيعا للدلالات

²²⁶⁷ - الأعراف ، 33

²²⁶⁸ - فصلت ، 40

²²⁶⁹ - تفسير الطبري ، 24 ، 123

القرآنية أخذاً بمذهب الشجاعة العربية ، و بياناً لطرائق البلاغة القرآنية ، و توضيحاً لمواقع صور الإعجاز القرآني.

✽ - اختلاف القراءات القرآنية معجزة عظيمة من معجزات الله تبارك وتعالى و يتجلّى إعجاز المعجزة الباهرة في كمال التوافق بين وجوه القراءات المختلفة في المعاني و الدلالات ، و في المعارف و اللطائف ، و في الأحكام و الاستنباطات توافقا معجزا تساقط عند عتبة عظمتة التناقضات تترى ، و تندحر منتحرة عند باب عصمته الاعتراضات فتخبب صفرا ، كالعبد كلّ على مولاه أينما يوجّهه لا يأتيه بخير.

ب - القراءات القرآنية.

✽ - تتجلّى أهمية القراءات القرآنية في أنّها:

- من أجلّ العلوم الشرعية و أسماها قدراً لارتباطها بالقرآن الكريم.
- لها نصيب في صحّة الفهم لتعلقها بزول القرآن في سياق رخصة الأحرف السبعة.
- نعمة فضلى ، و منقبة عظمتى للنبي صلى الله عليه وسلّم و أمته لعلّة الاختصاص.
- محلّ اعتناء الصحابة رضي الله عنهم من جهة ضبطها ، و إتقان طرق أدائها منذ نزول الوحي ، فكانوا و من بعدهم مفاتيح الحفظ من التبديل و التحريف قال تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" ²²⁷⁰
- من مشكاة فضل القرآن العظيم ، لأنها وقوف على تفاصيل الأداء القرآني ، و تلخيص الفضيلة في وجهين: أحدهما أنّها حوت علوما جليلة ، كعلم الرسم و الضبط ، و علم توجيه القراءات و الاحتجاج لها ، و علم الفواصل... و ثانيهما أنّه أصل يعتمد عليه في تفسير القرآن و استنباط صور إعجازه و في النحو و الصرف و اللغة ، و في استنباط الأحكام.

✽ - تتجلّى مقاصد الاستدلال بالقراءات القرآنية في أنّها:

- مصدر لاستنباط الأحكام.
- بيان للإهام و الإجمال و الإشكال.
- معضّدة لدلالة السياق القرآني.
- بيان لسبب النزول.

- تصحيح للفهم ، ودفع للوهم.

- مكملّة لدلالة النصّ القرآني:

- مبيّنة لعقيدة صحيحة.

✽ - القراءات القرآنية المعتبرة هي التي جمعت الشروط التالية:

- موافقة قواعد اللغة العربية ولو بوجه.

- موافقة رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً .

- صحة السند ، و قد استفاد البحث من كلّ قراءة قرآنية متواترة أو شاذة ليس باعتبارها قرآناً يتلى و

يتعبّد به ، بل باعتبارها خبراً مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه و سلم.

ت - الأحرف السبعة.

✽ - الأحرف السبعة رخصة شرعية ثابتة فلا يجوز الأخذ ببعضها ، و النهي عن البعض الآخر إذ ليس

بعضه أولى و أرجح من بعض.

✽ - الحكمة من رخصة الأحرف السبعة التيسير و رفع الحرج ، و هو مقصد متعيّن من يوم التشريع إلى

قيام الساعة لعدم ثبوت النسخ ، فلا يجوز التقوّل بسقوط بعض أفرادها دون دليل معتبر.

✽ - المصاحف العثمانية نسخة صحيحة عن الجمع الثاني للقرآن على عهد الخليفة أبي بكر الصديق ، و قد

كانت مشتملة على الأحرف السبعة ، و الجمع الثاني الأصل فيه العرضة الأخيرة للرّسول صلّى الله عليه و

سلم.

ث - البحث الإعجازي:

✽ - الإعجاز القرآني حقيقة ربانية كبرى أظهرت ارتقاء بلاغة القرآن الكريم إلى حدّ خرج عن طوق

الثقلين فأعجزهم ، و فضح عوار ضعف قدرتهم فثبّطهم ، و ألجأهم إلى لزوم القصور بعد أن رفع لواء

التحدي إلى قيام ساعتهم.

✽ - إذا أطلق لفظ الإعجاز فقد أريد به كمال ضعف المتحدّي و تمام قصوره عن المعارضة ، و الأصل في

الضعيف العاجز التأخّر و في القاصر القعود و التثييط ، فاجتمعت هذه المعاني على موت العزائم و شلل المهمم.

✽ - من القضايا البديهية و الأحكام المسلّمة في الإسلام أنّ الله تعالى ما أنزل القرآن الكريم على رسوله صلى الله عليه و سلّم إلاّ هداية الثقلين لصالح المعاش و خير المعاد قال تعالى: " ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين " ²²⁷¹ ، لهذا فالبحت في الإعجاز القرآني ما كان إلاّ لبيان ربانية القرآن ، و انحصار كمال الهداية فيه ، فما العناية بوجوه إعجازه إلاّ لكونه المعجزة الكبرى للنبي صلى الله عليه و سلّم ، المعجزة الباقية التي وقع بها تحدّي الثقلين ، و عليه فإنّ إعجاز القرآن من تحدّاهم ليس هو الغاية في نفسه ، بل المقصود لازم الإعجاز و مآله ، وهو إظهار ربّانية القرآن الكريم ، وإثبات أحقيّة الكتاب بالحقّ المطلق دون غيره في الهداية إلى صلاح المعاش و فلاح المعاد ، ومقتضى ذلك كلّ إثبات صدق الرسالة المحمدية ، و منه لما تعلق العمل بالقرآن على بيان إعجازه فإنّه " يجب على أهل دين الله كشفه ، وأولى ما يلزم بجنه ، ما كان لأصل دينهم قواماً ، ولقاعدة توحيدهم عماداً ونظاماً ، وعلى صدق نبينهم صلى الله عليه وسلم برهاناً ، و لمعجزته ثبناً و حجّة ، لا سيما و الجهل ممدود الرواق ، شديد النفاق ، مستول على الآفاق ، والعلم إلى عفاء و دروس. "

2272

✽ - إنّ أخطر ما واجه التراث الإسلامي شراسة القول بضلالة الصرفة في القرآن الكريم إذ المقصد من ذلك:

- هدم أعظم أركان القرآن التي تدلّ على ربانيّته و ثمّ على صدق رسالة رسوله و عصمة شريعته.
- إبطال أعظم وسيلة - التحديّ القرآني - توصل إلى بيان المقاصد السابقة.
- لقد تنوّعت طرائق البحث في الإعجاز بناءً على تعدّد اتجاهات العلماء ، فقد استفاد البحث من مسالك اللغويين في الاحتجاج من حيث دلالة الأصوات على المعاني ، و موازين التصريف في معرفة المفردات ، و قواعد النحو في بيان النظم و التركيب ، و النظر في مؤسّسات بلاغة المعاني و فصاحة المباني و حسن جمال الكلام و بديعه ، و استعان البحث كذلك من مناهج الأصوليين في الاستنباط فوظف قواعد فهم النصوص و بيانها ، و أصول الاستنباط و مناهج الاجتهاد ، كما عرّج على طرق المفسرين في البيان فوقف عند تنوّع البيان و تعدّد الاستنباط ، و أثر مدارسهم في إثراء التراث التفسيري و أخذ من أدوات علماء العقيدة في

²²⁷¹ - البقرة 1 ، 2

2272 - إعجاز القرآن للباقلاني ، ص 22 ، 23

الاستقصاء و الاستقراء و الاستدلال كما اسفاد من تجارب أهل العلوم و المعارف حسب موضوع البحث و نوع الإعجاز.

ج - أنواع الإعجاز في القرآن.

✽ - الإعجاز الصوتي و النحوي.

- دلالة الأصوات العربية على المعاني الإعجازية من خلال قاعدتين:

- إعمال الإبدال بين وجوه التغير القرائي على مستوى الحروف و الحركات.

- إعمال التنعيم بمستوياته للتفريق بين معاني التراكيب و الأساليب.

- دلالة القواعد النحوية على المعاني الإعجازية من خلال ما يلي:

- تأصيل مفهوم الزمن و بيان أهميته في القرآن الكريم.

- تفسير الظاهرة الزمنية في القرآن الكريم.

- بيان الإعجاز النحوي بين الزمن الفيزيائي والوظيفة الدلالية القرآنية بإعمال أسلوب العدول و التحوّل بين الأفعال في القرآن.

- لقد وقف البحث على وثيقة الارتباط ودقّة العلاقة بين القراءات القرآنية و قواعد النحو العربي ، و يتجلّى هذا بوضوح عند الوقوف على حقيقة أنّ النحاة الأوّل الذين نشأ النحو على أيديهم كانوا قرّاء مثل أبي عمرو بن العلاء و عيسى بن عمر الثقفي و الكسائي ، ولعلّ اهتمامهم بالبحث التعليلي للتغير القرائي بأدوات النحو العربي مكنّ من العلاقة الدلالية ، و أسّس قواعد الفهم الصحيح للقرآن الكريم و تبتّها ، و محق وجوه اللحن و درسها.

✽ - الإعجاز التشريعي و المقاصدي:

- سموّ التشريعات القرآنية و شمولها و كمالها إلى الحدّ الذي تعجز عنه كل القوانين البشرية.

- عجز المشرّعين محاكاة التشريع القرآني ، و إدراكهم كلّ ما فيه من أسرار تشريعية.

- شمول أحكام التشريع الإسلاميّ الزمان و المكان و الإنسان ليحصل معه كمال الهداية بصلاح الدنيا و

الآخرة قال تعالى: " إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم."

- العلم بمحقائق الوحي بعد إدراك الفرق الجلي بالموازنة بين مطلق الكمال في التشريع الرباني ، و كمال النقصان في التقنين البشري

- عجز عن تحدي كمال التشريع الإسلامي ، يدلّ عليه القعود عن محاكاة أحكامه

إنّ الإنسان ليعجب أمام التشريع القرآني ، حيث تتجلى الدقة العجيبة في التعبير التشريعي، و يربط التشريع بالوجدان الديني ربطاً لطيف المدخل عجيب الإيحاء دون الإخلال بتراطبات النص...، إنّ القرآن الكريم دستور تشريعي كامل سيظلّ إعجازه التشريعي يقيم الحياة الإنسانية على أفضل صورة و أرقى مثال.

و اقتصر البحث في الإعجاز التشريعي و المقاصدي على بيان مسألة الوضوء في باب العبادات ، و الجماع زمن الحيض في باب العلاقات الزوجية.

- علاقة الإعجاز التشريعي بالإعجاز الطبّي و اقتصر البحث على:

- الإعجاز الطبّي في العلاقات الزوجية و مثل له الباحث بالجماع زمن الحيض فوقف على:

- الطب الوقائي الإسلامي بحقيقتين:

الأولى: ضرورة التنبّه إلى مفاصد الأذى و مقاصد الوقاية.

الثانية: ضرورة تنفيذ إجراءات الوقاية على سبيل الجزم بدلالة الأمر باعتزال الجماع زمن الحيض.

- الطب العلاجي الإسلامي بحقيقتين:

الأولى: دلالة طهارة الجسد على طهارة مقصد النكاح.

الثانية: دلالة الطهارة من الحيض على كمال الطهارة الحسية.

- الإعجاز المقاصدي في حفظ مقصد الدين و مثل له الباحث بدلالة القصص في تجسيد التوحيد و دفع مفسدة الشرك.

- الإعجاز المقاصدي من خلال و بيان قاعدة الدين في الاحتياط بالتشديد في حفظ مقصد العرض.

- الإعجاز المقاصدي و حفظ مقصد العقل من خلال:

- الوقوف على علل التشريع و أسبابه.

- إعمال أصل النظر في المصالح و المفاصد و الموازنة بينهما.

- توظيف قاعدة القياس بالنظر في المآلات.

- بيان مفاصد الفعل المحرّم و عقوباته المغلظة.

✽ - الإعجاز البلاغي.

- لم تقتصر على البحث في إعجاز النظم القرآني و بلاغته على مفهوم النظم عند الجرجاني بل استصحبناه في الدراسة لبيان العلاقة بينه و بين التراكيب النحوية و أهمية البحث فيهما للوصول إلى بلاغة القرآن المعجزة ، ثمّ وسعنا النظر فربطنا بين التراكيب القرآنية و دلالة المناسبة في المفردات و الآيات و السور و صور بيان المعاني و المباني لنجمع بين الإعجاز بالنظم كما قال الجرجاني و بالفصاحة كما قال الخفاجي فنوظف منهج أبي حيان الأندلسي " فمن توغل في أساليب الفصاحة و أفانينها ، و توغل في معارف الآداب و قوانينها ، أدرك بالوجدان أن القرآن في غاية من الفصاحة لا يوصل إليها ، و نهاية من البلاغة لا يحام عليها." 2273

✽ - الإعجاز العقائدي.

و البحث فيه للدلالة على قوّة العقيدة في القلوب من خلال نموذجين:

- خلق عيسى عليه السلام فوظفنا أحداث القصص فيها لبيان مشاهد الإعجاز القرآني في تصوير معجزة خلق عيسى عليه السلام.

- البعث و النشور فوظفنا أحداث قصة إبراهيم عليه السلام مع الطيور لنستجلي مشاهد إعجاز القرآني في تصوير إعجاز القدرة الإلهية على خرق المعهود.

✽ - الإعجاز النفسي و التربوي.

- دلالة الإعجاز النفسي على تحليل المشاعر الإنسانية و مثلنا له بنفسية الاستكبار عند الطغاة من خلال شخصية فرعون المستبد.

- دلالة الإعجاز التربوي على علل الأمراض التربوية و أسباب سوء الأخلاق الإنسانية ، و مثلنا له بال نفسية المتكبرة المتجبّرة.

✽ - إعجاز الرسم القرآني و التصوير الفني من خلال:

- الوقوف على قواعد الرسم لفهم العلاقة بين الكون المنظور و الكتاب المسطور فتدرك عظمة المتكلم سبحانه ، و منزلة كلامه تعالى ، و جمال أسرار الوحي ، و كمال أحكام التشريع ، و جلال منهج رب العالمين.

- الوقوف على حقائق التصوير الفني في القرآن في:

- عالم الشهادة بتصوير مشاهد القصص الإنساني و رسم لوحات الصراع بين الحقّ و الباطل.

- في عالم الغيب بتجسيد مظاهر الأنفس في مشاعرها و حقائق مواقفها و بيان مشاهد نعيمها و عذابها.

✽ - الإعجاز العلمي.

فأوضحنا الفروق بين الإعجاز العلمي و التفسير العلمي ، ثمّ قعدنا ضوابط البحث الإعجازي في العلوم المادية للوقوف على حقيقة كمال التوافق بين خلقه سبحانه و أمره ، ثمّ مثلنا بحركة الرياح لنفسر الظاهرة و نبين فروق مكوناتها و مختلف آثارها لنقف على صورة الإعجاز فيها

و في الختام فإنّ من الحكمة أن يعرف المرء قدر نفسه ، فما قدّمته لا يعدو أن يكون جهد المقل ، ويأبى الله إلا أن يكون الكمال لكتابه العظيم ، و العصمة لرسوله الكريم صلّى الله عليه و سلّم ، فحسبي أنّي بذلت ما و سعته طاقتي ، و أحاط به اجتهادي ، فإن كانت في صواب فالحمد لله تعالى وحده ، وإن كانت دون ذلك فحسبي الوقوف مع كتاب ربي متدبّراً ، و مع صور إعجاز القرآن متأمّلاً ، و قد أبلغ العماد الأصفهاني حين قال: " إني رأيت أنه لا يكتب انسان كتاباً في يومه إلا قال في غده : لو غيّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد هذا لكان يُستحسن ، ولو قدّم هذا لكان أفضل ولو تُرك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر. "

الفهارس العامة.

فهرست الآيات القرآنية.

فهرست الأحاديث النبوية.

فهرست الآثار.

فهرست الأسماء.

فهرس المصطلح و المراجع

فهرست الآيات القرآنية.

- ﴿ وما يضلّ به إلاّ الفاسقين ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ ولكم في الأرض مستقر ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ فتلقّى آدم من ربّه كلمات ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ بلاء من ربّكم عظيم ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ أدخلوا الباب سجّداً وقولوا حطّة نغفر لكم خطاياكم ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ فانفجرت من اثنتا عشرة عينا ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ صفراء فاقع لونها ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ أيّاما معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ وأن تصوموا خير لكم ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ واكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ ومن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ الحجّ أشهر معلومات فمن فرض فيهنّ الحجّ ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ ثمّ أفيضوا من حيث أفاض الناس ... ﴾ سورة البقرة

- ﴿ فاعتزلوا النساء في الحيض .. ﴾ سورة البقرة
- ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجاً ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ سورة البقرة
- ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ سورة البقرة
- ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ ولا يؤوده حفظهما ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ وإذا قال إبراهيم ربّ أريني كيف تحي الموتى ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ ولا تكتموا الشهادة، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ... ﴾ سورة البقرة
- ﴿ منه آيات محكمات ... ﴾ سورة آل عمران
- ﴿ وأخر متشابهات ﴾ سورة آل عمران
- ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ... ﴾ سورة آل عمران
- ﴿ والراسخون في العلم ... ﴾ سورة آل عمران
- ﴿ يقولون آمنا به ... ﴾ سورة آل عمران
- ﴿ ويرى الأكمه ... ﴾ سورة آل عمران
- ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً ... ﴾ سورة آل عمران
- ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ... ﴾ سورة آل عمران

- ﴿ والرّسول يدعوكم في أخراكم ... ﴾ سورة آل عمران
- ﴿ لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا ... ﴾ سورة آل عمران
- ﴿ سنكتب ما قالوا و قتلهم ... ﴾ سورة آل عمران
- ﴿ وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ... ﴾ سورة آل عمران
- ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمّدوا ... ﴾ سورة آل عمران
- ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ... ﴾ سورة النساء
- ﴿ وإن خفتن ألا تقسطوا في اليتامى ... ﴾ سورة النساء
- ﴿ مثنى وثلاث ورباع ... ﴾ سورة النساء
- ﴿ ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون ... ﴾ سورة النساء
- ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرّة ... ﴾ سورة النساء
- ﴿ يودّ الذين كفروا ... ﴾ سورة النساء
- ﴿ ولا يكتُمون الله حديثا ... ﴾ سورة النساء
- ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم ... ﴾ سورة النساء
- ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ... ﴾ سورة النساء
- ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمّدا ... ﴾ سورة النساء
- ﴿ ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا ... ﴾ سورة النساء
- ﴿ وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح ... ﴾ سورة النساء
- ﴿ ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى ... ﴾ سورة النساء
- ﴿ إنّنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس ... ﴾ سورة النساء
- ﴿ ويستفتونك في النساء ... ﴾ سورة النساء
- ﴿ إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار ... ﴾ سورة النساء
- ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ... ﴾ سورة النساء
- ﴿ وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم ... ﴾ سورة المائدة

- ﴿وامسحوا برؤوسكم...﴾ سورة المائدة
- ﴿وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى...﴾ سورة المائدة
- ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما...﴾ سورة المائدة
- ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم...﴾ سورة المائدة
- ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس...﴾ سورة المائدة
- ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام...﴾ سورة المائدة
- ﴿ربنا ما كنا مشركين...﴾ سورة الأنعام
- ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم...﴾ سورة الأنعام
- ﴿ومن ذريته داود وسليمان...﴾ سورة الأنعام
- ﴿إذ الظالمون في غمرات الموت...﴾ سورة الأنعام
- ﴿يا معشر الجن والإنس ألم ياتكم رسل منكم...﴾ سورة الأنعام
- ﴿ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق...﴾ سورة الأنعام
- ﴿حرث حجر...﴾ سورة الأنعام
- ﴿قل لا أجد فيما أوحى إلي محرما على طاعم...﴾ سورة الأنعام
- ﴿أو فسقا أهل به لغير الله﴾ سورة الأنعام
- ﴿قل هلمّ شهداءكم...﴾ سورة الأنعام
- ﴿فوسوس لهما الشيطان ليدي لهما ما ووري عنهما...﴾ سورة الأعراف
- ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا...﴾ سورة الأعراف
- ﴿أدعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين...﴾ سورة الأعراف
- ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا...﴾ سورة الأعراف
- ﴿وإلى مدین أخاهم شعيبا...﴾ سورة الأعراف
- ﴿فانبجست﴾ سورة الأعراف
- ﴿ومن يشاقق الله والرسول فإن الله شديد العقاب...﴾ سورة الأنفال

- سورة الأنفال ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك...﴾
- سورة الأنفال ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله...﴾
- سورة الأنفال ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم...﴾
- سورة الأنفال ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال...﴾
- سورة الأنفال ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا...﴾
- سورة التوبة ﴿وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة...﴾
- سورة التوبة ﴿لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمّة...﴾
- سورة التوبة ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله...﴾
- سورة التوبة ﴿هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين﴾
- سورة التوبة ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم...﴾
- سورة التوبة ﴿ولا تصلّ على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره﴾
- سورة التوبة ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّهم بها...﴾
- سورة التوبة ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ...﴾
- سورة التوبة ﴿إن إبراهيم لآواه حلیم...﴾
- سورة يونس ﴿ألر تلك ءآيات الكتاب الحكيم...﴾
- سورة يونس ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم﴾
- سورة يونس ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون...﴾
- سورة يونس ﴿ويجعل الرجس على الذين لا يعلقون...﴾
- سورة هود ﴿أَلر كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ...﴾
- سورة هود ﴿حتى إذا جاء امرنا وفار التنور...﴾
- سورة هود ﴿إنك لأنت الحلیم الرشید...﴾
- سورة هود ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل...﴾
- سورة يوسف ﴿واسأل القرية...﴾

- ﴿و العير ...﴾ سورة يوسف
- ﴿وإن كنا لخاطئين ...﴾ سورة يوسف
- ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا ...﴾ سورة يوسف
- ﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ...﴾ سورة إبراهيم
- ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ...﴾ سورة إبراهيم
- ﴿كذب أصحاب الحجر ...﴾ سورة الحجر
- ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ...﴾ سورة النحل
- ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ سورة النحل
- ﴿ولا تك في ضيق مما يمكرون ..﴾ سورة النحل
- ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل ...﴾ سورة الإسراء
- ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ...﴾ سورة الإسراء
- ﴿وجعلنا الليلَ والنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ...﴾ سورة الإسراء
- ﴿وسعى لها سعيها﴾ سورة الإسراء
- ﴿ولا تقتلوا أولادكم ...﴾ سورة الإسراء
- ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي...﴾ سورة الإسراء
- ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ...﴾ سورة الإسراء
- ﴿سرادقها ...﴾ سورة الكهف
- ﴿وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا ...﴾ سورة الكهف
- ﴿وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين ...﴾ سورة الكهف
- ﴿يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا ...﴾ سورة مريم
- ﴿أقم الصلاة لذكري﴾ سورة طه
- ﴿وأقم الصلاة للذكرى﴾ سورة طه
- ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل ...﴾ سورة طه

سورة الحج	﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ...﴾
سورة المومنون	﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ...﴾
سورة المومنون	﴿قل من ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم﴾
سورة المومنون	﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ...﴾
سورة النور	﴿إذ تلقّونهُ بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ...﴾
سورة الفرقان	﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن ...﴾
سورة الفرقان	﴿حجرا محجورا ...﴾
سورة الفرقان	﴿والذين لا يشهدون الزور﴾
سورة الشعراء	﴿يسمعونكم﴾
سورة الشعراء	﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون ...﴾
سورة النمل	﴿وربّك يعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون ...﴾
سورة القصص	﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ...﴾
سورة القصص	﴿إن كادت لتبدي به ...﴾
سورة القصص	﴿لولا أن ربطنا على قلبها ...﴾
سورة القصص	﴿ويكأنّ الله يبسط الرّزق لمن يشاء ويقدر ...﴾
سورة الروم	﴿ألم غلبت الروم في أدنى الارض ...﴾
سورة الروم	﴿منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ...﴾
سورة الروم	﴿أولم يروا أن الله يبسط الرّزق لمن يشاء ويقدر ...﴾
سورة لقمان	﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ...﴾
سورة الأحزاب	﴿وكان الله غفورا رحيمًا ...﴾
سورة سبأ	﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك ...﴾
سورة فاطر	﴿أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ...﴾
سورة فاطر	﴿إليه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه ...﴾

- سورة فاطر ﴿هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج...﴾
- سورة فاطر ﴿أولم نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ...﴾
- سورة فاطر ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ...﴾
- سورة يس ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَّهُونَ...﴾
- سورة يس ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكئونَ...﴾
- سورة الصافات ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم...﴾
- سورة الصافات ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون...﴾
- سورة الصافات ﴿ولقد علمت الجنة إنيهم لخضرون﴾
- سورة ص ﴿حبّ الخير عن ذكر ربّي...﴾
- سورة ص ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين...﴾
- سورة الزمر ﴿قرآنا عربيا غير ذي عوج...﴾
- سورة الزمر ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم...﴾
- سورة الزمر ﴿كتابا متشابها مثاني...﴾
- سورة غافر ﴿وإن المسرفين هم أصحاب النار...﴾
- سورة غافر ﴿وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد...﴾
- سورة فصلت ﴿كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون...﴾
- سورة فصلت ﴿أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين...﴾
- سورة الشورى ﴿إلا المودة في القربى...﴾
- سورة الشورى ﴿وهو الذي يترل الغيث من بعد ما قنطوا...﴾
- سورة الدخان ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس...﴾
- سورة الدخان ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى...﴾
- سورة محمد ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم...﴾
- سورة الأحقاف ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾

سورة الحجرات	﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا...﴾
سورة الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى...﴾
سورة ق	﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ...﴾
سورة الطور	﴿والبحر المسجور...﴾
سورة النجم	﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾
سورة النجم	﴿فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى..﴾
سورة النجم	﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى...﴾
سورة النجم	﴿أزفت الآزفة﴾
سورة القمر	﴿اقتربت الساعة﴾
سورة الرحمن	﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾
سورة الواقعة	﴿إذا رجّت الارض رجاً﴾
سورة الواقعة	﴿عرباً أتراباً...﴾
سورة الواقعة	﴿إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون...﴾
سورة الواقعة	﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون...﴾
سورة الواقعة	﴿وتجعلون شركم أنكم تكذبون...﴾
سورة الحشر	﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا...﴾
سورة الصف	﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة...﴾
سورة الجمعة	﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ...﴾
سورة الجمعة	﴿مثل الذين حملوا التوراة...﴾
سورة الجمعة	﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾
سورة الجمعة	﴿فامضوا إلى ذكر الله﴾
سورة الطلاق	﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾
سورة الملك	﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح...﴾

سورة المزمل	﴿إن ناشئة الليل هي أشدّ وطأً وأقوم قيلاً...﴾
سورة المدثر	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾
سورة المدثر	﴿كأنهم حمر مستنفرة﴾
سورة الإنسان	﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر...﴾
سورة المرسلات	﴿جمالات صفر...﴾
سورة النبأ	﴿وكأسا دهاقا...﴾
سورة النازعات	﴿فالمديرات أمرا...﴾
سورة النازعات	﴿أم السماء بناها...﴾
سورة عبس	﴿مرفوعة مطهرة...﴾
سورة التكويد	﴿وإذا البحار سجرت...﴾
سورة التكويد	﴿النفوس زوجت...﴾
سورة التكويد	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ...﴾
سورة التكويد	﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ...﴾
سورة التكويد	﴿وما هو على الغيب بضنين...﴾
سورة الانفطار	﴿انفطرت...﴾
سورة المطففين	﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون...﴾
سورة الإنشقاق	﴿انشققت...﴾
سورة الإنشقاق	﴿لتركبنّ طبقا عن طبق...﴾
سورة الأعلى	﴿سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله...﴾
سورة الإنشراح	﴿مع العسر يسرا...﴾
سورة الزلزلة	﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها...﴾
سورة الزلزلة	﴿بأن ربك أوحى لها...﴾
سورة القارعة	﴿كالعهن المنفوش...﴾

سورة الكوثر

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ...﴾

سورة المسد

﴿وَأَمْرَاتِهِ حَمَّالَةَ حَطْبٍ...﴾

فهرست الإشارات النبوية.

- من لا يشكر الناس لا يشكر الله ...
- من أسدى إليكم معروفا فكافئوه،...
- لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل ...
- اللهم علمه الكتاب ...
- خير القرون القرن الذي بعثت فيهم، ...
- لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ ...
- مرّ عمر بن الخطاب برجل يقرأ ...
- سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ ...
- من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها، ...
- إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، ...
- بينا أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خرب المدينة ...
- ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه، ...
- من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردّ ...
- سألته هل صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ...
- صلوا كما رأيتموني أصلي ...
- أن رجلا قال له: أتستطيع أن تربني كيف كان رسول الله ...
- كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ...

- لما توفي عبد الله بن أبيّ، جاء ابنه عبد الله ...
- كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إذا أتاه ...
- كنّا مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بذى الحليفة ...
- لما عرج بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ...
- سئل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن الكبائر ...
- ألا وقول الزور ...
- ألا أنبئكم بأكبر الكبائر -ثلاثا-؟ قالوا: ...
- كنّا نغزو مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ...
- أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى رسول الله ...
- من حلف يمين صبر ليقطع بها مال امرئ مسلم، ...
- أن امرأتين كانتا تخرزان في بيت -أو في حجرة- ...
- من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه ...
- لعلك آذاك هوأمك" قال نعم يا رسول الله ...
- جلست إلى كعب بن عجرة رضي الله عنه فسألته عن الفدية ...
- وقف عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحديبية ...
- أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رآه وأنه يسقط ...
- إن كنا لتتكلم في الصلاة على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ...
- ما سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول لأحد ...
- قيل لبني إسرائيل: (أدخلوا الباب سجدا ...
- ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين ...
- لا وصية لوarith ...
- قيل يا رسول الله أيّ الناس أفضل؟ فقال: ...
- قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: ...

- قلت يا رسول الله ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود؟ ...
- خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ...
- حالا بعد حال ...
- من قال حين يسمع النداء: اللهم ربّ هذه الدعوة التامة ...
- سألت زراً عن عبد الله (فكان قاب قوسين أو أدنى) ...
- سألت مجاهداً عن السجدة "ص"؟ فقال: ...
- كان إذا سئل عن صلاة الخوف قال: "يتقدّم الإمام وطائفة ...
- اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف ...
- إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة ...
- سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها: ...
- خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشهر الحجّ ...
- يأتي على الناس زمان يغزون فيقال: فيكم من صحب ...
- اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ...
- تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: (هو الذي أنزل عليك الكتاب ...
- إذا حكم الحاكم فاجتهد ثمّ أصاب فله أجران، ...
- إن من الشعر حكمة ...
- هل أنت إلا إصبع دميت
- أصدق كلمة قالها الشاعر لييد: ...
- أهجهم - أو قال هاجهم - وجبريل معك ...
- لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خيراً له من أن يمتلئ شعراً ...
- حالا بعد حال ...
- قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: ...
- أن رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ...

– إذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ ...

فهرست الآثار.

- مسروق رضي الله عنه: "جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ...
- قتادة في قوله تعالى: "ويرى الذين أوتوا العلم ...
- أبي مليكة قال: "رأيت مجاهد يسأل ابن عباس ...
- مجاهد: "عرضت المصحف على ابن عباس ...
- إياس ابن معاوية: "مثل من يقرأ القرآن ومن يعلم بتفسيره ...
- البخاري رحمه الله: "أخرجت هذا الكتاب ...
- أحمد ابن حنبل رحمه الله: "ثلاثة ليس لها أصل: ...
- ابن مسعود رضي الله عنه: "كان الرجل منّا ...
- نعيم بن حماد الخزازي رحمه الله: "محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة ...
- ميمون ابن أبي شبيب: " ... وأردت مرة أن أكتب كتابا ...
- الشافعي رحمه الله: "لقد ألفت هذه الكتب و..."
- أحمد بن حفص: "دخلت عليه عند موته فقال: ...
- اللالكائي عن خلف بن محمد البلخي عن أبيه قال: "ذهبت ...
- محمد ابن أبي حاتم الوراق: قلت للبخاري: "كيف كان بدء أمرك؟ ...
- البخاري: "كنت أختلف إلى الفقهاء بمرور وأنا صبي، ...
- البخاري: "أول ما رحلت أقمت سبع سنين و..."
- البخاري: "أحفظ سبعين ألف حديث وأكثر، ...
- البخاري: "كنا عند إسحاق بن راهويه فقال: لو جمعتم كتابا ...
- البخاري: "رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم كأني ...
- العقيلي: والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة ...

- البخاريّ: "أخرجت هذا الكتاب من نحو ...
- البخاريّ: "ما وضعت في كتاب الصحيح حديثا ...
- البغدادي عن عبد القدوس بن همام قال: سمعت عدة ...
- البخاريّ: "صنّفت كتابي في المسجد الحرام ...
- محمّد بن أبي حاتم الوراق: "كان أبو عبد الله ...
- محمّد بن حاتم: "رأيت البخاريّ في المنام ...
- البخاريّ: "كتبت عن ألف وثمانين رجلا ...
- البخاريّ: "لقيت أكثر من ألف رجل ...
- البخاريّ: "ما تصاغرت نفسي عند أحد إلا ...
- البخاريّ: "دخلت بغداد آخر ثمان مرّات ...
- محمد بن يوسف بن عاصم: "رأيت لمحمد بن إسماعيل ...
- محمد ابن أبي حاتم: "رأيت أبا عبد الله ...
- الدارميّ: "محمّد أكيس خلق الله، ...
- سليم بن مجاهد: "ما رأيت بعيني منذ ستين سنة ...
- محمد ابن أبي حاتم قال: "حمل إلى البخاريّ بضاعة ...
- محمد بن منصور: "رفع إنسان قذاة من لحية ...
- البخاري: "ما استصغرت نفسي عند أحد إلا ...
- محمد ابن أبي حاتم: "كان محمد مخصوصا بـ ...
- حاشد بن عبد الله: "محمد بن إسماعيل أفقه ...
- محمود بن النضر الشافعيّ: "دخلت البصرة و...
- فتح بن نوح النيسابوري: "أتيت علي بن المديني ...
- أحمد بن سلمة البزار: "دخلت على البخاريّ ...
- عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي: "سمعته ...

- عبد الواحد بن آدم الطواويسى: "رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ...
- أبو حفص النسفي: "فلما قضى البخاريّ نخبه ...
- محمد بن كعب القرظي قال: "مرّ عمر بن الخطاب ...
- مسلم بن يسار رحمه الله: "إذا حدثت عن الله ...
- يعقوب بن عبد الرحمن الزهري صالح بن كيسان ...
- ابن مسعود رضي الله عنه: "أتجعلون عليها ...
- الزهري: "لا بأس بذبيحة نصارى العرب ...
- مالك: "إنما ألف القرآن على ما كانوا سمعوا ...
- ابن مسعود رضي الله عنه: "كالعهن؛ ...
- الأعمش؛ "ويسألونك عن الروح ...
- قتادة (وأقم الصلاة للذكرى ...
- ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقرأ: (...)
- إبراهيم النخعي: "من ترك صلاة واحدة ...
- ابن عباس رضي الله عنهما قوله: "كانت عكاظ و ...
- ابن عباس عن سعيد بن جبير قال: "فكان ابن عباس ...
- عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضي الله عنها ...
- إبراهيم النخعي رحمه الله: "...
- مجاهد: (تَلَقَّوْنَهُ؛ ...
- أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه: "حدثنا ...
- ابن عمر رضي الله عنه قال: "كنا عند رسول الله ...
- ابن عباس رضي الله عنه: "من نسي فلا بأس ...
- أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قال: "سألتها ...
- سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال ...

- أبو بشر: "قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس ...
- عبد الله ابن أبي أوفى رضي الله عنه: "أن رجلا ...
- ابن عباس رضي الله عنه صريحا بقوله: "كان ...
- الحسن البصري قال: "فلا تعضلوهم ...
- سهل بن سعد رضي الله عنه قال: "أنزلت ...
- ابن مسعود رضي الله عنه: "من كان منكم متأسيا ...
- قتادة: "هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ...
- عبيدة عن آية من كتاب الله تعالى ...
- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "والذي لا إله غيره ...
- عمر رضي الله عنه قال: "...
- العوام بن حوشب قال: سألت مجاهدا ...
- ابن عباس: شكركم ...
- سعيد بن منصور عن سعيد بن جبير عن ...
- ابن عباس رضي الله عنه قال: "﴿لتركبن طبقا عن طبق ...
- ابن عمر رضي الله عنه قال: "إن الناس ...
- سليمان الشيباني قال: "سألت زرا ...
- حوشب قال: سألت مجاهدا ...
- ابن عمر رضي الله عنه أنه قرأ: "...
- سلمة بن الأكوع رضي الله عنه الذي ...
- ابن أبي ليلي قال: "حدثنا أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ...
- ابن عباس رضي الله عنه في الآية: "...
- عبد الله بن مسعود قال: "كنا نقول للحبي إذا كثروا ...
- مسروق قال: "بينما رجل يحدث في ...

- عائشة رضي الله عنها قالت: "كانت قریش ...
- مجاهد يصف ابن عباس رضي الله عنه: "كان ...
- ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن قوله: "...
- سعيد بن جبیر قال: "خرج علينا ...
- ابن عباس: قسورة؛ ركز الناس وأصواتهم،...
- أبو هريرة: القسورة قسور الأسد ...
- ابن أبي مليكة قال: قال ابن عباس ...
- عائشة رضي الله عنها فكانت تقرأ ...
- عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت له: "...
- المنهال عن سعيد قال: قال رجل ...
- عروة قال: "سألت عائشة رضي الله عنها فقلت ...
- عبد الله ابن عمر رضي الله عنه: "أشهر الحجّ: ...
- عائشة رضي الله عنها قالت: "خرجنا مع رسول الله ...
- عليّ عليه السلام: "الذاريات؛ الرياح ...
- الزهريّ قال: "كان عروة بن الزبير ...
- ابن عمر رضي الله عنه قوله: "لقد حرّمت الخمر ...
- عمر رضي الله عنه: "إنه قد نزل تحريم الخمر ...
- عطاء سمع ابن عباس يقرأ: " وعلى الذين يطوّقونه ...
- مروان الأصفر عن رجل من ...
- ابن أبي مليكة، قال: "رأيت مجاهدا يسأل ...
- سعيد بن جبیر: "كنت أكتب عند ابن عباس ...
- قتادة: "ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ...
- مجاهد: فراشا؛ مهادا ...

- مجاهد قوله: قال تعالى: "ولقد علمت الجنة إنهم لحضرون ...
- مجاهد قال: "الزخرف؛ ...
- عبد الله بن حميد عن مجاهد قال: "كنا لا ندري ما الزخرف ...
- عطاء: "لم يعاقبه النبي صلى الله عليه وسلم ...
- ابن جريج: "قلت لعطاء صيد الأثمار ...
- سليمان الشيباني قال: "سألت زرا عن ...
- سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر ...
- أبو بشر قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة ...
- مجاهد قال: "اعملوا ما شئتم ...
- الحسن البصري قال: "إنك لأنت الحلیم الرشید ...
- عكرمة قال: "وكأسا دهاقا ...
- مجاهد: الحلال والحرام ...
- ابن عباس رضي الله عنهما: "لما نزلت: (إن يكن منكم عشرون صابرون ...
- سفيان وقال ابن شبرمة: وأرى الأمر بالمعروف و ...
- عن سعيد بن المسيب قوله: "البحيرة؛ ...
- علي بن الحسين عليهما السلام ...
- أبي عبيدة: "مثنى وثلاث ورباع ...
- مجاهد قال: (والراسخون في العلم...)
- مجاهد فسر قوله تعالى: (كتابا متشابها مثاني...)
- ابن عباس وابن مسعود وقتادة والربيع والضحاك والسدي: أنهم ...
- عمر رضي الله عنه: "هو أعلم أمة محمد صلى الله عليه وآله سلم ...
- ابن عباس يعد نفسه من ...
- مجاهد قال: "الآية الكبرى؛ ...

- عطاء: "الإحصار من كل شيء يجسه ...
- مجاهد قال: "ووالد؛ ...
- عطاء: "يفطر من المرض كله ...
- أبي العالية قال: "مطهرة؛ ...
- مجاهد: "العمل الصالح يرفع الكلم الطيب ...
- مجاهد: "لا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر ...
- الحسن: "أهلكتهم العجمة ...
- ابن مسعود رضي الله عنه قال: "كنا نقول للحمي ...
- معمر: "موالي؛ أولياء ورثة ...
- سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ولكل جعلنا موالي...﴾
- عطاء: "الإحصار من كل شيء يجسه ...
- البخاري: حصورا لا يأتي النساء ...
- ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نفشت رعت ليلا ...
- عكرمة: أعلاها الزكاة المفروضة ...
- ابن عباس رضي الله عنهما قال: "وريشا؛ المال ...
- مجاهد قوله: "والأكمه من يبصر بالتهار ولا يبصر بالليل ...
- أبي عبيدة: "هو من يولد أعمى ...
- سعيد بن جبیر قوله: "كرسيه؛ علمه ...
- مجاهد: "ما السماوات والأرض والكرسي إلا ...
- ابن عباس رضي الله عنهما: (حبال السفن تجمع ...
- ابن عباس رضي الله عنهما قوله: "فار التنور: نبع الماء ...
- عكرمة قال: "وفار التنور: وجه الأرض ...
- ابن عباس رضي الله عنهما: "نشأ؛ قام بالحشية ...

- مجاهد قال: "الطور؛ الجبل بالسريانية ...
- سعيد بن جبير قال: "بالنبطية طه؛ يا رجل ...
- عكرمة: "الجبت بلسان الحبشة ...
- ابن عباس: أسفل النار. نفقا سرىا ...
- قتادة: الريح؛ الحرب ...
- مجاهد: حمالة: تمشي بالنميمة ...
- ابن عباس قوله: "من سجيل هي سنك وكل ...
- ابن عباس المرفوع: "حالا بعد حال ...
- أبو الطفيل: "شهدت عليا يخطب ...
- ابن مسعود قوله: "والذي لا إله غيره ...
- أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "لو بلغ ابن عباس ...
- أحمد بن حنبل رحمه الله: "بمصر صحيفة في التفسير ...
- علي رضي الله عنه حينما سأله أبو جحيفة قال: ...
- ابن عيينة: ما سمى الله مطرا في القرآن إلا عذابا ...
- علقمة بن وقاص أن مروان قال لبوابه: "إذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: ...

فهرست الأَشعار.

قال الشاعر:

كم من كتاب قد تصفّحته
وقلت في نفسي أصلحته
حتى إذا طالعتهُ ثانيًا
وجدت تصحيّفًا فصحتهُ

ابن دقيق العيد:

يقولون هذا عندنا غير جائز
ومن أنتم حتى يكون لكم عند

دعبل:

خليفة مات لم يحزن له أحد
فمر ذلك ومرّ الشؤم يتبعه
وآخر قام لم يفرح به أحد
وقام ذا فقام النحس والنكد

أبو داود الأيادي:

ولما أضاءت لنا ظلمة
ولاح من الصبح خيط أنار

محمد بن الحاج السفاريني:

وليس في الأمة كالصحابة
فإنهم قد شاهدوا المختارا
وجاهدوا في الله حتى بانا
وقد جاء في محكم التزويل
وفي الأحاديث وفي الآثار
في الفضل والمعروف والإصابة
وعاينوا الأسرار والأنوارا
دين الهدى وقد سما الأديانا
من فضلهم ما يشفي للغليل
وفي كلام القوم والأشعارا

تميم بن مقبل:

ورجلة يضربون البيض ضاحية ضربا توأصى به الأبطال سجينا

النبي صلى الله عليه وآله وسلّم:

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

المثقب العبدي:

إذا ما قمت أرحلها بليل تأوّه آهة الرجل الحزين

شريح ابن أبي أوفى العبسي:

يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدّم

فهرس المطاار و الممااا

- إبراهايم السامراي، من بديع لغة التزبل، ط1، 1404هـ - 1984، مؤسسه الرساله، دار الفرقان، عمان، الأردن.
- إبراهايم أنيس، الأصوات اللغوية، ط 1961 م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- إبراهايم أنيس، دلالة الألفاظ، ط1، 1958، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة
- إبراهايم أنيس، طرق تنمية الألفاظ في اللغة، ط 1967، مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة.
- إبراهايم بن حسن، تفسير المأثور عن عمر بن الخطاب، الدار العربية للكتاب، القاهرة.
- إبراهايم بن حسن، تفسير المأثور عن عمر بن الخطاب، الدار العربية للكتاب.
- إبراهايم زكي خورشيد، أحمد الشتاوي، عبد الحميد يونس، دائرة المعارف الإسلامية، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ابن أبي الأصبع المصري، تحرير التحرير في صناعة الشعر و النشر و بيان إعجاز القرآن، تحقيق حفي محمد شرف، دار إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- ابن أبي العز علي بن علي بن محمد الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ط 1430 هـ، 2009 م، المكتبة الإسلامية، بيروت.
- ابن أبي داود أبو بكر عبد الله، المصاحف، مؤسسة الخانجي، القاهرة، مصر.
- ابن أبي داود أبو بكر عبد الله بن الأشعث، المصاحف، مصر، مؤسسة الخانجي.
- ابن أبي زيد القيرواني أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، النوادر و الزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تحقيق محمد الأمين بوخبزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- ابن أبي زيد القيرواني أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن النفزي، الرسالة، دار الفكر، بيروت.
- ابن أبي شيبه أبو بكر عبد الله الكوفي، المصنف، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، ط 1416، 1هـ - 1995 م، دار الكتب العلمية، بيروت.

- ابن أبي شيبة عبد الله، المصنّف ، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط1، 1409هـ، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.
- ابن إسحاق محمد بن إسحاق بن يسار، سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث، تحقيق محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث
- ابن الأثير أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد الموصلبي، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1995م، المكتبة العصرية، بيروت.
- ابن الأثير ضياء الدين ، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تحقيق مصطفى جواد وجميل سعيد، ط1956م، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد.
- ابن الأثير ضياء الدين ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق أحمد الحوفي و بدوي طبانة ، ط2 ، 1983 ، منشورات دار الرفاعي، الرياض.
- ابن الأثير مجد الدين ، النهاية في غريب الحديث و الأثر، دار الفكر، بيروت.
- ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ط1980، دار صادر، بيروت.
- ابن الأنباري أبو البركات ، البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق طه عبد الحميد ، ط1980 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة.
- ابن الباذش الأنصاري أبو جعفر أحمد بن علي ، الإقناع في القراءات السبع ، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط1، 1999 ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن الباذش الأنصاري أبو جعفر أحمد بن علي ، الإقناع في القراءات السبع ، تحقيق عبد المجيد قطامش، ط1، 1403 هـ، دار الفكر ،دمشق.
- ابن البناء المراكشي أبو العباس أحمد، عنوان الدليل من مرسوم خط التزويل ،تحقيق هند شلبي، ط1، 1990، دار الغرب الإسلامي، بيروت،
- ابن الجزري أبو الخير شمس الدين ، منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، مراجعة محمد حبيب الشنقيطي ، وأحمد محمد شاكر ، ط 1980 م ، دار الكتب العلمية، بيروت.

- ابن الجزري أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد ، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، وضع حواشيه زكريا عميرات ، ط1، 1420هـ—1999م ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ابن الجزري محمد بن محمد ، طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق علي بن محمد الضباع ، ط 1 ، 1950، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة.
- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تحقيق علي محمد الضباع، دار الفكر، بيروت.
- ابن الجوزي ، تقويم اللسان، تحقيق: عبد العزيز مطر، دار المعرفة، القاهرة.
- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن ،نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النظائر، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي ، ط 1 ، 1984 ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، زاد المسير في علم التفسير ، ط 3 ، 1404هـ—1984م، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، صفة الصفوة، تحقيق محمود خافوري، محمد رواس قلعة جي، ط2، 1399هـ—1979م، دار المعرفة ، بيروت، لبنان.
- ابن الجوزي عبد الرحمان بن علي ،غريب الحديث، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، ط 1 ، 1985 ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن الجوزي، منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: محمد الصفطاوي وفؤاد عبد المنعم أحمد، مطبعة المعارف نالاسكندرية.
- ابن الحاجب أبو عمر جمال الدين بن عمر ، الشافية في علم التصريف ، تحقيق حسن أحمد العثمان ، ط 1 ، 1415 هـ، المكتبة المكية ،مكة المكرمة.
- ابن الخباز أبو العباس أحمد بن الحسين، الغرة المخفية في شرح الدررة الألفية، تحقيق محمد العبدلي ، ط1، 1990، مطبعة العاني، بغداد.
- ابن الزبير أحمد بن إبراهيم الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بدوي الإلحاد و التعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق سعيد الفلاح، ط2، 2007 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

- ابن الزمكاني، التبيان في علم البيان، تحقيق احمد مطلوب و خديجة الحديثي، ط1، 1964، مطبعة العاني، بغداد،
- ابن السبكي القاضي عبد الوهاب، جمع الجوامع في أصول الفقه، تحقيق عبد المنعم خليل ط1، 1421هـ-2201م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن السراج أبو بكر، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط1، 1985، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ابن الشَّاطِ أبو القاسم قاسم بن عبد الله، إدرار الشروق على أنواء الفروق، ضبط و تصحيح خليل المنصور، ط1، 1998، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن الصلاح أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن، أدب المفتي والمستفتي، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط1، 1407هـ، عالم الكتب، بيروت.
- ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري، أحكام القرآن، تحقيق: عبد القادر عطا، بيروت، ط/1416هـ-1996م، دار الكتب العلمية.
- ابن العماد عبد الحي بن أحمد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، ومحمود الأرنؤوط، ط1406هـ، دار ابن كثير، دمشق.
- ابن القيم الجوزية، التفسير القيم، جمع محمد أويس الندوي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن القيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، ط1، 2004، دار الأفكار الدولية، بيروت
- ابن القيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ط2/1988م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط و عبد القادر الأرنؤوط، ط5، 1407هـ-1987، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ابن القيم الجوزية، التفسير القيم، ط1، 1990، دار الهلال، بيروت.

- ابن القيم الجوزية، بدائع التفسير ، جمع و مراجعة يسري السيد محمد و صالح أحمد الشامي ، ط 1 ، 1428 هـ، دار ابن الجوزي ،الدمام، السعودية.
- ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، تحقيق محمد حامد الفقي، ط 1991 ، دار الفكر ،بيروت.
- ابن القيم الجوزية، مفتاح دار السعادة و منشور ولاية أهل العلم والإرادة، تحقيق علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي، ط1، 1996، دار ابن عفان، الخبر ، السعودية.
- ابن اللحام أبو الحسن علاء الدين علي بن عباس البعلي، القواعد والفوائد الأصولية، تصحيح محمد بن شاهين، ط1، 1995، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن الملقن أبو حفص سراج الدين عمر بن أبي الحسن علي بن أحمد ، تفسير غريب القرآن، تحقيق سمير طه المجذوب، عالم الكتب، بيروت.
- ابن الناظم، شرح على الفية ابن مالك بدر الدين محمد بن محمد بن مالك، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط1، 2000، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن النجّار محمد بن أحمد الفتوحى، شرح الكوكب المنير، دار الفكر، دمشق.
- ابن النديم محمد بن إسحاق أبو الفرج، الفهرست ، ط 1978م دار المعرفة، بيروت.
- ابن النشار أبو حفص عمر بن قاسم بن محمد المصري الأنصاري ،المكرر فيما تواتر من القراءات السبع و تحرر ، مراجعة طارق فتحي ،المكتبة التوفيقية، القاهرة .
- ابن بندار أبو العز محمد الواسطي القلانسي ، إرشاد المبتدي و تذكرة المنتهي في القراءات العشر ، تحقيق عمر حمدان الكبيس ، ط1، 1984، جامعة أم القرى ،مكة المكرمة.
- ابن تيمية أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني ،الصفدية، تحقيق محمد رشاد سالم ، ط 2 ، 1406هـ ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- ابن تيمية أبو العباس عبد الحلیم، دقائق التفسير، تحقيق: محمد السيد الجليند، ط1404/2هـ ، مؤسسة علوم القرآن، دمشق.
- ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم ،شرح العقيدة الواسطية ، ط 2 ، 1417 هـ 1979 م، مكتبة دار الفيحاء، دمشق.

- ابن تيمية، تحقيق القول في مسألة عيسى كلمة الله و القرآن كلام الله، ط 1992، 1، دار الصحابة، طنطا، مصر.
- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد النجدي، ط، 1412هـ، 1991م، دار علم الكتب، الرياض.
- ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ط1، 1422هـ 2001م، دار الفجر، الجزائر.
- ابن جزى الغرناطي محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، ط4، 1984، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ابن جزى ومنهجه في التفسير، علي محمد الزبيري، ط1، 1987، دار القلم، دمشق.
- ابن جني أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف، عبد الحلیم النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلي، ط 1415هـ 1994م، مطابع الأهرام، القاهرة.
- ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط 1990، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- ابن جني، كتاب اللمع في العربية، تحقيق: فائز فارس، ط 1972م، دار الكتب الثقافية، الكويت.
- ابن حبان أبو حاتم البستي، الثقات، تحقيق محمد شرف الدين أحمد، ط 1975، دار الفكر بيروت.
- ابن حبان أبو حاتم محمد التميمي، مشاهير علماء الأمصار، ط 1959م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ابن حجر العسقلاني، العجائب في بيان الأسباب، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، ط1، 1997م، دار بن الجوزي، الدمام. السعودية.
- ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط1، 1406هـ- 1986م
- ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط 1، 1415هـ- 1994م، دار الكتب العلمية، بيروت.

- ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، تحقيق عبد العزيز بن باز ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ،شركة مكنتات عكاظ، جدة، السعودية،
- ابن حزم ، مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات و الاعتقادات ،دار الكتب العلمية ،بيروت،
- ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ط2، 1407هـ-1987م، دار الجليل، بيروت.
- ابن حمزة ينجي اليماني الذمار، تصفية القلوب من أدران الأوزار والذنوب ،تحقيق حسن محمد مقبولي الأهدل، ط3 ، 1995 ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- ابن حنبل الشيباني أحمد ، المسند ، مؤسسة قرطبة، مصر.
- ابن خالويه ، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، تقديم آرثر جفري، مكتبة المتنبى، القاهرة.
- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، المقدمة ، دار الكشاف، بيروت.
- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس ، ط 1 ، 1994م ،دار صادر، بيروت.
- ابن رجب الحنبلي ، تفسير القرآن ،جمع و تعليق طارق عوض الله بن محمد ، ط 1 ، 2001 ، دار العاصمة، الرياض.
- ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي، المقدمات الممهّدات، ط 1، 1408هـ، 1988م ، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ط1، 1409هـ-1989م ، دار الجليل، بيروت.
- ابن رشيّق القيرواني أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط4 ، 1972، دار الجليل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت.
- ابن زنجلة أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد ،حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ابن سعد أبو عبد الله محمد البصري الزهري، الطبقات الكبرى، دار صادر،بيروت، لبنان.

- ابن سلام أبو عبيد القاسم، غريب الحديث ، تحقيق محمد عبد المعيد خان ، ط 1 ، 1396هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ابن سلوم محمد بن علي ، مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرر المضية في عقد الفرقة المرضية، تحقيق: محمد زهري النجار ، ط 1403هـ 1983م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن سلوم محمد بن علي، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ، ط 1، 1386 هـ ، 1996م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ابن شريح أبو عبد الله محمد، الكافي في القراءات السبع، تحقيق جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر.
- ابن عبد البرّ، جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ابن عصفور الاشيلي، شرح جمل الزجاجي ، تحقيق صاحب أبو جناح ، ط 1980 ، مؤسسة دار الكتب، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق.
- ابن عصفور علي بن مؤمن، المقرب ، تحقيق احمد عبد الستار الجوارى وعبد الله الجبوري، ط 1986، مطبعة العاني، بغداد.
- ابن عطية أبو محمد عبد الحق الإشبيلي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، ط 1، 1993 ، دار الكتب العلمية ،لبنان.
- ابن عقيل أبو الوفاء، الواضح في أصول الفقه، تحقيق جورج المقدسي، ط 1 ، 1417هـ 1996م ، الشركة المتحدة للتوزيع ، بيروت.
- ابن غلبون أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم الحلبي، التذكرة في القراءات الثمان، تحقيق أيمن رشدي سويد ، طبعة الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ، مكة المكرمة.
- ابن فارس أبو الحسين أحمد، الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق أحمد حسن بسيع، ط 1، 1418هـ 1997م، دار الكتب العلمية، بيروت.

- ابن فارس أحمد الرازي ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق إبراهيم شمس ، ط1 ، 1420 هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،
- ابن فارس أحمد بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط2 ، 1420 هـ ، دار الجليل ، بيروت .
- ابن فرحون برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري ، تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام، ط 1، 1406 هـ، 1986م، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ، تفسير غريب القرآن ، تحقيق إبراهيم محمد رمضان ، ط 1 ، 1991 ، دار الهلال ، بيروت .
- ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، أدب الكاتب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط 4 ، 1963م، المكتبة التجارية ،مصر .
- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق احمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- ابن قدامة المقدسي موفق الدين ، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام احمد بن حنبل، ط 1 ، دار الكتاب العربي، بيروت .
- ابن قدامة المقدسي، المغني، بيروت، ط 1403 هـ - 1983م دار الكتاب العربي، بيروت .
- ابن قدامة المقدسي، روضة الناظر وجنة المناظر، ط1 ، 1991م، مطبعة السلفية، حسين داي الجزائر.
- ابن قيم الجوزية أبو عبد الله شمس الدين ، التفسير القيم لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1398 هـ - 1978م.
- ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، بيروت، دار الفكر.
- ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن قيم الجوزية، الفوائد، تحقيق: عبد السلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي ، فضائل القرآن، تحقيق أبي إسحاق الحويني ، ط 1 ، 1416 هـ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط2، 1999، دار طيبة للنشر والتوزيع، المدينة المنورة.
- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت
- ابن كثير أبو الفداء عماد الدين ، تفسير القرآن العظيم ط 1 ، 1990م ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر.
- ابن كثير، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، تحقيق أحمد شاكر، ط1، 1403هـ-1983م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق مفضل بن الهادي الوادعي، ط 1414 هـ-1993م،
- ابن ماجه أبو عبد الله بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، لبنان.
- ابن ماجه القزويني أبو عبد الله محمد بن يزيد، السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر.
- ابن مالك ، شرح الكافية الشافية، تحقيق عبد المنعم احمد هريدي، ط1، 1982، دار المأمون للتراث، مكة المكرمة.
- ابن مجاهد التميمي أبو بكر أحمد بن موسى ، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، ط2، 1400هـ، دار المعارف، القاهرة.
- ابن مضاء القرطبي ، كتاب الرد على النحاة، تحقيق شوقي ضيف، ط3، 1988، دار المعارف، القاهرة.
- ابن معصوم المدني علي صدر الدين، أنوار الربيع في أنواع البديع ، تحقيق شاكر هادي شكر ، ط1، 1969 ، دار النعمان ، النجف ، العراق.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي ، لسان العرب، ط1، 1990م، دار الفكر، بيروت،
- ابن منقذ أسامة ، البديع في نقد الشعر، تحقيق احمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ، ط 1960م ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة.

- ابن مهران أبو بكر أحمد بن الحسين الأصبهاني، المبسوط في القراءات العشر، تحقيق سبيع حمزة حاكمي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.
- ابن نجيم، البحر الرائق، دار المعرفة، بيروت
- ابن هشام، السيرة النبوية، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن هشام الأنصاري أبو محمد جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تقديم وفهرست حسن حمد وإميل بديع يعقوب، ط1، 1998، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله وسعيد الأفغاني، ط6، 1985، دار الفكر، بيروت.
- ابن وثيق الأندلسي، الجامع لما يحتاج إليه المصحف، تحقيق غانم قدوري الحمد، ط1، 1408هـ—1988 دار الأنبار للطباعة، مطبعة العاني، بغداد.
- أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، طبقات الفقهاء، تحقيق علي الميس، دار القلم، بيروت.
- أبو الإصبع المصري، بديع القرآن، تحقيق حفي محمد شرف، ط1، 1957، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- أبو الأعلى المودودي، تفهيم القرآن، تعريب أحمد إدريس، ط1، 1978، دار القلم، الكويت
- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، ط1419هـ—1998م، مؤسسة الرسالة؛ بيروت.
- أبو الثناء محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني، بيان المختصر شرح ابن الحاجب، تحقيق محمد مظهر بقاء، ط1، 1406 هـ، مطبوعات مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- أبو الحسن علي بن فضال الجاشعي، شرح عيون الإعراب، تحقيق حنا جميل حداد، ط1985، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.
- أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق أحمد مطلوب و خديجة الحديثي، ط1967م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ط 1399هـ-1979م، المكتبة العلمية، بيروت.
- أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، بحر العلوم، تحقيق محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت
- أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراي، فاتح الأنوار في طبقات الأخيار، تحقيق: خليل المنصور، ط 1997، 1م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- أبو حيان أثير الدين الأندلسي، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، ط 1926، مطبعة الإخلاص، حماة، سوريا
- أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الجواد و علي محمد معوض، ط 1، 1413هـ-1993م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
- أبو زهرة محمد، محاضرات في النصرانية، ط 4، 1404هـ، طبع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء و الدعوة و الإرشاد، الرياض، السعودية.
- أبو شامة عبد الرحمان بن إسماعيل المقدسي، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، تحقيق وليد مساعد الطببائي، ط 2، 1414هـ-1984م، مكتبة الإمام الذهبي، الرياض
- أبو طاهر إسماعيل بن خلف الأنصاري الأندلسي، العنوان في القراءات السبع، تحقيق زهير زاهد و خليل عطية، دار عصمي للنشر و التوزيع، القاهرة.
- أبو عبد الله النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، دار الكتاب العربي، بيروت.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، المعين في طبقات المحدثين، تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، ط 1، 1404هـ، دار الفرقان، عمان، الأردن.

- أبو عبد الله هارون بن موسى العتكي ، الوجوه و النظائر في القرآن، تحقيق حاتم صالح الضامن ، ط 1988 ،وزارة الثقافة و الإعلام ،بغداد.
- أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن ، تحقيق محمد فؤاد سزكين ، ط1،1970م ، دار السعادة، مصر.
- أبو علي الحسن بن علي الأهوازي المقرئ ، الوجيز في شرح قراءات القرأة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة ، تحقيق دريد حسن أحمد ، ط 1 ، 2002 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت
- أبو غدة عبد الفتاح، قيمة الزمن عند العلماء ، ط 10 ، مكتبة المطبوعات الإسلامية، دمشق.
- أبو مظفر السمعاني، قواطع الأدلة، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي ، ط 4، دار الكتب العلمية، بيروت.
- أبو هلال العسكري، الصناعتين ، تحقيق مفيد قمحة ، ط 1 ، 1951 ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الشعر والكتابة، تحقيق، محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط 1986م، منشورات المكتبة، صيدا، لبنان.
- الأتابكي أبو الحسن جمال الدين يوسف بن تغري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: إبراهيم عليّ طرخان، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة.
- إحسان عباس، فن الشعر، ط 6 ، 1979 ، دار الثقافة، بيروت.
- أحمد ابن حنبل، فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، دار ابن الجوزي، الرياض، ط2، 1420هـ-1999م.
- أحمد البيلي، الاختلاف في وجوه القراءات ، دار الجبل، بيروت.
- أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، ط3، 1980م، الدار العربية، بيروت.
- أحمد الصاوي، بلغة السالك لأقرب المسالك، طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- أحمد بدر ، مناهج البحث والرأي العام والإعلام الدولي ، ط 1998، دار قبا "عبده غريب"، القاهرة
- أحمد بدوي ، أسس النقد الأدبي عند العرب ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة.

- أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ههضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- أحمد بن إبراهيم بن عيسى، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم، تحقيق زهير الشاويش، ط 3، 1406هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
- أحمد بن أحمد شرشال، مخالفات النساخ و لجان المراجعة و التصحيح لمرسوم المصحف الإمام، ط 1، 2002، دار الحرمين، القاهرة،
- أحمد بن محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمى منتهى الأماني و المسرات في علوم القراءات، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، ط 1، 1407 1987، عالم الكتب، بيروت.
- أحمد حسن الباقوري، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، ط 3، 1983م، دار المعارف، القاهرة.
- أحمد خالد شكري، بحوث في الإعجاز و التفسير في رسائل النور، ط 1، 2004، شركة سوزلر للنشر، القاهرة،
- أحمد ربيع عبد الحميد خلف الله، الفكر التربوي وتطبيقاته، ط 1، 1984م، مكتبة وهبة، مصر،
- أحمد شوقي الفنجري، الطب الوقائي في الإسلام، ط 3، 1991، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- أحمد ضياء الدين حسين، أثر التربية الوقائية في صيانة المجتمع الإسلامي، ط 1، 2005، دار الفرقان، عمان، الأردن،
- أحمد عبد التواب الفيومي، الدلالات فوق التركيبية و رسم المصحف الشريف في ضوء علم اللغة الحديث، ط 1، 2010، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
- أحمد عبد الستار الجواري، نحو القرآن، ط 1974، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد.
- أحمد عبد السيد الصاوي، مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، دراسة تاريخية فنية، ط 1988، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، دار القلم، بيروت.
- أحمد فائز، دستور الأسرة في ظلال القرآن، ط 6، 1992، مؤسسة الرسالة، بيروت،

- أحمد مختار عمر، المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم و قراءاته، ط 1، 2002، مؤسسة سطور المعرفة، الرياض.
- أحمد مختار عمر، عبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية، ط 1، 1402هـ - 1983م، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت.
- أحمد مختار عمر، لغة القرآن، دراسة توثيقية فنية، ط 2، 1997، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت.
- أحمد مصطفى متولي، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن و السنة النبوية، ط 1، 2005، دار ابن الجوزي، القاهرة،
- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية و تطورها، ط 1983، مطبعة الجمع العلمي العراقي، بغداد.
- الأخفش سعيد بن مسعدة المجاشعي، معاني القرآن، تحقيق فائز فارس، ط 1979، 1، المطبعة العصرية، الكويت.
- آرثر جفري، مقدمتان في علوم القرآن، تصحيح عبد الله اسماعيل الصاوي، ط 2، 1392هـ - 1972م، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- الأزهري أبو منصور، معاني القراءات، تحقيق أحمد المزيدي، ط 1999، دار العلمية، بيروت
- الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ومحمد علي النجار، ط/1964. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة،
- أسامة البحيري، تحولات البنية في البلاغة العربية، دار الحضارة، القاهرة.
- الأسدي الجياني أبو الأصبع عيسى بن سهل بن عبدالله، ديوان الأحكام الكبرى، الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام، تحقيق يحيى مراد، ط 1428، دار الحديث، القاهرة.
- الاسكافي الخطيب، درة التزليل وغرة التأويل، ط 1، 1493هـ - 1973م، دار الآفاق الجديدة، بيروت،
- الأشعري أبو الحسن، مقالات الإسلاميين ط 1، 1392 هـ - 1972، الهيئة المصرية العامة، القاهرة.

- الأشعوي أحمد بن محمد، منار الهدى في بيان الوقف و الابتدا ومعه التبيان في آداب حملة القرآن للنووي، ط 1983 ، دار المصحف، دمشق.
- الأصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله ، حلية الأولياء، ط 4، 1405هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- الأصفهاني أبو الفرج، الأغاني، تحقيق سمير جابر، ط 2، دار الفكر، بيروت.
- الألباني محمد ناصر الدين ،صحيح السيرة النبوية ،المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن
- الألباني، السلسلة الصحيحة، ط 4 ، 1405هـ، 1985م، المكتب الاسلامي، بيروت.
- الألباني، صحيح ابن ماجه، ط 3 ، 1408هـ-1988م، المكتب الإسلامي، بيروت.
- الألوسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- الآمدي أبو القاسم الحسن بن بشر ، الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط 1944، المكتبة العلمية ، بيروت.
- الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام ،ضبط إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، ط 1402، 2هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
- أمين الخولي ، مناهج تجديد في النحو البلاغة والتفسير والأدب ، ط 1 ، 1961م، دار المعرفة ،
- الأنباري أبو بكر محمد بن القاسم ،الأضداد في اللغة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط 1960 ، دار المطبوعات و النشر، القاهرة.
- الأنباري عبد الرحمان بن محمد ،الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين، ط 1993 ،المكتبة العصرية، بيروت.
- الأنصاري عبد العلي نظام الدين ، فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت، دار الفكر، بيروت.
- الأنصاري أبو زكرياء ، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن، تحقيق محمد علي الصابوني، ط 1408، 2هـ-1988م ، مطبعة الرحاب، الجزائر.

- إنعام نوال عكاوي، المعجم المفضل في علوم البلاغة، مراجعة أحمد شمس الدين، ط 1 ، 1992 ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الباجي أبو الوليد، المنتقى على الموطأ ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف ، كتاب الإشارات في أصول الفقه المالكي، تحقيق محمد حريزي، دار الرسالة، الجزائر.
- الباقلائي أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ط 5 ، 1963، دار المعارف، القاهرة.
- البخاري عبد العزيز بن أحمد، كشف الأسرار على أصول فخر الإسلام البزدوي، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي ، ط3، 1417هـ-1997م ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، الأدب المفرد ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط 3 ، 1989م ، دار البشائر الإسلامية، دمشق.
- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، التاريخ الصغير، تحقيق محمود إبراهيم زايد، ط1، 1397هـ-1977م، دار الوعي، حلب، سوريا.
- البخاري علاء الدين عبد العزيز ، كشف الأسرار عن فخر الإسلام البزدوي ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- البخاري، الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط3، 1407هـ-1987م، دار ابن كثير، اليمامة.
- البخاري، الجامع الصحيح، ط/1987، دار القلم، بيروت.
- البروسي إسماعيل حقي ، تنوير الأذهان في تفسير روح البيان ، تحقيق محمد علي الصابوني، ط 2 ، 1409 هـ-1989 م، دار القلم، بيروت.
- البعلي أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح الحنبلي ، المطلع على أبواب الفقه، تحقيق محمد بشير الأدلي، ط 1401هـ-1981 ، المكتب الإسلامي، بيروت،

- البغدادي أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق صلاح بن محمد بن عويضة، ط1، 1417هـ-1996م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- البغدادي عبد القاهر، الفرق بين الفرق، تحقيق محي الدين إبراهيم، عيسى الحلبي، القاهرة.
- البغوي، شرح السنة، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزهير شاويش، ط2، 1403هـ-1983م، المكتب الإسلامي، بيروت.
- البغوي، معالم التزليل، تحقيق خالد العك ومروان سوار، ط2، 1407، دار المعرفة، بيروت.
- البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التزليل، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، ط4، 1997، دار طيبة للنشر والتوزيع، المدينة المنورة.
- البقاعي برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق عبد الرزاق، غالب المهدي، ط1، 1415هـ 1995، دار الكتب العلمية، بيروت.
- بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، ط4، 1980، دار الشروق، القاهرة.
- البهوتي منصور بن يونس، كشف القناع عن متن الإقناع، تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي، ط1، 1418هـ-1997م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- البيضاوي أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي، أنوار التزليل و أسرار التأويل، تحقيق عرفان بن سليم العشا حسونة، دار الفكر، بيروت.
- البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، ط1، 1410هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التبريزي الخطيب، مشكاة المصابيح، تحقيق ناصر الدين الألباني، ط3، 1405 هـ، المكتب الإسلامي، بيروت
- التبريزي يحيى بن الخطيب، شرح القصائد العشر، ط1، 1998 م، مؤسسة المعارف، بيروت.
- الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَورة، الجامع الصحيح، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت

- الترمذي محمد بن سورة أبو عيسى، مختصر الشمائل المحمدية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن.
- التفتازاني سعد الدين مسعود بن عمر، شرح التلويح على التوضيح، تحقيق زكرياء عميرات، ط1416/1هـ-1996م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التفتازاني مسعود بن عمر بن عبد الله، شرح المقاصد في علم الكلام، تحقيق عبد الرحمن عميرة ط1409، 1989م، منشورات الشريف، القاهرة.
- تفسير ابن جريج، جمع ودراسة علي حسن عبد الغني، ط1، 1413هـ، 1992، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
- تفسير الضحاك، جمع ودراسة و تحقيق محمد شكري أحمد الزاويتي، ط1، 1419هـ 1999، دار السلام، القاهرة.
- تفسير عبد الرزاق، تحقيق مصطفى مسلم محمد، ط1، 1989، مكتبة الرشد، الرياض.
- تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ط1412هـ 1993م، عالم الكتب، القاهرة.
- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط1973م، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.
- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ط1974م، دار الثقافة، الدار البيضاء. المغرب.
- تمام حسان، مقالات في اللغة و الأدب، ط1 2006، عالم الكتب، القاهرة.
- التهامي نفرة، سيكولوجية القصة في القرآن، ط1971، الشركة التونسية للتوزيع، تونس.
- توفيق محمد عز الدين، دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، القاهرة.
- الثعالبي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- الثعالبي عبد الملك بن محمد أبو منصور، فقه اللغة و سر العربية، تحقيق مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلبي، دار الفكر، بيروت.
- ثعلب أبو العباس، الفصيح، تحقيق: صبحي التميمي، دار الشهاب الجزائر.

- جابر عصفور، الصورة في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، ط 3 ، 1992 ، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- الجاحظ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط5 ، 1985، مطبعة الخانجي ، القاهرة.
- الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ط 2 ، 1385هـ - 1966م، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة.
- الجاحظ، تهذيب الأخلاق ، ط 1 1410 هـ - 1989 م ، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر.
- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، القاهرة.
- الجرجاني أبو الحسن علي بن عبد العزيز ، الوساطة بين المتبني و خصومه ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي ، ط 1966 ، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز، شرح ياسين الأيوبي، ط 1 ، 2002 ، المكتبة العصرية، بيروت.
- الجرجاني عبد القاهر، الرسالة الشافية ، تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة.
- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر ، ط 2 ، 1410هـ - 1989م مكتبة الخانجي ، بالقاهرة.
- الجرجاني علي بن محمد بن علي ، التعريفات ، وضع حواشيه محمد باسل العود ، ط 2 ، 1424 هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت
- الجرجاني علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط 1 ، 2002 ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الجصاص أحمد بن علي الرازي، الفصول في الأصول، تحقيق: عجيل جاسم النشمي، ط 1، 1405هـ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.
- جميل أحمد ظفر، النحو القرآني، ط 2، 1998، مطبعة الصفا، مكة المكرمة.
- جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط 2 ، 1978م ، دار العلم للملايين ، القاهرة.

- الجوهري إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط 1956، دار الكتاب العربي، مصر.
- الجوهري إسماعيل، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط 3، 1984 م دار العلم للملايين، بيروت.
- الجويني أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله، التلخيص في أصول الفقه، تحقيق: عبد الله النبيلي، أحمد المري، ط 1، 1417هـ - 1997م، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة.
- الحاتمي، حلية المحاضرة، تحقيق جعفر الكتّاني، ط 1979، دار الرشيد، بغداد.
- حامد عبد القادر، دراسات في علم النفس الأدبي، المطبعة النموذجية، لجنة البيان العربي، القاهرة.
- الحجوي الثعالبي محمد بن الحسن بن العربي بن محمد، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ط 1، 1416هـ - 1995م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- حسام الألوسي، الزمان في الفكر الديني والفلسفي وفلسفة العلم، ط 1، 2005، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت
- حسام الراوي، الرسول الطيب، ط 1، 1999، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت
- حكمت بن بشير بن ياسين، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، ط 1، 199، دار المآثر، المدينة المنورة.
- الحكيم بن الاكفاني، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، تحقيق: عبد المنعم محمد عمر، دار الفكر، القاهرة.
- الحلبي علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، ط 1400هـ، دار المعرفة، بيروت.
- حلمي مرزوق، النقد و الدراسة الأدبية، ط 1، 1982، دار النهضة العربية، بيروت.
- الحلبي صفي الدين، شرح الكافية البديعة في علوم البلاغة ومحاسن البديع، تحقيق نسيب نشاوي، ط 2، 1989م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

- الحموي أبو العباس أحمد بن عمر ، القواعد والإشارات في أصول القراءات، تحقيق عبد الكريم محمد الحسن بكار، ط 1، 1406هـ، دار القلم، دمشق.
- الحموي أبو بكر تقي الدين، خزانة الأدب و غاية الأرب ، شرح عصام شعيتو ، ط 1، 1987، دار الهلال، بيروت.
- حميد احمد عيسى العامري، التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ط 1، 1996، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- خالد بن عبد الله الأزهرى ، شرح التصريح على التوضيح، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط 1، 2000، دار الكتب العلمية، بيروت.
- خالد فائق العبيدي، الرياح و السحب و المياه و البحار ، ط 1، 2005، دار الكتب العلمية، بيروت،
- الخطابي، أبو سليمان، حَمْدُ بن محمد بن إبراهيم البستي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق: محمد خلف الله و محمد زغلول، ط 2/، 1387هـ ، دار المعارف ، القاهرة
- الخفاجي أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، سر الفصاحة ،تحقيق عبد المتعال الصعيدي ، ط 1969 ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة.
- خلق الإنسان بين الطب والقرآن، محمد علي البار، ط 4، 1983، الدار السعودية للنشر و التوزيع، الرياض،
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق المخزومي والسامرائي، مكتبة الهلال ،بيروت
- الخوئي أبو القاسم الموسوي، منهاج الصالحين ، ط 28، 1410هـ ، قم، إيران
- الدار قطني أبو الحسن علي بن عمر ، ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم، تحقيق بوران الضناوي و كمال يوسف الخوت، ط 1، 1985م، دار الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.
- الدامغاني الحسين بن محمد ، إصلاح الوجوه و النظائر في القرآن، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل، ط 3، 1980، دار العلم للملايين ،بيروت،
- الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد ، المحكم في نقط المصاحف، تحقيق عزة حسن ، ط 2 ، 1997 ، دار الفكر ،دمشق

- الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد ،المقنع في رسم مصاحف الأمصار، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة.
- الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد ،المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، تحقيق نورة بنت حسن بن فهد الحميد ، ط 1 ، 2010 ،الدار التدمرية ،الرياض .
- الداني أبو عمرو، التيسير في القراءات السبع، ط3، 1985، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الداني، المكتفى في الوقف و الابتداء، تحقيق: يوسف المرعشلي ، ط 2 ، 1987، مطبعة الرسالة ، بيروت.
- الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، نسخة مكتبة الحامّة ، الجزائر.
- الدهلوي ولي الله أحمد، الفوز الكبير في أصول التفسير، ط 1407/2هـ - 1987م دار البشائر الإسلامية، بيروت.
- الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد ، المقتنى في سرد الكنى، تحقيق محمد صالح عبد العزيز مراد، ط 1408هـ، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
- الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد ، معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار، تحقيق بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، صالح مهدي عباس، ط1، 1404هـ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان.
- الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، تحقيق زكريا عميرات ، ط 1 ، 1419هـ - 1998م، دار الكتب العلمية، بيروت
- الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، صالح السمر، ط4، 1406هـ - 1986م ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الرازي أحمد بن محمد بن أحمد بن المظفر ،حجج القرآن، تحقيق أحمد عمر الحمصاني، ط 2، 1982، دار الرائد، بيروت.
- الرازي فخر الدين ،الحصول في علم الأصول ، تحقيق طه جابر العلواني، ط 3، 1418 هـ - 1997 ،مؤسسة الرسالة، بيروت.

- الرازي فخر الدين ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق أحمد حجازي السقا، ط1، 1992، دار الجليل، بيروت.
- الرازي فخر الدين محمد بن عمر ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، تحقيق إبراهيم السامرائي و محمد بركات حمدي ، ط 1985م ، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن.
- الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح ،ترتيب محمود خاطر، دار الفكر ،بيروت ،لبنان.
- الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد ، مفردات أَلْفَاظ القرآن، دار القلم، بيروت.
- الراغب الأصفهاني، مفردات أَلْفَاظ القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط1، 1418هـ - 1997م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الرافي مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب ، ضبط وتصحيح محمد سعيد العريان، ، ط 3 ، 1953، مطبعة الاستقامة، القاهرة،
- الرامهرمزي، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق عجاج الخطيب، ط3، 1404هـ - 1984م، دار الفكر، بيروت.
- رانية محفوظ عثمان الورفلي، الفروق الدلالية بين القراءات القرآنية العشر، ط1، 2008، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي ،ليبيا.
- رسم المصحف و ضبطه بين التوقيف و الاصطلاحات الحديثة، شعبان محمد إسماعيل، ط 2 ، 2001 ، دار السلام ،القاهرة.
- رشدي محمد عليان وقحطان الدوري ،أصول الدين الاسلامي، ط 3، 1406 هـ ،مطبعة الرشاد، بغداد.
- الرماني أبو الحسن علي بن عيسى ، معاني الحروف، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط2، 1986 ،مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة.
- الرماني أبو الحسن علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله ، ومحمد زغلول ، دار المعارف، القاهرة، مصر

- الرماني أبو الحسن علي بن عيسى، رسالتان في اللغة، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط1984م، دار الفكر، عمان، الأردن.
- رمضان عبد التواب، العربية الفصحى والقرآن الكريم أمام العلمانية والاستشراق، ط 1988م، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.
- زاده محي الدين، حاشية على تفسير البيضاوي، دار التراث العربي، القاهرة،
- الزبيدي عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي، ائتلاف النصر في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، تحقيق طارق الجنابي، ط 1، 1987، عالم الكتب، بيروت.
- الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي هاللي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت.
- الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري، معاني القرآن و إعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، ط1، 1988، عالم الكتب، بيروت.
- الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق، حروف المعاني، تحقيق علي توفيق الحمد، ط 2، 1986، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، مجالس العلماء، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، 1984، طبعة وزارة الإعلام، الكويت.
- الزرقاني محمد عبد الباقي، شرح موطأ الإمام مالك، ط 1، 1411 هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت
- الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله، البحر المحيط في أصول الفقه ط1، 1414هـ-1994م، دار الكتبي، القاهرة.
- الزركشي بدر الدين بن محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، خرّج حديثه وقدم له وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا، ط 1، 1408هـ-1988م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، 1984، مكتبة دار التراث، القاهرة.

- الزمخشري محمود بن عمر ، الفائق في غريب الحديث، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 دار المعرفة ،لبنان.
- الزمخشري محمود بن عمر، أساس البلاغة ، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت.
- الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت.
- الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة، بيروت.
- الزملاكاني كمال الدين عبد الواحد بن خلف الأنصاري ،المجيد في إعجاز القرآن المجيد، تحقيق شعبان صلاح ، ط 1 ، 1989 ، دار الثقافة العربية ،القاهرة،
- الزملاكاوي كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم ، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تحقيق خديجة الحديثي و أحمد مطلوب ، ط 1، 1394هـ-1974م ، مطبعة العاني، بغداد.
- زيدان محمود العقرباوي، المرشد في علم التجويد، ط 1 ، 2003 م ، دار الفرقان، عمان.
- السبكي أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو و محمود محمد الطناحي، ط 1، 1383هـ-1964م، مطبعة عيسى الباجي الحلبي، القاهرة.
- السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن عبد الكافي، منع الموانع عن جمع الجوامع في أصول الفقه، تحقيق سعد الحميري، ط 1، دار البشائر الإسلامية، دمشق.
- السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن علي ، معجم الشيوخ، تخريج شمس الدين أبي عبد الله ابن سعد الصالح الحنبلي، تحقيق بشار عواد و رائد يوسف العنبيكي و مصطفى إسماعيل الأعظمي، ط 1 ، 2004م ، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- ستيفن اولمان ، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر ، ط 3 ، 1972 ، المطبعة العثمانية
- السجاوندي أبو عبد الله محمد بن طيفور ،علل الوقوف، تحقيق محمد بن عبد الله العيادي، ط 2، 2006 ، مطبعة الرشد ،الرياض.
- السجستاني أبو بكر محمد بن عزيز ،غريب القرآن، تحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران ، ط 1 ، 1995، دار قتيبة، الرياض.

- السجلماسي أبو محمد القاسم، المترع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق علال الغازي، ط 1، 1980، دار المعارف، الرباط.
- السرخسي أبو بكر محمد بن أبي سهل، المبسوط، ط/1406هـ، دار المعرفة، بيروت.
- السرخسي أبو بكر محمد بن أحمد، أصول السرخسي، ط 1402 هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- سعد رياض، موسوعة علم النفس والعلاج النفسي من منظور إسلامي، ط 2008، دار ابن الجوزي، القاهرة.
- السعدي عبد القادر عبد الرحمن، أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية، ط 2000، دار عمار عمان، الأردن،
- سعود بن عبد الله الفهيسان، اختلاف المفسرين أسبابه و آثاره، ط 1، 1997، دار إشبيلية، الرياض.
- سعيد حوى، المستخلص في تركية الأنفس، دار الأرقم، عمان، الأردن
- سعيد حوى، جند الله ثقافة وأخلاقاً، ط 2، 1998م، دار السلام، القاهرة،
- السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، ط 2، 1407، دار الكتب العلمية بيروت.
- السكاكي يوسف بن محمد، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هندراوي، ط 1، 2000، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السلجماسي أحمد بن المبارك، الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، ط 1961، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
- سلوى محمد العوا، الوجوه و النظائر في القرآن، ط 1، 1998، دار الشروق، القاهرة
- سماح رافع محمد، أسس علم النفس، ط 1972، الشركة المصرية للطباعة و النشر، القاهرة.
- سمر العشنا، البسط في القراءات العشر، ط 2004، دار البشائر، دمشق،
- السمرقندي أبو النصر أحمد بن محمد، المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى، تحقيق: صفوان عدنان داودي، ط 1، 1408هـ - 1988م، دار العلوم، بيروت.

- السمعاني أبو المظفر منصور بن محمد ، تفسير القرآن، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس ، ط1، 1997 ، دار الوطن ، الرياض.
- سميح عاطف الزين، الأمثال في القرآن، ط 1987 ، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- سمير شريف إستيتية ،القراءات القرآنية بين العربية و الأصوات اللغوية، ط 2005 ،عالم الكتب الحديث، الأردن.
- السمين الحلبي أحمد بن يوسف ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ،تحقيق أحمد محمد الخراط ، ط 1 ،1406 هـ ، دار القلم، دمشق.
- السهيلي أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ،نتائج الفكر في النحو، تحقيق محمد إبراهيم البناء، ط 1978، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا.
- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان و البديع ،المكتبة العصرية ،بيروت.
- السيد الجميلي، الإعجاز العلمي في القرآن ، ط 2 ، 1992 ، دار الهلال ، بيروت ، لبنان،
- السيد رزق الطويل، في علوم القراءات مدخل ودراسة وتحقيق، ط 1 ، 1985، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة .
- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ط7، 1402هـ- 1982 م ، دار الشروق، بيروت.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، ط 10 ، 1982 ، دار الشروق ،القاهرة.
- السيوطي ، التحبير في علم التفسير، ط1، 1996، دار الفكر ، بيروت،
- السيوطي أبو الفضل عبد الرحمن ، طبقات الحفاظ، ط1403، 1هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- السيوطي جلال الدين ، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق عبد العال سالم مكرم، ط1، 1985 ، مؤسسة الرسالة، بيروت .
- السيوطي جلال الدين ، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر ، دمشق.

- السيوطي جلال الدين ، كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، ط1، 1985، دار الكتب العلمية، بيروت،
- السيوطي جلال الدين ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تحقيق أحمد شمس الدين ، ط1، 1998 ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق سعيد المندوب، ط1، 1416هـ - 1996م، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر ، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط 1993، 2، دار ابن كثير ،دمشق.
- السيوطي، الحاوي للفتاوي، ط1/1412هـ - 1992م، دار الجيل، بيروت.
- السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط 1، 2003 ، مركز هجر للبحوث و الدراسات العربية و الإسلامية، القاهرة،
- السيوطي، تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، دار الكتاب العربي، بيروت
- السيوطي، تدريب الراوي شرح تقريب النووي، تحقيق: أحمد عمر هاشم، ط/1409هـ - 1989م، دار الكتاب العربي، بيروت.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، المزهر في علوم اللغة، تحقيق فؤاد علي منصور، ط 1، 1998 ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السيوطي، لباب النقول في اسباب النزول، دار إحياء العلوم، بيروت،
- شادية أحمد التل ، علم النفس التربوي ، دار النفائس ،عمان، الأردن.
- الشاطبي إبراهيم بن موسى الغرناطي، الاعتصام، تحقيق حسن مشهور آل سلمان ، ،السعودية، دار ابن عفان ،الرياض.
- الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي ، الاعتصام ، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، ط1، 1412هـ - 1992م، دار ابن عفان، الرياض.

- الشنقيطي محمد الأمين، أضواء البيان، ط1، 1417هـ - 1996م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الشنقيطي محمد الأمين، مذكرة أصول الفقه، الجزائر، الدار السلفية.
- الشهاب الحفاجي، حاشية على تفسير البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت
- الشهرستاني محمد بن عبد الكريم، مفاتيح الأسرار و مصابيح الأبرار، تحقيق محمد علي آذرشب، ط1، 2008، مركز البحوث و الدراسات، طهران.
- الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، ط 1396 هـ - 1976 م، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة.
- الشوكاني محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ط 1979، دار المعرفة، بيروت.
- الشوكاني محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، تحقيق سيد إبراهيم، ط1، 1413 هـ - 1993 م، دار الحديث، القاهرة.
- الشوكاني، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، دار الجيل، بيروت.
- الصابوني أبو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن، ثلاث رسائل عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ط 1990، مكتبة التراث، بغداد.
- صالح بن أحمد رضا، الإعجاز العلمي في السنة النبوية، ط 1، 2001، مكتبة العبيكان، الرياض.
- صالح بن عبد الباقي السنباني، الإعجاز في تقسيم الرياح البحرية، بحوث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن و السنة، 2011،
- صالح عبد الكريم، الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم، ط1، 2006، دار السلام، القاهرة.
- صباح عبيد دراز، في البلاغة القرآنية، أسرار الفصل و الوصل، ط1، 1986، مطبعة الأمانة، القاهرة.
- صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ط14، 1983م، دار العلم للملايين، بيروت.

- صبري عبد الرؤوف محمد عبد القوي، أثر القراءات في الفقه الإسلامي، ط1، 1418هـ - 1998م، دار أضواء السلف، الرياض، السعودية.
- صديق بن حسن خان القنوجي، البيان في مقاصد القرآن، مراجعة: عبد الله إبراهيم الأنصاري، ط/1412هـ - 1992م، المكتبة العصرية، بيروت.
- صفى الرحمن المباركفوري، المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، ط2، 1421هـ - 2000م، دار السلام، الرياض.
- صلاح عبد الفتاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن علوم القرآن وأصول التفسير، ط3، 1992م، دار عمار، عمان، الأردن.
- الصنعاني عبد الرزاق بن همام، تفسير القرآن، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، ط1، 1410هـ، مكتبة الرشد، الرياض.
- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير تونس، دار الكتب الشرقية، تونس.
- الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، ط2، 1421هـ - 2001م، دار النفائس الأردن.
- الطبري أبو جعفر محمد جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق محمود محمد شاكر، مراجعة أحمد محمد شاكر، ط1408هـ - 1988م، مطبعة دار الفكر، بيروت.
- الطبري محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق صديق جميل العطار، ط1415هـ - 1995م، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- الطبري محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ط1، 1407هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الطبري محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1960، دار المعارف، القاهرة.
- العاملي زين الدين بن علي، مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، ط1، 1413هـ، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، إيران.

- عبد التواب مرسي حسن الأكرت ، الضبط الصحفي نشأته و تطوره، ط 1 ، 2008 ، مكتبة الآداب، القاهرة،
- عبد الحلیم سمیر، الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني ، ط 1 ، 2000 ، مكتبة الأحباب، دمشق
- عبد الحلیم قابة ، القراءات القرآنية تاريخها، ثبوتها، حجيتها، أحكامها، ط 1999 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- عبد الحلیم محمد قنيس، معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية، ط 1987 ، مكتبة لبنان، بيروت.
- عبد الحلیم محمود، وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، ط 1997، 1 ، دار التوزيع والنشر الإسلامي، القاهرة.
- عبد الحميد أحمد، مع الطب في القرآن الكريم ، ط 1982 ، دار علوم القرآن ، دمشق.
- عبد الحميد حسن ،الأصول الفنية للأدب، ط 2 ، 1964، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،
- عبد الرحمن الباني ، مدخل إلى التربية ، ط 2 ، 1983م ، المكتب الإسلامي، بيروت.
- عبد الرحمن النحلاوي ،أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ط 1979م ، دار الفكر ، دمشق.
- عبد الرحمن النقيب، الإعداد التربوي و المهني للطبيب عند المسلمين ، دار الفكر العربي، القاهرة.
- عبد الرزاق بن همام الصنعائي، تفسير القرآن، تحقيق مصطفى مسلم محمد، ط 1 ، 1410هـ مكتبة الرشد ، الرياض.
- عبد السلام اللوح، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ط 2، 2002 م ، آفاق للنشر والتوزيع ،غزة، فلسطين.
- عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، ط 2003، المعهد العالي للدراسات الإسلامية
- عبد العال سالم مكرم و أحمد مختار عمر، معجم القراءات القرآنية، ط 3 ، 1408هـ - 1988، مطبوعات جامعة الكويت ،الكويت.
- عبد العال سالم مكرم، القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية، ط 3، 1996 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

- عبد العال سالم مكرم، من الدراسات القرآنية ، ط 1398هـ-1978م،المطبعة العصرية ، الكويت.
- عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، حديث الأحرف السبعة دراسة لإسناده و متنه و اختلاف العلماء في معناه و صلته بالقراءات القرآنية، ط 1، 2002، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- عبد العزيز عبد المعطي عرفة، من بلاغة النظم العربي ، ط 2، 1984 م، عالم الكتب، بيروت.
- عبد الفتاح إسماعيل شلبي، رسم المصحف العثماني و أوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم، ط 4، 1999، مطبعة وهبة ، القاهرة،
- عبد الفتاح الزين ، قضايا قرآنية في ضوء الألفية، ط 1 ، 1987م الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، لبنان.
- عبد الفتاح عبد الغني القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، ط 1 ، 1424هـ-2004م، دار السلام، القاهرة.
- عبد الفتاح عبد الغني القاضي، الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع ، ط 1 ، 1999، مكتبة السوادى، جدة، السعودية.
- عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، دار المريخ للنشر، الرياض.
- عبد الفتاح لاشين، من أسرار التعبير في القرآن، ط 1982، دار المريخ، الرياض.
- عبد الفتاح محمد سلامة، قضية الإعجاز بين المتقدمين والمتأخرين، ، ط 1980م، دار التوفيقية للطباعة، الأزهر، القاهرة.
- عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي ، ط 2003 ، دار الثرات، القاهرة.
- عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين، ط 2 ، 1975م ، دار المعرفة ، بيروت.
- عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه و مفهومه، درا الفكر العربي، القاهرة.
- عبد الله التليدي ، دلائل التوحيد انطلاقاً من القرآن والكون، ط 1، 1999، دار ابن حزم، بيروت.
- عبد الله الطيب ، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، ط 1، 1970، بيروت،

- عبد الله بن حمد المنصور، مشكل القرآن الكريم، ط1، 1426 هـ، دار ابن الجوزي، جدة، السعودية.
- عبد الله محمد الجيوسي، التعبير القرآني والدلالة النفسية، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق،
- عبد الله محمد رمضان، الباقلاني وآراؤه الكلامية، ط1986، مطبعة الأمة، بغداد.
- عبد المجيد سيد أحمد منصور، و زكريا أحمد الشربيني و إسماعيل محمد الفقي، السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر، ط2002، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- عبد الهادي الفضلي، القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، ط2، 1980م، دار القلم، بيروت.
- عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية للتوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، ط1422، 1هـ-2001م، المكتبة العصرية، بيروت،
- العكري أبو البقاء عبد الله بن الحسين، إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، ط1، 1979م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- عبيد بن عبد الله سليمان الجابري، إمداد القاري بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري، ط1، 2000، مكتبة الفرقان، عجمان، الإمارات العربية المتحدة.
- العجلي أبو الحسن أحمد بن عبد الله، معرفة الثقات، تحقيق عبد العليم عبد العظيم اليستوي، ط1، 1415هـ-1985م، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية.
- عدنان الشريف، من علم الطب القرآني، ط1، 1990، دار العلم للملايين، بيروت،
- عدنان خالد عبد الله، النقد التطبيقي التحليلي، ط1، 1986، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،
- عدنان زرزور، القرآن و نصوصه، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط1980، مطبعة خالد بن الوليد، بيروت.
- عدنان محمد زرزور، علوم القرآن و إعجازه و تاريخ توثيقه، ط1، 2005، دار الإعلام، عمان الأردن.
- العراقي أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين، التبصرة والتذكرة، دار الكتب العلمية، بيروت.

- العز بن عبد السلام ، قواعد الأحكام في مصالح الآنام ، ط 1 ، 2003 ، دار ابن حزم ، بيروت.
- العز بن عبد السلام ، فوائد في مشكل القرآن ، تحقيق سيد رضوان علي ، دار الشروق ، ط 2 ، 1982 ، جدة السعودية.
- العز بن عبد السلام ، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، دار الحديث ، القاهرة.
- عزيزة فوال بابتي ، المعجم المفصل في النحو العربي ، ط 1992م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،
- العسكري أبو هلال ، الفروق في اللغة ، ط 1411/7هـ - 1991م ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
- العضد ، شرح على ابن الحاجب ، تصحيح محمد شعبان ، ط 1393 هـ ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة.
- العقيلي إسماعيل بن ظافر بن عبد الله ، مرسوم خط المصحف ، تحقيق محمد بن عمر بن عبد العزيز الجنائبي ، ط 1 ، 2009 ، دار طيبة الخضراء ، مكة المكرمة ،
- العكبري أبو البقاء ، إعراب القراءات الشواذ ، تحقيق محمد السيد أحمد عزوز ، ط 1 ، 1996 ، مطبعة عالم الكتب ، بيروت .
- العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين ، اللباب في علل البناء و الإعراب ، تحقيق عبد الإله النبهان ، ط 1 ، 1995 ، دار الفكر ، دمشق .
- العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين ، التبيان في إعراب القرآن ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط 2 ، 1407هـ - 1987م ، دار الجيل ، بيروت .
- علال الفاسي ، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها ، مكتبة الوحدة العربية ، الدار البيضاء .
- العلوي محمد بن احمد بن طباطبا ، عيار الشعر ، تحقيق طه الحاجري و محمد زغلول ، ط 1956 ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة .
- العلوي يحيى بن حمزة اليميني ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ، تحقيق محمد عبد السلام شاهين ، ط 1 ، 1995 ، مطبعة مؤسسة جواد ، بيروت .
- علي أحمد عبد العال الطهطاوي ، الفتح الأنعم في براءة عائشة و مريم ، ط 1 ، 2005 ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- علي إسماعيل سيد هنداوي، جامع البيان في معرفة رسم القرآن ، ط 1410 هـ ، دار الفرقان ، الرياض.
- علي عبد الحليم محمود ، التربية الإسلامية في المجتمع ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة
- علي محمد الزبيدي، ابن جزي ومنهجه في التفسير، ط1، 1407هـ-1987م ، دار القلم، دمشق.
- علي محمد الضبّاع ، الإضاءة في بيان أصول القراءة، ط 1، 1420 هـ 1999 م، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
- علي محمد الضبّاع، إرشاد المريد إلى مقصود القصيد في القراءات السبع ، ط 2006 ، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر.
- عمر عبد الله محمد المقبل، ليدبّروا آياته، ط 2010 ، الرياض، السعودية.
- عمر مختار ، علم الدلالة ، أحمد ط5 ، 1998 ، عالم الكتب ، القاهرة.
- عودة خليل أبو عودة ، التطور الدلالي بين لغة الشعر و لغة القرآن، ط1، 1985، مكتبة المنار الزرقاء، الأردن.
- غانم قدوري الحمد ، ظواهر لغوية في القراءات القرآنية، ط 1، 2006، دار عمّار، عمّان، الأردن
- غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ط 3 ، 2009، دار عمار، عمان، الأردن.
- غانم قدوري الحمد، رسم المصحف "دراسة لغوية تاريخية"، ط1، 1982. اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ، بغداد.
- الغزالي أبو حامد ، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ط 2 ، 1975 ، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- الغزالي أبو حامد ، المقصد الأسنى في تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق أحمد بن فهد الحلبي، ط1، 1430هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، المستصفى من علم الأصول، مطبوع مع فواتح الرحموت، ط1، 1322هـ، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر.
- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، المنحول، تحقيق: محمد حسن هيتو، ط2، 1400هـ، دار الفكر، دمشق.
- الغزالي محمد بن محمد أبو حامد، المنقذ من الضلال، تحقيق جميل ابراهيم حبيب، دار القادسية، بغداد.
- الغزي محمد ابن محمد بن محمد، إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن، تحقيق خليل محمد العربي، ط 1، 1985، دار الفاروق الحديثة، القاهرة.
- فاتح عبد السلام، الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته السردية، ط 1، 1999، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- الفارسي أبو علي الحسن، الحجة للقراء السبعة، تحقيق بدر الدين قهوجي و بشير جويباتي، ط 1، 1987، دار المأمون للتراث، دمشق.
- فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ط 1422هـ - 2002، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ط 1998 م، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد.
- فاضل مصطفى الساقى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، ط 1977م، مكتبة الخانجي، القاهرة،
- فتحي بن الطيب الحماسي، الأحرف السبعة و ارتباطها بالقراءات، ط 1، 1995، دار المعرفة، دمشق.
- فتحي رضوان، من فلسفة التشريع الإسلامي، دار الكتب اللبناني، بيروت.
- فتحي يكن، أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت
- الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق احمد يوسف ومحمد علي النجار، ط 1، 1995، دار الكتب المصرية، القاهرة.

- الفراهي عبد الحميد ، مفردات القرآن، تحقيق محمد أيوب الإصلاحي، ط 1، 2002، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- فضل حسن عباس و سناء فضل عباس ،إعجاز القرآن الكريم، ط 7، 2009، دار النفائس، عمان، الأردن
- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها و أفنانها علم البيان ، دار الفرقان ،عمان، الأردن
- فهد بن عبد الرحمن الرومي ، دراسات في علوم القرآن ، ط 14، 1426 هـ 2005 م ،مكتبة الملك فهد، الرياض.
- فهد بن عبد الرحمن الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ط4، 1419 هـ 1999 م، مكتبة التوبة، الرياض.
- فوزي حميد ، الجغرافية القرآنية برهان خارق على عظمة الخالق ، ط 1 ، 1993 ، دار الصفدي، دمشق.
- الفيروز آبادي أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط، تحقيق العرقسوسي ، ط 5 ، 1406 هـ ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الفيومي أحمد بن محمد بن علي الرافعي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ،المكتبة العلمية، بيروت.
- القاسمي جمال الدين، محاسن التأويل ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء الكتب العربية، بيروت
- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، ط3، 1978، مطبعة الرجوي، القاهرة.
- القرافي أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي ، أنوار البروق في أنواء الفروق، ضبط و تصحيح خليل المنصور، ط1، 1998 ،دار الكتب العلمية ،بيروت.
- القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت
- القرطاجني أبو الحسن حازم، منهاج البلغاء وسرج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، ط 1966 ، دار الكتب الشرقية ،تونس.

- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ط 1985م ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- القرطبي، التذكار في أفضل الأذكار، المكتبة العلمية ، بيروت.
- القرطبي، جامع أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد الكريم راجح، ط2، 1406هـ-1986م ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- القزويني الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق عبد الحميد هندراوي ، ط 1 ، 1999، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ،
- القزويني الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، ط5، 1980م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- القزويني جلال الدين الخطيب، التلخيص في علوم البلاغة ، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، ط2، 1932؛ مطبعة الرحمانية، مصر.
- القسطلاني شهاب الدين ، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق عامر السيد عثمان و عبد الصبور شاهين، ط1972، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة،
- القشيري أبو القاسم عبد الكريم ابن هوازن، الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الكريم العطا، مكتبة أبي حنيفة ، بغداد.
- القفطي أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف ، إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1406هـ-1986م، دار الفكر العربي، القاهرة.
- القلقشندي أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، تحقيق يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق.
- القمي نظام الدين النيسابوري، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ط1، 1398هـ-1978م، دار الفكر، بيروت.
- القونوي عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، حاشية على تفسير البيضاوي ، تحقيق عبد الله محمود محمد عمر، ط1، 2001، دار الكتب العلمية، بيروت.

- القيسراني محمد بن طاهر، تذكرة الحفاظ، تحقيق حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، ط1، 1415هـ، دار الصمعي، الرياض.
- القيسي أبو محمد مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محيي الدين رمضان، ط 1394هـ-1974م، مجمع اللغة العربية، دمشق.
- القيسي أبو محمد مكي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، تحقيق حاتم صالح الضامن، ط 1395هـ-1975 دار الحرية للطباعة، بغداد.
- القيسي مكي ابن أبي طالب، الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مكتبة ههضة مصر، القاهرة.
- القيسي مكي بن أب طالب، مشكل إعراب القرآن، تحقيق ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث، دمشق.
- الكاساني علاء الدين، بدائع الصنائع، ط2، 1982م، دار الكتاب العربي، بيروت،
- الكلابادي أبو بكر محمد، التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق محمود أمين الفواوي، ط 2، 1980، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- الكلاعي أبو الربيع سليمان بن موسى، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ومغازي الثلاثة الخلفاء، تحقيق محمد كمال الدين علي، ط1، 1997، عالم الكتب، بيروت.
- كمال المويل، آيات طبيعية في القرآن، ط 1، 1995، دار الكتب العربية، بيروت.
- الكيا الهراسي عماد الدين بن محمد الطبري، أحكام القرآن، ط2، 1985، دار الكتب العلمية، بيروت
- المارغيني إبراهيم بن أحمد، دليل الخيران على مورد الظمان، دار الكتب، الجزائر.
- المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق محمد الخراط، ط2، 1985، دار القلم، دمشق.
- ماهر مهدي هلال، جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، دار الرشيد للنشر، بغداد.

- الماوردي ، النكت و العيون ، تحقيق السيد بن عبد المقصود ، ط1 ، 1992 ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر ، تحقيق رضوان السيد ، ط1 1987 م ، دار العلوم العربية للنشر، القاهرة.
- مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ط 2، 1996، دار المسلم، الرياض.
- المبار كفوري صفي الرحمن، الرحيق المختوم ، ط2، 1991، دار إحياء الكتب العربية، بيروت
- المبار كفوري محمد ، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المبرّد أبو العباس، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق تغايد بيضون و نعيم زرزور، ط2 ، 1989م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- محمد ابن محمد بن محمد الغزي، إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن، تحقيق خليل محمد العربي ، ط1 ، 1985، دار الفاروق الحديثة، القاهرة.
- محمد أبو الطيب عبد العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود ، ط2، 1415هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- محمد أبو زهرة ، المعجزة الكبرى، ط 1970 ، دار الفكر العربي ،بيروت.
- محمد أبو زهرة ، المعجزة الكبرى ، دار الفكر العربي ،بيروت.
- محمد إسماعيل إبراهيم ،معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ، ط 1418 هـ-1998م ، دار الفكر العربي، القاهرة.
- محمد إسماعيل الصادي، شرح ديوان جرير، ط 1353هـ، مكتبة النهضة، بغداد.
- محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهري الشافعي، تفسير حدائق الروح و الريحان في روابي علوم القرآن، تحقيق هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط1 ، 2001، دار طوق النجاة، بيروت.
- محمد الحبش، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، ط1، 1419 هـ-1999م، دار الفكر، دمشق.
- محمد الحسناوي ،الفاصلة في القرآن، ط2، 2000، دار عمار ،عمّان الأردن.

- محمد الزحيلي ، أصول الفقه الإسلامي، ط 1396هـ - 1976م ،المطبعة الجديدة، دمشق.
- محمد الصادق قمحاوي، طلائع البشر في توجيه القراءات العشر، ط 1 ، 2006 ، دار العقيدة
القاهرة.
- محمد الغزالي ، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ، ط 4 ، 2000 ، دار الشروق، القاهرة.
- محمد المبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية ، ط 3 ، 1968، دار الفكر ، بيروت .
- محمد بن أحمد أبو منصور الأزهرى الهروي الشافعي ، الزاهر في غريب ألفاظ القرآن، تحقيق محمد جبر
الألفي، ط 1 ، 1399هـ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.
- محمد بن عمر بازمول، القراءات القرآنية وأثرها في التفسير والأحكام الشرعية، ط 1 1417هـ -
1996 م، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض.
- محمد بن لطفى الصباغ، لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ط 3 ، 1990 ،المكتب
الإسلامي، بيروت،
- محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ط1، 1349هـ، دار الكتاب العربي، بيروت
- محمد حبيب الله الأعظمي، إيقاظ الأعلام بوجوب إتباع رسم المصحف الإمام، ط2، 1972م، دار
الرائد العربي، بيروت.
- محمد حسين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر
العربي، القاهرة
- محمد حماسة عبد اللطيف، النحو و الدلالة، ط 1، 2000، دار الشروق، القاهرة.
- محمد خليل الحصري، أحسن الأثر في تاريخ القراء الأربعة عشر، ط 1 ، 2003 ، مكتبة السنة
، القاهرة.
- محمد دالي ،الوحدة الفنية في القصة القرآنية، أمون للطباعة و التجليد ط 1 ، 1993
- محمد رشيد رضا، تفسير المنار ، دار المعرفة ، بيروت.
- محمد رواس قلعجي، لغة القرآن لغة العرب المختارة، ط 1، 1988، دار النفائس، عمان ، الأردن.
- محمد زيان عمر، البحث العلمي مناهجه وتقنياته، ط 4، 1983، دار الشروق، بيروت

- محمد سالم محيسن، تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن، ط1، 1407هـ - 1987م، دار الكتاب العربي، بيروت.
- محمد سالم مكرم ، المهذب في القراءات العشر، القاهرة، ط 2، 1389 هـ / 1978 م، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي، مقاصد الشريعة الإسلامية و علاقتها بالأدلة الشرعية، ط1، 1998، دار الهجرة، الرياض.
- محمد سمير اللبدي، أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، ط 1 1398هـ-1978م، دار الكتب الثقافية، الكويت.
- محمد سمير نجيب البدري ، أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، ط 1 ، 1398هـ - 1978م ، دار الكتب الثقافية، الكويت.
- محمد شملول ، إعجاز رسم القرآن، ط3، 2010، دار السلام، القاهرة،
- محمد طاهر بن عبد القادر الكردي ، تاريخ القرآن و غرائب رسمه و حكمه، ط 2، 1953، دار الحلبي، القاهرة.
- محمد عبد الخالق عزيمة، اللباب في تصريف الأفعال، ط3، 1382هـ - 1962م، دار الحديث، القاهرة.
- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ط 4، 1977م، دار القلم، الكويت.
- محمد عبد المجيد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، ط 1983، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- محمد عبدالله المهدي البدري ، القرآن الكريم تأريخه وعلومه، ط 1، 1404هـ - 1984م، دار القلم ، دبي.
- محمد عبده، رسالة التوحيد ، ط 7، 1412 هـ - 1992 م ، دار إحياء العلوم، بيروت،
- محمد عثمان نجاتي، القرآن و علم النفس، ط7، 2001، دار الشروق، القاهرة.
- محمد علي أبو حمدة، من أساليب البيان في القرآن، ط 1، 1978، عمان، الأردن.

- محمد علي الجوزو، مفهوم العقل و القلب في القرآن و السنة ، ط2 ، 1983 ، دار العلم للملايين ،بيروت.
- محمد علي الصابوني، تفسير آيات الأحكام من القرآن ، دار القلم العربي، حلب، سوريا.
- محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، بيروت.
- محمد محمود حجازي التفسير الواضح، ط 10 ، 1968 ، مطبعة الاستقلال الكبرى ،القاهرة
- محمد وصفي، الإعجاز الطبي في القرآن الكريم، دار الفضيلة ، القاهرة
- محمود بن الشريف، الأمثال في القرآن، دار المعارف، القاهرة. مصر
- محمود خليل الحصري، أحكام قراءة القرآن الكريم، تعليق محمد طلحة بلال منيار، ط 2 ، دار البشائر الإسلامية ،دمشق.
- محمود عكاشة ، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ، ط 2005 دار النشر للجامعات، القاهرة.
- مختار عطية ، الإيجاز في كلام العرب و نص الإعجاز ،دار المعرفة الجامعية ،القاهرة.
- المخزومي أبو الحجاج مجاهد بن جبر ، تفسير مجاهد ، تحقيق عبد الرحمن الطاهر السورتي ، المنشورات العلمية ، بيروت.
- المراغي ،تفسير القرآن ، ط1، 1946، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، القاهرة.
- المزي عبد الوهاب بن وهبان ، أحاسن الأخبار في محاسن السبعة الأخيار، تحقيق أحمد بن فارس سلوم، ط1 ، 2004 ، دار ابن حزم، بيروت.
- المزي يوسف بن الزكيّ بن الحجاج ، تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معروف، ط 1980/1م ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- مساعد بن عبد الله السلطان، أسرار الشريعة من أعلام الموقعين ، ط 1 ، 1998 ، دار المسير، الرياض.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، الجامع الصحيح ، ط1، 1419هـ-1998م، دار السلام، الرياض.

- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري، الكنى والأسماء، تحقيق عبد الرحيم محمد أحمد القشقري ، ط1، 1404هـ، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية.
- مصطفى الدبّاغ، وجوه من الإعجاز القرآني، ط 1 ، 1982 ، الزرقاء، الأردن،
- مصطفى الزرقا، المدخل الفقهي العام ، دار القلم ،دمشق
- مصطفى بن كرامة الله مخدوم ، قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، ط 1999م، دار إشبيلية، السعودية،
- مصطفى ديب البغا و محي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، ط 2 ، 1998 ، دار الكلم الطيب، دمشق.
- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط 8، دار الفكر العربي، بيروت.
- مصطفى عبد السلام أبو شاذي، الحذف البلاغي في القرآن، مكتبة القرآن، القاهرة.
- المطرزي أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المغرب في ترتيب المعرب، تحقيق محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، ط1، 1979، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، سوريا.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم ، ط 2 ، 1970 ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم ، ط 2 ، 1988 ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط2، 1972م، مجمع اللغة العربية، مصر.
- المعلمي اليماني عبد الرحمن بن يحيى ، التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، ط 2، 1406 هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
- مكّي بن أبي طالب أبو محمد القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق أحمد حسن فرحات، طبعة 4 ، 2001م، دار عمار، عمان، الأردن.
- مكّي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، تحقيق ياسين محمد السوّاس، دار المأمون للتراث، دمشق.
- مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن، ط35، 1418هـ-1988م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي ، ط3 ، 1989، مكتبة وهبة، القاهرة.

- المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط 2، 1972، دار المعرفة، بيروت.
- المناوي محمد بن عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق محمد رضوان الداية، ط 1400 هـ، دار الفكر المعاصر، بيروت.
- منير سلطان، الصورة الفنية في شعر المتنبي، ط 2002، منشأة المعارف، الإسكندرية،
- المهدي أبو العباس أحمد بن عمّار، شرح الهداية، تحقيق حازم سعيد حيدر، ط 1، 1416 هـ-1995م، مكتبة الرشد، الرياض.
- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ط 2، 1406 هـ-1986م، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان،
- مهنا محمد عبد الكريم وآخرون، العرض الجديد لأحكام التجويد، ط 2، 2007،
- الموصللي أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، ط 1995م، المكتبة العصرية، بيروت،
- ميارة أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن محمد الفاسي، الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام، دار المعرفة، بيروت.
- ميشال عاصي، الفن والأدب بحث في الجماليات والأنواع الأدبية، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت.
- النحاس أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد، ط 3، 1409 هـ-1988، عالم الكتب، بيروت.
- النحاس أبو جعفر، معاني القرآن الكريم، تحقيق محمد علي الصابوني، ط 1، 1409 هـ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، دمشق
- النسفي أبو البركات عبد الله بن أحمد، مدارك التزويل وحقائق التأويل، مطبوعات محمد علي صبيح، ميدان الأزهر، القاهرة.

- نعمة رحيم العزاوي ، النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري ، ط 1978، دار الحرية ، بغداد.
- نعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- النورسي بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، ط 1989، دار الأنبار،
- التّوي أبو زكريا يحيى بن شرف ، شرح على صحيح مسلم ، ط 2، 1972م، دار إحياء التراث العربي، بيروت،
- النويري أبو القاسم ، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، عبد الفتاح سليمان أبو سنة، المطابع الأميرية، القاهرة.
- النيسابوري محمود بن أبي الحسن بن الحسين ، إيجاز البيان عن معاني القرآن، تحقيق علي بن سليمان العبيد، ط 1، 1997 ، مطبعة التوبة، الرياض ، السعودية.
- الهائم شهاب الدين أحمد بن محمد المصري، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق فتحي أنور الدابولي ، ط 1 ، 1992م، دار الصحابة للتراث، القاهرة.
- الهمداني أبو العلاء، غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار ، تحقيق أشرف فؤاد طلعت، ط 1994 ، طباعة الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة، السعودية.
- الهمداني حسين بن أبي العز ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ، تحقيق محمد حسن النمر و فؤاد علي مخيمر ، ط 1، 1411، دار الثقافة ، قطر.
- الهيثمي علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ،تخريج العراقي و الذهبي، ط 3، 1403 هـ 1984 م، دار الكتب العربي، بيروت.
- الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق صفوان عدنان داودي، ط 1، 1995، دار القلم ، دمشق.
- وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، ط 8 ، 1984، المختار الإسلامي، القاهرة.
- يحيى جبر، نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة وسلسلة أسفار العربية، نابلس، فلسطين المحتلة.

فهرس الرسائل الجامية.

- ابن أبي مرير أبو عبد الله نصر بن علي بن محمد الشيرازي الفارسي، الموضح في وجوه القراءات و عللها ، تحقيق عمر حمدان الكبيسي، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- ابن فورك أبو بكر محمد بن الحسن الأصبهاني ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق عاطف بن كامل بن صالح بخاري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى ،مكة المكرمة.
- أبو نصر منصور بن أحمد العراقي، كتاب الإشارة بلطيف العبارة ،تحقيق أحمد بن عبد الله بن عبد الحسن الفريح ،رسالة دكتوراه،2005، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- البارزي أبو القاسم هبة الله بن عبد الرحيم ، البستان في علوم القرآن، تحقيق يحي بن عبد ربه الزهراني، رسالة ماجستير،2007، كلية الدعوة و أصول الدين، جامعة أم القرى ،مكة المكرمة.
- زكرياء الأنصاري ، إعراب القرآن العظيم، تحقيق موسى علي موسى مسعود ، رسالة ماجستير ،2001، جامعة القاهرة.
- زيد بن علي بن مهدي مهارش، ترجيحات أبي جعفر النحاس في التفسير ، رسالة دكتوراه ،1426هـ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- طلال بن مصطفى عرقسوس، تحقيق سورة الأنعام و الأعراف و الأنفال من تفسير أبي المظفر السمعاني، رسالة دكتوراه،1986، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- عامر عبد محسن السعد ، دلالة الأنساق البنائية في التركيب القرآني، أطروحة 1995، كلية الآداب، جامعة البصرة ،العراق.
- عواطف أمين يوسف البساطي ، الاستنباط عند الإمام ابن عطية الأندلسي في تفسيره المحرر الوجيز، رسالة دكتوراه 2008، كلية الدعوة و أصول الدين جامعة أم القرى مكة المكرمة.
- فخر الدين عبد الله بن محمد بن قاسم النجري، شافي العليل شرح الخمسمائة آية من التزليل ، تحقيق محمد بن صالح العتيك ،رسالة دكتوراه 1406هـ ،جامعة أم القرى ،مكة المكرمة.

- محمود عنبر، الإعجاز التشريعي في علاج مشكلة الفقر من منظور قرآني، ماجستير في التفسير، جامعة غزة، فلسطين.
- الوزير الحسين بن علي المغربي، المصايح في تفسير القرآن العظيم، تحقيق عبد الكريم بن صالح الزهراني، رسالة دكتوراه، كلية اللغة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- يسرى محمد ياسين الغباني، أبو حاتم السجستاني و الدراسات القرآنية، رسالة ماجستير، 1409 هـ، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

فهرس البببات و الصوريات

- حولية كلية الآداب ، جامعة الكويت.
- حولية كلية الشريعة و القانون و الدراسات الإسلامية ، جامعة قطر.
- مجلة الآداب المستنصرية، بغداد.
- المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية ، عمان، الأردن.
- المجلة الجزائرية للاتصال ، معهد العلوم و الاتصال ، الجزائر العاصمة.
- مجلة الحياة ، دورية فكرية ، معهد القرارة بقراداية، الجزائر.
- مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية ، جامعة الكويت.
- مجلة العلوم الإسلامية ، الجامعة الإسلامية، غزة.
- مجلة الوعي الإسلامي ، الكويت .
- مجلة حراء ، علمية ثقافية فصلية ، القاهرة.
- مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ، ليبيا.

فهرس الموضوعات.

- أ - و - المقدمة.
- الباب الأول: القراءات القرآنية و الإعجاز القرآني.
- الفصل الأول: القراءات القرآنية قواعد و مقاصد.
- القراءات في اللغة و الاصطلاح. 1 - 6
- القراءات القرآنية أهميتها و مقاصد الاستشهاد بها. 7 - 12
- تراجم القراء العشرة. 13 - 20
- القراءات القرآنية أقسامها و شروط قبولها. 21 - 28
- القراءات الشاذة حقيقتها و حجيتها. 29 - 33
- الفصل الثاني: الأحرف السبعة و علاقتها بالقراءات القرآنية.
- الأحرف السبعة و القراءات القرآنية. 37
- الأحاديث النبوية الواردة في الأحرف السبعة. 38 - 44
- حقيقة الأحرف السبعة. 45 - 54
- الأحرف السبعة في المصاحف العثمانية. 55 - 59
- الفصل الثالث: الإعجاز القرآني حقيقته و شروطه.
- الإعجاز في اللغة و الاصطلاح. 61 - 64
- المعجزة في اللغة و الاصطلاح. 65 - 67
- شروط المعجزة. 67 - 68
- مشتقات مادة (ع ج ز) في القرآن. 68 - 69
- المفردات القرآنية الدالة على معنى الإعجاز. 69 - 70
- الفروق الدلالية للفظ الإعجاز. 71 - 76
- الفصل الرابع: الإعجاز القرآني بين التحدي و الهداية.
- البحث الإعجازي و الهداية الربانية. 78 - 81

- 83 – 82 - القول الموجز في القدر المعجز من القرآن الكريم.
- 84 - مستويات التحدي القرآني.
- 88 – 85 - آيات التحدي بين تدرجها و ترتيب نزولها.
- 90 – 88 - مستويات المخاطبين في إدراك الإعجاز.
- 94 – 90 - الصرفة في اللغة و الاصطلاح و مصدرها .
- 107 – 95 - الصرفة و الإعجاز دراسة و نقد.
- الباب الثاني : التغيرات القرائي و وجوه الإعجاز القرآني.
- الفصل الأول : التغيرات القرائي بين الإعجاز الصوتي و الإعجاز النحوي.
- التغيرات القرائي و الإعجاز الصوتي.
- 114 – 110 - دلالة الأصوات على المعاني.
- 124 – 115 - الدلالة الصوتية المطردة. " الإبدال نموذجاً . "
- 138 – 124 - الدلالة على المعاني بأدوات البيان الصوتي " التنعيم نموذجاً . "
- التغيرات القرائي و الإعجاز النحوي.
- 145 – 139 - ظاهرة الزمن في القرآن تأصيل مفهومها و بيان أهميتها.
- 153 – 146 - الإعجاز النحوي بين الزمن الفيزيائي و الوظيفة الدلالية.
- الفصل الثاني: التغيرات القرائي و الإعجاز العقائدي.
- التغيرات القرائي و إعجاز القدرة الإلهية: " خلق عيسى عليه السلام نموذجاً " 171 – 155
- 192 – 172 - التغيرات القرائي و الإعجاز في بيان الغيب: " البعث و النشور نموذجاً " -
- الفصل الثالث: التغيرات القرائي بين إعجاز نظم القرآن و إعجاز بلاغته.
- 207 – 194 - النظم النظم القرآني حقيقته ، مستوياته إعجازه.
- 213 – 207 - إعجاز النظم القرآني " تصوير النعيم نموذجاً "
- 218 – 214 - إعجاز النظم القرآني " تصوير النفس نموذجاً "
- 231 – 219 - الإعجاز البلاغي بالتقديم و التأخير " قصة آدم نموذجاً "

- الإعجاز البلاغي بالتقديم و التأخير " نقض الشرك نموذجاً " 232 - 238
- الإعجاز البلاغي بالذكر و الحذف " قصة موسى مع المرأتين نموذجاً " 239 - 246
- الفصل الرابع: التغيرات القرائية بين إعجاز الرسم القرآني و الإعجاز التصويري.
- إعجاز الرسم القرآني: حقيقته ،مقاصده ، " تصوير النعيم نموذجاً " 248 - 290
- الإعجاز التصويري: حقيقته ،مقاصده ،مسالكه " النفس الجاحدة نموذجاً " 271 - 291
- الفصل الخامس: - التغيرات القرائية بين الإعجاز التشريعي و الإعجاز المقاصدي:
- الإعجاز التشريعي: حقيقته ، أسراره " الوضوء نموذجاً " 293 - 318
- الإعجاز التشريعي و الطبي حقيقته ،أسراره " الحيض نموذجاً " 319 - 342
- الإعجاز المقاصدي " حفظ الدين و العرض و العقل نموذجاً " 343 - 362
- الفصل السادس: التغيرات القرائية بين الإعجاز النفسي و الإعجاز التربوي.
- الإعجاز النفسي حقيقته و تاريخه " الاستكبار الفرعوني نموذجاً . " 363 - 405
- الإعجاز التربوي حقيقته مقاصده " القلب المتكبر نموذجاً " 406 - 439
- الفصل السابع: التغيرات القرائية و الإعجاز العلمي
- التفسير العلمي و الإعجاز العلمي الحقيقة ، دوافع الاهتمام. 442 - 448
- الإعجاز العلمي في ظاهرة الرياح . 449 - 468
- الخاتمة. 470 - 482
- الفهارس العامة.
- فهرس الآيات القرآنية . 484 - 494
- فهرس الأحاديث النبوية. 495 - 498
- فهرس الآثار. 499 - 507
- فهرس الأشعار. 508 - 509
- فهرس المصادر و المراجع. 510 - 569
- فهرس الموضوعات. 570 - 573